الجزء الأول | المجلد الخامس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ فاتحة السنة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة ولم ينس القراء ان فواتح السنين الخالية [illegible] كانت تكتب [illegible] والصبر [illegible] على صعاب الأمل والتعلل ، لما عنيناه من معارضة أنصار الجهل ، ومناهضة الذين آثروا الذل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومغاضبة المقلدين ، مع العناء الكبير ، وقلة العون والنصير ، ولو كان هذا المنار منشأ لاجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ، ودكته رياح المماكرة والمكايدة ، ولو قصد به التوسل الى الوظائف والمناصب ، والتوصل الى الرتب والرواتب ، لنال منها ما أراد ، اونالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الاهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأمالته عن الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « إنْ أُرِيدُ إلاّ الإصْلاحَ مَا اسْتَطعتُ ومَا تَوْفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أُنيب »

صرحت في فاتحة السنة الاولى بأنني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني العاملان ، وفي خاتمتها بان غوغاء الناس سلقونا بألسنة حداد ، ورموا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلاء وأكثر قبولا ، وقلت في فاتحة السنة الثالثة إن المنار قد انتشرت تعاليمه ولم أقل انه زاد هو انتشاراً ، وقلت ان الكتاب والخطباء قد تداولوا مسائله ولم أقل انهم كانوا أعوانا له وأنصارا ، بل صرحت بانهم كانوا « بين مخطئ ومصيب ، ومنتقد ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستتجلى الحقيقة للناس ان شاء الله عن قريب » . وكتبت في فاتحة السنة الرابعة انه « قد نما النمو الطبيعي المقدر له من أول نشأته (أي التدريجي البطيء) ولقي صاحبه من الأذى مثل ما لقي الذين تصدوا للاصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين » ثم إننا كنا نمزج هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ، الذين تقبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الامل وحصول المأمول ، مع الاعياء الى قلتهم ، والتبرم من عدم نجدتهم .

هذا مجمل تاريخ المنار من أول نشأته الى سنته الرابعة التي كان آخرها خيراً من أولها ، وخاتمتها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء اننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء المنار : وكونه صار موضع الثقة في جميع الأقطار ، ونزيد تحدثاً بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبين، وأعرض الناس عن جهل المارضين ، فخنست شياطين الوساوس ، وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحسني العمل في السر من يدعو إليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،

فلنا أن نقول الآن تحدثاً بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر إلى مقام الشكر . فأما الصبر : فلا بد للداعي إلى الحق من الاعتصام به ولذلك قرن الله تعالى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن فوائد الصبر الظفر وحسن الجزاء قال تعالى «وَلَيَجْزِيَنَّ الذين صبَرُوا أجرَهُمْ بأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُون» وقال عز وجل «وجعلناهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بأمرنا لما صبَرُوا وكانوا بآياتِنا يُوقنُون» بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والأجر ، فقال «أُولئكَ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا» وأما الشكر : فقد وعد الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» وقال جل ثناؤه «ما يَفْعَلُ اللهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وآمَنْتُمْ وكانَ اللهُ شاكِراً عليماً» فنسأله تعالى أن يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على البلاء، فإن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان أن تبطره النعمة ويشغله الغرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى «وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور»

الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في إقامة سننه وموافقة حكمته وموجبات محبته * ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده . فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس » لهذا نشكر لأولئك الأفاضل الذين انتدبوا للدعوة إلى المنار والسعي في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر أيضا للمشتركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل : فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم إلا بعد الإلحاح منهم والإصرار . ونرجو من سائر المشتركين الفضلاء ، أن يبادروا إلى حسن الأداء ، فإن من يُشكَرُ له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى أن أكثر قراء المنار ، من المصطفين الأخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والأمراء والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس وأساتذتها ، والأذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الأمناء ، والزراع الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط المصريين ، ونعد الجميع بأننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، وتحرير المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لنهضة المسلمين ، ومنفعة جميع الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين .

ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وأن يلهمنا السداد ، ويوفقنا للصواب ، وأن ينصر سلطاننا ، وينير برهاننا ، ويحقق آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

﴿ باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

ننشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

القضاء في الإسلام – النبذة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث[1]) قال صلى الله عليه وسلم: « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم » وفي رواية: « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدل العلماء بهذا الحديث على أن نصب الأمير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم بينهم واجب شرعا. لأن هذا أولى بالوجوب من تأمير المسافرين وإن كانوا أقل الجمع واحداً منهم عليهم والعلة ظاهرة والعمل عليها من اول الإسلام. وفي الحديث إرشاد إلى أن الأمة هي التي تولي الأمراء والحكام كما تقدم شرحه في باب الأحاديث الواردة في الأمراء من المجلد الرابع.

«١» رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو. والرواية الثانية: أخرجها أبو داود عن أبي سعيد. وأخرج نحوها البزار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب.

موانع القضاء أو شروطه تقدم في الأحاديث السبعة التي أوردناها في النبذة الأولى ما يدل على أن الضعيف لا يكون قاضياً وبينا أنواع الضعف، وأن الجاهل لا يكون قاضيا. كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره، وأن الجائر لا يكون قاضياً وأن المرأة لا تكون قاضية وخالف في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا العصر لحكم بكفره أكثر المسلمين، ورموه بمصانعة الأجانب وتقليد الأوربيين، وكذلك الصبي لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الإجماع على هذا ويستدل له بما استدل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها

قال صلى الله تعالى عليه وسلم «استعيذوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان»(٩) والقضاء ضرب من الإمارة ولا نعرف في الناس من تولى الصبيان القضاء ولكنهم يولونهم الإمارة والسلطنة بالوراثة وقد ائتلف المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة. فأما أولئك فإنهم آمنون من مضرة ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين، ووزراء مسؤلين ومنفذين، وإنما الحاكم العام، (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الأحكام، وهو لا يستبد دونهم بنقض ولا إبرام. وأما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن مقاومته فلو تقضت شئون السياسة وتقاب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجعل أحكامها مقيدة بالقوانين، التي تغل أيدي الأمراء والسلاطين، لما وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولا استبد الحاكم الأكبر كيف شاء أو يجد قوة أجنبية تأخذ على يده. وتوقفه عند حده. ولهذا المعنى كانت

«٩» رواه أحمد عن أبي هريرة

تولية الصبي الملك خطراً في الشرق ومثله المرأة . وأما رأس السبعين في الحديث فقالوا إنه أنباء عما وقع في عشر السبعين من الفتن . كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك .

(١٠) عن أبي بكرة قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين . أحدهما : كونه خبراً وثانيهما : كونه حكما شرعياً لأنه يتضمن بمعناه النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . أما الأول فهو مبني على العادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي أن الأمر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والأمراء ولا شك ان هذه الوظائف لا يصح أن تسند إلى النساء لأنهن أضعف رأيا لا سيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلداً وثباتا وأميل مع الهوى لرقة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظيفتهن الطبيعية وهي تربية الأولاد وتدبير المنزل فاذا كان في المرأة استعداد لأن تجاري الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الأوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فلا مع العناية بتربية النساء في أوربا فلا يعترض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرنا ، ولا ينبغي السعي في تحقيقه بتربية المرأة كما يتربى الرجل تماما لأن هذا يضر النوع الانساني من وجوه أهمها تربية الأولاد فان المربي يجب أن يكون بينه وبين المربى تقارب وتناسب في السجايا والأخلاق والأفكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والتقليد له والأخذ

« ١٠ » رواه أحمد والبخاري والنسائي والترمذي وغيرهم

عنه بالطبع لا بالتكلف والمرأة وسط بين الأطفال وبين الرجال فهى التى تربى البنات كل التربية وتربى الصبية التربية الأولى التى تعدهم للأخذ عن الرجال والاقتداء بهم . وإذا اشتغل الرجل بتربية الأطفال ، فإنه يعامل الذكران والاناث معاملة الرجال ، وفى ذلك خروج بالبنات عن سنة الفطرة ، وذهاب بالصبيان مع الفطرة

وأما الثانى ـ وهو كون الحديث حكما [illegible] عيا [illegible] ولاية النساء ـ فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولوظيفتهن الفطرية ومن جهة أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم [illegible] ذلك العصر ولا حاجة لإباحته فى عصر آخر [illegible] فيه [illegible] المذكور فى الوجه الأول من التعدى على وظيفة النساء الطبيعية ولا يعترض بحال أوربا وكون الدولة الانكليزية أفلحت فى عهد [illegible] ملكة فكتوريا [illegible] ما [illegible] هى ولا غيرها من الدول مثله لأن فرقا بين أمم أوربا والأمة الاسلامية وهو أن الملك فيهم ليس له من الوظائف مثل ما [illegible] عند المسلمين فان الخليفة هو الامام الدينى الذى يصلى بالناس ويخطبهم [illegible] عند حضوره الحج وكل الأئمة والخطباء فى البلاد الاسلامية [illegible] وكلاؤه وهو القاضى الأكبر الذى يحكم فيهم حيث يكون [illegible] القضاة والمفتين [illegible] وكلاؤه فهو الذى يقلدهم هذا المنصب بشرط الكفاءة وإليه يرجعون فى مسائل الخلاف ليفصل فيها ، ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضى والمفتى فى مرتبة الأئمة المجتهدين فى الدين ومعرفة مصلحة المسلمين ولا يعرف هذا إلا من هو أهله . وإن فرضنا أن فى استعداد المرأة الوصول إلى هذه المرتبة وأنه لا ضرر فى هذا على النوع الانسانى فهناك مانع آخر من إمامتها

وهو أنها تكون في طور لا تصح فيه صلاتها بنفسها. فكيف تكون إماماً لغيرها. ولا يقال: تستنيب لأن من ليس له الحق بشيء لا يصح أن يستنيب فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا. هذا بعض ما يقال في المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مدبر السياسة والحروب ومتولى النظر في المصالح الداخلية والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً فإن قيل: إن الاسلام شرع المشاورة في الامر وجعلها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر بنفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون في تقييد الملوك بالمجالس النيابية. قلنا: نعم هذا صحيح ولكن الإسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملا بالمشاورة لا أن يكون آلة تجرى الأمور باسمه بدون شعور. والكلام في هذا المقال كثير وفيما ذكرناه غناء للصبر.

ومن موانع القضاء عند الجماهير الرق وحكى عن العترة أنه يصح أن يكون العبد قاضيا وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » وفي رواية « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » قال القسطلاني في شرح البخاري: معناه: إن استعمله الإمام الأعظم على القوم لا أن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش. أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الامر بطاعته. والنهي عن شقاقه ومخالفته. اهـ أي ليس المراد به ظاهره فإن العبد إذا ولى الخلافة لا يطاع بل يخلع ويعزل:

«١١» رواه أحمد والبخاري عن أنس. والرواية الثانية لمسلم عن أم الحصين

قال الخطابي: قد يضرب المثل بما لا يتم في الوجود وقال الحافظ في الفتح: ونقل ابن بطال عن المهلب قال قوله «اسمعوا وأطيعوا» لا يوجب أن يكون المستعمل للعبد إلا إمام قرشي لما تقدم من أن الإمامة لا تكون إلا في قريش وقد أجمع الأمة على أنها لا تكون في العبيد ويحتمل أن يكون سماه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اه

والحاصل أن شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الأحكام السلطانية الرجولية والحرية والإسلام والعدالة والاجتهاد في العلم والعقل وسلامة الحواس وجوز مالك قضاء الأعمى كما جوز شهادته

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس «أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم: قال عذت معاذا. قال سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم ابنه معه فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين قال أنس فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه ثم قال للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو فقال يا أمير المؤمنين: إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني.

وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال:

شرب أخي عبد الرحمن وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه الكلمة أنهما لم يكونا يقصدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال عبد الله فذكر لي أخي أنه سكر، فقلت: ادخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما قد أتيا عمرو فأخبرني أخي أنه أخبر الأمير بذلك فقلت لا تحلق اليوم على رؤوس الناس ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلا الدار. قال عبد الله فحلقت أخي بيدي، ثم جلدهم عمرو فسمع بذلك عمر وكتب إلى عمرو أن ابعث إلي بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك فلما قدم على عمر جلده وعاقبه لمكانه منه ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فمات فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلد عمر

وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولا، ذكر فيه مجيء عبد الرحمن إلى مصر ونزوله في أقصاها وأن عمرواً خشي أن يزوره أو يهدي إليه شيئاً فيعلم أبوه عمر بذلك فيعاقبه لأنه كان كتب إليه «إياك أن يقدم عليك أحد من أهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بغيره» حتى جاءه هو ورفيقه أبو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما. وفيه أن عمر لما علم أن عمرواً اقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن أنها خصوصية اختص بها ولده فكتب إليه يوبخه ويهدده بالعزل ويطلب عبد الرحمن. وأن عمرواً اعتذر له بأن يحد كل مسلم وذمي في بيته. اهـ ملخصاً من كتاب (كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال)

﴿ باب الفوائد من الأمالي الدينية ﴾

« الدرس ٣١ — عصمة الأنبياء عليهم السلام »

(المسألة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع ، وقال الجرجاني في التعريفات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أي أن المعصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه ، فالعصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الأنبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الفضيلة مايربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنايا ويسمى علماؤنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الوراثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الأنبياء ، ويسلمون به للأنبياء تقليداً ولهم العذر فإنه أمر لا يعرفه إلا من ذاقه وقليل ماهم .

(م ٨٠) العصمة في التبليغ جاء في المواقف أن أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى وإن عاقلا لا يجمع بين الإيمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ عنه وإن كان هذا جائزاً فأي ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه ؟! ولقد أبعد القاضي أحد أئمة الأشعرية في قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يعول عليه أحد ، والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية .

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فنتوسع فيه .

(م ٨٢) العصمة من كبائر الذنوب قال فى المواقف وشرحه : « أما الكبائر » أى صدورها عنهم عمداً « فمنعه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية « والأكثر » من المانعين « على امتناعه سمعاً » قال القاضى والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم سمعاً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فى ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة فى التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح « يمتنع ذلك عقلا » لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم من القلوب وانحطاط رتبتهم فى أعين الناس فيؤدى إلى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ فى التأويل « فجوزه الأكثرون » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقلى الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع ، وما أراه إلا الإجماع السكوتى وعجيب من سادتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء لأجل مخالفة المعتزلة ولو بالتكلف إذ استلزم دليلهم للتحسين والتقبيح بالمعنى النافى لاختيار الله تعالى ممنوع كما سنبينه ثم إنهم جوزوا وقوع الكبائر منهم سهواً وتأويلا كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرون وقد جزم المتأخرون بهذا فى عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيما بالقول للأنبياء والصالحين وكذلك فى الاعتقاد التخيلى دون البرهانى على أنهم فى هذه المسألة أقرب إلى الصواب من المتقدمين

(م ٨٣) العصمة من الصغائر قال المواقف : « وأما الصغائر عمداً فجوزه الجمهور إلا الجبائى وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً إلا الصغائر الخسيسة كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ : يجوز بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول » قال الشارح · (أى نحن الأشاعرة).

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد إيراد ما ذكر كله : « هذا كله بعد الوحى وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل وقال أكثر المعتزلة : تمتنع الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب النفرة ، وهى تمنع عن اتباعه ، فتفوت مصلحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كعهر الأمهات والفجور فى الآباء والصغائر الخسيسة دون غيرها . وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحى ، فكيف بعد الوحى؟ » اه وقول الروافض هذا هو الذى اعتمده المتأخرون من أهل السنة ، بل منع بعضهم وقوع المكروه منهم إلا على سبيل التشريع .

(م ٨٥) رأينا[1] إنما ذكرنا هذا الاختلاف فى العصمة ليعرف من يطلع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم : أن المسلمين لم يتكلفوا القول بعصمة الأنبياء تكلفاً لإثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب فى

---

(١) راجع النبذة ١١ من شبهات المسيحيين وحجج المسلمين فى عصمة الأنبياء والخلاص [illegible]

اليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون في ذلك كثيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أي أدلة الوحي. وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذي هو أعظم كتب الكلام عندنا لئلا يظن قليل الإطلاع من المسلمين أن الأقوال التي أوردناها في الخلاف هي أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلا لاسيما إعتماد متأخري أهل السنة قول الرافضة. والذي نراه أنه يصح الاستدلال بالعقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقبيح العقليين ولا سلب الاختيار عن الله تعالى. وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية مايدل على نزاهتهم وكونهم قدوة في الخير والفضائل ولكن ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد إيراد تلك الآيات انها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً. وفي الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك وقصارى هذا كله وجوب الإعتماد على الدليل العقلي والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم فاطلب ذلك من الدرس الآتي.

﴿باب الأسئلة والاجوبة﴾

(س١) محمد توفيق أفندي حمزه بالفشن (المنيا): هل يوجد حديث صحيح بأن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها وأن منه قوله تعالى «والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة» نرجو الرد على ذلك لإزالة الشبهة

(ج) لم يرد فى هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم فى الأديان الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف فى القرآن أو نقص حرف منه لحفظه فى الصدور والمصحف أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فيه بشىء يضعونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال «لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بألسنتها. ولو كان الكاتب من ثقيف والملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف» .

وفى لفظ آخر «أحسنتم وأجملتم أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها ولو كان الملى من هذيل والكاتب من قريش لم يوجد هذا» ولما تصدى المحدثون رضى الله عنهم لنقد الحديث والأثر من جهة الرواية التى راج فى سوقها الطيب والخبيث تبين لهم فى هذا الأثر ثلاث علل الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعوّل عليه لو كان فى الحث على فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه فى موضوع هو أصل الدين الأصيل وركنه الركين؟ ومن يدرى إن كان الساقط من سنده مجوسى أودهرى أو إسرائيلى؟ على أن الكلمة التى نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن فى الرسم وأنه لم يكن مما يشتبه فى قراءته لأنه لا يحتمل فى النطق وجهاً آخر كرسم الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلا (الصلوة الحيوة) ولكن الموسوسين حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت فى المصحف على خلاف القواعد النحوية التى وضعها الناس لكلام العرب وتحكمون بها عليهم ومن ذلك الآية التى أشار إليها السائل وهى قوله تعالى «لكن الراسخون فى العلم منهم

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » وإنى لأعجب من دخيل فى لغة قوم يتحكم عليهم فى شىء يخترعه هو ويجعله أصلا لها وأعجب من هذا أن يكون هذا التحكم على أصح شىء فى اللسان فان الذين يؤولون ماورد عن بعض سفهاء الأعراب من الشعر المخالف للقواعد أو يكتفون بأنه صحيح لأنه هكذا تجدهم يتوقفون فى بعض الكلم من القرآن إذا رأوا أنها على خلاف القياس. على أن علماء العربية خرجوا تلك الكلمات على ما يوفق قواعدهم من وجوه مذكورة فى كتب التفسير وكتب النحو لا محل لها هنا. وسنفصل القول فى مسئلة جمع القرآن فى دروس الأمالى الدينية بما يشفى الصدور إن شاء الله تعالى.

(س ٢) أحمد أفندى الألفى فى أبى كبير (شرقية): ما أقرب الطرق لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؟.

(ج) الكتاب العزيز لم يفصل القول فى صور العبادات وإنما بين روح العبادات والمقصود منها وفيه كيفية الوضوء وذكر الركوع والسجود من أعمال الصلاة والسنة بينت صورها وأذكارها. وأصحاب الكتب الستة التى هى أصح كتب الحديث إنما ألفوا كتبهم لمعرفة الدين منها فجامع البخارى هو مذهبه الذى يعتمد عليه فى فهم الدين وقد قال بعض العلماء إن سنن أبى داود كافية فيما يشترط للاجتهاد من علم السنة. ويوجد كتاب يسمى منتقى الأخبار جمع فيه صاحبه أحاديث الأحكام من الكتب الستة ومن مسند الإمام أحمد وقد شرحه الإمام الشوكانى وأورد فى شرحه خلاف جمع أئمة المسلمين المشهورين من الصحابة والتابعين مع بيان

الترجيح فى الاستدلال واسم الشرح (نيل الأوطار) فهو أجمع كتاب فى أحكام الدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والأحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء، ولكن لا يستغنى عن هدايتهم فى معرفة ما يحتج به وما يختلف مع غيره.

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن فى اكتساب ملكة البلاغة كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال توهم أن القرآن فى علو أسلوبه وإعجازه لا يمكن أن يحتذى بلاغته، من لا يطمع أن يبلغ غايته، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير فى ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم فكان كلامهم فى المنظوم والمنثور بعد الإسلام أعلى منه قبله. فالقرآن أنفع الكلام فى ارتقاء اللغة كما أنه أنفعه فى إصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم نفعه فى ارتقاء البلاغة إمكان التسلق إلى درجته، والجرى إلى غايته، وإن لنا لعودة إلى هذه المسألة إن شاء الله تعالى

(س ٤) ع. ا. ر. فى الإسكندرية : لايخفى مارسخ فى أوهام العوام من مسألة كرامات الأولياء والخروج فى فهم حقيقتها عن الحد الذى نبهت عليه شريعتنا السمحة، وبشر نا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المنتحلين لأنفسهم علم الغيب وله سبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم عما يحصل لهم فى غد من الحوادث فيصدقونه والمتنبهون منهم إن سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى أنه كرامة من غير توضيح، ماهى الكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

ضلالهم ساهون . ولما كان للإسلام والمسلمين صوت (المنار) كفيل [illegible]
نبراساً لهم ودليلاً إن هم تاهوا في بيداء الحيرة وتيه الضلال [illegible] بهذه
السور الحكم مقتبساً من بحر علمكم وواسع حكمتكم أن توضحوا لنا الأمر الآتي
(وان كان سبق توضيحه) هل ورد في الشرع ما يجيز لأحد من الناس التهجم على
غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يصيبهم من خير أو شر . فإن
حصل أو استشعر منه الخبط والخلط قال : إن السبحة [illegible] السبحة تامة ؟ فنرجو ان
توضحوا لنا ذلك بعباراتكم النيرة وان تزيلوا هذه [illegible] على العقول . . .

(ج) لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما يدل على جواز
هذه الدعوى لأحد بل ورد ما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قد أمروا بأن
يتبرؤوا منها « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
إني ملك إن أتبع الا مايوحى إلى قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »
« قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ــ « قل لا يعلم
من في السموات والأرض الغيب إلا الله » والآيات في هذا المعنى كثيرة . واستشكل
بعضهم نفي علم الغيب عن النبي مع انه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ماتؤيده
الآيات كقوله تعالى « إن اتبع الا مايوحى إلي » فنقول فيما أخبر به من ذلك كما
قال الله تعالى « وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وأما المنفي فهو مايتعلق
بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
في تأبير النخل وقوله لما خرج خلاف ماقاله عليه السلام : (أنتم أعلم بأمر دنياكم)
وفي رواية لمسلم : (إن كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم وإن كان من أمر دينكم
فالي) فالحديث يدل على ان الله تعالى لم يعط الأنبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
دنياهم وانما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء الدجالون من
أصحاب السبح ونحوهم فلا تزال بضاعتهم تروج ما دام هذا الجهل فاشياً في جميع
طبقات الأمة ولا ينفع في الجاهل المقلد الأعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
(كرامات الأولياء) في ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد المنار الثاني

القسم العمومي

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدين .

أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرية غير سر القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر مالاح لي في حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسعى في توسيع هذا السعي بعقد جمعية من سراة الاسلام في مهد الهداية أعني (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلي ألسن تنشد :

دراك فمن يدنف لعمري يدفن	وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فإن الدين قد زال عزه	وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فكان له أهل يوفون حقه	بهدي وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بيتهم	أما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا إلى (أم القرى) وتآمروا	ولا تقنطوا من روح رب مهيمن
فان الذي شادته الاسياف قبلكم	هو اليوم لايحتاج الا الألسن

فسلكت الطريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ثم جئت الإسكندرية فمصر ثم من السويس يممت الحديدة فصنعاء فصعدا إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها فى أوائل ذى القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقونى بموافاتها وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتى الذى حرمنا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفى أثناء انتظارنا منتصف الشهر سعيت مع بعض الاخوان الوافدين فى تحرى وتخير اثنى عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراى وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلى وكلكته وليفربول . واذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لى داراً فى حى منطرف فى مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داغستانى روسى لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر إلى سلخه اثنا عشر اجتماعا غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار إليه .

﴿ الاجتماع الأول ﴾

يوم الاثنين خامس عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الأولى واعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بباقى اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة كن مهيئات قبلا مطبوعات بمطبعة (الجلاتين) التى استعرتها من تاجر هندى فى مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً فى نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية المخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التى يحتاج الاخوان لاستعمالها

وأعضاء الجمعية هم السيد الفراتى ، الفاضل الشامى ، البليغ القدسى ، الكامل الاسكندرى ، العلامة المصرى ، المحدث اليمنى ، الحافظ البصرى ، العالم النجدى ، المحقق المدنى ، الاستاذ المكى ، الحكيم التونسى ، المرشد الفاسى ، السعيد الانكليزى ، المولى الرومى ، الرياضى الكردى ، المجتهد التبريزى ، العارف التاتارى ، الخطيب القازانى ، المدقق التركى ، الفقيه الافغانى ، الصاحب الهندى ، الشيخ السندى ،

الإمام الصيني . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها مني من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لاخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لايطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظري فيهم الاوسارع الذي عن يميني إلى عقد العهد ثم الذي يليه ثم الذي يليه إلى آخرهم .

ثم التمست منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل القررات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ اعلنت لهم اني أتخير للرئاسة الأستاذ المكي وأتخير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم فاظهر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيده ودينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم « إياك نعبد » لا نخضع لغيرك « وإياك نستعين » لا ننتظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضراً « اهدنا الصراط المستقيم » الذي لاخفيات ولا ثنيات فيه « صراط الذين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية إلى التوحيد « غير المغضوب عليهم » بما أشركوا « ولا الضالين » بعد ما اهتدوا سبحانك ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفراتي الذي أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط همتكم ، وتأجيج نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا العناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تقهقر الإسلام بنت ألف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الا متانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كما لا يخفون إلى أن يتشعبا بعض الأمم في العصور فنون الفتورة الحاضرة قرون عدتها فانتشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم ولم يزل يسرون في سبيلهم إلى أن استولى بالشلل على كل أطراف جسم الممالك الاسلامية وقرب الخطر من قلب أعني (جزيرة العرب) فتنبهت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووفقهم لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة فكثر المتنبهون وتحركت الخواطر لكنها حركة متحيرة الوجهة شائعة القوة فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبتدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً شديد التأثير ويدعو إلى التدبر على أن ذلك لا يفيد إلا دهشة أو ضجة . (والثاني) بيان أن سبب الخلل النازل هو الجهل العام . بيان إجمال وتلميح ، مع أن المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلاً تطير منه النفوس مع أن الحال الواقع لا يخفى فيه النذر . (والرابع) توجيه اللوم والتبعة على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة مع أن الاتفاق وهم ما تشاكسون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان استثمارها وذلك لا يتم إذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً سياسياً بالبحث أولا عن مراكز المرض ثم جراثيمه ليتعين بعد ذلك الدواء الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانيا عن تدبير إدخاله في جسم الأمة بحكمة تصرع العناد والوهم ، وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم أيها السادة تستحسنون الاكتتام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب الأفاضل لأن لذلك حسنات بل موجبات شتى ينبغي أن نستعملها جمعيتنا أيضاً فلنحرص كلنا على الاكتتام لأن من موجباته التزام كل منا التشرب بالصبر أعني القول الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياء المريض مهلكة وكتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياء في الدين .

ومن موجبات الاكتتام أيضاً أن كل ما يخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند الأكثرين ولكن بصورة مشتتة والناس فيه على أقسام فصنف العلماء إما جبناء يهابون

الخوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأحوالهم وباقي الناس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليداً فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد مانعلم من الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا نتفرق في الآراء وليكون مانقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف الأمة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوي بين المذاهب فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأي حادث بين المسلمين بل جميع أهل جزيرة العرب ماعدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الحنابلة أو الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهله وحملته وحافظوه وحماته وقلما خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي الغرباء والتفنن في الدين لأجل الفخار ولا يعظمن على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ويترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحري من هو الاعظم من بين الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم مابين نفي وإثبات حتى في كثير من الأمور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يقنتون في الوتر أم في الصبح وهل كان المؤتمرون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يرسلونها . فاذا كان الأئمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعلية هي عماد الدين أعني الصلاة التي هي من المشهودات المتكررات وتؤدى بالجموع والجماهير فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن نترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع إلى مانفهمه من النصوص أو ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير مانقرره ويقوى الأمل فى قبول الأمة منا ماندعوها إليه .

وإنى أسلفكم أيها السادات أنه ينبغى أن لايهولنا ماينبسط فى جمعيتنا من تفاقم أسباب الضعف والفتور كيلا نيأس من روح الله وأن لانتوهم الإصابة فى قول من قال إننا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لا اصابة فى قول من قال إذا نزل الضعف فى دولة أو أمة لايرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة فرق سوى فى العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضانة العلم عشرون عاماً فقط ومدة حضانة الأخلاق أربعون سنة . فعلينا أن نثق بعناية الله الذى لايعبد سواه وبهذا الدين المبين الذى نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الالهى ديناً حنيفاً متيناً محكماً مكيناً لايفصله ولايقاربه دين من الأديان فى الحكمة والنظام ورسوخ البنيان

ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ فى الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعد واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن تخرق طبل حزب الشيطان وتسترعى سمع الأمة مهما كانت فى رقاد عميق وتقودها إلى النشاط وإن كانت فى فتور مستحكم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمه لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يفى بما لايفى به عمر الواحد الفرد وتأتى بأعمالها كلها بعزائم صادقة لايفسدها التردد وهذا هو سر ماورد فى الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتى بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغربية وهذا سر النجاح فى كل الأعمال المهمة لأن سنة الله فى خلقه ان كل أمر كليا كان أو جزئيا لايحصل إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة فى زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة فى زمان قصير وكلنا يعلم أن مسألتنا أعظم من أن يفى بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لايطرد أو قوة

عصبية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتغور سريعاً

وإذا تفكرنا أن مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تتزايد حتى تتكمل وتتقلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لايبعد أن يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها. ولا ينبغى الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة فى شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب (الاكاديميات) أى المجامع العلمية تحت حماية رسمية بل الاليق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظائم والزمان أبو العجائب وما على الله بعزيز ان يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهورى إذا نادى مؤذنها حى على الفلاح فى رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه .

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقى بها فى معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليبين رأيه وما يفتح الله به عليه فى اجتماعاتنا التى نواليها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعنى إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التى جرت فى الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات

وانى أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التى تدور عليها جمعيتنا وينبغى لكل منا ان يفتكر فيها ويدرسها وهى عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جراثيم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهى وسائل استعمال الدواء (٦) ما هى الاسلامية (٧) كيف يكون التدين بالاسلامية (٨) ما هو الشرك الخفى (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية

ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفراتى . أرى أن يقيد كل منا هذه المسائل العشر فى جانب من ورقة التراجم لاجل التذكرة ففعلوا . ثم دعاهم إلى الطعام فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتدين فى ليفربول من السعيد الانكليزى . وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاى والقهوة والشراب المثلوج فاختار كل ما ألف وأحب ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

آثار علمية وأدبية

علم تلامذة العرب وبلاغتهم

جاء فى أمالى أبى على القالى مانصه: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندانى عن التوزى عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا فى الأدب والعلم فلمـا بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر : أخبرنى عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قال : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، المـاجد الأجداد ، الراسى الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحسـاد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المـانع للحريم ، المفضال الحليم ، القمقام[1] الزعيم ، الذى إن هم فعل ، وإن سئل بذل .

قال أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال إليك . قال : البرم اللئيم[2] ، المستخذى الخصيم[3] ، المبطان النهيم[4] ، العيى البكيم[5] ، الذى ان سئل منع ، وان هدد خضع ، وإن طلب جشع[6] . قال ما تقول يا ربيعة؟ قال غيره أبغض إلى منه ، قال ومن هو؟ قال: النموم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام[7] ، الجبان عند الصدام .

قال : أخبرنى يا عمرو ، أى النساء أحب إليك ؟ قال الهركولة اللفاء[8] ،

---

(١) القمقام من أسماء البحر ويطلق عليه السيد الكريم ، ويطلق أيضا على الدنىء أخذا من قمقم فلان ماعلى المائدة كتقممه واقتمه إذا تتبعه وأتى عليه (٢) البرم بالتحريك ثمر العضاه وهو لاينتفع به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه ، والبرم أيضا من لايدخل مع القوم فى الميسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذى — خضع وذل وأقبح بالمستخذى كثير الخصومة (٤) المبطان كبير البطن من كثرة الاكل . والنهيم والنهم الشره (٥) العيى العاجز عن الافصاح بالقول والبكيم الابكم (٦) الجشع الحرص على الاكل وغيره (٧) فى الاساس: رجل رغيب واسع الجوف أكول (٨) الهركولة الحسنة الجسم والخلق والمشية والجارية الضخمة الاوراك . واللفاء مؤنث الالف وهى الضخمة الفخذين

المكورة الجيداء (٩) ، التي يشفي السقيم كلامها ، ويبرئ الوصب إلمامها (١٠) التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وان استعتبتها أعتبت (١١) ، الفاترة الطرف ، الطفلة الكف (١٢) ، العميمة الردف ، قال ما تقول ياربيعة ؟ قال نعت فأحسن وغيرها أحب إلي منها قال ومن هي ؟ قال : الفتانة العينين ، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرداح الوركين (١٣) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قال : فأي النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال القتاتة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوافة الهبوب (١٥) ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته .

قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال بئس والله المرأة ذكر وغيرها أبغض إلي منها قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته . (١٦) وإن ناطقها انتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض إلي منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقي صاحبها ، وخزي خاطبها ، وافتضح أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، قال فصفه لي : قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفخور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامح ، الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان (١٧) ، القؤول غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذي لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرني يا عمرو أي الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق (١٨) ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب ، قال نعم الفرس والله نعت فما

---

(٩) المكورة — المطوية الخلق . والجيداء الطويلة الجيد الحسنته (١٠) الوصب المرض والإلمام الزيارة (١١) أي ان استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقيلتهما (١٤) النمامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تقر في بيتها (١٦) الوتر الثأر ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره حمله أو حقه نقصه إياه (١٧) البخيل المنقبض الكف (١٨) الكفيت السريع والعريق ماله عرق في الكرم أو اللؤم

[illegible] قال [illegible] أحب إلى منه ، قال وما هو ؟ قال الحصان الجواد ، السامى [illegible] [illegible] إذا جرى ، السابق إذا جرى ، قال فأى الخيل أبغض إليك يا عمرو [illegible] الأنوح(١٩) ، الصؤول الضعيف ، الملول المفيف ، الذى [illegible] طالبه أدركه . قال فما تقول يا ربيعة ؟ قال غيره أبغض إلى منه [illegible] البطىء الثقيل ، الحرون [illegible] ، الذى إن ضربته قمص(٢٠) ، وإن دنوت منه شمس ، يدركه الطالب ، ويقطع بالصاحب .
قال ربيعة : وغيره أبغض إلى منه . قال وما هو ؟ قال الجموح الخبوط(٢١) ، الركوض الخروط(٢٢) ، الشموس الضروط ، القطوف(٢٣) فى الصعود والهبوط ، الذى لا يسلم الصاحب « لعلها بالصاحب » . ولا ينجو من الطالب . .

قال أخبرنى يا عمرو أى العيش ألذ ؟ قال عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتباق مدامة ، قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب إلى منه . قال وما هو ؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وعز وغنى عميم ، فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إلى منه قال وما هو ؟ قال غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم .

قال فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قال الصقيل الحسام ، الباتر الجذام ، الماضى السطام(٢٤) ، المرهف الصمصام . الذى إذا هززته لم يكب . وإذا ضربت به لم ينب .
قال ما تقول ياربيعة ؟ قال نعم السيف نعت وغيره أحب إلى منه . قال وما هو؟ قال الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إذا هززته هتك ، وإذا ضربت به بتك(٢٥) ، قال فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟قال الفطار الكهام(٢٦) الذى إذا ضرب به لم يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع(٢٧) قال ماتقول ياربيعة؟ قال بئس السيف والله ذكر وغيره أبغض إلى منه. قال وما هو؟ قال الطبع الددان(٢٨) ،

---

(١٩) نكل عن الشىء نكص وم يقدم أو هم بالشىء وهاب اتيانه ، وأنح أنحاً وأنوحا زحر من ثقل مرض أو بهر نفس . والأنوح أيضا البخيل يتنحنح إذا سئل (٢٠) قمص الفرس ونحوه استن أى رفع يديه معاً ووضعهما معاً (٢١) الذى يخبط الأرض برجله (٢٢) الخروج يجتذب الرسن من ممسكه (٢٣) الذى يسىء السير ويبطىء (٢٤) الحد (٢٥) قطع (٢٦) الفطارمافيه تشقق فلايقطع والكهام الكليل لا يمضى(٢٧) نخع الذبيحة جاز بالذبح إلى النخاع وذلك أقصاه (٢٨) الطبع الصدى ،

المتضد(٢٩) المهان .

قال فأخبرني يا عمرو أى الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر البأس ، واشتجر الدعاس(٣٠)، قال أحبها إلى المارن المثقف(٣١) ، المقوم المخطف(٣٢) ، الذى إذا هززته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال ماتقول ياربيعة؟ قال نعم الرمح نعت وغيره أحب إلى منه ، قال وما هو ؟ قال الذابل العسال ، المقوم النسال(٣٣) ، الماضى إذا هززته ، النافذ إذا همزته(٣٤) ، قال فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرماح إليك . قال الأعصل(٣٥) عند الطعان ، المثلم السنان ، الذى إذا هززته انعطف وإذا طعنت به انقصف. قال ماتقول ياربيعة؟ قال بئس الرمح ذكر وغيره أبغض إلى منه .قال ما هو ؟ قال : الضعيف المهز ، اليابس الكز(٣٦).الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال انصرفا الآن طاب لى الموت اهـ فهل نجد فى تلامذتنا أوشيوخنا من يرتجل هذه المعانى أو يحسن مثل هذا الوصف؟ أنى ولا لغة لنا ولا علم إلا بلغة حية مرتقية فليرجع القارىء إلى ماجاء فى نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الأولى.

الهدايا والتقاريظ

(سلم الارتقاء لمعرفة دروس الأشيا) مجموعة كتب علمية فى التاريخ الطبيعى وحفظ الصحة والتدبير المنزلى والأشياء « الطبيعيات » شرع فى تأليفها الفاضل محمد أفندى أمين من موظفى الإدارة بنظارة الأشغال العمومية وقد صدر الجزء الأول منها وفيه ٣٠٦ درساً فى مباحث التاريخ الطبيعى العمومية مع شىء من التفصيل فى الإنسان . والغرض الأول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة المدارس لأنهم يتعلمونها باللغة الأجنبية فى أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لأنها لم توضع للمبتدئين : وقد تكرم المؤلف الفاضل بإهداء باكورة عمله إلينا ورغب إلينا أن ندله على غلطه ليصلحه فى طبعة ثانية

والمدان الكهام(٢٩)الذى يهان بعضد الشجر أى قطعه(٣٠) الدعاس الطعان واشتجروا اختلفوا وتشاجروا بالرماح تطاعنوا (٣١) اللين المقوم (٣٢) لا أعرف وصفاً للرمح من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلبه بسرعة (٣٣) السريع والعسال اللين المتحرك (٣٤) دفعته طاعناً (٣٥) الأعوج الملتوى (٣٦) اليابس .

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فعرض ما اوجب تأخير إرجاعه زمناً طويلا ولذلك لم نتمكن من مطالعته ولكننا تصفحنا قليلا منه فألفيناه في غاية السهولة فنتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نبهاء المجاورين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير أستاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانوه ان نذاكر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمنه خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لأديب الاندلس الشهير الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاختارت طبعه وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها ونزول العرب الشاميين بها وما آل إليه حال سكانها الأولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب إلى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسائر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالعربية يتشوق إلى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر فخر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتابة لسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولكننا أسفنا لما رأيناه في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نبهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرها في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمنه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من الفوائد في بابه ما لم تجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أنفع الكتب التي ألفها سلفنا . وقد طبعه واعتنى بضبطه وتصحيحه وشرح أبياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ أحمد عمر المحمصاني الأزهري بمراجعة امام اللغة في هذا العصر الأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحث جميع الذين يعولون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته ثمنه ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنانير لبذلتها مرتاحاً وسنعود إلى الاقتباس منه بعد

« مرشد مأموري الضبطية القضائية . ضبط الوقائع الجنائية »

لقد أحسن صنعاً الفاضل محمد بك صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رسالة سهلة العبارة فى كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمد ومأمورو الضبطية فيما يعهد اليهم من هذا العمل العظيم الذى يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر العمد والمأمورين جهلاء بالطرق التى تتبع فى ذلك ويصعب عليهم الاستمداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فعسى ان يقبلوا عليه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه

(الصور) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القلمية فى المؤلفات المصرية والجرائد اليومية الفاضل خليل افندى زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً فى السنة وهى جديرة بالرواج

« الرأى العام » جريدة مشهورة فى مصر يمتاز صاحبها البارع اسكندر أفندى شلهوب بأسلوب فى كتابة الجرائد يجذب القارئ إلى المطالعة فإذا أخذ جريدته قرأها كلها بلذة وان كان ممن لايقرأون من الجرائد الا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فعسى أن تظل مسفرة دائماً

باب الاخبار والآراء

﴿ حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة فى مصر ﴾

أكبر النعم التى منحتها مصر فى عهد الاحتلال الأمن العام وحرية المطبوعات . ومن العجائب ان المتمتعين بهذه الحرية يشكون فى هذه الأيام منها ويطلب بعضهم ان تقيد الحكومة هذه الحرية المطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذى يحيا به الناس ليعطوا منه بقدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر بادئ الرأى من الذين يردون على طالبى التقييد على انه لم يطلبه أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب .

كثرت الجرائد الأسبوعية فى مصر وأكثر أهلها ليسوا من أهل الصحافة فلا استمداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشرعوا لهم طريقاً جديداً وهو التنديد أو التعريض بمساوى الاشخاص وقد وجدوا فى هذا الطريق لماجاً وعوارض يرضون بها قومهم فمن الناس من يفتدى عرضه منهم بقليل من المال أو القروض ومنهم من يغريهم بذم عدو له بأجر معلوم وقد أطمعتهم معاملة هؤلاء السفهاء بالعظماء والفضلاء فلم يسلم منهم صنف من الاصناف وقد أكثروا فى هاتين السنتين من الخوض « بالمعية السنية . . . » والارجاف بأعمالها

هذا كله - والرأي العام ساكت عنهم فما الذي اقام عليهم القيامة في هذه الأيام ، وافاض التبرم والشكوى على جميع الالسنة والاقلام ؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وإنما نذكره صريحاً لانه من المبشرات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلا في تاريخ مصر الأدبي وهو : ان جريدة (حمارة منيتي) الهزلية التي تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طعنت من عهد قريب بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فهاج الرأي العام في مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه إلى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمار بعد أن طلب مقابلة النائب العمومي فقيل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الازهر ومن الاهالي في القاهرة ومن بعض البلاد في خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء في ذم صاحب الحمارة وأجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت وذكروا منها اهانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك . وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتي الديار المصرية فلماذا سكت الناس عنها إلى الآن ؟

وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الأول من السنة الخامسة ونصه : « قل لي بحقك ما الذي جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وماهي بالله تلك الخطيئة التي ارتكبها واستحق عليها الملام ، واتجهت إليه أسنة الاقلام . وانصبت عليه كل هذه السهام ؟ فلم يبق في أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه ، بعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه ، ولا يبقى شاعر ، ولا كاتب واعر ، الا وحرك في ذكراه شفتيه ، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل ماالديه » الخ

هذا هو السبب في تألم الرأي العام من اطلاق المطبوعات ، وما من شيء في هذا الوجود إلا وله سيئات وحسنات ، وهو دليل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤن الحياة الاجتماعية وصار الرأي العام يعرف لذي الفضل فضله ولذا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة إلى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل إنسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة . وإذا رجعنا إلى مثلنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذى هو شرط للحياة فاذا مر فى بعض الأيام على جيفة فحمل إلينا ريحها أو هب شديداً فأثار الغبار فى وجوهنا فلا شك أننا نبادر إلى ذمه والشكوى منه ولكننا لانطلب انقطاعه وإنما نطلب منع الجيف من طريقه وإزالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس فى وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدى النيابة العمومية لمحاكمة أصحابها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمات الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب ذلك ممن يطعن فيه فان لم تقم النيابة بهذه الخدمة للأمة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم إلا عثرة الكريم فانها تقال شرعاً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهماً أن ذلك يعلى شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات لم تسن فى الشرائع الإلهية ولم توضع فى القوانين البشرية إلا لهؤلاء المعتدين «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون »

وأما صاحب الحمارة فقد حاكمته النيابة العمومية فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفتى فى الدعوى مطلقاً ولا طلب حقاً مدنياً . وكان فى الجرائد التى حملت على صاحب الحمارة جريدة طلبت من المفتى العفو عنه ولو كان هو الذى طلب ذلك تائباً لأجيب طلبه قطعاً فإن الأستاذ سليم القلب واسع الحلم لا يحب أن ينتقم لنفسه على أن ماكتبته الحمارة كان أكبر خدمة له لأنه أظهر له مكانة عالية فى نفوس خواص الأمة وعوامها لايدانيه فيها أحد مع العلم القطعى لكل أحد بأنه برىء من سبب نهاق الحمارة براءة عائشة من إفك المنافقين وصاحب الحمارة نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذيانه لم يكن مبنيا إلا على الاستنباط من صورة اخترعها بعض المفسدين

أما العبرة التى نقصدها من إيراد هذه المسألة فهى إزالة شبهة علقت فى أفهام أكثر الناس فكانت أضر اعتقاد تقلدوه وهى أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكاملة كالصدق والمروءة وعلو الهمة وبذل المعروف والسعى فى خير الناس ومنفعتهم لاينجح فى عمله ولا يعرف له أحد فضله ويستدلون بأمثال يضربونها قد اشتبه عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذى يدحضها وهو أن الشيخ محمداً عبده سلك هذه الطريقة فحل من نفوس الأمة محلا علياً ونال فيها اسما سمياً مازاحمه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركه فيه غنى ولا وزير ، والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الأنبياء عليهم السلام)

(المسألة ٨٦) الدليل العقلي على عصمة الانبياء يؤخذ الدليل على عصمة الانبياء من وجه الحاجة اليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة اليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان — نوع في بيان الاعتقادات التي ترقي العقل وتعتقه من رق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فجنت عليه الوثنية فسخرته لعبادة كل مظهر منها لا يعرف علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة . ولا يرتقي النوع الانساني الا بمجموع ما يندرج في هذين النوعين من التكاليف وبارتقائه يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سعادته في هذه الحياة الدنيا التي تستتبع سعادته في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبديهي ان العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حوله الشك والريب والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالمخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعليم القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان المخبر معصوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منتهياً عما ينهى عنه مؤتمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغب في التخلق به . اذاً لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل الا اذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة . والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الانبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون » ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كايجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدليل النقلي على عصمتهم ان الله تعالى ما أرسل المرسلين الا ليتبعوا ويُقْتَدَى بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام « فآمِنُوا باللهِ ورسولهِ الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تَهْتَدُونَ » فلو كانوا يخالفون مايجيئون به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فعلوا الفاحشة لكان الله آمرا بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالعظماء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الانسان وقد قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء » على ان الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض ان المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك ان الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يقول به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلا يرجع اليه جميع ماورد في الوحي مما يظهر انه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق على الادلة التي يثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) الشبه على العصمة يقولون ورد في القرآن اثبات الذنوب للانبياء والمرسلين إجمالا وتفصيلا . أما الاجمال فكقوله تعالى « ليَغفِرَ لكَ اللهُ ماتقدم مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخرَ » وقوله « واستغفر لذنبك » وقوله

عز وجل « فسبح بحمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكقوله « وعصى آدم ربه فغوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(م٨٩) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع الثاني (العملي) هو نزاهتهم وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع ودرء المضار . كلا ان الانسان خلق ضعيفاً وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوه المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا من هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الاحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجيء بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنبا من الكامل والمقرب لان الانسان مستعد لادراك الصواب في تلك المسألة التي أخطأ فيها فاذا وقع ذلك من الانبياء نبأهم الله تعالى عليه ويغفره لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا الفرق بين الرب والعبد فلا يفضي بهم الغلو بتعظيم أنبيائهم والاعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى

ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه وأغنيائهم للايمان الذي أداه الى الاعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو صناديد قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان اولئك النفر من كبارهم الذين كانوا

يحادّون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولا لتبعهم سائر قريش فهذا هو وجه اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العناية بهم والإعراض عن الأعمى اذ جاء يشغله عنهم . فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله « وما يُدريكَ لعلَّه يزَّكَّى » فلتتلَ الآيات في أول سورة (عبس) وذلك ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد جاء في هذا المعنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في مسئلة زيد وزينب (فلتراجع في ص ٦٣٠ و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين استأذنوه في التخلف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك ألطف عتاب بقوله « عفَا اللهُ عنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ » الآية . فكان الأولى ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسئلة أخذ الفداء من أسرى بدر اجتهد صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف أصحابه فوافق رأيه رأي أبي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كانَ لنبيٍّ أنْ يكونَ لهُ أسْرَى حتّى يُثخِنَ في الأرْضِ تُريدُونَ عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يريدُ الآخرةَ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ . لَولا كتابٌ مِنَ اللهِ سبَقَ لمسَّكُمْ فيما أخذْتُمْ عذابٌ عظيم » قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه .

فهذه هي ذنوب الانبياء وهم يستغفرون منها وهي مغفورة لهم بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدوة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس ان النبي وان جل قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلهم ميزه الله تعالى بالوحي وجعله إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب اليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له ان يغفر له وله أن يعاقبه « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول العقوبة بأصحاب المعاصي التي تنتهك فيها الشرائع ويخالف الدين عمداً وهو ما لايقع من الانبياء أقرب وانهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير في البحرين : ماقول منار الاسلام وهداة الانام سادتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالأنواط التي وضعها بعض الدول للتعامل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالروبيات مثلا والتزمت تلك الدولة التعويض عنها بالأثمان المتقررة بها هل تجري مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار يتعاطونها بيعاً وشراء رواجاً وبخساً أو تجري مجرى العين ؟ فان قلتم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فان قلتم بالأول فيقتضي أن لايجوز صرف تلك الاوراق بباقي أية سكة من السكك الفضية الا وزناً بوزن يداً بيد وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لايجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشيء ما الى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لا لغةً وهي معتبرةٌ هنا في الشرع ولا عقلا وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأمول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمتانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهائنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الاوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والعلة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو موزون اذا بيع بجنسه متفاضلا فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الانواط وإن ورقتين منها يتساويان في الوزن وقيمة احداها مائة روبية والأخرى الف روبية مثلا . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مدار معرفة الاحكام وإننا نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فاذا أخل بشيء منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرمه الله تعالى رحمة بالناس فاننا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد مبطلا للنص بل لا يصح مع النص والعبرة بالمقاصد والمعاني لا بالالفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الأوراق

المالية لاقيمة لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود فقيمتها بحسب الرقم الذي يمين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستبيح الربا

فاما الزكاة فلا تضيع اذا اعتبرنا هذه الأنواط من عروض التجارة لأنها تقوّم في كل حول بقيمتها وتؤدى زكاتها . وأما الربا فالذى أجمع المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والجماهير من الائمة الأربعة وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد العوضين مع التقابض فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوها وفيه خلاف بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أسامة « انما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما كان يداً بيد » ومثل ذلك الاحاديث الصحيحة في جواز الصرف يداً بيد . والعلة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بغير مقابل من عين أو عمل فقد أكله بالباطل وانّ أخذ زيادة عما يعطي الانسان لاخيه بمجرد التأخير في الوفاء من دواعي قسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق الصنيعة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيحه ومن بليغ الكلام ما قاله الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلال حاجة أخيك . وإن مشروعية التعامل بالنقود خاصة تفضي الى الجناية على التجارة — وسنفصل القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بعد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيعُ مثلُ الربا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّمَ الربا » فعلمنا ان الربا قسيم البيع ومقابله فالجامع بينهما المعاوضة والفارق هو ان أحد العوضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع العوض الآخر وهو المثمن بخلاف الربا فان أحد المتعاوضين فيه يأخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يسمى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبنية على درء المفسدة وجلب المنفعة لمجموع الامة يقدر أن يميز بتفقهه في الدين بين المعاوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمعروف وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل .

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويجعلوه الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسره الذي يتعلق بإصلاح القلب وتزكية النفس فاذا أفتاهم علماء الرسوم بفتوى تؤدي الى منع الزكاة بحيلة من الحيل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجعل البيع ربا فليحتاطوا لأنفسهم فان الله تعالى ما تعبدنا بظواهر الألفاظ ومدلولات كلم الناس وما يضعون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لوابصة « استفت نفسك البرُّ ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإثم ما حاكَ في القلب وتردّد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعَدَّ تلك الأنواط

عروضاً أم عدها نقوداً والذي تميل اليه القلب هو اعتبارها نقوداً

واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح اخرجه أحمد وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرُّ بالبرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد » ومعلوم انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه الا اذا كان منه جيد ورديء وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيعاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري وغيره وليس هذا من الحيلة التي تضيع بها حكمة التشريع وانما هي سدٌّ لذريعة الربا وبيان لقاعدة نافعة وهي ان الربا ينتفي بقصد البيع فكل ما تحقق فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتسع له المجال الآن وسنعود الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لننشره والله الموفق للصواب

(س ٢) السيد احمد منصور الباز ببني صالح : يعتري بعض الناس حال تسميها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالمجنون لا يدري ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقد العامة بل والعلماء وكتب الصوفية طائفة بأخبارهم وأخبار القطب والانجاب والاوتاد والابدال ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالغوث ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب معروف عندهم فما رأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .

(ج) أما الحال التي يسمونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولا اذا كان سبب الحال هو الافراط في الرياضة والمجاهدة النفسية والانقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك ان يساوي بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهاليل قديم العهد عندنا وسببه ان منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لان من يذهب عقله لا يعدم كل ما كان أدركه وعلمه وانما يعدم النظام بين الافكار والمعلومات ومنهم من ظهر على يديه بعض الغرائب أو أسنده اليهم بعض المغرورين الذين يضيفون الاشياء الغريبة الى ما يقارنها من الحوادث وان لم يكن علة لها كأن يؤذي انسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها

وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم رجال الغيب كالامامين والأوتاد والابدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة الا ما رووه في الابدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها يعدون ثلاثين وبعضها أربعين الخ. ومن عجيب تمحلهم في الاستدلال على القطب مانقله ابن حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبي نعيم في الحلية على القطب وهو: «ان لله في كل بدعة كيدبها الاسلام وأهله ولياً صالحا يذب عنه» الخ وأعجب من هذا ان المسلمين في الغالب لا يحفلون بمن يدافع عن البدع بالقول ولا يسمونه وليا ولا قطبا بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا ان الذي يدافع عن البدع رجل خفيٌّ من رجال الغيب يدافع في الغيب عن الاسلام فلا يعرف ولا تعرف مدافعته. والحاصل ان الشرع لا يطالب أحداً بتصديق ما لم يقم عليه دليل ولا يكلفه بالايمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه أن يقول مالا يعلم. وهذا لا يمنع أن تصطلح طائفة الصوفية على ألقاب تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفضوا بذلك الى من لا يعرف

تلك الخصوصية لئلا يكلفوه بالقول بغير علم وللبحث ذيول سنفصلها تفصيلا

(س ٣) محمد افندي مأمون كرشه بسنديون (غربية): هل حكم الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعاً فهل يبقى كذلك بعد موته؟ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر السابق الا اذا أجازه من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأيتم شروطه في الجزء الماضي يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات. ونعني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والإجماع. قال في الجامع الصغير «وما اختلف فيه الفقها فقضى به القاضي ثم جاء قاض آخر يرى غير ذلك أمضاه» وعلله الكمال في الفتح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد الأول ويرجح هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه.

(س ٤) ومنه: هل يصح ما يقول الوعاظ وعصابة الزار من ان الجنّ مسلطون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه شرعاً أم لا؟ وان أجبتم بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «اتخذوا الحمام المقاصيص فانها تلهي الجن عن صبيانكم» ومعنى ما ورد في الآثار ان الجن يجري في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التي يسمونها الميكروبات ان تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وعليها يحمل ما ورد من ان الطاعون من وخز الجن فهي مسلطة على الانسان وهو مسلط عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المعنوية الباعثة على الشر والاكثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح يلابس افراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه . وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزار فهو منكر قبيح يجب ابطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فغير صحيح

ويطلق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . واننا نرى شياطين الازبكية وجنها ينتشرون اذا جن الليل ونحث من يهمهم تربية أولادهم على منعهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(س ٥) ومنه : هل التسبيح في قوله تعالى « وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحمده » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسبيح الرائي

(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسبيح من غير العقلاء هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تنزيه واجب الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للمشركين لا للناس أجمعين . أي لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم العمومي

القرآن والكتب المنزلة

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم معدود في اولي العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية وانها بوحي من الله والهام بل يعرف من صريح كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمتثلون أمراً من أوامره ويجيبون داعياً من دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب الآلهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن على ما بين يديه من الكتب يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون مصدق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون إن القرآن خاتمة الكتب كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا يؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب الآلهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف عندنا ان الاناجيل المشهورة لم تكتب فى عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره فى حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة فى نقل من تحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وما نعرفه من الكتب الآلهية نقبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياؤكم من قبل كما تقولون فى المسيح عليه السلام وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى فى اصطفاء الله له كذلك لا يقدح انكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى ثبوت رسالته . ولقد أرشدني الاطلاع على مذاهب المسلمين فى التعليم الى انهم لا يأبون عن تسليم أدلة القسيس بالي التي ذكرها فى كتابه المسمى براهين دين المسيح غير انهم يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلا يعدون من بينات دينهم ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه أدنى الفكر فى أحوالهم من ثباتهم معه فى ساعات العسرة ومصابرتهم فى الشدائد وازدياد ايمانهم فى الضراء واستقامة سيرهم فى السراء . ومنها ما يبهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

عجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الغريب فى قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ماتدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة فى النعماء وتشعرهم شعار التسليم والاصطبار فى البأساء . وفى الحق انه لهم ان يسألونا هل يمكن لأمي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بحقائق زكية نقية علية وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون ان يكون ذلك بوحي من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شيء مما نقل فى كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا يجاب عنه بأن هذا لا يقدح فى رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه فى دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والعياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بغرائبه وقد أنبأنا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عوّل فى دعواه عليها . على ان الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت فى هذه الايام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها فعدول محمد (صلى الله عليه وسلم) فى اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق أنبائه والبراهين العقلية التى تحدق اليها البصائر السامية كل ذلك آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم على

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون

ثم ان المسلمين لا يقفون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحدولكنهم يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ونبيهم (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة والسلام)قد توالت أنباؤهم على التبشير بنبيهم كما نقول في عيسى عليه السلام وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل افضل لهم وقد نجد التأويل الثاني الصق بعبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين متعادلتين وانما يرجح كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نبهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى العددين المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥ فبعد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بنى منسه ملك اليهود مذابح للاصنام في هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس بالرجس المخرب وعبر عن الخراب بتسخير الآشوريين لاورشليم فأراني كيف ان احد العددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما أتم المسلمون فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن ابن عليّ دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكلترا كيف يستدل المحمديون بأنباء كتب اليهود والنصارى على اثبات دينهم وتحقيق يقينهم

بقي شيء يشتد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة جسمانية فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين على انى أقول وما انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود (عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل فى الجسمانية وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمحنا من درس فصول ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنايات عن محبة المسيح لأمته ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المعدودة عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهى الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه وان لنا عبارة تألفها نفوسنا ونترنم بها فى عبادتنا مع الافتخار اذ نقول «أورشليم المذهبة المباركة باللبن والعسل» وليس يخطىء قائل لنا ان نغمات المطهرين وأغاني الخالدين التي نجدها في مكاشفات يوحنا تذكرنا بأن غاية المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنة نعيمه فيها ان يأكل ويشرب ويسكر ويغني كما نرى من عمله فى هذه الدنيا أيام الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس على سر معقول

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى غير النهاية عن النعيم الجسداني ولسنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراه الا الاكل والشرب وقضاء شهوات أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل على ذلك ففيها عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه . ان أعظم فوز يفوز به العبد في الآخرة هو لقاء ربه في الغدو والآصال وهو نعيم يفوق كل نعيم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله اعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان في عقائد المحمديين ان رضوان الله أكبر من كل نعيم فان وافقنا المسلم على ان جنة جسمانية لا تليق ان تكون جزاء المؤمنين في الآخرة أفلا يجوز له أن يأول ما ورد في كتابه من ذلك كما أولنا عبارة التشبيه وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عنده في كتابه ما يشير الى ان بعض عباد الله لهم من النعيم ما لا يعلمه الا الله وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا الاسماء ثم من ذكر لنا في المكاشفات ما يسوغ التأويل ويشير الى أن ما جاء فيها من الاوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لا ريبة فيه كما هو مذكور فللمحمديين حق اذا طلبوا الجنة الروحانية واللذائذ السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابهم ويرون ان هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم واني أحسب من الظلم الفاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)

﴿ الاجتماع الثاني — الداء او الفتور العام ﴾

في مكة المكرمة يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الاولى افتتح الكلام (الاستاذ الرئيس) فقال : انا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدفين او المزمن أو العضال واصل مأخذ ذلك ماورد في الأثر وألفته الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العامّ أليق بان يكون عنوانا لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالأدبيات اكثر منها بالماديات ولأن آخر اعراضها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الاسلامي فيناسب ان يوصف بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهلة الاولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملا للجميع في مشارق الارض ومغاربها لايسلم منه الا افراد شاذة .

فيا أيها السادة ماهو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤنهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في اقليم او قريتين في ناحية او بيتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤنهم الحيوية الذاتية والعمومية وكذلك نجدهم أقل اتقانا من نظرائهم في كل فنّ وصنعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجميعهم في البوادي محافظين على تميزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطيهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كملازمة العلة للمعلول بحيث يقال اينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لايجتمعان . هـذا هو المشكل المعظم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولا بحث تدقيق واستقراء عسى ان نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين فنسعى في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برئ العليل ان شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) أني أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفتور ولا أعلم مايعارض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين ٠

قال (الصاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوّال وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لايظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغريبة الوضع المتناهية في الشدة كبقايا الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تعبداً وكالكونغو من الزنوج وكالبودية من الهنود المعتقدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لايرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين ٠

فقال (الاستاذ الرئيس) ان الصاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم مطلقاً الى الحكم بانهم أحط من غيرهم ماعدا أهل النحل المتشددة في التدين ٠

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطبيعيين وأمثالهم ممن لادين لهم لانهم لابد ان يكونوا على غير نظام ولا ناموس في أخلاقهم معذبين منغصين في حياتهم منحطين عن أهل الاديان كما يعترف بذلك الطبيعيون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا ٠

فاجابه (الصاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لادين لهم وان من كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختباري الطويل قد برهن لي على ان الدين بمعناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبة تتصرف بالكائنات والخضوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهري أو طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم ٠ فثبت عندي مايقرره الاخلاقيون من أنه لايصح وصف صنف من الناس بانهم لادين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح او فاسد عن أصل صحيح واما باطل او فاسد عن أصل باطل والفاسدان يكون فسادهما اما بنقصان او بزيادة او بتخليط فهذه أقسام ثمانية ٠

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في المآل والباطل

والفاسدان يتصعان قد يكون احداهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان زيادة أو يخليط فهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريري هذا غريباً في بابه فالتمس ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين ٠

(قال الرئيس الاستاذ) اني اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير اني أنبه فكركم لامر لابد ان يكون في نفوسكم جميعاً او تحبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتبار ان مايقوله ويبديه كل منا ان هو الا خاطر سنح له فربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملا وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي الحقيقة مستشكلا او مستثبتاً أو مستطلعاً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبديه ولا هو بملوم عليه وله أن يعدل اويرجع عنه الى ضده لانا انما نحن باحثون لا متناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه اعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى)(١) تأييداً لاصابة حكمه وانصاراً باستحسانه فانمض في بحثنا عن أسباب الفتور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) اني أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الامور وكالترغيب في أن يعيش المسلم كميت قبل ان يموت وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لا يرتضيها عقل ولم يأت بها الشرع ولشأنها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا ذر الغفاري الى الربذة ٠

فأجابه (البليغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والزهدية الممتزجة بعقائد الامة وماهو أشد منها تعطيلا للاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة موجودة في جميع الديانات لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور ولتكون من جهة اخرى تسلية للعاجزين وتخفيفاً عن المقهورين البائسين وتوسلا الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر النعم ٠

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

---

(١) مرحى — كلمة تعجب يقولها العرب عند اصابة الرامي المرمى

منه وشره من النفس او من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من ينسب أمراً الى القدر الا عند الجهل بسببه ستراً لجهله او عند العجز عن نيل الخير او دفع الشر ستراً لعجزه وحيث غلب أخيراً على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية والعجز عن كل عمل التجأوا الى القدر والزهد تمويهاً لا تديناً . وهذا التبتل والخروج عن المال من أعظم القربات في النصرانية فهل كان قصد شارع الرهبانية ان ينقرض الناس دفعة بعد جيل واحد ام كان قصده ان يشرعها على ان لا يتلبس بها الا القليل النزر ؟ كلا لا يعقل في هذا المقام الا التعميم وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبار هذه الاصول الجبرية والزهدية سبباً للفتور بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سير انتظام ورسوخ .

وفي النظر الى المشاق والمظالم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار مع الاجر والثواب أقوى برهان مع ان الامة اذ ذاك كانت زاهدة فعلا لا كالزهد الذي ندعيه الآن كذباً ورياء (مرحى)

واذا تتبعنا كل ما ورد في الاسلامية حاثا على الزهد نجده موجهاً الى الترغيب في الايثار العام اي تحويل المسلم ثمرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه حتى ان كل ما ورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سعي المؤمن بكل الوسائل حتى ببذل حياته لاعزاز كلمة الله واقامة دينه لا في خصوصية محاربة الكفار كما تتوهم العامة كما ان المراد من محاربة الكفار هو من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ومن أخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين لان الامم المترقية علماً ولاية طبيعية على الامم المنحطة فيجب عليها انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرهاً باسم الدين أو السياسة .

ثم قال أمانا فيخيل إليّ أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية حيث كانت نيابية اشتراكية أي (ديمقراطية) تماماً فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات وتفرقهم في البلاد فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية (وانهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيه) فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للانقسام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك أن تفرقت المملكة الاسلامية

الى طوائف متباينة مذهباً متمادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة أهله وتفرقت كلمة الامة فطمع بها أعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية مما لاتصادف سوى فترات قليلة ترتقي فيها في العلوم والحضارة على حسبها . وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثرية أمة جندية صنعة وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجندية عند غيرنا صنعة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والاحتيال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور (مرحى)

فابتدر (الحكيم التونسي) وأجابه ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور في المسلمين من سبب آخر .

ثم قال وفيما أتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب أمرائنا المترفين الأخسرين أعمالاً الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون انهم يُحسنون صنعاً حتى بلغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل العجماوات التي لها طبائع ونواميس فيها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لايشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويبكون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وأيم الحق يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم يظهرون الرغبة في الاصلاح ويبطنون الاصرار والعناد على ماهم عليه من إفساد دينهم ودنياهم وهدم مباني مجدهم واذلال أنفسهم والمسلمين وهذا داء عياء لايرجى منه الشفاء . لانه داء الغرور لايقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان القاء التبعة على الامراء خاصة غير سديد خصوصاً لان أمراءنا ان هم الا لفيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يولى عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين

وعندي ان البلية هي فقدنا الحرية وما أدرانا ما الحرية ؟ هي ماحرمنا معناه حتى نسيناه ، وحرم علينا لفظه حتى استوحشناه . وقد عرّف الحرية من عرّفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذل النصيحة . ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم أو غاصب أو غدار مغتال . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره . فالحرية هي روح الدين وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه

وما الدين الا أن تقام شرائع ‏ وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فلينظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن . هذا ولا شك ان الحرية أعز شيء على الانسان بعد حياته وان بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الخرفان حراً لا يعرف للملك شأناً يخاطب أمير المؤمنين بياعمر وياعثمان فصرنا ربما نقتل الطفل في حجر أمه ونلزمها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمّن جيش العدو فلا يخفر له عهد فصرنا نمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والعيدين ونستهين بدينه لا لحاجة غير الفخفخة الباطلة (مرحى)

فلمثل هذا الحال لا غرو ان تسأم الامة حياتها فيستولى عليها الفتور وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال . والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسر النفس والاخلاد الى الخمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب الى أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى لا نطيق مطالعة الكتب النافعة . ولا الاصغاء الى النصيحة الواضحة . لأن ذلك يذكرنا بمفقودنا العزيز فتتألم أرواحنا وتكاد تزهق اذا لم نلتجئ الى التلاهي بالملهيات . والمسكرات المروّحات . وهكذا ضعف احساسنا وماتت غيرتنا وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعياً

هذا ونعترف بأن فينا بعض أقوام قد ألفوا من ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقته وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على الأنفس والأموال . والحرية في الآراء والاعمال . لا يرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للناقمين على امرائهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون

تالي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرد كون الامير مسلماً يغني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويقودهم ايسامهم لحكومات أجنبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل سعب وميسور .

أجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان انحطاطنا من أنفسنا اذ اننا كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده أي نخضع ونتذلل له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان . فتركنا ذلك كله ماصعب منه وماهان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور النهي عن المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقلب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الخائن والفاسق والنفور منه وابطان بغضه في الله

ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافٍ للردع ولا يتصور العجز عنه قط قال تعالى (ولولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم ببعضٍ لَفَسَدَت الارضُ) فهذا هو سبب استرسال الامة في عبادة الامراء والاهواء والاوهام وفي طاعة العصاة اختياراً وترك التناصح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ يَدْعُونَ الى الخيرِ وَيَأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ واولئك هُمُ المُفْلِحُون) وعنه صلى الله عليه وسلم (*) « لتأمُرُنَّ بالمعروف وَلَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ أو لَيُسَلِّطَنَّ الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب » الى غير ذلك من الآيات البينات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(*) المنار — لفظ الحديث « او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواه البزار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندها ضعيف . وللترمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » وقال حديث حسن

باب التربية والتعليم

﴿ التعليم الذي ترتقي به الامة ﴾

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يقضون أزمنتهم بالعبث واللغو من القول فلا تسمع منهم في أنديتهم وسمارهم الا الخوض بفلان والازراء بفلان ونحو ما أشبه ذلك . مما هنا وهنالك ، ورب فئة قليلة تحب الجد وتختار البحث والحوار في المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سمارهم وهو اصلاح الدولة العلية ، ونذكر هنا أنهم رأوا أن يقترحوا على كل واحد منهم كلما ضمهم نادٍ أو سامرٌ أن يتكلم في مسألة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب وانني اذكر بعض ماقلته هناك ملخصاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

السبب الاول عدم اللغة احياء العلم لا يكون الا بلغة حية ولغة الاسلام والمسلمين العربية ولكنهم أهملوا تعلمها وتعليمها حتى أني أقول ماقلته من قبل انني لا أعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها اللغة العربية الصحيحة ومن عنده حظ من هذه اللغة فانما تعلمه بنفسه لاهتدائه الى طريقة التعلم بذكائه أو بارشاد مرشد آخر وستأتي الاشارة الى كيفية هذا التعلم وان كان المنار قد نقله من قبل تفصيلا .

السبب الثاني في اختلاف منابع التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوام الامة وتقدمها والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لان زمامها يكون في أيديهم ورجال الأمة يجب أن يكونوا متفقين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا بعضه في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاجنبية من فرنسوية وأميركانية وانكليزية واسرائيلية وليس منه شئ موافق لحاجة الامة ومنطبق على مصلحتها فان لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم اما سياسي واما ديني غير اسلامي والتعليم في المدارس الاهلية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان نقول انه دون كل تعليم . ولا استثني المدرسة الدينية الاسلامية الكبرى وهي

الجامع الأزهر وكنا نعرف أنه ليس فيها غناء وأنها مقصرة كل التقصير في وظيفتها الاولى وهي احياء اللغة العربية وعلوم الدين . على ان علم الدين لايكاد يوجد في غير الازهر ومايشبهه من المساجد فهو على نقصه خير من غيره من هذه الجهة ومن للعمي بالعور

السبب ٣ عدم التربية التعليم لايفيد النجاح المطلوب للامة الا اذا كان مقارناً للتربية الملية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لان القائمين على أمر التعليم لايهمهم أمرها بل هو مباين لمقصدهم السياسي والديني . على انهم لو حاولوها لما أحسنوها لانه لا يحسن الشئ الا من يتوجه اليه بباعث الشعور بحاجته وحاجة أمته اليه مع العلم بطريقه الطبيعي . وقد علمنا ان اكثر المسلمين المشتغلين بالتعليم جاهلون بطرقه وعادموا الاحساس والشعور بالحاجة الملية القومية . وعلمنا حال مدارس الاجانب ولمدارس الحكومة في مصر حكمها لان روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي سكسوني . ولا يحسبنّ أحد ان مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل الصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها الا مدارس دار السلطنة فانها أرقى من مدارس مصر لان فيها روحاً وطنياً حقيقياً عجزت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الاساسية للتعليم في البلاد الاسلامية . اما ازالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل اليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في ايجاد تعليم نافع وتربية قويمة والطريق اليه واحد وهو انشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والعالي ولكنه طريق يعسر تطريقه وإشراعه لاننا فقراء في المال وفي العلوم والعقول وهذا الفقر المعنوي أشدفينا فتكا ولكنه لا يعوزنا ويعجزنا في طريقنا هذا كما يعجزنا ويعوزنا الفقر المادي فان من اوتي نصيباً من العلم والعقل والأدب يجود بما عنده مرتاحا اليه اذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والسفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولايخرج من ايديهم درهم في طريق الخير الا نكداً . وليس المقام مقام بيان تطريق الطريق لانشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول ان هذه الفئة تحب خدمة أمتها اذا لم تجتهد في انشاء هذه المدرسة فلنا ان نحكم بأنها لم تعمل شيئاً يذكر واذا هي لم تعمل فلا ندري متى تلد أرض مصر خيراً منها ليعمل خيراً من عملها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانبحث فيهما لان الحاضرين يعرفون هذا الفن (البيداجوجيا) وانما ننبه على وجوب احياء اللغة العربية بالعمل بان يكون الكلام

العربي الصحيح هو اللسان الرسميّ فيها ويعلم كما تعلم اللغات الاخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الاجماع وان يعدّ كل ماوراء هذا من الخلاف بين ائمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لاينكث من فتل الاخوّة الاسلامية ، وكل ماهو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وماعدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فمما يجب التنبيه عليه تربية الإرادة والعزيمة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعيّ تبع للشخصي وتربية الاخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تمدّ للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعليم الاسلامي وفق الله المسلمين لتحقيقه ، والسير طريقه ، آمين

آثار علمية أدبية

مقدمتنا لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرّحمنُ علّم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان ، فله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الاميين ، فكانوا بذلك ائمة وكانوا هم الوارثين

الانسان يمتاز بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعلم باللغة . واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلمها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والالقاء والخفة على السمع . وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد القارح ، يعرف ذلك من اخذها بحق ، وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغير العارف ان اولئك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم ، التي كان للغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعليم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن نسخت

بطليمها لغـة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستمات على الفارسية المذبة في مهدها وموطنها وامتد شعاعها الى الأندلس في غربي أوربا بعـد ماطاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لنشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهليين فظهر فيها أكمل الأديان فكانت له أكمل مظهر، وتجلى لها العلم فكانت له خير متجلّى، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة، وعلوم العقل والطبيعـة، ولكن عدَت على أهلها عواد كونية، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية، فضعف فيهم كل مقوّم من مقوّمات الامم الحيـة، ومن تلك المقوّمات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الالسنة والتوى طريق تعليمها في المدارس، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريعان شبابها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجمل المركبة والانصراف عن معاني الأساليب، ومغازي التركيب، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه، وضروب التجوز والكناية فيه، وهذا ما بعث عزيمـة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته يتنسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها، وتعزيز جانبها وتشاد أمرها

كتب قبل عبـد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعـلوه فناً مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبدالقاهر من بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإلمام بتاريخ الفنون اهمل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منـه هو السكاكي . وما كان السكاكيُّ الا عيالا على عبد القاهر تلاتلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته . والتعقيد في بعض منازعه، فاذا جاز لنا

ان نقول انه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، فانا لانفي من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام ،

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل وأضرا به من البلغاء العاملين وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسالك العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا في الاختصار والايجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعميات والالغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، وَدَرَسَتْ رسومهُ بهاتيك الرسوم ، وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيارُ هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ، فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ، وهذا هو حظ العلم النافع اذا ألقي الى الامة في طور التدلي والضعف ، فمثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان سليمان العثماني في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عافته النفس لمرض الم بها حتى اذا نقهت أو ابلت اشتهته وطلبته وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء ما أماته الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحي الذي تفجر من ينابيع النفوس الحية لنفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي ألفيت إمام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخه من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لايوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه تخفى على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فابى الطالب ، وعلمنا ان نسخة أخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعض

طلاب العلم الأذكياء المقابلة لنسختنا بتلك النسخة تقرب لنا من نحو ...
صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرناها ومن محال الكتاب ما رأيناه يحتاج التفسير وأشرنا الى الخلاف بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الاثنين .

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من العلماء الاعلام أجلهم قدراً ، وأرفعهم ذكراً ، أمير المؤمنين ، محيي علوم اللغة والدين ، السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (الطراز ، في علوم حقائق الاعجاز ،) فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر ما نصه :

« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب أفانينه » الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من أكمامها ، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والاجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي بحبهما وشدة أعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على الانظار مع التنبيه على مسئلتين نافعتين (احداهما) ان العلم هو صورة المعلوم مأخوذة عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنتزع من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسبها وتقربها من الفهم فهو المثل . (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية والامثلة والشواهد صور تفصيلية لها . والتعليم النافع انما يكون بقرن الصور المفصلة بالصورة المجملة اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالاجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك علمها بمعانيه ، وعملها بمبانيه ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لأنها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارات اصطلاحية ، تنكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والامثلة الا القليل النادر ، الذي أدلى به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،

لهذا بادر الأستاذ الإمام مفتي الديار المصرية في عهده الأستاذ الإمام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشريف عقيب شروعنا في طبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة مدارس الأميرية • وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الأساتذة بعد حضور الدرس الأول • إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان •

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من الطبع وبعضها من تحريف النساخ في الاصل واغلاط أخرى في الهوامش فأحصيناها كلها من نسخته ووضعنا لها جدولا في آخر الكتاب اتماماً للفائدة • ومما يجب التنبيه عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) أو ويلي ذلك ترجمة المصنف

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لمجتهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)

يتعب طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب فيضيع تعب الاكثرين سدًى لاشتغالهم بكتب المتأخرين المحشوّة بالفروع الشاذة وغير الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً ولو أفنى عمره في المدارسة • وقد كان لهؤلاء بعض العذر قبل أن يطبع هذا الكتاب (فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها وأقربها إلى أصولها • وقد كان العلماء يتنافسون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابدين المشهور ظفر بنسخة منه فاشتراها بوزنها ذهباً • وقد كان طبع في الهند فطلب نسخاً منه أكابر فقهاء الحنفية فألفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الغني الرافعي رحمه الله تعالى): توراة مبدّلة • أي انه كثير الغلط والتحريف • وقد طبعه أخيراً السيد عبد الواحد بك الطوبي وأخوه في المطبعة الاميرية واعتنى بتصحيحه وأضيف اليه تكملته المسماة (نتائج الافكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده • ووضع في هامشه (شرح العناية على الهداية) لأكمل الدين البابرتي وحاشية سعدي جلبي المفتي الشهير فبلغ الجميع ثمانية مجلدات وجعل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباقي ويطلب من مكتبة طابعيه في مصر فنوجه اليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) انشأ أخونا الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوي جوهري مدرس العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا في موضوعات مختلفة لتكون تمرينا للتلامذة على الكتابة والانشاء ثم ضم اليها بعض الاحاديث النبوية في الفضائل ومحاسن الاعمال وشيئاً من الحكم المنثورة ومن الاشعار المختارة في الآداب ومنها نظم ماتخص من كتاب أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت في مطبعة الترقي الشهيرة بالاتقان وثمنها قرشان وهي ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقي ومن حضرة ملتزم طبعها توفيق افندي كاشف بشارع بركة الفيل

(رسالة الشيرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الأخلاق والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعها المحامي الفاضل الأديب عبد العليم افندي صالح ولا يعرف مؤلفها وربما يتبادر الى الذهن انها للشيخ أبي اسحق وما هي له فيما يظهر من اهدائها في فاتحتها . على ان العبرة بالقول لا بالقائل والرسالة نافعة في بابها وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لعلم الاخلاق وثانيها فيما يجري مجرى الأمثال السائرة . من الكلمات النادرة . وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر واقرار العلماء على ذلك . فنشكر لطابعها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة اليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة وثمنها قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة شرفه بشرفها ومهانته بمهانتها والأمم الحية تعنى بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل وتاريخ سائر الأمم والدول بالاجمال ولكننا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الاسلام وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية ولآل المظم فضل على الفريقين بالعناية بالتأليف في التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) فحقي بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن الف كتاب (دفاع بلفنا) وطبعه الف لنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه فجاء كتاباً حافلا صفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث ه الامة بحفظ كيان الشعب ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والجمعية الوطنية اليونانية ومنها تحليل الحوادث والوقائع ونتائجها وختمه بنظرة سياسية في موقف الدولة العلية قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الاكفاء

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقي على ورق جيد ويطلب منها ومن ادارة المنار وثمنه عشرة قروش أميرية

(البيان) مجلة أخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية لمنشئها الفاضل الشيخ عبد الله العمادي وصاحب امتيازها المولوي عبد الولي بن الفاضل الراسي عبد العلي المدراسي . والغرض منها جمع كلمة الامة الهندية واحياء الفضائل العربية . ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر الامة وقلة الكسب وكثرة الاتاوات والضرائب وهي نحو ٥٠٠ مليون روبية . منها ١٦٠ مليوناً من الخراج و٨٥ مليوناً من الملح و٣٥ مليوناً من القراطيس القضائية و٥٥ مليوناً من الخمور و٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و٥ ملايين من التسجيل (السيكورتاه) . ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم ولعلنا نلخصها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روبيات في الهند و٣٠ غرشاً او ٦ شلينات في الخارج

(تنبيه) ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار النبوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والتدعيم نظ...

للشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي (في الساعه)

تضرب كالقلب شفه السقم	كأن فيها الهموم تضطرم
ذات محيا أطل اقرأ من	خطوطه مايخطه القلم
الفتها لا أذم صحبتها	وعيّ بي في اصطحابها السأم
وما أراها سوى الزمان أما	يدور فيها النعيم والنقم
تذكرني مامر من عمري	فكل يوم يجد لي ندم
ما إن تراعي لأهلها ذمما	ان رعيت عند أهلها الذمم
وليس أما سمعت عقاربها	يدب في غير مهجتي الألم
ولا اذا اعجلت لجانبها	في غير ضيق القلوب تزدحم
بالأخت ذات البروج هل حجبت	طوالع السعد هذه الظلم
كأنها والخطوب تكتمها	سر بقلب الزمان منكتم
وهل تعود الجدود ثانية	من بعد هذا العبوس تبتسم
ما أثبت الهم في الصدور اذا	أمست ليالي الحياة تنهزم
وهذه الدار كلها تعب	سيان فيها الوجود والعدم
والناس كالنائمين مالبثوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات العماد مبدعها	فأين راحت بأهلها ارم

الجزء الثالث — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

[illegible]

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر فى يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ — ٩ مايو (آيار) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٤ — الأجوبة عن شبهات العصمة)

(المسألة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا أن مذهب جمهور أهل السنة ان الأنبياء معصومون بعد النبوّة لا قبلها فلا تردُ معصية آدم على هذا المذهب لأنه لم يكن نبياً حتى عصى ربه بل لم يكن في طور التكليف إلا بالنسبة إلى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وإن كان يلزم منه أن هناك أحكاما قبل التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة لا يأتي في مسألة آدم وهو أن يكون من اختاره الله للنبوة معروفاً في قومه بمكارم الأخلاق وأحاسن الأفعال لأن سيء السيرة ممقوت منبوذ تحفظ مساويه وجرائمه فتحول دون قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسألة آدم بديهي لا يحتاج إلى بيان . فإن قيل إن الدليل يرشد إلى ان فطرة الأنبياء زاكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع نفسي راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوّة والوحي فكيف يقترف آدم تلك المعصية مع كونه خلق في أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب ان صاحب النفس الزاكية تربأ به نفسه عن تعمد إتيان المنكر وارتكاب الفاحشة التي يعرف مضرتها وسوء عاقبتها وآدم لم يتعمد المخالفة بدليل قوله تعالى « ولقدْ عَهِدْنَا إلى آدمَ مِنْ قبلُ فنَسِيَ » ولم يكن عالماً بوجوه مضرتها لتنفر فطرته منها بل كان يعتقد صدق الشيطان الذي وسوس إليه بأنها شجرة الخلد وملك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي إلى الأكل

ليكون مظهراً لهذا النوع الذى هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير المعصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والإنابة إلى الله تعالى

على أن فى قصة آدم وجهاً فى التأويل ، بأنها وردت مورد التمثيل ، لإظهار طبيعة النشأة البشرية . فى أطوارها التدريجية ، فالجنة . والعيش الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشرى فى طور السذاجة الأولى وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر فى طور المخالفات التى تجر عليهم الشقاء والبلاء . والتوبة والمغفرة مثل لطور الكمال الكسبي والارتقاء العلمي والعملي (سيأتى إيضاح ذلك فى باب التفسير المقتبس من مفتى الديار المصرية) .

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالإسرائيليات بعض الذين اشتغلوا بتفسير القرآن بالمأثور فألصقوا بالقرآن ماتلقفوه من أهل الكتاب لأدنى مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بعد ماقررنا فى الدرس الماضى الفرق بين ذنوب الأنبياء و بين المعاصى الحقيقية التى عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيمن على الكتب السماوية ، لأنه ثابت بالتواتر دونها فما أثبته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفى . وقصة داود مع الخصم ليس فيها بحسب نص القرآن إلا أن اجتهاد داود اختلف فى قضيتين متشابهتين فعرفه الله خطأ الاجتهاد الأول بما هداه إليه فى الثانى لأن خطأ الأنبياء فى اجتهادهم لا يقرون عليه كما تقدم فى الدرس الماضى عن البيضاوى . هذا إذا كان لقصة المرأة أصل وإلا فإن قضية الخصمين اللذين تحاكما إلى داود عليه السلام ليست نصاً فى أنه أخطأ فى قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرّض زوجها

للقتل أو غير ذلك مما يزعمون . القضية أن أحد الخصمين له تسع وتسعون نعجة وللآخر نعجة واحدة فطلب الأول أن يضمها إلى نعاجه وحاجّ صاحبها فى بيان أن ذلك هو الصواب والأولى فعزّه وغلبه فى الخطاب والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وأن من شأن الخلطاء البغى . ولكن ختم النبأ بقوله تعالى : « وظنَّ داودُ أنَّما فتنَّاه فاستغفرَ ربَّه وخرَّ راكعاً وأنابَ . فغفرْنا له ذلك وإنَّ لهُ عندنا لزُلفَى وحُسْنَ مآبٍ » يدل على أن وراء القضية أو فيها هفوة لداود . ولقائل أن يقول : يحتمل أن تلك الهفوة فى نفس الحكم فإنه لا يبعد أن يكون الصواب ضم النعجة إلى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها مضيعة لها فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد فى الحديث الشريف. واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه فى الخطاب دليل على أنه لم يطلبها إلا بحق وبعوض كثمن المثل أو منفعة أخرى من اللبن أو النسل

وفى البيضاوى وغيره احتمال آخر فى التأويل مروى وهو أن الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود فى يوم انفراده فوجدوا عنده قوماً فتصنَّعوا بالتحاكم فعلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم ثم لم يجد مسوغاً شرعياً فعاتب نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه واختباره بذلك فاستغفر ربه مما همّ به لأن ذلك ذنب بالنسبة إلى مقامه

وإذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقاً لقضية الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة فى بيت جندى فقير حاف أسفار لا تسلم من تطلع السفهاء وتعرّض الفجار وأن الطريقة المثلى لصيانتها هى أن تكون فى بيت النبوّة والملك وأنه كلم زوجها فى أن

بكفالتها أقنعه وعزّه في الخطاب ، لأن هذا هو الصواب ، وإنما استغفر داود من ذنبه لأنه ظن أن اجتهاده في أمر المرأة مشوبٌ بشيء من ميل النفس إلى كفالتها وأن هذا الميل هو الذى رجّح فى نفسه الرأى الأول بدليل أنه ظهر له خلافه فى قضية تشابه الأولى ومثل هذا يعده هؤلاء الكملة ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيه عن شريعته .

ومن تأمل ماتقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام علم أن القرآن يتنزه فى حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محتفا بهذا الثناء والإطراء. ويقال إن تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الأنصار المهاجرين (رضى الله عنهم أجمعين) بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق إحداهما ليتزوج بها أخوه المهاجر. وفى القصة روايات كثيرة فى كل فرع من فروعها لا يعبأ بها أهل العقل ولا أهل النقل . فإن قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية أن أوريا لم يكن متزوجا بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الإمام على كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من خالف بجلد مائة وستين جلدة وذلك حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام

 الشبهة الأولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد شوهوا كتب التفسير بقصصهم ، استعرض سليمان نبىّ الله وملك بنى إسرائيل الخيل وهو نعم العبد «إذ عُرِض عليه بالعشىّ الصافناتُ الجياد . فقال إنى أحببْتُ حب الخير» المقصود بنواصى الخيل لا عن هوى نفسى ولكن «عَنْ ذكر ربى» وَوحيه الذى أمر برباط الخيل للدفاع عن الحق . فما زالت تعرض «حتّى توَارَتْ بالحجاب» فقال «رُدُّوها علىَّ» لأراها

مقبلة ومدبرة أو لأختبر حالها . فقد قيل : إنه كان عالماً بها وبأمراضها أو لا تتم بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » كما هو شأن محبي الخيل فى كل جيل وزمان . فأى [illegible] شبهة فى هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلا بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها ــ ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى «فامسحوا برءوسكم وأرجلكم» بمعنى اقطعوها ــ وأن قوله (ردوها علىّ) خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلى العصر وأيّ حاجة لتطويل الفقهاء البحث فى هذه الصلاة هل هى أداء أم قضاء ؟؟ ولكن هذا قضاء الله فى قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور ، ألا إلى الله تصير الأمور .

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام رووا فى تفسير قوله تعالى «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ» روايات مضطربة متعارضة فإذا حكّمنا علم الرواية فإننا نقبل رواية البخارى ومن وافقه وملخصها أن سليمان قال : لأطوفنّ الليلة على أربعين امرأة (من نسائه) تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق رجل فألقى على كرسيه عرضاً عليه وسمى جسداً لأنه ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختباراً من الله تعالى له فأناب إليه وتاب أن يجزم بشىء دون الاستثناء بمشيئته فأين التماثيل وعبادة الأصنام وركبان الشياطين على كرسىّ الملك وماأشبه هذا الهذيان الذى رووه ؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام إن ما جرى ليوسف مع امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا إلا أنه «هَمَّ بها

لولا أن رأى برهان ربه» فيجوز أن يكون جواب لولا محذوفاً دل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهم وبعض النحاة جوّز تقديم جوابها أى أنه لولا رؤية برهان ربه لهمّ بها لتوفر الدواعى ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء فلم يهم ولو فرضنا أن الجوب «لغشيها» وأن الهمّ وقع منه لكان لنا أن نقول إن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والانقياد إليها ولو لم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مأجورين على ترك المنكرات والمعاصى لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والعنين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملا وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تتشوف إليه فهو عمل نفسى

(م ٩٥) الشبهة على إخوة يوسف لا شك أن إخوة يوسف قد ارتكبوا المعصية المشتملة على عدة معاصى ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الأسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الأسباط وهم فرق بنى إسرائيل الاثنى عشر قال تعالى «وقطعناهم اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا» وقد بعث الله فى كل أمة من هؤلاء الأسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بنى إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبرى من استغفار يعقوب لهم فى وقت السحر وتأمين يوسف عليهما السلام وأن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من دعائه وأوحى إليه أنه غفر لهم «وعقد مواثيقهم على النبوة» فهو غير صحيح

هذا هو الحق فى هذه القصص وقد انكشفت به الشبه فينبغى أن يلقن للمسلمين فى الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يغتر أحد بما فى كتب العهد

العتيق التى يسمونها التوراة وعما حشى فى كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الإسرائيليات ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿ لا وثنية فى الإسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثانى من كتاب أشهر مشاهير الاسلام الذى يطبع الآن)

« رأيت ما قاله عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار وهو قول لا نحب أن يفوتنا البحث فيه ، لهذا رأينا أن نفرد له هذا الفصل فنقول (١) »

أولع الإنسان بالإفراط ، كما أولع بالتفريط فى كل شؤونه الروحية والجسمانية ، ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليبلغ مقام الملائكة فى أعلى عليين أو يهبط بها إلى مقر الشرور فى أسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيوىّ لديه أوسع ، ولما احتاج إلى كثير من هذه القوانين وقوّامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها ، بل ولكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع إلهىّ مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الأديان وإرسال الرسل فى آن وآن . —

أجل ، أولع الإنسان بالشطط حتى فى العقائد ، فبينا يكون هذا فى طرف التفريط مارقاً من كل دين منكراً لكل نحلة هائماً فى المادة التى يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لعقيدته عما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأوّل ما يلاقيه فى طلبه يعلق بقلبه ويظنه منتجع عقله والنهاية التى

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك » وذلك حين استشاره فى أمر قبلة المسجد فأشار بجعل المصلى إلى الصخرة

يطلبها فى سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أمله ويختص به عمله فيغلو فى عبادته غلو المادىّ فى مادته حتى يساويه من طرف الأطراف بالتوجه تارة للأقمار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للأرواح وآخر للأشباح إلى غير ذلك مما هو داخل فى المادة قريب من متناول الحس . فكان العقل الإنسانى فى حال الإيمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك الحس ولا يذعن إلى مافوق المادة ويصعد إلى أفق الكمال إلا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الأنبياء ويطمئن إلى التسليم بقوة إلٰهية تفوق قوى المادة وتعلو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود إلى نحيزته الأولى للهبوط إلى هوة النقص والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدريجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعود إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الأرواح تارة ، وأخرى الأنصاب توصلاً إليه على زعمهم بالحس وارتياحاً إلى ماتحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هى مخلوقة له مفتقرة إليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال فى كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) الآية

ومن الثابت أن العرب كانوا على دين ابراهيم الذى هو كباقى الأديان الإلٰهية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق الكون ومافيه وإنكار مادون ذلك من الاعتقاد بشىء من المادة ومن التمسك فى العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا فى مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض

للشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالأنصاب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل فى المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون أنهم مؤمنون لا مشركون وأنهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها إليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلفى » وهذا من الإغراق فى الجهل والانحطاط فى العقيدة والإفساد لأصل التوحيد ولم يكن هذا الإفساد قاصراً على العرب فقط بل عمّ سائر أرباب الأديان مما لا محل لبسطه الآن

إذا تمهد هذا علمنا ان الإسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك إنما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بمحو شائبة الاعتقاد بأى أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه إلى تلك الآثار بالحس لتتوجّه إلى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هيبة جلاله فى القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالمؤثر المستحضر فى الضمير الخارج عن الحس إذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين فى النفس ينجى من مزلة القدم إلى الوثنية المفضية إلى الشرك المؤدى إلى الجحود وإنما الانسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتعظم فى النفس مادامت النفس مستشعرة بشىء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأىّ أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هـذا هو التوحيد الذى جاء به الإسلام ودعا إليه النبى محمـد عليه الصلاة والسلام وإنما اضطربت العقول وساءت الأوهام لتفاوت الأفهام وتباين مراتب المسلمين فى العلم بحقيقة الدين والإحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة وإليك الدليل

أخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى سيرة العمرية عن المعرور بن سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب فى حجة حجها قال فقرأ بنا فى الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « ولإيلاف قريش » فلما انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ماهذا ؟ قالوا : هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال: هكذا أهلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً . من عرضت له فيه صلاة فليصل ، ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ فى مرتبة عمر فى العلم واستشعروا من إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيما له كما استشعر به عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه إلا إذا عرضت لهم صلاة ، ولا جرم أن أعظم الناس فهماً للإسلام وعلماً بغوامض الدين ووقوفاً على مقاصد النبوة المحمدية وما كانت تدعو إليه من التوحيد البحت الخالى عن كل شائبة من الشوائب التى مر ذكرها ، هم أهل السابقة من المهاجرين الأولين الذين تلقوا الدين أنجما كان يتنزل بها الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن البعثة ولازموا الرسول ملازمة الظل فاكتنهوا سر شريعته وأدركوا مرامى غرضه وقلدوه فى أعماله وأقواله وانتهجوا منهجه واهتدوا بسيرته فتفوقوا على غيرهم فى العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ، ومن هؤلاء من هم فى المرتبة الأولى فى فهم مقاصد الإسلام ، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ومن تتبع سيرته وأمعن النظر فى أقواله وأفعاله وانطباقها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم ، علم ماهو التوحيد

الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام ، فأرادوا أن يمحوا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلا على هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الأحبار لما أشار عليه بجعل المصلى إلى الصخرة : « لقد ضاهيت اليهودية يا كعب إلى قوله : اذهب إليك[1] فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة » وقد مر الخبر في الفصل السابق نقلا عن الطبرى ، ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون .

تقدم معنا كيف تدرج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بلمس الأحجار وعكفوا على عبادة الأصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الأديان كلها أفسدت تدريجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدريج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن أن له صلة بما فوق المادة كالمعابد مثلا ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول إلى غيره ويتدرج في أطوار التعبد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر إلى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الإيمان بإله واحد فوق المادة إلى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجلي ومبدؤه ذلك الشرك الخفي ولم تكن دعوة الإسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط ، بل كان من مقاصدها الأولى والغايات التي ترمى إليها بل من أولاها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة إلا أنها إذا وجدت

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبرى بهذا اللفظ ولعلها إليك عنى اه من الأصل

منبتاً صالحاً لما تولد عنها مالا يخفى من الجرائم فى بضع ثوان ، فمن قال بخلاف ذلك أو ظن أن الإسلام يتسامح فى تلك الجزئيات أو يبيح تعظيم أىّ مظهر من مظاهر المادة تعظيما دينيا فقد أخطأ ونسب العبث إلى دين الله هذا. ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الاحبار حتى فى خلعه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى وآخذه على عمله ذلك كما آخذه على رأيه فى جعل المصلّى إلى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد إن شاء الله .

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ، ومن أمعن النظر فى قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه فى إحدى خطبه التى مرّ إيرادها فى هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره » يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يعلّمون الناس التوحيد ويقتلعون من أعماق نفوسهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه وتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ونبذ بدع النفوس وأهواءها وتنكب مواضع الزلل ومواقع الخطل وسوء الفهم والله ولى الرحمة وهو القاهر فوق عباده . اه

﴿ باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

نشرت مجلة بشائر السلام الانجيلية فى الجزء الرابع عنها نبذة فى الطعن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة الكرام خاصة وذلك أنها تهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله ، وهذا مبلغ القوم من

العلم بالله وبدين الله – أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على مالهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكمالات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة : إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعبد والصلاة والابتهال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشعور بثقل حمل خطاياهم . واستشهدت على المداول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدّت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطًا للقول عند هؤلاء الشاغبين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين

وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التحريف ، وضعف الضعيف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات التي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخر بهم النوع الإنساني ، ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وصح لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلما نقل القوم عن أنبيائهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله مما قالوا . نغض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المعاصي والشرور التي هي العنوان لبشارتهم والجاذبة إلى ديانتهم ، وهي أن النجاة في الآخرة من العذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد أن الإله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب أبيهم آدم إلا بحلوله في جسم إنسان وتسليط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعونا بحكم الناموس والشريعة !! فمن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى وإن قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم العباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر أن أصفه إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعلي وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء ، يعني أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا أمثال آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويمرحون في أهوائهم وحظوظهم . والحاصل أن المسلم الذي يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعده المحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله هيبة وتعظيما أو لاتهام نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكمالات المزكية للنفس ، فهو جاهل ضال . وأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يغني عنه شيئاً فما حيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تقضي منها الذين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا . على أن كتب القوم لا تخلو من نصوص تدل على أن رسلهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لأنهم لم يكونوا إباحيين بل كانوا قوماً صالحين

إن القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن جميع الأنبياء وصالحي المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن صفات الحوادث وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصلاح وإنـا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر ، لا وبالا وشقاء عليهم ، ومثاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الإمام الغزالى أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبه وخوف نقض التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة وخوف الغرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطاعات بأن يبدو للمرء مالم يكن يحتسب وخوف تبعات الناس عنده فى نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضمار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه فى مستقبله وخوف نزول البلاء وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة فى حال الغفلة وخوف سوء الخاتمة . ويمكن استنباط أنواع أخرى . وأعلى الخوف خوف المهابة والإجلال لله عز وجل . وكل ذلك من الذنوب عند هؤلاء المبشرين

﴿ القسم العمومى ﴾

﴿ الإسلام فى انكلترا ﴾

رأينا فى كراسة سياسية تسمى (ديبلوماتيك فلى شيتس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشى أحد أعضاء البرلمنت الانكليزى أخذنا منه ما يأتى تعريبه وهو

الإسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يخترع للوحى أساساً جديداً

ولا يوصى بغير معهود ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذهما باسم الدين ، هذا ما قاله (داود ارقوهارت) فى المجلد الأول من كتابه المسمى بروح الشرق فى الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

إن حقيقة الإسلام التى أماط الحجاب عنها أولا من اشتهر بروح الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها حتى تجلت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه للأكاذيب المفتراة على الإسلام سبيل لسلطتها على النفوس فيما بعد . ذلك التجلى الباهر كان فيما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطابته فى المحفل الدينى ، صدق أرقوهارت فى دعواه أن حقيقة الإسلام أمر مسلم عند كثيرين فالنبلاء الكرام (بالكراد) و . مبرى . و . راولنسون . و . لايارد . و . رولاند و . ستانلى اوف الدرلى . و . ديشانسكى وقوم آخرون من قبيلهم شاركوه فى البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الأقوام المحمدية وأنس إليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور فى انكلترا لم تزل آراؤهم فى مواقفها الأولى . كانت الحقيقة فى احتجاب عن أنظار العامة لأن أكثر أهالى انكلترا مصروفون إلى النصرانية عن النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عصبية تظهر لهم فى شعار الدين أما الآن وقد قام قسيس محترم من البيعة الإنكليزية يصدع بهذا الحق فلا بد أن يصغى إلى قوله ويذعن له ملايين ممن كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم ويعرضون عن مقالات قوم يعدونهم سياحين أو متفلسفين

هذه الحقائق مما لا يقبل الإنكار وإنما كان الإشكال فى طريق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تجتليها وحيث زال هذا الإشكال بهمة أحد القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه معشر الذين قبلوا نصيحة داود ارقوهارت . ليس السعى لبيان أن الإسلام مما يمكن احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس فى مكانة الاحترام وقد استيقنا الآن أن رجاءنا المُرْجَأ قد تحقق ومدّعانا الحق قد سلم به.

لا ينبغى أن يظن أننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصاري ما نقول إن الغاية من كل دين إنما هو العمل الصالح والمسلك المستقيم ولسنا نحكم على أبناء جنسنا إلا كما قال المسيح عليه السلام «بثمراتهم تعرفونهم» وحيث استمسكنا بهذا الأصل فلنا أن نجهر بأن المتقدين بالدين المسيحى فى هذه الأوقات ليسوا بمنزلة يفضلون بها على المسلمين. هذا الحق ننادى به ونحن على يقين منه ونحث الذين يقولون إننا نصارى على أن يضعوا الإسلام فى منزلة تنطبق على الواقع و نفس الامر فإن استطاعوا أن يدحضوا حجتنا بالبراهين الساطعة فليعملوا على مكانتهم وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرهم إلى الإسلام على حد ما بيّنا مناسباً للحقيقة الواقعية ولينصفوا الإسلام ذلك الدين القيم الذى هو نظام لمعيشة قسم عظيم من أمم كريمة كثيرة العدد من النوع البشرى

مما يهم الشعب الانكليزى خاصة أن يتخلصوا من أطوار التعصب التى لا تنحصر آثارها فى إلحاق العار بهم فقط بل تتعدى إلى جانب المضرة عليهم أيضاً لأن الحضرة الملكة ملايين من رعاياها كلهم مسلمون ونحن فى مقام على أحد جانبيه دولة الروسية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية ولا يمكننا أن نزعم عدم المبالاة بمقابيل الحروب التى قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد ، وإلى الآن لم تضع أوزارها وضعاً حقيقياً . إن الدولة الروسية لا يمكنها أن تكون في حرب مستمرة لكنها لا تراعي ما تكلف به من شروط السلام . ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشتغلين بالعمل (كذا) زمنا من زمان إلا والحذر من الروسية ضروري للباب العالي وهذا مجموع أحوال توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آنًا بعد آن : هل لنا أن نقاوم الروسية أو ندعها وشأنها ؟

كل وجه من وجوه السياسة يتعلق بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها ، يرشدنا إلى الاعتراف بلزوم عقد معاهدة مع الدولة التي لم تضرنا قط وفتحت فُرَصَها لتجارتنا وأبواب بلادها لأشغالنا أما الصيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية والدولة العثمانية دولة محمدية فقد كان لها إلى الآن أسوأ الأثر في إعماء عقولنا وخطلنا في سياستنا ، فلنأخذ من الآن بأصل صحيح وهو أن نعلق الحكم بالأعمال لا بالعقائد فإنه ليس خاصا بالأفراد بل كما يكون بها يكون بالأقوام والدول أيضاً ، فإن قابلنا بين روسيتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم نشك في أن المعاهدة مع العثمانية هي التي تظهر أفضليتها عند الحاكمين بالحق أجمعين وإذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبه الديبلوماسي ولا ينبغي أن يفهم ذلك من كلامنا إنما المعاهدة التي كنا نجتهد في إعدادها لسنين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسة على الاحترام من الجانبين وظهر لنا في الأزمان الماضية أن إكمال مثل تلك المعاهدة من المحال . أما الآن فلا نقول إنها من قبيل الممكن الذاتي فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تتمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى ـ الدواء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسى) إننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهى فكان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا فى بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل فى ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم فى الجباية وآلتها التى هى الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر طبعاً فهذا يصلح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفى وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور.

على أن انحصار همة الأمراء الدخلاء فى الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولو لا أن فى القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولى) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا فى سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤيد به سلطة الأمراء العاملين على الاطلاق ؟ فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراءون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركا خفياً من حيث لا يشعرون

فاذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الاجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هى حكمة الله فى نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» (١) وقد افتخر النبى عليه السلام بأنه ولد فى زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت فى زمن الملك العادل » (٣)

---

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك فى إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة (٦٥٩) أمر أن يستفتي علماؤها أي الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر ؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كغاريبالدي) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لفيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام شتى لاتجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادىء لضاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (المحقق المدني) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذي يجول في فكري أن الطامة هي من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن لمثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يتعاظم على نسبة الهمم في تحمل عنائه والقيام بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا إلى هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالين عنهم فتحيلوا للمزاحمة والظهور في مظهر العلماء العظماء بالإغراب في الدين ، وسلوك مسالك الزاهدين . ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فاقد الجد إلى التكبر وكما يلجأ قليل المال إلى زينة اللباس والأثاث (مرجع).

فصار هؤلاء المتحالون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم النظم الكريم فيفسرون البسملة أو الباء منها مثلا بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بألفاظ لا معنى له أو تحكم لا برهان عليه ثم جاؤا الأمة بوراثة أسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسنم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالإمعان نجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ـ وفي رواية : حذو القذة بالقذة ـ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو فمن ؟ » . وذلك أن هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ومن البابوية ووراثة السر ومن مضاهاة مقامات البطارقة والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الأديرة وبادريتها والرهبنة أي التظاهر بالفقر ورسومها والحمية وتوقيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبستهم وشعورهم ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنمات ووزنها والترنمات وأصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والإسراج عليها والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والاستتار من احترام الذخيرة وقدسية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من إمرارها على الصدر لإشارة التصليب . وانتزعوا الحقيقة من السر ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولد من الميلاد وحفلته من الأعياد ورفع الأعلام من حمل الصلبان وتعليق ألواح الأسماء المصدرة بالندامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناء أمام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الإنجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً شبراً واقتفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحرا جحرا وهكذا إذا تتبعنا البدع الطارئة نجد أكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلبية أو العصبية من العامة والأمراء السلسى القياد طبعاً إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثله شيء ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أي صفيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً (مرحى) .

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني وبتزيينهم لهم رسوماً تميل إليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابي ولا تابعي ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها في كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدخول في الرابطات والعصبيات المنعقدة بين اشياعهم واما الترهيب فبتهديدهم مناوئيهم أو مسيئي الظن بهم باضرارهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يتعجلهم في دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق في بغداد ومصر والشام وخراسان قديماً ولكن لا كسوقها القائم في القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم أهلها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يرثوا خرافاتهم أيضاً حتى التوسع في هذه البدع السيئة فاقتبس لهم المدلسون كثيراً مما يبعد [illegible] عن [illegible] وإن كان الدين [illegible] وزينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه العواصم يسري ذلك إلى الآفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغبياء إلى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم[1] نفوذاً عظيماً به [illegible] كثيراً في الدين وبه

---

(١) السحر لغة إخراج الباطل في صورة الحق بالتمويه والخداع . والسحر ==

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين الذين ترتد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ريع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم كما تسمى فى البلاد العثمانية (دعا كوا وطعامية) (مرحى) . وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيعاً للعلم والدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم فضيع الأكثرون حدود الله وتجاوزوها وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتمادى لأنواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينبهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلها واهياً (لامتيناً كقواعدالإسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون فى سبيل ذلك مايتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبذلون ما عز وهان حفظا لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين فى أيدى أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن المنشأ الأصلى لكل فساد فى أخلاق العباد والمنبت الأول لكل شقاء فى بنى حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وفخراً كبيراً ، وأجراً عظيما ؟ وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نبه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهز

= الذى جاء فى الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون فى قوله جلت حكمته « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » وقوله « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لفارس مغوار يحب ما عودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحان أن نتفرق لندرك الصلاة وموعدنا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربيـــة والتعليم

قانون التعليم الرسمى والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسيء الظن بكل عمل يجرى على أيدى المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكثرون بأكثر نتائج الأعمال الاصلاحية النافعة فى الرى والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وإرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تمهيد لما يأتى وهو

ان سخط الناس من سير نظارة المعارف فى التعليم جعل شأناً عظيما لاقتراح الوجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومنشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هـذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضلها نضال بنى ثعل ليدفع عن نظارته هـذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الواثق بحسن عمل ينسب إليـه حقيقة أو عرفا بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى فى توجيه أنظارهم إليـه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العـامة وكان نقد الناظرين فيـه من أسباب ترقيه واتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن فى الحسبان ولا نخوض فى تعليل ذلك مع الخائضين ولكننا نبحث فى دفاعه وتعليله فى مناقشة الجمعية العمومية فى جلسة ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو أن نظار المدارس ومفتشيها يقدمون فى آخر كل سنة مكتبية تقارير عما يرونه فى نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم ما تقرر عليه منه إلى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه إلى مجلس النظار (قال) : « والذى يتقرر يصدر الأمر باجرائه »

فقال مفتى الديار المصرية : الذى يلاحظه الناس هو أن القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظار ثم ترسل إلى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوضع مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالأصول العامة للتربية والتعليم أولى بهذا وهى لا تخص نظارة المعارف وحدها بل القطر كله فيصح للجمعية العمومية أن تطلب ضماناً زائداً بالنسبة إلى حالة الأشخاص فان الكثيرين يعتقدون أن تلامذة السنة الثانية فى المدارس الابتدائية يعلمون بعض العلوم باللغات الأجنبية فلا يفهمونها طبعاً . ثم إن طرق التهذيب وتربية النفوس هى التى عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لمصلحة أنفسهم فمن الضرورى الاعتناء بأمثال هذه المسائل فلو درس قانون التعليم بمجلس النظار وتحول إلى مجلس الشورى لكان ذلك أكثر ضماناً فان المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الأشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من أن السنة الثانية تدرس باللغة الأجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدىء فى هذه السنة فى تعلم مبادى اللغة الأجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين فى إبداء رأيهم فى سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والمفتشون الذين هم من خيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير المفتشين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظار فهذه خمس ضمانات »

أوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بأتم إيضاح وهى من وجهين أحدهما قوله أن التلميذ يبتدىء فى السنة الثانية بتعلم اللغة الأجنبية أى فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب أنه يبتدىء بتعلمها فى السنة الأولى كما ترى فى الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائى الصادر بامضاء الناظر نفسه فى جمادى الثانية سنة ١٣١٩ أى قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم فى السنة الأولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وإنما نعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون أنه أمر مبرم هبط من سماء

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا أن إبداء رأيهم يصل مجلس الشورى فيطالب به باسم الأمة لأبدوه آمنين من مغبته لأن كل مايتوقعونه حينئذ من المؤاخذة على نكث شيء من قبل ذلك الأمر المبرم يكون معلوما الناس إذا وقع بعض إطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم إن تعليم التاريخ الطبيعى (الأشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية فى السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس بكبير وإنهم ليعلمون أنه لا يمكن أن يحصل التلميذ من اللغة الأجنبية فى سنتين ما يتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك يعيدون عليه فى السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فان كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقرى وإن كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه فى نبذة أخرى

والوجه الثانى « الضمانات الخمس » وهى لاتصلح دفعاً لقول المفتى لأنه قال إن عرض نظام التعليم على مجلس الشورى أكثر ضماناً أى أن الخمس تكون به ستاً فاذا كان الناظر واثقاً من إتقان نظام نظارته ويود أن تزداد اتقانا وارتقاء فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأى من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم أن الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الأمة كيف تحكم ولتجعل لها رأيا فى قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كأمم أوربا حتى إذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برأى مجلسها النائب عنها فماذا يبخل عليها ناظر المعارف بالبحث فى قوانين نظارته ونظام التعليم فى مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما أن نظار المدارس ومفتشيها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير . ولا يخفى عليه أن الأمة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأى مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتقد أن أعضاءه لاسلطان عليهم للسياسة لأن الحكومة وضعتهم للانتقاد على قوانينها ولأنهم لايتوقعون ضرا من مخالفة رغبتها

أما « الضمانات الخمس » فهى فى المعنى شيء واحد وإن شئت قلت لاشيء لأن العامل الذى تطلب الأمة الضمان على اتقان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح أن تكون هى الضامنة لنفسها بأن عملها برأى الموظفين فيها . وذلك التعدد فى « الضمانات » لاتأثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها فى بعض ولا يعرض على مجلس النظار إلا ماراه مجلس المعارف الأعلى وحده فمجلس النظار لايبحث فى آراء أصحاب « الضمانات » الثلاث ولا يعرفها . ذلك أن المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتمحو منه ما تشاء وتثبت ماتشاء وترفعه إلى اللجنة العليا فتنسخ منه ما تشاء وتقدم الباقى إلى مجلس النظار فيصدق عليه . وإنما يتحقق الضمان من معلمى المدارس ونظارها ومفتشيها إذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضمانا بأن من رأت اللجنة العلمية أو العالية خطأ رأيه فانه لايؤاخذ سرا ولا جهرا

ثم ان المفتى احتج على كون تلك «الضمانات» غيركافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير فى قانون التعليم (البروجرام) حتى فى المسائل الكلية . قال : وهذا يدل على أن معلومات واضعى التقارير غير كافية . وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث . وظاهر أن هذا الجواب غير سديد لأن دقة البحث إذا سلمت وكان من المسلم أيضاً ان التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على فى ان هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك الا لانها غير مبنية على علم كاف فهى تحتاج إلى الامداد والمساعدة وللحكومة مجلس أنشئ للبحث فى القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد لنظارة المعارف فى تنقيح قوانينها

والأمر الثانى الذى احتج به المفتى هو أن لكمال ثقة الناس بسير التعليم أكبر شأن وأهمه وإن ذلك يكون باطلاع مجلس النظار ومجلس الشورى على قوانينه . وأجاب الناظر باعادة ذكر « الضمانات الخمس » وزاد ضامناً آخر سماه « الضمانة » الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال : وقلما نرى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سير التعليم . وظاهرأن هذا الجواب فى غير موضوع الدعوى لأن الدعوى هى ان ثقة الأمة بالتعليم مطلوبة وانها تكون بكذا بدليل طلب نوابها له . فكان ينبغى ان يكون الجواب إما بالتسليم وإما بمنع الحاجة إلى ثقة الأمة بالتعليم أو بمنع ان ثقتها تكون بعرض قوانين التعليم على مجلس النظار ومجلس الشورى فاما المنع الأول فيستحيل ان يصدر من ناظر المعارف وأما الثانى فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الاراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشورات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأى مفتى الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو ان عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم التدرئين لها فإذا قال : كان يجب ان ينتقدوها ان لم يرتضوها نقول ان العاقل لايتوجه إلى عمل الا إذا رجا فائدته ولا يطوف فى ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه . وإذا كان قد خفى أن ناظر المعارف يدافع الجمعية العمومية الناطقة باسم الأمة المصرية كلها وعنعها للمغالطات عن طلب النظر فى قوانين التعليم فهل كان ينتظر ان يلتفت إلى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر إذا هم انتقدوا على قوانينه ؟ على ان الجرائد كثيراً ما تنتقد المعارف فى سير التعليم وسائر نظامها فيه ولم يغن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد المفتى الشيخ على يوسف فذكر بعض ما ينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح ان يذكر فى مجلس رسمى وسنذكر ذلك الجزء الثانى مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب ونزيد من الانتقاد على تلك القوانين ماشاء الله ان نزيد

آثار علمية أدبية

إلى الأغنياء

قال الأديب الشهير حافظ أفندى إبراهيم فى حريق ميت عمر الذى يذكر فى باب الاخبار

سائلوا الليل عنهمو والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الا	م وكيف اصطلى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تتجارى
رب ان القضاء أنحى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومر النار أن تكف اذاها	ومر الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفلك يروى	هذه النار فهى تشكو الأوارا
أشعلت فحمت الدياجى فباتت	تملأ الأرض والسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يمينا	ورمتهم والبؤس يجرى يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض	ثم غارت وقد كسين قارا
أكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عراة	حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما	أشرق الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحـ	ـر ولا عنهم ترد الغبارا

أيها الرافلون في حلل الوشـ ـى يجرون للذيول افتخارا
إن تحت العراء قوماً جياعا يتوارون ذلة وانكسارا
أيهذا السجين لايمنع السجـ ـن كريماً من أن يقيل العثارا
مر بألف لهم وإن شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى
قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً ملأ العين والفؤاد انبهارا
سال فيه النضار حتى حسبنا أن ذاك الفناء يجرى نضارا
بات فيه المنعمون بليل أخجل الصبح حسنه فتوارى
يكتسون السرور طورا وطورا في يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا في (ميت غمر) صياحا ملأ البر ضجة والبحارا
جل من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكى الديارا
رب ليل في الدهر قد ضم نحساً وسعودا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامى الشيخ أحمد بن مسكويه الرازى صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) المتوفى سنة ٤٢١ وضعه لتحقيق البحث النظرى فى ثلاث مسائل (١) إثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد نزع فيه منازع دقيقة فى الوفاق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسألة الأولى فصل فى بيان أن وجود الأشياء كلها إنما هى بالله عز وجل وفصل فى أن الله تعالى أبدع الأشياء من لاشيء ومعلوم أن الفلاسفة يقولون يستحيل إيجاد شيء من لاشيء . وفى فصول المسألة الثانية إثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً وإثبات أنها جوهر حى باق وأنها ليست الحياة بعينها بل إنها تعطى الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام فى السعادة وفى حال النفس بعد البدن . وفى فصول المسألة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان أن الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكلام فى كيفية الوحى وفى العقل وكونه ملكا مطاعاً وفى المنام الصادق وفى الفرق بين النبوة والكهانة وفى النبي المرسل وغيره وفى أصناف الوحى وفى الفرق بين النبي والمتنبيء . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلا فى بيروت ويباع فى مكتبة أمين أفندى هنديه بمصر

فنحث جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية أخلاقية إسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وأدلة وبعضها لايصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وأبواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي أوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملا وفي كونه مستصلحاً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ماعداه خلق لأجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالذي قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع ويباع حيث يباع

« إقامة البراهين العظام . على نفي التعصب الديني في الاسلام »

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري المدرس بجامع سفير في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة تثبت أن دين الاسلام يأمر بعاملة المخالفين في الدين بالعدل ويحرم ايذاءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه مايقتضى التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من الفوائد المسلمة . وفي الرسالة ماينتقد . فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا إياه بكونه « خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الاطلاق » فقد قال عن الأستاذ الامام أنه قال في درس التفسير بالأزهر : إن قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم إلى مكة الخ . والأستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وإنما قال إن معنى « حتى لاتكون فتنة » هو أن يؤمن شر المتدين ويأمن الدعاة إلى الدين على أنفسهم وعلى من يجيبهم إلى مادعوا إليه . ومعنى «ويكون الدين لله» أن يكون دين كل شخص خالصا لربه لاتدخله محاباة ولامداجاة ولا يهدده مهدد ، ولاينقضه خوف من معتد . فلا يكون لغير خشية الله أثر في نفوس المؤمنين . وانظر بم يكون هذا .

ومما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤنهم المعاشية » الخ كأنه يريد أن

بجعلهم بهائم . وهل يرى ذلك الأستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحريتها وفضلها ومدنيتها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها إلا أن يكونوا كالأنعام ، لا يهتمون إلا بالأكل والشرب والمنام ، وهل ينافي خضوعهم لهـــا اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويا ويسامون الافرنج في الصفات البشرية ؟ إن كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدح مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذا كلفوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يقصدوا ويقفوا عند حد معلوم وكان المجـال واسعاً لاقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض أنفسهم للهلكة من غير عبث بالأحكام ، ولا تكليف المسلمين بأن يكونوا كالأنعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام .

« الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » للشيخ عبد الغني النابلسي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان أو ثلاث وهذه منها وهي أخصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الإخلاص الغراء على نفقتها ووقف على طبعها أحد محرري الجريدة ديمتري أفندي نقولا المحترم صاحب مجلة الفكاهة . أما المؤلف فإنه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام إلى القدس ونواحيه وما رآه وجرى له فيه وأهمه زيارة قبور الأنبياء والصالحين بحسب تعريف المعرفين الذين يصحبون الزائرين في تلك البـلاد وما في الكتب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ملتزم طبعه بإحصاء ما ذكر في الرحلة من المدن والقرى والأمكنة ومقامات الأنبياء والجوامع والمساجد والمدارس والكنائس والأديرة والأنهر والعيون والآبار وقبور الصحابة والأولياء والصالحين وذلك أحسن ما في الرحلة وربما ننقل بعد في باب البدع شيئاً مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٤ وهي تطلب من إدارة جريدة الإخلاص الغراء وثمنها ٥ قروش صاغ .

« الدنيا في باريس » هي الرسائل التي وصف بها مشاهد معرض باريس الأخير صديقنا الفاضل الشهير أحمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظار وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفنا البارع الدكتور عيد أفندي كان يطبعها تباعاً مع مجلة « طبيب العائلة » وقد سبق للمنار تقريظها وبيان بعض فوائدها الآن نخبر قراء المنار بأن هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد مزين بالرسوم صفحاته ٢٧٣ وثمنها ١٥ قرشا وسننقل بعض فوائدها عند سنوح الفرصة إن شاء الله تعالى

« قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي » أهدى إلينا صديقنا مؤلف رسائل « الدنيا في باريس » مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذى يعرف الكتاب حاجتهم إليه من اسمه . قال المؤلف فى مقدمته « وهذا معجم صغير أردت فيه كثيرا من الأعلام الجغرافية التى لها ذكر فى تواريخ الأقدمين من مصريين وآشوريين وروم وعجم وغيرهم من الأمم جمعته بعد أبحاث شتى ومطالعات عديدة فكابدت فيه عناء ليس باليسير يعرفه من أطلع عليه أو اشتغل بشئ من هذا القبيل » ثم قال « وإذا نال هذا الكتاب الصغير من الإقبال ما هو خليق به تشددت عزيمتى لإبراز المعجم الكبير الوافى الذى جمعته فى هذا الموضوع المفيد » عسى أن تتحقق الآمال، وينال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الإقبال ، والكتاب مطبوع فى المطبعة الأميرية وثمنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن إدارة مجلة طبيب العائلة .

(مجموعة حقوقية طبية هندسية . جمعية متخرجى المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
إذاً وجب أن نذكر ما ينتقد على نظارة المعارف فى نظام التعلم وقوانينه فمن الواجب أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لأن الله تعالى يحب العدل فى كل شئ ولأن فائدة استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المنتقد فكل واحد من الأمرين جعله الله سبباً لإتقان الأعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف المصرية الاذن للتلامذة المتخرجين فى المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية فى نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الضافية فى مسائل العلوم التى يتعلمونها فى المدرسة وفى المدارس العالية التى ينتقلون منها إليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتمحيص وقد حضرت اجتماعاً لهم فى المدرسة فسررت سروراً عظيما ورغبوا إلى فى انتقاد ما تكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علنا فتلقوا المتقدى بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا فى هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التى تليت فى السنة الماضية وسموه بما ذكر فى صدر الكلام . وتفضل وكيل الجمعية الفاضل النبيل على بك ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكرنا له ذلك . وفى المجموعة ست مقالات «١» فى التربية والتاريخ لعلى بك ماهر بمدرسة الحقوق و«٢» فى أشعة رنتجن لعبد الرحمن افندى عمر بمدرسة الطب و«٣» فى التكافل والتضامن لمحمد حلمى افندى عيسى بمدرسة الحقوق و «٤» فى التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح لمحمد افندى شكرى بمدرسة الطب و«٥» فى لوازم الحياة الأصلية لمحمود افندى ماهر بمدرسة الطب و «٦» شهران بسويسرا لعلى بك ماهر . وفى

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فنحث جميع المصريين على اجتناء هذه الثمرة الشهية ، التي انتجتها فروعهم الزكية

(مجلة الأحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تناولت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الا موضوع القضاء الشرعي كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أوائل هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهير حسن بك حماده المتخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الأول منها مفتتحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة إلى الاصلاح فيها على الوجه الذي حرره الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . ويلي ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات أخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسبية وتاريخها وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة وباباً لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والأدبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكا في خارجه فنتمنى لها النجاح الذي تستحقه

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٠ على ما يعهد الناس وفوق ما يعهدون من الاتقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية و[illegible] وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلا مزخرفا اجتلب له [illegible] من أوربا منقوشا عليه اسمه واسم مؤلفه فنهنئ صديقنا الفاضل محمد أفندي مسعود بما صادفه عمله المتقن من النجاح الذي هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فنشكر لها اتقان طبعها ولمؤلف النتيجة الحاسب المدقق السيد مصطفى محمد الفلكي المحامي تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهري) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية منسوبة إلى الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد [illegible] الاسطهاوي الفلكي قد أنشأ تقويما يصدره في كل سنة هجرية وقد [illegible] الأستاذ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر بأن يسميه التقويم الأزهري فعسى ان يقبل عليه الناس ليزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الاخبار)

﴿ الحريق فى ميت غمر ﴾

« ميت غمر » بلدة فى مديرية الدقهلية أصابها فى آخر الشهر الماضى حريق دمر الدور ، وقوض القصور ، والتهم الأثاث والرياش ، ولم يبق على الناس ، الا من لجأ إلى الفرار قبل أن تحيط به النار ، فتأخذه لسانها ، أو تخنقه دخانها ، ويقال ان عدد البيوت التى احترقت بأهلها الا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وان الخسائر تقدر بمئات الالوف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيما ، والخطب جسيما ، وقد كاد يكون حال الذين نجوا شراً من حال الذين فقدوا فان عذاب ساعة وان كان شديداً دون العذاب المستمر الذى يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أمسى واجداً فأصبح معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان آهل فصار ولا مكان ولا أهل . صار الزوج أيماً والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغنى فقيراً والعزيز ذليلاً . وما من هؤلاء أحد الا وقد لفحته النار أو لذعته أو احرقت له عضوا وحاصل القول ان هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المصائب التى تفرقت فى العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاثة والاعانة . وقد توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولاشك ان الباخل فى هذا الوضع هو أبخل الناس بل هو من جنس الجماد لا من نوع الإنسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لاحد من خلق الله فى البخل على هؤلاء « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » فمن وجد فى قلبه قساوة وفى نفسه شحاً مطاعا وفى يده انقباضاً وامساكا فليمثل فى نفسه هذا المصاب واقعا به وبأهله والناس معرضين عنهم لا يجودون عليهم بشئ ولينظر كيف يكون حكمه عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس بمثل ما يحكم به عليهم . ليبذل كل إنسان مما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون لوجب عليه ان يبذل كل ما يملك ان كانت وقاية اخوانه متوقفة على ذلك « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه (أى ضيق) فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ — ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

« ننشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سيادتهم التي ذهبت بها ... »

القضاء في الاسلام – النبذة الثالثة في آدابه

الحكم في حالة الغضب (١٢) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » وروى عن غير أبي بكرة أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من مراعاته فان الغضب يذهب بالروية والفطنة ويحكم الهوى فلا يتيسر معه استيفاء النظر والاحاطة باسباب الحكم العادل ، وقد ذهب بعض أئمة المسلمين الى أن الحكم في حال الغضب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

---

(١٢) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة

يقتضي الفساد . وقال الاكثرون انه صحيح وان كان اتيانه مكروها وينفذ اذا وافق الحق وذلك لان النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو ما كان لذات المنهي عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والغضب وصف مفارق لالازم وفي القاعدة خلاف لامحل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين [١٣] عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخصمين يقعدان بين يدي الحاكم . وهذا من المساواة التي جاء بها الاسلام . وقال بعض العلماء : ان هذه الهيئة مشروعة لذاتها لالمجرد المساواة

[١٤] عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء »

[١٥] عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « قال من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه واشارته ومقعده ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفع على الآخر » وهذا هو العدل الاكمل الذي مابعده غاية - وذكر المسلمين فيه لان الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وان كان المتقاضون من غيرهم كذلك اذ لافرق في حكمهم العادل بين مسلم وذمي ومعاهد . وما روي

(١٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله بانه كان يغلط كثيراً على صدقه ولا يضرنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث صحيح المتن

عن علي كرم الله وجهه أنه جلس بجنب شريح القاضي في خصومة له مع يهودي أو نصراني، وقال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: « لاتساووهم في المجالس » فقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في العلل وقال لا يصح تفرد به أبو سمية. هذا ماقالوه في رواية ان الخصم كان يهودياً. ورواية البيهقي التي ذكر فيها ان الخصم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمرة عن جابر الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجد له اسناداً. فهو منكر وباطل ومضطرب والعلة في سنده ومتنه معاً وكأن مروجه من الجهلاء الذين يرون تعظيم شأن المسلمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت لهم دولة.

ومما يجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمراءه لو فعلوا مثل له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويحاكم مع بعض رعيته الموافقين او المخالفين في الدين وجلس مع ذلك بجنب القاضي أو على رأسه لوصف بأنه أعدل العادلين، وفضل على الخلفاء الراشدين، وانهم ليصفونهم بالعدل وينحلون لهم ماشاء الهوى من الفضل، على حين أنهم زعموا أنهم فوق الشريعة الالهية، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية، فلا يمكن ان يحاكم سلطان أو أمير، مع كبير من رعيته ولا صغير، فاضاعوا بكبريائهم الدين والدنيا والى الله المصير.

(١٦) عن ابن أبي حدرد الاسلمي (رض) انه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فقال: يامحمد

(١٦) رواه الامام أحمد (١) استعداه عليه أي استغاثه واستنصره

ان لي على هذا أربعة دراهم وقد غلبني عليها فقال أعطه حقه قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها قال أعطه حقه قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها قد أخبرته انك تبعثنا الى خيبر فأرجو ان تغنمنا شيئاً فأرجع فاقضيه قال « أعطه حقه » قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال ثلاثاً لا يراجع فخرج به ابن أبي حدرد الى السوق وعلى رأسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع العمامة عن رأسه فاتزر بها ونزع البردة وقال اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عجوز فقالت مالك ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هادونك هذا البرد عليها طرحته عليه وقد أوردت هذا في أدب المساواة وان كان من باب آخر لمناسبة له . وانظر الى شدة الاسلام في أداء الحقوق والى قساوة اليهود في أخذ ديونهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عرياناً لاساتر لعورته الاعمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظلمين[١٧] عن عمرو بن مرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مامن امام أو والٍ يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » استدلوا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه . والحديث ناطق بان المراد منع المظلومين من القاضي والشكوى اشتغالا عنهم بشؤون النفس أو حبا بالراحة أو ترفعا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل في النهي الحجاب الذين يقفون على أبواب الحاكم لحفظ النظام ومنع الفوضى والخلل وهو الذى قال بعض علمائنا بجوازه وبعضهم باستحبابه

(١٧) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبزار وتقدم غيره في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وما يدخل فيه حجاب الامراء والسلاطين الذين يذودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون الا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ويجهلون سائر أصناف رعيتهم بدون عذر . ونقل ابن التين عن الداودي انه قال . ما أحدثه القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف . ثم قال متعقبا له : ان كان مراده البطائق التي فيها الإخبار بما جرى فصحيح وان كان مراده البطائق التي يكتب فيها السبق ليبدأ بالنظر في خصومة من سبق فهو من العدل في الحكم . وقال الشوكاني لولم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواجبة وجميع أوقات ليله ونهاره . وهذا ظاهر لا نزاع فيه

مع الرشوة [١٨] عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الراشي والمرتشي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سماعون للكذب أكالون للسحت » .

[١٩] عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .

[٢٠] عن ثوبان (رض) قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة . ولا حاجة لبيان مفسدة الرشوة وتدميرها للممالك وثلها لعروش الامراء والسلاطين فان هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الا النسائي . وابن حبان والطبراني والدار قطني (١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية (٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من بني أسد يقال له ابن اللتبية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي اليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضاً) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة ابطيه « الا هل بلغت » ثلاثا . وتيعر الشاة بمعنى تصيح

(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هدايا العمال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في الغنيمة وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والعمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثلها أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر اسناده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقا متعددة تقويه . والهدية مستحبة لغير حالة الحكم وما بمعناه

(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »

(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الامير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر » وأتى لا تتم من تشديده الوضع

---

(٢١) رواه البخاري بل هو متفق عليه . (٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد النقاش زاد في كنز العمال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الاولى « عن عرباض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم (٢٣) أخرجه أبو داود (٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر وسياسته (٢) روى سعيد ابن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحمى فلما سمنت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى إبلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول: ياعبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين !! فجئت أسعى فقلت مالك ياأمير المؤمنين ؟ قال : ماهذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وبعثت بها الحمى ابتغي مايبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . ياعبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قولهُ « ادعو إبل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فماذا يقول أمراؤنا الذين يستعبدون رعاياهم مااستطاعوا ، ويمتصون دماءهم ان استطاعوا ، ويسخرونهم في خدمة أرضهم ومواشيهم ، مالم يأخذ الاجنبي الذي يسمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يعلمنا فيه « الكفار » العدل هل يلزموننا به الزاما حتى يطمئن الرعية على أموالهم ويأمنوا على أنفسهم من أمرائهم وائمتهم الذين انتحلوا لانفسهم إمامة الدين .

(٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافوه بالموسم فاذا اجتمعوا قال : ياأيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليقم . فما قام أحد الا رجل قام فقال أمير المؤمنين إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؟ قم فاقتص منه . فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقِيدُ من نفسه؟[1] . قال فدعنا فلنرضيه . قال دونكم فأرضوه . فافتدى منها عاملي دينار عن كل سوط بدينارين .

فماذا يقول الناس هنا فى أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون الخواجات ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة . ومع هذا كله يمنُّون على البلاد انهم أنقذوها من ظلم الظالمين السابقين أي انهم حصروه فى أنفسهم واحتكروه لها ولا فرق عند المظلوم بين ان يسمى ظالمه مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بإنقاذه سواء سمي منقذه مسلما أم سمي كافرا . فالحقائق لا تتبدل بتبدل الاسماء والالقاب وبالعدل قامت ممالك الاسلام وبالظلم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم أنْ يَرْحَمَكُمْ وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الاحنف بن قيس قال : ما كذبت الامرة قالوا وكيف يا أبا بحر ؟ قال وفدنا على عمر بفتح عظيم فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض لو ألقينا ثياب سفرنا ولبسنا ثياب

---

(١) القَوَدُ القصاص وأقاد الامير القاتل بالقتيل اذا قتله به والمراد هنا التمكين من القصاص

صوفنا فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة كان أمثل . فلبسنا ثياب صوفنا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعنا في أوائل المدينة لقينا رجل فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب دينا ورب الكعبة. قال فكنت رجلا ينفعني رأيي فعلمت ان ذلك ليس بموافق للقوم فعدلت فلبستها (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوفي العيبة واشرجتها [١] وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت باصحابي فلما دفعنا الى عمر نبت عيناه عنهم ووقعت عيناه علي فأشار الي بيده فقال : أين نزلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى مناخ ركابنا فجعل يتخللها ببصره ثم قال : الا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ اما علمتم ان لها عليكم حقا ؟ الا قصدتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى التوسط) ألا حللتم عنها فأكلت من نبت الارض ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين بالذي يسرهم فحانت منه التفاتة فرأى عيبتي فقال : لمن هذه العيبة ؟ قلت لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم ابتعته ؟ فألقيت ثلثي ثمنه فقال : إن رداءك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعدني على فلان فانه قد ظلمني . فرفع الدرة فخفق بها رأسه [٢] وقال تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى اذا اشتغل في أمر من أمر المسلمين أتيتموه : اعدني اعدني . فانصرف الرجل وهو يتذمر فقال : علي

---

(١) العيبة وعاء توضع فيه الثياب واشرجها ضمها (٢) خفقه ضربه ضربا خفيفا بشيء عريض كالخفقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فألق الخفقة فقال امتثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ماعنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته . ماتقول لربك غداً اذا أتيته ؛ قال
فجعل يعاتب نفسه فى ذلك معاتبة ظننا انه خير أهل الارض اه

فان أمراؤنا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف ان بعض من يتراءى بالدين ويفتخر بانه يصلي قال له قائل
مرة : ورد فى الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم » وهولاي من أئمتهم فأنا عملا بالحديث أقدم له نصيحة
فى شأن كذا . فغضب عليه غضبا شديداً لأنه وجه اليه النصيحة ومثله
أعلى فى اعتقاده من ان ينصح وان كان الحديث ناطقا بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لايحصى

(٥) روى الدينوري فى المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال :
قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب دينارا فاشترت به عطرا فجعلته فى قوارير وبعثت به مع البريد الى
امرأة ملك الروم فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت اذهب الى
امرأة عمر بن الخطاب . فلما أتاها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال
ماهذا فاخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع الى امرأته دينارا
وجعل مابقي من ذلك فى بيت مال المسلمين . اه

وفي الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لا لذاتها فيجب ان يكون ما أخذ بجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين في هذه العصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا معارض ولا منازع . وفيه أيضا الموادة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن في غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالاعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الائتلاف والموادة بعضهن مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشبين الكوم : هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون بنزوله نبيا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذا حينئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة ؟

(ج) ليس في الكتاب والسنة نص قطعي الثبوت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لغرابة موضوعها وتخريج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي المتواتر . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصا فيه بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (احداهما)

قوله تعالى « وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومزاعم أهل الكتاب فيه ومعناها الظاهر أنه لا احد من أهل الكتاب الا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لانه وقت تشرف فيه النفس على العالم الاخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت « لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا » فالضمير في (موته) للمنفي في قوله (وان من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعليه الاكثرون . وذهب المستدل بالاية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وأنهم يؤمنون به قبل ان يموت عندما ينزل ويقيم دين الاسلام ويحكم به ولكن النفي العام في الاية لا يصح على هذا الوجه لانه لا يشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده الى عصر النزول المدعى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عز وجل (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الي) ولا يصار الى التأويل ، مالم يقم على خلاف الظاهر الدليل ، هذا ما يقال في الاية لذاتها فهي من حيث انها متواترة ليست نصاً ولا ظاهرا في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكمها ومن ثبتت عنده وجب عليه الايمان بها

والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارنة المشركين بينه وبين آلهتهم (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) فذهب بعضهم الى ان الضمير (إنه) لعيسى واختلفوا في وجه كونه علما للساعة فقيل انه حدوثه وقيل احياؤه الموتى وقيل نزوله في

آخر الزمان والآية لاتدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تقرب الاعتقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكتت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولاغرو فنبيّ القرآن هو نبي الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائغين في عقائدهم وتقاليدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وتتمة الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فتلقاه الناس بالقبول لاسيما بعد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطعيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح فى آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى فى الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً يجدّد ملك اسرائيل ولذلك يدعون لتحقيق هذه الامنية سعياً ماديًّا يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح فى ملكوته وصليبه ليدين العالمين ويحاسبهم على نحو مايعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموما وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بنت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الاديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفين عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبح طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند مايدعون النصارى الى دينهم يعترفون بأن المسيح كان الهاً كاملا ويقولون انه لم يكن الهاً بجسمه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء فهو اله كامل « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد رددنا عليه في مجلد المنار الثالث ورددنا على البهائية أيضاً وان لنا لعودة ان شاء الله تعالى

وان من النصارى من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان على ان الصفات التي امتاز بها والتعاليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون سائدة في الناس وهي المحبة والمسالمة والمؤاخاة والاخذ بمقاصد الدين والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوما غيرها وربما تزيد عليها من بعض الوجوه. وهذا التأويل على حده ظهر في المسلمين عمر » اذا قام فيهم ملك عادل « وهذا الجيش يقوده نابليون » اذا كان قائده شجاعا مدربا. ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ويعارضها قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين. فعلم من هذا انه لايكون زمن فترة يضيع فيها الاسلام فيجدده المسيح وانما يبقى الاسلام معمولا به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح. هذا وان لفظ النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستعلاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لافرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والايمان بلقائه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان الترقي في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد »

(س ٢) انتفاع الموتى بالقراءة من الشيخ أحمد حسن يوسف معمر بالازهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانتفاع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؟ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فما معنى قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » الرجاء كشف النقاب عن هذه المسئلة ولكم الفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت انتفاع الاموات بقراءة غيرهم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لاينتفع الا بعمله وكسبه ومنه مايبقى أثره أوعينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان ومعتبرة منه فلا حاجة الى ماقاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأله هل يتصدق عن أمه واجابه

ايام بهم ومنهم سعد بن عُبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل؟ فقال: سقي الماء. ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين. وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية. وخصوا الآية بالعبادات البدنية كالصلاة والقراءة. وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً. ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « اقرأوا يس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحمد بلفظ آخر. ولكن ابن القطان أعله بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن. وتصحيح ابن حبان لا يعول عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيعتمد جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال. على انه فسره في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يُقرأ عليه » وخالفه المنتصرون للقراءة على الأموات. ولو ان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث وضع الجريدتين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افندي صادق الدباغ بالاسكندرية: ما حكم اتخاذ الصور وهل يحرم تزيين المنازل بها؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقيل إنه محرم مطلقاً وقيل ان المحرم منها ماله ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذه وقيل ان المحرم هو ما يتخذ

بهيئة تعظيم . وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئاً على احداهما وفيها صورة » المرفقة المتكأ والمخدة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفقة وإنما هتك الستر لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بعابديها . ثانيهما العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لا ماقالوه من ان فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقتضي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المعلول والله تعالى أعلم

القسم العمومي

الاجتماع الثالث ـ الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة تم توارد الاخوان لمحفل الجمعية غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فما وسعه الا الاجابة باكراً وما كان يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً .

ثم قال (الاستاذ الرئيس) اننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراتي كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندي ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين

فحينئذ أفاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الامراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والافتاء بهم فان بعض هؤلاء المتعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخـذوا الانفسهم قانوناً جعلوا فيـه من الاصول ما أنتج منـذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للامـيين بل وللاطفال .

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقادم السنين أو ترادف العنايات لاسيما اذا كان من زمرة الامـلاء . فانه يكون طفلا في المهد ويمنح رسما بانه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون فطيما فيخاطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مراهقاً فيعطى لقب « أقضى قضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقـين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، » ثم وثم حتى يبلغ الوصف (باعلم العلماء المتبحرين ، وافضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،)

ولا يظن ظانٌّ ان هـذا الاطراء من الامراء للمتعممين هو بقصـد ان يقابلوهم بالمثل بألقاب « الولي ، المقدس ، ذي القـدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنـزه عن النظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهـامات ، سلطان الســلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة الثقلين ، ملجأ أهل الخافقين ، » الى غـير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لايحسنون قراءة نعوتهم المزوّرة كما ان بعض اولئك المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهاراً ويستحقون مايستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .

ويكفى حجة عليهم بذلك تميزهم جميعاً بلباس صوفي مزركش بكثير من الفضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والقلنسـوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وكم من خطيب يستوي على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسـه وصدره ومنكبيه هذا اللباس المنكر (مرحى) .

ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالعروض تباع وتشترى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يزيدفي ثمنها او ينكرمون بها على المتملقين وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين .

ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين فهما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمور والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بعيـدين عنه كما ان القسيس بل

الشماس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان ولا يشهد في صك دين داخله ربا فضلا عن ان يقضي أو يفتي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين النصرانية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الاهلية) تهافت المتعممون على جعل قاضي المسلمين نائباً للمحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل اقوعا بتبرأ الدين الحنيف منه من نحو ربا صريح ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن أو باستبدال عقوبات سياسية أو تغريمات مالية بها . ومن نحو معاقبة العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العاهرة المجاهرة بما لا يلائم الشرع قطعاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حق أو باطل بدون نظر فيه ومن تحصيل ضرائب وغرامات ومن توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام وأموال الايتام

ومن أهم دسائس المتعممين انهم ينفثون في صدور الامراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضراً ومعاداة الشورى وان كانت سنة متبعة والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويفتون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها واطلاق حرية الانتقاد لما يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلفقون لهم حججاً واهية لولا ان اطلعها جهل الامة ووراءها سطوة الامارة لما تحركت بها شفتان ولا تردد في ردها انسان

والامر الامر أن اولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجج ما يتسلحون به في مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية بقولهم ان قواعد الدين الاسلامي لا تلائم اصول الشورى ولا تقبل النظام والترقيات المدنية وانهم مغلوبون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ومجاراة ميل الفكر العام

وبهذه القوانين لسائر الجهلاء المتلبسون بزي العلماء العاملين اغتصبوا أرزاقهم من بيت المال ومن أوقاف الاسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلوم وفترت الهمم وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء بلقمة منه ويشتغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فسد العلم وقل أهله فانحلت التربية الدينية في الامة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب (الرياضي الكردي) ان هنا اسباباً خاصة ببعض الشعوب الاسلامية فلا يصح اعتبارها سبباً للفتور العام الذي نبحث فيه ونتساءل عنه . وعندي ان السبب العام هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعية التي كانت اذ ذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال فقعد أهلها من بين المسلمين واندرست كتبها وانقطعت علائقها فصارت منفوراً منها على حكم « المرء عدو ما جهل » بل صار المتطلع اليها منهم يفسق ويرمى بالزيغ والزندقة على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى كر القرون ترقت وظهرت لها ثمرات عظيمة في جميع الشؤون المادية والادبية حتى صارت كالشمس لا حياة لذي حياة الا بنورها فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم احتياجاً يعم الجزئيات والكليات من تربية الطفل الى سياسة الممالك ومن استنبات الارض الى استمطار السماء ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .

ولا شك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء .

بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تجعل الغربيين ادرى منا حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل العالمين عقلاً وأخلاقاً وكاثباتهم بالمقابلة ان ديننا أسمى الديانات حكمة ومزية .

وعندي انه لولا هذا القصور ما وقع المسلمون في هذا الفتور . والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصيراً و طويل لابد أن يلتفتوا الى هذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية واضالها يقربهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المستنير لا يجتمعان في دماغ واحد . (مرحى)

ثم ان تبعة هذا التقصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها بل نراهم مقتصرين على تدريس فنون اللغة والفقه فقط أو بعلاوة شيء من المنطق اتماما للعقائد وشيء من الحساب اكمالا للفرائض والمواريث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعاظنا مقتصرين على الحث في النوافل والقربات الزهدية في الدين ورواية الحكايات الاسرائيليات ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجاب والنقباء والابدال وعلى ضبط وزن التمايل واصول الانشاد ولا ننسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار

عبارات في التمت والدعاء للغزاة والمجاهدين وتعداد فضائل العبادات والشهور والمواسم ،

والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها مابين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو السبب لهذا الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولايكفي وحده لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكمية والطبيعية لايصلح سبباً لفقد الاحساس الملي والاخلاق العالية لانها توجد في أعرق الامم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فقرنا البقاء فنمنا واجتهدوا فلحقونا ، ولبثنا نياما فاجتازوا وسبقونا ، وتركونا وراء ، وطال نومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعدوراءنا وراء ، فصغرت نفوسنا وفترت همتنا وضعف احساسنا فيئسنا من اللحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألسنتنا تفيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » فعدنا الى كهف النوم مستسلمين للقضاء ، نطلب الفرج بمجرد التمني والدعاء ، ذاهلين عن ان الله تعالى جلت حكمته رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ولم يشأ ان يجعلها كالآخرة عالم أقدار فهذا اليأس هو سبب الفتور فنسأل الله تعالى اللطف في المقدور

أجابه (العارف التتاري) ان هذه شكاية حال ولا تفي بالجواب لانه ما السبب في ان هذا النوم غشي المسلمين ولم يزل يغشاهم دون كثيرغيرهم من الامم التي انتبهت وسارت ولحقت فضلا عن الاحياء وما المسلمون بالابعدين المنقطعين كأهل الصين ولا هم بالمتوحشين العريقين كأهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضنا فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الامة طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالمزية والاخلاص لتنقاد اليه الامراء والناس ولا تربية متحدة القصد ينتج منها راي عام ، لا بطريقة تخاذل وانقسام ، ولا جمعيات منتظمة تسعى بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .

أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لايوجدان في الامم المنحطة الا اتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا ماتتساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائد

كل شر وانكد كل نحس فمنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت آرائنا حتى في ديننا ومنه فقد احساسنا ومنه كل ما نحن فيه او نتوقع اننا سنوافيه. فهذه فطرتنا لانقص فيها عن غيرنا وعددنا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادننا غنية وشرعنا قويم وتجارتنا قديم فلا ينقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل الا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل الا بالمال الطائل فوقعنا في مشكل الدور وعسى أن نهتدي لفكه سبيلا والا فيحق بنا ناموس فناء الضعيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب فقر الامة ان شريعتنا المبينة على ان في أموال الاغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء . (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في اليافع *

شذرات مقتطفة من جريدة أراسم . تحرير أبراز يون في سنة ١٨ الداخلة في سنة ١٨٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلاقينا كنا كأننا لم نفترق في حياتنا فان النوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداننا ولا من عاداتنا لبقاء قلبينا على ما كانا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن آنس مني في جميع أيامي السالفة بحسن معاشرتها وجمال معاملتها نعم أنها لم تبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدما وهذا الباب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكرور الايام الا ما يزيد المرأة في القلوب محبة وفي النفوس تأثيراً ؛ كأن روحها وملامح وجهها تكملت وتطهرت بادائها فروض الامومة المقدسة

كنت أوشكت ان أفقد من معرفتي لولدي ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ان الذين هم اكثر الناس اشتغالا بالتربية لم يرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرموا من رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء

فليت شعري بماذا استحققت أن أكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة

ما أشدني حنواً وتأثراً عند تقبيل ولدي ايّاي وما أعظم زهوي وإعجابي به عند ما آخذ بيده وأتنزه معه في المزارع وان الدنيا لترى في عيني جديدة وهو ما كأن لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم ان الانسان لا يبصر وهو رهين السجن محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة كان يخيّل الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر العود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت فقل الف وهم — قد يحول بين المرء وبين معيشته في وطنه وما أدراك ان من هذه الموانع ما يعتريني من الألم الممضّ الذي لا أستطيع التعبير عنه اذا رأيت أمة عظيمة عهدتها حرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجميع ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن ذلك ايلاماً للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لأنفسهم ولأوطانهم أن يخدموا هذه الاوطان وهم بمعزل عنها فمثل هؤلاء هم فيما أرى أشد حباً لها لأنهم سواء قربوا منها أم بعدوا عنها يحيون بتقلباتها ويفتخرون بجهادها في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه . جرحهم في صميم أفئدتهم ما مس أمتهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بألمها كأن في مرور الزمن عليها والاعتياد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لاندمالها جميعاً . مثل هؤلاء المتطوعين بالاغتراب والذين يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول مجادل امامهم أن ينتقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتبيّغ الدم في عروقهم . ذلك أن هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكناها مختارين قد تغلغل حبها في أحشائهم وأخذ بمجامع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلا .

كأني بسائل يقول : لماذا اتخذت هذه العادة وهي تقييد أفكارك ومذاكراتك كل يوم بحسب المصادفة والاتفاق فأجيبه ان هذا معاوي ايام معيشتي في السجن اشهره للناس لأني لما لم يكن لي فيه أنيس أطارحه الحديث كنت اكتب كأني اراسل نفسي . اه

الشذرة الثانية

(تعليم المسميات قبل الاسماء)

لم تختلف طريقتها في تربية « اميل » أملا من آمالي فلتبق على ما هي بسبيله من تهذيبه وتثقيفه بما تقدمه له من الآراء وبما توجه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من المفيد أن نقسم العمل بيننا لأن التعليم — ان لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً واما التربية فانها من أعمال الوالدة وان أردت ان تعلم اين نحن من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرس « أميل » شيئاً درساً منتظماً فهو انما لقف دروسه الاولى في علم التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان يجده كل يوم على شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنته من النظر بالمنظار المعظم (الميكرسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندنا محركا أجزاءه بنفسي فيكبر له بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر واريه بالمرقب (التلسكوب) وهو آلة أرصد بها النجوم ليلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد ملأنا اناء من الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسماكا وكنا نجدد ماءه كل ثمانية أيام ومنه تلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات التي تمشي في جوف البحر . وفي بعض الاحيان أكون مشغولاً بتجربة [illegible] سهلة جداً في الكيمياء والطبيعة [illegible] على جهلها [illegible] حقيقة العلمين [illegible] بعض الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورآني يوماً أضع مقاييس الحرارة والهواء ومع كونها لم تكن من الاتقان في شيء بدا لي منه انه ادرك استعمالها في الجملة لأني رأيته يريد محاكاتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لابد ان أكون انا و « اميل » تابعين في التعليم لمذهب ارسطاليس لان اغلب درسنا يحصل في وقت التنزه فاني أدع لامور الكون وحوادثه تنبه ذهنه غير متعرض لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجابة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون الشرح واضحاً والبيان وافياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصغائه الي هي

تتبع سلسلة افكاره عند محادثته وان كثيراً ممن يأخذون على انفسهم تعليم الاطفال ليبالغون لهم في البيان ويفرطون في الشرح كما لو كانوا في حاجة الى ان يثبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني اتعلم معه فعوضاً عن كوني اعلمه طريقتي في النظر اجتهد في معرفة طريقته وتمييزها وما الايصال الى معرفته بحال اجهله مثله او اتجاهله . ثم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تعلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وانه لابد في اتباعها من تنزه العقل عن الغرض وتنازله عن بعض شهواته ولكن ماهو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في اذهان الاطفال ليس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ملكة البحث عند الطفل هي كغيرها من الملكات تنمو بالاعتياد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين تنبه « اميل » والتفاته بأن أريه مالا يراه في الاشياء لاول نظره اليها غير انه في هذه الحالة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثار من السؤال فرأيي أن التعجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما يخبو به نار هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا أنفسهم مؤنة سآمة الدرس وطوله . اه

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبذة الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ملخص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر المعارف من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كسائر قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ملخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم ننقد القانون فنقول

(الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سعادة ناظر المعارف انما هي كافية في التغيرات الادارية كتحديد أوقات الدروس وحصص المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في النبذة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانة » و « الضمانات » بين علامات مميزة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخالف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان لقوانين التعليم في نظارته خمسة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعلقة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تغيير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلا لذلك يجب الضمان . والتعليم باللغة الاجنبية معناه نقل أشخاص الى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم الى الأمة فيسهل على الطالب معه أن ينفع بيته بعلمه وبما يجيء به من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الاجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الاكفاء في المدارس الحرة ولم تق من ذلك « ضمانات » ناظر المعارف . فالقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين اذ لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق المتبعة في التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى أن هذا العلم الذي تبين ان تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس اذ المدار في ذلك على الكتب والمدرسين والاقرب للترقي . وبما بينته من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها امكم كتب

(الشيخ) ذلك يراد به الاسهل في التعليم والذي نريده هو نفع الأمة وقد كان منذ عشر سنين تؤلف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التلميذ فيستفيد منها أبوه وأهله ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الاجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس العالية باللغة الاجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصا . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها اذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادي العلوم

وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يعيد كلامه ويحتج « بضماناته » كما احتجت الجمعية بوجوب اطلاع مجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بك عبد الرازق ان أحسن ضمان هو ارسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ الآراء « فتقرر بأغلب الآراء » طلب ذلك من الحكومة . ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المعارف ؟ ان كان فلعله من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وان كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة

أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي ونزيده ايضاحاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما اتفقت عليه الأمم الأوربية كلها وفي مقدمتهم الانكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوربا لا يكون الا بلغة البلاد لأن حياة الامة بأمثها

وتعلم لغة أخرى لأجل المزيد في العلم كتعلم الانكليز لغة الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساتذتها في علم التربية والتعليم ؟؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم الطبيعيات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف نتنكب الطريق السهل ونسير في الحزون الوعرية ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم نقل « أنفع » كما قال الناظر لأن الأنفعية لاشبهة عليها الا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل اني أسعى بمحو لغة أمتي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من المنافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهمال لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما فعلته الجمعية من ترك المناقشة بالمكابرة والاصرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوانينه على مجلس الشورى والجزم بطلب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال لمن يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الامم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة البيوت وترقي أفرادها ؟ أليس تحدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بلغتهم مما يجعل الاصطلاحات العلمية مألوفة في البيوت لكثرة طروقها للسامع ؟ أليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون المعيشة بعدم اتمام تعليمهم ينتفعون بالكتب المؤلفة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نعود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هــذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسرد ما يظهر لنا منها بالاختصار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتعويده على الفصاحة في النطق والاستعانة على الكتابة والخطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة العظمى لكمال من يفهمه . ولم تغن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً »

(٢) كون تعليم الدين والتهذيب في أثناء سنتين فقط مع انه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهذيب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاسراً في حياته وان تعلم جميع الفنون الأخرى » ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهذيب معاً ساعة واحدة في الاسبوع مع ان اللغة الاجنبية التي تعلم من السنة الاولى الابتدائية الى آخر يوم من أيام التعليم العالي لها سبع ساعات في الاسبوع من السنتين الاولين . فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهذيب ٣٦ ساعة في السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتطع منها أيام الاعياد والمواسم ماتقتطع . فالمدة نحو ثلاثة أيام وهي لاتكفي لتعليم الاكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الايمان وتثقيف الاخلاق وكيفية العبادات مع التهذيب المدني الدنيوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا أكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقي التلامذة في الامتحان المعبر عنها بالنمرة فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة أحكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فان هذه المعرفة لاترفعه عنه درجة واحدة فان زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الافرنجي مثلا فانه يرتقي بذلك ويتقدم على ذلك الامام الديني الجليل . ومن لاحظ ان التلامذة لايجتهدون الا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان الدين لا مجال فيه للسبق لأنه لادرجة له علم ان النظارة متعمدة اهمال الدين أو جاهلة منزلته ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يبتدأ بها في تعليم الدين تعلو على عقول المبتدئين وهي كما في الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على أنواع العبادات بل هو مشتمل على مايلزم الانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — مايجب في حقه تعالى ومايستحيل وما يجوز — الحكمة في ارسال الرسل — مايجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام ومايستحيل ومايجوز —

نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه ٠

ولا شك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالمام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلّموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فهلا فهل يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت المعين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا مالا يستطيع أن يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخلل فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالعقائد الدينية فهناك مسائل أخرى تجب معرفتها وليس بعد هذه السنة تعليم للعقائد وهذا نقص ضار منتقد ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه العقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك الغاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أو جلهم فنقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهمال عظيم ونقص محسوس ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام مهملا لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادة غير كاف وهذه أنواع من النقص والخلل جعلناها واحدة لانه تقدم في قسم العقائد نظيرها ٠ ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً ٠ وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فاننا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب ٠ وسنتكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب أسرار البلاغة الذي طبعناه بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطلعت على كتاب أسرار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وسبقت في ١٣٠٥ وقرأته دروساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستعارة والمجاز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالأثر المطلوب من ابرازها لها . ولم ار كتابا في هذا الفن لا يتقدم متأخر ولا يتقدم متقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الاسلوب وحياة المعنى ورونقه . ولقد كان كنزاً مخفياً لا تصل اليه يد الباحث حتى يسر الله لنا نسخة بعث بها الينا أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص وتحريف فارسلنا أحد طلبة العلم الى الاستانة العلية ليقابلها على نسخة هناك ثم تمكن تصحيحها أثناء الدريس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن ينتفع به الاستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يعلم قراء المنار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابيه المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و (دلائل الاعجاز) الذي نطبعه وهو في فن المعاني . وانما سماه دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون القرآن الآن معجزاً (بلاغته كما انه معجز بهدايته) الا بالقوانين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أو رسالة سماها (المدخل في دلائل الاعجاز) وجعلها مقدمة له مبينة لمنزلته ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بعد ذلك أن جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فاذا قال معترض ماهذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً ؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الاعجاز لاجواب غيره . واني اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة ختمه بها وهو

« واذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لخصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منثور كلام العرب ومنظومه ورأيناهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقائق لاتتبدل ولايختلف بها الحال اذ لايكون للاسم بكونه خبراً لمبتدأ أو صفة لموصوف أوحالا لذي حال أو فاعلا أو مفعولا لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الوصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوى والقدر ، وقيد الخواطر والفكر ، حتى خرست الشقاشق ،(١) وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُبِنْ بيان ، ولم يساعد امكان ، ولم ينقدح لأحد منهم زند ، ولم يمض له حد ، وحتى أسال الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ؟ أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم عن سؤاله ، ونرده عن ضلاله ، وأن نطب لدائه ، ونزيل الفساد عن رأيه ؟ ، (٢)فان كان ذلك يلزمنا فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه ، (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم أنه الطريق الى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وان رأى أن لاطريقاً غيره أومأنا اليه ، ودللنا عليه ، وهيهات ذلك ، وهذه أبيات في مثل ذلك ،

اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أرهب خصماً ان بدا فيه

مامن سبيل الى اثبات معجزة في النظم الا بما أصبحت أبديه (٤)

---

(١) الشقاشق ج شقشقة بكسر الشين وهي لهاة البعير أو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه ، يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذلك ، خرست الشقاشق (٢) الراء هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رائه

(٣) يريد كتاب (دلائل الاعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم المعاني

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصريح أيضاً بأنه هو الواضع الفن

فما النظم في كلم أنت ناظمه — معنى سوى حكم إعراب تزجّيه (١)
اسم يرى وهو أصل للكلام فما — يتمّ من دونه قصد لمنشيه
وآخر هو يعطيك الزيادة في — ما أنت تثبته أو أنت تنفيه
تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ — تلقى له خبراً من بعد تثنيه
وفاعلٌ مسندٌ فعل تقدمه — إليه يكسبه وصفاً ويعطيه (٢)
هذان أصل ولا تأتيك فائدة — من منطق لم يكونا من مبانيه
وما يزيدك من بعد التمام فما — سلطت فعلاً عليه في تعديه
هذي قوانين يكفي من تتبعها — ما يشبه البحر فيضاً من نواحيه
فلست تأتي إلى باب لتعلمه — إلا اعترفت بعجز عن تقصّيه (٣)
هذا كذاك وإن كان الذين ترى — يرون أن المدى دانٍ لباغيه (٤)
ثم الذي هو قصدي أن يقال لهم — بما يجيب الفتى خصماً يماريه
تقول من أين أن لا نظم يشبهه — وليس من منطق في ذاك يحكيه
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى — حكم من النحو نمضي في توخّيه (٥)
لو نقّب الأرض باغٍ غير ذلك له — معنى وصعّد يعلو في ترقيه (٦)
ما عاد إلا بخسر في تطلبه — ولا رأى غير غيٍّ في تبغّيه (٧)
ونحن ما إن بثثنا الفكر ننظر في — أحكامه ونروّي في معانيه
كانت حقائق يلفى العلم مشتركاً — بها وكلاً تراه نافذاً فيه
فليس معرفة من دون معرفة — في كل ما أنت من باب تسمّيه
ترى تصرّفهم في الكل مطّرداً — يجرونه باقتدار في مجاريه
فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا — حتى غدا العجز يُهمي سيل واديه
قولوا وإلا فاصغوا للبيان تروا — كالصبح منبلجاً في عين رائيه

---

(١) تزجيه بالتشديد تدفعه برفق وتسوقه ومثله التخفيف (٢) يكسبه من الثلاثي ومنه الحديث «تكسب المعدوم» (٣) التقصي التتبع (٤) باغيه طالبه (٥) توخي الشيء تحريه وتعمد طلبه (٦) صعد بالتشديد رقي كالثلاثي وهو هنا مقابل التنقيب في الأرض الذي فيه معنى التسفل . ويقال صوّب النظر وصعده إذا نظر في أسفل الشيء وأعلاه . وعدّى نقب بنفسه حاذفاً الخافض ولعله كان يراه قياساً والمسموع تعديه بفي «فنقبوا في البلاد» (٧) تبغيه كابتغائه طلبه

وقد كان هذا الكتاب كالذي قبله كنزاً مخفياً فظفر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الديار المصرية بنسخة منه وكان عند الاستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي نسخة أخرى وكلاهما كان محرفاً ومبدلاً فعلم الاستاذ الامام ان في المدينة المنورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استنساخهما وصحح الكتاب هو والاستاذ الشنقيطي بمقابلة النسخ الاربع فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على تصحيحه أعلم علماء العصر في المعقول والمنقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجما، وأغزر علما، فهو يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة رفقاً بمجاوري الأزهر الذين سيكونون أكثر الناس اشتراكا فيه لأن الاستاذ الامام سيقرأه درساً في الأزهر الشريف. وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميرياً فمن أراد الاشتراك فليدفع الينا القيمة ويأخذ بها وصلا بامضائنا

باب الأخبار والآراء

﴿الاحتفال بتذكار محمد علي باشا﴾

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذه الامارة في مصر مائة عام هجري فاحتفل ديوان الاوقاف بذلك في جامع القلعة وكذلك احتفلت به مشيخة الأزهر في الجامع الأزهر، ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر الأمراء والسلاطين والظلمة من الحاكمين وهي البيوت التي اذن الله ان ترفع عن الحظوظ الدنيوية ويذكر فيها اسمه وحده تقرباً اليه وابتغاء مرضاته لا لذكر أمير ميت ولا لمرضاة أمير حي. فلماذا تنفق أوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور المنعمين كعابدين ورأس التين؟ فمحمد علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب في دين وانما أسس ملكاً عضوضاً بسفك الدماء والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال بذكره والإشادة بمجده في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة يعرفها جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يمدحهم التاريخ لان التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة ان يتملق الناس للامراء بمدحهم ومدح سلفهم وجعل سيئاتهم حسنات فانك ترى العالم الديني الا يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه وفسقه يقدس من وضع القانون باسمه وحكم فيه بأمره فمدح الامراء والسلاطين وأصحاب الجاه كثير كذب والمادح محل التهمة والمنتقد لهؤلاء أقرب الى العدل والانصاف وان احتمل ان يكون له هوى في بعض الاحوال وانما نقول في تاريخ محمد علي كلمة عادلة نرجو ان يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي

اذا ذكر الرجل باعماله فلمحمد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الاجانب فيها واحتلالهم اياها . و (٢) محاربة الدولة العثمانية واظهار ضعفها للبرية . و (٣) محاربة الوهابية وخضد شوكتهم وابطال امتداد دعوتهم . وكل عمل من هذه الاعمال محل نظر الناس من يمدحه له ومنهم من يذمه عليه وهم الاكثرون أو المحققون

أما الاول فالمكثرون لاعماله يتوسعون فيه ماشاؤا لأن المجال واسع أمامهم فيذكرون ازالة دولة المماليك الظالمة الغاشمة وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك على ان دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فان حكومته كانت ظالمة منذ أسست الى ان تولى الاوربيون السيطرة عليها فكان الظلم يقل كلما كثروا والبغي يضعف كلما قوي نفوذهم ولكن الحسن في ازالة دولة المماليك من وجهين احدهما ان الظلم كان مشوشاً وحكومة محمد علي وابنائه نظامه وكان متفرقا فوحدته وكان غير محدود فحدده وثانيهما ان نتيجة هذا النظام وهذه الوحدة هي تمهيد السبيل لدخول مدنية أوربا في مصر والاعمال انما تمدح وتذم بنتائجها وغاياتها والعاملون انما يمدحون بحسن القصد والنية وباتقان العمل فاما محمد علي فقد اتقن عمله ولكن قصده لايحمد في نظر الدين ولا في نظر الفضيلة وانما يحمد في نظر متاع الحياة الدنيا وزينتها لأن سيرته الملطخة بالدماء المحترمة تدل على انه لم يكن يقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده . وأما نتيجة عمله فهي كما قلنا دخول الأوربيين هذه البلاد ونشر مدنيتهم فيها والقاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانكليزي فمن يرى ان هذا خير وسيلة لنجاح البلاد وسعادتها فعليه أن يحمد عمل محمد علي وآل بيته مهما ظلموا في الاموال والاعراض لان الاصلاح الكبير ،

لا يأتي الا ببذل الثمن الكثير ، ومن يقول : ان مدنية أوروبا شر على البلاد ، وان الاصلاح الانكليزي بلاء عليها ووبال ، فالحكم على عمل محمد علي وذريته بالإفساد ويحفظ له سوء الذكر الى يوم التناد .

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار ضعفها فلو سألت عنه أيّ مسلم في أي قطر لأجابك بأنه كان أضر عمل عمله انسان على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج والٍ على مولاه وسلطانه وتلك أكبر الخيانات ، وأقبح الجنايات ، في الشرائع الالهية ، وفي القوانين البشرية . وفي نتيجته إضعاف وقهر لأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية ، فضعف بذلك الاسلام ، ولم تقم لأهله قائمة بعد ذلك الى الآن . ولكنك لا تعدم ثلاثة نفر او ثلاثين من الثلاثمائة المليون المسلمين يعتذر عن عمله أو يعده فضيلة ومحمدة ، فاشد هؤلاء المدافعين أفنا في الرأي وصغاراً في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن مرتاحة لاستقلاله ، فكانت تدس الدسائس لزلزاله ، أي انه انتقم لنفسه من دولته ، وحاربها لتمكين سلطته ، ومن الناس من يقول ان تلك الحرب كانت بمواطأة بين محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكنوا له في أرض مصر ليخرج على الدولة وانه كان غرضهم الأخذ على يد السلطان محمود وتخفيف سلطته الاستبدادية ومنعه من سفك الدماء ، وعزل العمال والوزراء ، بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فاكثر العامة أو كلهم يعتقدون انه كان خدمة للاسلام ، كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام ، أما الخواص فانهم يعلمون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح إسلامي لو تم لعاد للاسلام مجده الأول وأن الذي حرض محمد علي بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها كما هو مصرح به في بعض تواريخهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز من ان الوهابية خارجون عن السنة وملحقون باهل البدعة فسببه بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي مملوءة بالاكاذيب وانما مذهب القوم مذهب السلف في العقائد ومذهب الامام أحمد في الفروع ولهم تشديد عظيم على مخالف السنة . هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون أن هذا العمل الثالث هو اكبر سيئات محمد علي وانه به وبما سبقه كان اكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الاسلامية ﴾

كتب الينا العلامة العامل ، والسريّ الكامل ، محسن الملك بهادر سيد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في على كره) وكان القائم ... جزءاً رد الينا مما أرسل اليه منها في مدرسته ... فكتب الينا يقول بعد رسوم المخاطبة ما نصه:

« كانت ترد علينا في الاعوام الخالية مجلتكم المنار وكنا نقرأها ... لانزيد عليها ونستفيد من مقالاتها الشائقة العالية الدينية الاسلامية في الرد على المنكرات والبدع والتعاليم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً ... وبحسب ما لاح لنا من تآلف الاذواق وتوارد الخواطر بيننا وبينكم فانا أيضاً قد بذلنا جهدنا منذ عشرين عاما في ايقاظ المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى أضاعوا كل ما كان في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم هزؤا واما قاسحوه كأنهم قوم لا يعقلون . فأخذنا ندعوهم الى الانتباه من منامهم الذي سبب انحطاطهم لاجل تأخرهم عن الاقوام الذين كانوا شركاءهم في الوطنية بالمقالات المنشورة في الجرائد والمجلات ، والخطب والتصنيفات والتأليفات ، ... على الاعمال النافعة كتحصيل العلم حسب مقتضيات الزمان وتعلم اللغة الانكليزية (في الاصل اللسان) التي هي لغة حكامنا ... مع الاقبال على تحصيل العلوم الجديدة المفيدة ، والنظر في شؤونهم الاجتماعية ... وادخال الاصلاحات في اسلاميتهم من كل الوجوه .

« ولكننا نقول بأسف زائد ان جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ... كلها في لغتنا الاوردية . (وفي الاصل لساننا) التي ... في ... والا كان يودي أن نرسل اليكم بعض مؤلفاتنا . أما الآن فالمرجو ... تفضلوا وتواصلوا بارسال مجلتكم الغراء ولا تقطعوا عنا ارسالها .

« ونثني ثناء جميلا على غيرتكم الدينية وشغفكم بالاجتهاد في ... المسلمين وارجاع مجدهم ، وحثهم على أسباب التقدم المادية والمعنوية ... في مجلتكم من المقالات البديعة ... الاحجار ... تعرفون ما يناسب ذوقي من الكتب لأن ما وجدتم به تلذذكم بمطالعته فلا بد من انه يلذني أيضاً . فالرجاء أن ترسلوا الينا من أمثال تلك الكتب منها مصنفات حضرتكم ومصنفات حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده المصري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من الكتب المفيدة » الخ فنشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما يرضاه

الجزء الخامس — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

ننشر في هذا الباب مايعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

﴿ القضاء في الاسلام — النبذة الرابعة مابه القضاء ﴾

(تمهيد) أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها الاركان عظيمة ، وأصول قوية ؛ والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعي انه وجد في أمة من الأمم أساس اثبت من هذا الاساس وأركان أقوى من هذه الاركان فليدلنا على ذلك والا فليذعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهدُ رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه على صدره وقال: « الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في الأقضية والاجتهاد لاستبانة العدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل

(ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

---

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو يخطئه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فاذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولا في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يسددانه مانوى الحق فاذا نوى الجور على عمد وكلاه الى نفسه» . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل أن مراد الشرع منهما هو ما يعرفه الناس بالفطرة السليمة والعقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد لتهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفاءه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يارسول الله اذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى مالا يراه الغائب ؟ قال « بل الشاهد يرى مالا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لايحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

---

(٢٧) رواه الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده متهم(٢٨) رواه احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والافصح عبارة .

وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الامر العام بها في القرآن وستأتي شواهدها في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي باسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « لكن البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر »

(٣١ ح) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي واليمين على المدّعَى عليه »

(٣٢ ح) عن وائل بن حجرة قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يارسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يارسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال ليأكله ظلماً

---

(٢٩) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواه أحمد ومسلم (٣١) رواه الترمذي (٣٢) رواه مسلم والترمذي وصححه

ليلقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين) مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل مايبين الحق فهى أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين . ولا حجر في الاصطلاح مالم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحدا وهو مانحن فيه - لفظ البينة - فانها في كتاب الله اسم لكل مايبين الحق كما قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات» وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجال نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة » وقال « قل إني على بينة من ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناهم كتاباً فهم على بينات منه »[1] وقال : « أولم تأتهم بينة مافي الصحف الأولى » وهذا كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البتة

اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة » وقول عمر : البينة على المدعي . — وان كان هذا قد روي مرفوعاً — المراد به ألك مايبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظهر بدليله أبداً فيضيع حقوق الله وعباده ويعطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لافائدة في تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بيناتٍ) والباقون (بينةٍ)

لا يمكن جحده ودفعه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يعدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البينة والدلالة ويضيع حقا يعلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق معين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم علي بذلك شاهدان اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحينئذ أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة المغنية عن التفريط والعدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في التحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجيء بعدها ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضرَ أحدَكم الموتُ حينَ الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله «من غيركم» أيتها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده

«وهو سبحانه ذكر مايحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكام لايحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين ولا بالنكول ولا باليمين المردودة ولا بأيمان القسامة ولا بأيمان اللعان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه» . اه المراد منه وذكر بعده مااتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخليفتين(١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياه ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجد في القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم » . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لانها مبنية على ماذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلا . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجاهلين الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم لآن ضرب عن المشاورة

(٢) روى البيهقي عن ابن سيرين انه قال: إن كان عمر بن الخطاب ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . » وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهن للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال: خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمعناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضعيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روى الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي العوام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري: « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك [١] فانه لا ينفع تكلم

---

(١) أدلي اليك أي تخوصم اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

بحق لا نفاذ له . آس (٢) بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على المدعي واليمين
على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً . ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي اليه فان بينه (٣)
أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك أبلغ في العذر
وأجلى للعمى (٤) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه (٥) اليوم فراجعت فيه رأيك (٦)
وهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق (٧) فان الحق قديم لا يبطله (٨)
شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل (٩) والمسلمون عدول
بعضهم على بعض (١٠) الا مجرباً عليه شهادة زور او مجلودا في حد أو ظنينا في
ولاء أو قرابة (١١) فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود
الا بالبينات والأيمان . ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك (١٢) مما
ليس في قرآن ولا سنة . ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الامثال (١٣)
ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق . وإياك والغضب والقلق

الذي تحكم به بين الخصوم . وفي نسخة كنز العمال (اذا أدّي اليك) ولعلها تحريف

(٢) في نسخة كنز العمال (وآس) والمعنى ساو بينهم (٣) في نسخة كنز العمال «فان جاء ببينة» (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للعمى فكتب (للعلماء). (٥) في الكنز (قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (ان تراجع الحق) (٨) في الكنز (لايبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة (في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة الكنز مرفوعة . والظنين المتهم في شهادته للقرابة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشباه) وليس المراد انه يقيس على كلام غيره وانما ميزان القياس ماذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم (شك أبو عبيد) فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر[١٤] فمن خلصت نيته[١٥] في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شانه الله[١٦] فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا من كان خالصاً . فما ظنك بثواب عند الله[١٧] في عاجل رزقه وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله»[١٨]

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب فى اعلام الموقعين : « وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتى أحوج شيء اليه والى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولا . وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لاننا رأيناها أصح وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في الهامش وليس فيه شيء جوهري .

القسم العمومى

﴿ آثار محمد علي فى مصر ﴾

لغط الناس هذه الايام فى محمد علي وماله من الآثار فى مصر وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض فى ذلك والله أعلم ماذا بعث المادح على الاطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير انه لم يبحث باحث فى حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد اليه لو بقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ،

كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنساوي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الغربيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسما يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تنمو فيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وفروعه وتنزع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على مافي يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للوثوب وإما للدفاع . ولكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستمالتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم

حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخففوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهالين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسّ الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعظمت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى برسم الأمر ان قيدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

ثم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات المشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسما منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمد يده الى ما في يد الآخر أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من المماليك ما استطاع ليُمدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوِزُه مؤنتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم مايحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الامر مثل مالهم أو مايقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلو جاههم

ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد مايستطيع من قوة لحفظ مافي يده والتمكن من إخضاع غيره . أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — سعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شمماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية مهما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استعداد لأن تتكون منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرّف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنساوي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية الكامنة في البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في تقاريره التي كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطياد العربان لعساكره من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي لتدبيرها طوعاً لحكم الطبيعة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني وعاونه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنساويين من مصر ولا أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تنتظره البلاد من نوع حكومتها ؟ كانت تنتظر ان يشرق نور مدنية يضيئ لرؤساء الاحزاب طرقهم في سيرهم لبلوغ آمالهم وقد كان ذلك يكون لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا أن يختلطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسدله الجهل دونهم . أو كانت تنتظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى بعض ويؤلف منها أمة تحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقي بحكم التدريج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى

ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع ان يحيي ولكن استطاع أن يميت. كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الاحزاب على إعدام كل رأس من خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبحزب آخر على من كان معه أولا وأعانه على الخصم الزائل فيمحقه وهكذا حتى اذا سحقت الأحزاب القوية وجه عنايته الى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا) واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهالي وتكرر ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو نفاه مع بقية بدنه الى السودان فهلك فيه

أخذ يرفع الاسافل ويعليهم في البلاد والقرى كأنه كان يحن لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللئام ولم يبق في البلاد الا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أي وجه فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها اقطاعاً واحداً له ولأولاده على أثر اقطاعات كثيرة كانت لامراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكا غير تابع للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكاً من الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسأل عما يفعل ، وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي بحقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطنيّ غريباً في داره ، غير مطمئن في قراره ، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلاّن — ذلّ ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة وذلٌّ سامهم الأجنبي إياه ليصل الى مايريده منهم غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم عني بالطب لاجل الجيش والكشف على المجني عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع الظلم بمتهم . وبالهندسة لأجل الريّ حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير ، ليستغلّ أقطاعه الكبير ،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرنؤدية ؟ هل تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله أن يجعل للاهالي رأياً في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟ هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الارنؤد أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين يسميهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء وكانوا يحكمون بما يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الامير ، صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة ؟ أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومة أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرفيعة العماد الثابتة الاوتاد

أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يبثوا في البلاد ما استفادوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . وجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل . ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير . والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين ، وكان ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟ فان وجد أحد نابغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شئتم أحياء أو أمواتا

وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها ، وتخفيف ثقلها عنها ، فنثرتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدلنا على انها ترجمت برغبة بعض الرؤساء من الاوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توجد في البلاد قراء ولا منتفعين بتلك الكتب والفنون

كانوا يتخطفون تلامذة المدارس من الطرق وافناء القرى (الأفناء الناس المجهولون) كما يتخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش

حمل الأهالي على الزراعة ولكن ليأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأطيان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين العمل

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساتذة يحفظون علوم الصنعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بغّض الى المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانو يتربصون يوما لا يعاقبون فيه على هجر المعمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لاعنين الساعة التي جاءت بهم اليه .

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك ، وأنشأ الاأسطولاً ضخما تثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الامصار . فهل علم المصريين حبّ التجنّد وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحبّبَ اليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الافتخار بها؟ لا بل علّمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم المماليك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرّر مصر لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري مصري بعظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش بلدي أو أسطوله ؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري يعد ذلك الجيش وتلك القوة عوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يعدها كل عثمانيّ في مصر أو في غير مصر . ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب الجندية الى رتبة البكباشي على الاقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الا أسوأ الأثر — أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندثرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاخماد ثورة عرابي . دخل الانكليز مصر بأسهل ما يدخل به داخل على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضدّ ما رأيناه عند دخول الفرنساويين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه بنية من الدين . أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي؟ دين التحصيل . دين الكرباج .

دين من لا دين له الا ما يهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحـة للدين الاسلامي الجليل ؟ لا يذكرون الا مسألة الوهابيـة وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا الدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دماءهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضة تبعها جراءة محمد علي على سلطانه العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

ثم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزنامة لا يساوي جزأ من الالف من ايرادها . وأخذ من أوقاف الجامع الازهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لا تقـل عن نصف مليون جنيه في السـنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجـلاسهم على الموائد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحـال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليـه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعـد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هـذا الرجـل كان تاجراً زارعاً وجنديا باسلاً ومستبدا ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً ، ولحياتها الحقيقية معـدما. وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متعنا الله بخيره وحمانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المنعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السعيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المـال اللازم للتدرج في العلوم حتى للسياحات البحرية والقطبية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات الماليـة جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤن العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونهلست وسوسيالست) كلها تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنويا فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله . ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشريعة الاسلامية هي أول شريعة ساقت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه فنّ الاقتصاد المالي الافرادي والسياسي

ويخيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطباؤهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض للشؤون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جبنهم بجعلهم التحدث في الأمور العامة والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدهم أحيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه كأنه خلق امة وحده وسيموت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية وان لهما عليه مثلها ذاهلا عن انه مدني بالطبع لا يعيش الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة انه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تفطرت الجياد أكثر من لحظة ولا اقول لمازاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الأثر لان المراد بأولئك الناس اهل ذلك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الأمم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى ٠

(١) منها تخصيصهم يوماً في الأسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنعقد الندوات فيتباثون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الأعمال لأعاظم رجالهم الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(٣) ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وأبداء التظاهرات

(٤) ومنها إيجادهم المتنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق للاجتماعات ٠

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها أكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية المفصلة المدعمة بالعلل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية ٠

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر ٠

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة ٠

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية ٠

(١٠) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حمية وحماسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً ٠

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعبدية بسيطة والحال أن حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور ٠ (مرحى) ٠

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين او فقوا بينها وبين أهوائهم فماذا يرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الامير لتقبل العامة أيديهم ويحقرون أنفسهم للعظماء، ليتعاظموا على الوف من الضعفاء اكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لايحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لايراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاملين الذين فيهم نوع غلظة لابدّ منها وانما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية. (مرحى)

فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحط من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجههم لاحترام العلماء العاملين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يعتنوا بالوسائل الاينة لتنقيت عقول العلماء العاملين لان العلم رافع للجهل فقط ولايفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تنعقد (الامامة) شرعاً الا بهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشراف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاذ في آراء امراء العشائر العربية اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايبرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤن الامة ٠

واذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالا لامر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى أنه ترك الخلافة لمجرد رأي الامة ٠

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى انه أخذ رأي سراة الصحابه فيمن استخلف. ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الاول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلها ٠ وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية فانتظمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله ساءت الحال حتى فقدوا الملك ٠

وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي ٠

فاذا تقرر هذا علمنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عتوًّا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلا وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الاكثر فقد امسوا لاعلماء هداة ولا سراة اباة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين ينجبون من أية طبقة كانت من الامة وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء٠

فأجاب (العالم النجدى) ان شؤن السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكماء في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين حنيفاً خفيفاً لم يفسده التفنن والتشديد ومع ذلك نرى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء ٠

ثم قال اني أجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وماجاء الخفاء الا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما مابينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين به لابالنظر الى مانقرره وباعتبار مانفعله لا باعتبار مانقوله ليس هو الدين الذي تميزبه أسلافنا مئين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغيير غيرت نظامه ٠

وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وايتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام ٠ وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقاليدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعي علم الغيب والتصرف في المقدور ٠

وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق باصول الدين وبعضها باصل الاصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ــ مرحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وها نحن أولا نجد أكثر الامم الحية التي نغبطها قد طرأ على دينها التغيير والتبديل في الاصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم أنهم ما اخذوا في الترقي الا بعد عزلهم شؤن الدين عن شؤن الحياة وجعلهم الدين امراً يتعلق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجاريه على نواميس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافيكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجاريه او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لااخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين ٠

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه لان مبانيه هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتزاحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب الغايات

وحب الرئاسة و حرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضر لا يلطفها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اي معرفة الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها «فألهمها فجورها وتقواها» (مرحى)،

ولا ريب في ان هذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأفضل وازع يعدل سائر نواميسه المضرة ويخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى)

وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً ويوجد ان كل دين كان في اوله باثاً في أهله النظام والنشاط وراقياً بهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصلين اثنين (الاشراك بالله، والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلاً بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتفنى بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى. أو يتدارك الله تلك الامة بعناية بالغة فيبعث لهم رسولاً يجدد دينهم أو يخلق فيهم أنبياء او حكماء يصلحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامم الماضية كعاد وثمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى)

ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية في القرون الاخيرة نجدها عند اكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق الخلاص منه ان كنا راشدين

أعني بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتى استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفي والجلي عن يمينها وشمالها فامست محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من الغيّ وعندي

ان هذه الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) (مرحي)

وأنتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك الكم بوجه التفصيل

قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجراثيمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج اوكاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول ان نستبحث في ما هي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير أخينا العالم النجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات وسنن الله في مسراها واسباب طوارئ التغيير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق ويحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم النجدي ان يتكرم باعادة ماقرره بصورة مفصلة في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اه

باب التربية والتعليم

النبذة الثالثة من جريدة اراسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمهما معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصبية التي القتها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطلبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من أثبات امر يتعلق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لما التقطناها و آويناها الى بيتنا محلا لجميع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع ظرافتها مكسالاً وانانةً قليلة العناية بشأنها وان كان لا بد من التصريح قلت انها كانت كثيرة الوساخة وكان هذا الاغفال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفنج والتدلل من موجبات دهش هيلانه وحزنها ولم ينجع في الكسر من زهوها والطامنة من صلفها ما اتخذته لذلك من العظات

(١) معرب من باب تربيه اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

وضروب التوبيخ وانواع الايلام الخفيفة ولما كان فيها من حدة المزاج والتهيج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا تبدي ادنى اشياء التعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاخفق مسعاها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذى لايدرى اى جنية خبيثة من جنيات البيرو رمتها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه « أميل »

ذلك لان ميل (لولا) الى ان تصحبه وان تتحامى ضروب سخريته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً في ارادتها من جميع عظاتنا ونصائحنا

كان هذا أول سلطان (لأميل) على قلبها وهى لاخطر فيه في سنهما

من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أما من جهته فاشتدة زهوه وفخره بماله من التقدم عليها في علومه القليلة وأما من جهتها فافتخارها ورغبتها في منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود بالفائدة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن وأتقن منه منفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجتهدت في التبريز عليه في ميدان المطاولة

أرى ان هذه الصحبة تفيدهما في اخلاقهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

---

(١) يلمح المؤلف بقوله « هذه الحسناء ناعسة الغابة » الى اسطورة من اساطير الكاتب الفرنساوي شارل بيرولت المسماة حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالعقم مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجعلاها في كفالة سبع جنيات وأولما لهن وليمة أعدا فيها لكل واحدة منهن صحفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقه وشوكة وسكين من الذهب أيضا وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز ثامنة لم يكن حضورها في الحساب فقدمت لها صحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسيء هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منح المولودة صفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستخرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التي كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يغشاها النعاس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلا في يد عجوز فتناولته فخرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها في غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من العيوب ولايبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعييره اياها لذلك ترى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيهـا من النقائص وهي أيضاً لا تقصر في ان تكيل له الصاع بمثله بدون أن يكون في هذه المشاغبات الخفيفة ما يكدر صفو مودتهما الشريفة في شيء وكأني بقائل يقول ان هذه المزايا بعينها توجـد في معاشرة الأخ لأخته ووجودها معاً فاجيبه بأني في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .

زرت فيما مضى مدرسة للصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي كن متصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الغلمان سنة أو سنتين ولم يكن الغلمان أنفسهم بارعين في التقدم والنجاح فخطر في بال القائمين على المدرسـة ان يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محمودة فانه لم يمض الايسير من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً لانزاع فيـه ذلك لان التجاذب الذي هو خلق فطري في الذكر والانثى والطمع الذى هاج في نفوس الغلمان وجود منافسات زاهيات بانفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهروا في أعينهن ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاولين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت

لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجـة المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت وجيهة سديدة ولكن لا بد ان نجيب هؤلاء المعارضين بانه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسـة وافنيتها والرياضات المدرسـية بالحكمة والتدبير يجنب كثيراً من المضار التي يخشى منها على الآداب والاخلاق

على ان العمل العقلي انما جعـل لتذليل الغرائز والشهوات الخبيثة وقمعها لا لتنبيهها وتقويتها واني خلافاً لاولئك المعارضين ارى ان في التفريق الكلي بين الصنفين خطراً على الفضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء والنفاق لا يكون منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال للتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يلبث ان يظهر فيها وان كثرة بث روح الحذر في أطهر المعاملات واعفها توقظ في اليافعين

ما هو شر من شهواتهم وتظهر ما يكون كامنا من أشواقهم فينبغي ان تزال هذه الحدود المادية ويمتاض منها بحدود الله التي فطرهم عليها وجعلها في نفوسهم سياجاً لما فرضه عليهم

لا أريد مما تقدم ان الذكر والانثى في التربية سيان يصلح لاحدهما كل ما يصلح للآخر كلا بل ان كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والفروض والغرض المخلوقين من أجله . على اننا نرى النابغين والنابغات من الصنفين يتكافؤن ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والفنون الجميلة والشعر فالاجدر بنا ان نفكر باعداد الازدواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما اوتيه الذكر من حصافة الجنان فان في ذلك لذة حياة الصنفين . وان تربية شطري النوع الانساني منعزلين كأنهما لا يشتركان في شيء مما خلقا لاجله تعجيلا بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم الصبية الى الصبي وتفهيمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والكدح في سبيل الخير والعدل والحق فهو اكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق

وتنتهي كل حال بتنظيم «لولا» و«أميل» معاً الى ان يقضي الحال التفريق اني لارجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلي . اه

﴿ قوانين التعليم الرسمي ﴾

النبذة الثالثة في تعليم البنات

ان المغامز العشرة التي ذكرناها في النبذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد فاتنا التنبيه على مغمز آخر عظيم وهو

(١١) لم يرد في قانون التعليم مايدل على أن البنات يعلمن مايختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الاحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يتأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن عالمات بأمور الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لايزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالاتفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين ، فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلا فعليها أن توافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممداً لها ومساعداً عليها ، ونظارة المعارف لاتخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تقصيرها في تعليم الدين واهمالها لتربيته

وان تعجب فعجبٌ أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الاسلامية من كبار الموظفين المسلمين ، فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعاب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والانثناء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغني في تعليمه عن اللمس والجس وربما سمع ذلك الجث فراع الامر بعض المسلمين الذين لم يفقدوا نعرة الدين فاحتالوا في تبليغ ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يفد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه مارأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكرْ خبر (مسز جريفيثس) الناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوربز) التي عزلت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من انبتت أرض الانكليز تربية وحرية وفضيلة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء ، اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء ، ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تلزم جميع البنات في

مدارسها بتعليم الديانة الاسلامية والتربية عليها عملا ٠ قالت : ان تعليما بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح ان يكون في مدرسة واحده دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثر أهالي البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية ٠ ومن آثارها تقنيع البنات ، وكنّ قبلها في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بأن كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب طلبها ٠ فطلب هذه الناظرة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدى « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تغن شيئاً بل لم يطلع عليها الاحد في المدرسة حتى استبدلت بها الناظرة فوربز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نقم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء سيرة الناظرة التي خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا الناظرة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادنة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة ٠ ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى الناظرة والمفتش أن يستقيلا معاً وايعازه حكم لا يرد ٠ نعم كان من سوء سيرة هذه الناظرة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عز العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعليما وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعليم البنات ٠ فكانت استقالتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالمحتلين وكانت الجرائد كالاهالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقبطية والسوريه الا المستر هوتن وناظرة المدرسة السفية

عدّ هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الا حَدَثُ السياسة المشهور بالخَطَل في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل الناظرة والمفتش دليلا على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لوكاً خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الانظار ولكن كلامه لا اثر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الخرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصلحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف فانها لا تزال مثار سوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعلم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه . وأخيراً رأى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتاتيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدونه من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافأ عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تقن عنها « الضمانات الخمس » شيئاً بل لا رأي في هذا القانون « الضمانات » فعسى ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه الثناء الجميل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهن فالامة تطلب والعدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد ولكن قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتقصير في التعليم فالى ذلك نوجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

باب الأخبار والآراء

﴿ مستقبل الحجاز ، وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعثماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرفيق باشا) حملة منكرة عدّ له فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدّ عليه أيضاً ما يعد له فكان بذلك متهماً بالغرض أو الجهل وقلما تجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه باغراء الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لا نلوم الكاتب على التطويل بذمه وتقده وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من امارة مكة المكرمة .

ومن غلو الكاتب المنكر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال الا في الله تبارك وتعالى كقوله « فاليك يتوسل المسلمون . وبك يستغيث المؤمنون ، ياغياث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وانه لكلام تقشعر من توجيهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . واذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك انه كاذب فيما كتب فالذي يجعل السلطان الهاً اتباعاً لهواه لايبعد ان يجعل الشريف شيطاناً اتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الاطراء وأقره

ولولا ان الطاعنين في هذا الأمير كثيرون لما حفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريد سنغافور اسمها « تصحيح الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب الينا يومئذ انها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم « حتى ان بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد ارسلت هذه الرسالة يومئذ الى الحضرة السلطانية ويظهر ان ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لايفعل فعلة الا باذن السلطان ومرضاته لينفرهم منه فاذا ثبت هذا السلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل اليه والياً حازماً يغل يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون ان السلطان يجب أن يكون الشريف ظالماً غاشماً ليعلم المسلمون في جميع أقطار الارض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشراف العرب

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصيح لزيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب الى أمنا حواء عليها السلام .

ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عدّ هذه الاعمال ذنباً لا يغفر أن يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطمس القبور المشرفة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال الى مثلها

أخرج الامام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في ...

عن أبي الهياج الاسدي عن علي رضي الله عنه انه قال « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سوّيته » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما رجح أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه حرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليًّا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعل ذلك كما سيأتي وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الاسلام . منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدّوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة انهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالاصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا تجد من يغضب لله ويغتار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد توارد الينا من الاخبار ما لا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين اضرّ عليه من عبادة غير الله ؟ وأيّ مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأيّ منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجباً ؟ » اه ثم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها اضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناه بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين فشا فيهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم لضعف ارادتهم وانحلال عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

واخرج احمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر انه قال: « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجصيص الطلاء بالجص وهو الكلس والجير والنهي حقيقة في التحريم .

واخرج احمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنصارى

وأخرج أحمد وأصحاب السنن الا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عدّ العلماء اللعن من علامة كون المعصية من الكبائر وما كان كذلك تجب ازالته . فاذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا المنكر عملا بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرته على ذلك نعده عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونخاطب السلطان بما لا يخاطب به الا الله عز وجل لاجل التنكيل به ؟؟ لقد انقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب ان يخوض فيه الا اذا عرف ماورد من الاخبار النبوية فيه وأخذ حظًا من علم طبائع الأمم وسنلمّ بشيء من ذلك ان شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبب ومساجد القبور اننا ننتصر للشريف على كل حال فاننا كنا اول من وجه أنظار مولانا السلطان أيد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعدمه والظلم في الحرم وفصل مايجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور

(وفاة الشيخ أحمد الحيتبكير) نعى الينا بريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته الملية من قصائده التي نشرت في المنار مما كان ينشد في جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في بومبي في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزّى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر . فنسأل الله أن يحسن عزاء أخيها وأنجالها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدة الفاضل النبيل احمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمأتم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جنائز الكبراء والامراء ألوان البدع كحملة مجامر الفضة وصحافها الملأى بالرياحين وكطغمة الخدم المؤتزرة بأزر الحرير وكزعنفة الصائحين بالاشعار والادعية والصلوات وغير ذلك ، ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وان كثيراً من أهل الفضل ليودون ابطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لاتقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء اذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت نفراً من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحوه مما أشرنا اليه آنفاً فاجابه آخر بأن هذا هو السنة فحمدت الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف اهلهما فكما نعزي صديقنا الكامل احمد بك تيمور في مصابيه نهنئه بما وفق له من اقامة السنة وخذل البدعة ونسأل الله ان يجعله قدوة حسنة لامثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات ، في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به الا حدث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعيّرنا بلقب (الدخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفراعنة وقد أمرنا الله بالاعراض عن مثله ، ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسيني وأمنا حسنية ، وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية ، وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعداد لثورة كالثورة العرابية فهو مما لايفهم لأن الثورة لا تكون الا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر الا للمحتلين فان كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نثور عليهم فاننا نستحق من سادة الحدث الثناء لاالذم وان كان يعني أننا نثور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصلين به

(تصحيح) في السطر ٨ من الصفحة ١٧٠ كلمة رجال وصوابها (رجالاً) فلتصحح

(شروط الواقفين ، وعدم التعبد بكلام غير المعصومين)

جرى على الالسنة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت فى « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع وللواقف وقوفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحثاً نفيساً فى هذا الموضوع للامام الحافظ الفقيه ابن القيم فى كتابه (اعلام الموقعين)أحببت ان أنشره فى المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ تبتدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية فى مسائل خالفوا فيها النص أو خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة ان لايخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لايتزوج عليها ولا يتسرى فهو شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت فى المهر تأجيلا أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط . فأين المقصود الذى لها فى الشروط الاولى الى المقصود الذى لها فى هذا الشرط ؟ وأين فواته الى فواته ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزا شمطاء قبيحة المنظر انه لا فسخ لاحدهما بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بفواته قبل الدخول فان استوفى المعقود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم فات الصداق جميعه ولم تظفر منه بحبة واحدة فلا فسخ لها . وقسّم الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لايودها ولا ينفق عليها ولا يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس الذى فرقت الشريعة بين ماهو أحق بالوفاء منه وبين مالا يجوز الوفاء به وجمع بين مافرق القياس والشرع بينهما وألحق أحدهما بالآخر . وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التى يستحل بها الزوج

امرأته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الاطلاق فجعلتموها أتم دون سائر الشروط وأحقها بعدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية مالم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذي شرط الصلاة فيه وان كان (المصلى) وحده والى جانبه المسجد الاعظم وجماعة المسلمين . وقد ألغى الشارع هذا الشرط في النذر الذي هو قربة محضة وطاعة فلا تتعين عنده بقعة عينها الناذر للصلاة الا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر في نذره تعيينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب الى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتعيين الصلاة في مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لايجب الوفاء به في النذر ولا يصح اشتراطه في الوقف

« فان قلتم : الواقف لم يخرج ماله الا على وجه معين فلزم اتباع ماعينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القربة والقرب متساوية في المساجد غير الثلاثة فتعيين بعضها لغو . قيل فهذا الفرق بعينه يوجب عليكم الغاء مالا قربة فيه من شروط الواقفين واعتبار مافيه قربة فان الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب الى الله فتقربه بوقفه كتقربه بنذره فان العاقل لايبذل ماله الا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه الى الله . وأما بعد مماته فانما يبذله فيما يظن انه تقرب الى الله . ولو قيل

له ان هـذا المصرف لاقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان العاقل اذا قيل له اذا بذلت مالك فى مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار مافيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا لا أجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع . مضادٌ له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط العزوبيّة مثلا وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعا لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذى قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ،

« يوضحه أنه لو شرط فى وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، كان شرطًا باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو المعالي الجويني ـ هو امام الحرمين رضي الله عنه ـ : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هـذا مع ان وصف الغنى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هـذا الشرط ويصح الترهب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية فى الاسلام » . يوضحه ان من شرط التعزب فانما قصد ان تركه (١) افضل واحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة (٢)

---

(١) كذا في الأصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر فى الجملة ولعله سقط من النساخ

(٢) يريد الذين أرادو ترك التزوج كعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه

هو قصد هؤلاء الذين نهي عنه بعينه سواء فانهم قصدوا الترفية (٣) انفسهم على العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقربا الى الله بتركه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا في غاية الظهور فكيف يحل الالزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحتمله الشريعة بوجه (٤)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطا باطلا مردودا ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجنف (وفي نسخة الحائف وكلاهما بمعنى الجائر) في وصيته والاثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قربة وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد ان يقبله ويعتبره ويصححه

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي انما أخرج الواقف ماله لمن قام بها وان لم تكن قربة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم الى الله

---

(٣) فسره الترفية في هامش الاصل بالتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف على تشريف القبور وبناء القبب والمساجد عليها وعلى ايقاد السرج والشموع عليها وذلك من المحرمات التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلها فيجب على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم او مكروه وان لا يقبل منه وان يدله على أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الامة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط التي انما بذلت المرأة بضعها للزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من العجب العجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع ، ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونعتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا ، وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثيم من أخل بشيء منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ما خالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ، فشرط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال ، فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والعزب حظا وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد العفاف ، وصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقالوا نعطيه مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نعينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحل مخالفته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان بارّا مثابا قائما بالواجب عليه؟

« يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود العقد فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التى صححها النص والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا يتزوج عليها ودلت السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم يخالف مقتضى العقد وصححتم الشروط المخالفة لمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قربة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط ما يخالف القربة يناقضه مناقضة صريحة فاذا شرط عليه الصلاة في مكان لا يصلي فيه الا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فعدوله عن الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتعداه الى مكان أقل جماعة وانقص فضيلة وأقل أجرا اتباعا لشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق

« يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منعتم فعلها في بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

يتناول الوقف والا كان تناوله حراما كانتم قد الزمتموه بترك الاحب الى الله الا نفع للعبد والعدول الى بعض المفضول والمنهي عنه (أي كالصلاة الى القبور او بقربها) مع مخالفته لقصد الشارع تفصيلا وقصد الواقف إجمالا فانه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان فى ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده فى نفسه أولا

« ثم لايمكنكم طرد ذلك أبدا فانه لو شرط ان يصلي وحده حتى لايخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لايشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء ان لا يجاهدوا فى سبيل الله ولا يصوموا تطوعا ولا يصلوا النوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها فعمل النكاح افضل من بعضها أو مساوله في أصل القربة وفعل الصلاة فى المسجد الاعظم العتيق الاكثر جماعة أفضل وذكر الله وقراءة القرآن فى المسجد أفضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المفضولة وتبطلون ذلك ؟ فما هو الفارق بين مايصح من الشروط ومالا يصح ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزب فأبحتم له التزوج فطالبته الزوجة بحقها من المبيت وطالبتموه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجبه الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع مافيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الايواء المطلوب من النكاح ؟ ام ماشرطه الواقف وتجعلون شرطه أحق والوفاء به الزم ؟ أم تمنعونه من النكاح والشارع والواقف لم يمنعاه منه ؟

فالقول ان مبيته عند أهله ان كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب فلا نص ولا قياس ولا مصلحة الواقف ولا الموقوف عليه ولا مرضاة لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف الذي يبين انه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق بعضه بعضا ولا يخالف بعضه بعضاً وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسئلة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤن المسلمين فلو احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقائهم ولكنهم يعتذرون بشروط الواقفين التي تعبدنا بها بعض الفقهاء وانما يعتذرون عن صرف الاوقاف في الوجوه الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شئ منها وثبوا عليه والتهموه التهاماً من غير نظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل الطبقة العليا في علوم المسلمين في أعظم معهد للعلم الاسلامي ، يأكل الاغنياء حقوق الفقراء ويهضم الكبار ما وقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجئ يوم تزول فيه سلطة الظالمين ، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ، أو تقع في سلطة المتغلبين ، اذا دمنا على هذا الجمود المبين ، والعاقبة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م م في مصر : ما حكم الله في قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله تعالى على قوم من العرب وبمحضر العلماء الذين لا يعرفون الا اللغة لغتهم

كما يجرى ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وان تفضل السيد فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس

(ج) يشبه ان يكون هذا من اللغو الذي لايعني ولايفيد لانه لايفهم وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » وقوله عز وجل « والذين هم عن اللغو معرضون » وقوله جل ذكره في وصف عباده « واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما » .

واخرج احمد وابو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمّرهما فانه لاينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي » ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحلق (جمع حلقة) يوم الجمعة قبل الصلاة كما في حديث أحمد وأصحاب السنن الاربعة . وقراء قصة المولد يتحلقون في قبلة المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك ان ذلك يلهي المصلي ولا فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً . وقد نهى الفقهاء عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الشريف والعلم النافع اذا كان يشغل المصلي . فما بالك بمن يرطن بالتركية على قوم لايفهمون منها شيئاً ؟

أما أصل ذلك في السياسة فهو ان أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الاسلام ليوهموا عامة المسلمين بأنهم قائمون باقامة الدين واحياء شعائره وأن رياستهم الدينية هي بحق . ولما حكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وانما على هذه

ان تمتلد دينه وإحياء الشعائر الاسلامية . وأعجب من هذا ان نحو اللغة العربية وصرفها يعلمان في مدارس الدولة العثمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأروام معلما للدين في بعض مدارس سوريا الاميرية كأنهم لم يجدوا مسلما يحسن تعليم الديانة الاسلامية بالتركية . فالأصل في هذه السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة ما عداها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في عمان والكرك دينهم وليس في المعلمين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بداوتهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدبره فلما هموا بذلك صدمهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضئ وما رضوا حيلهم في ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود او مسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اه

(ج) مسئلة مس المحدث المصحف خلافية بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتعبد ان يختار قول من قال بوجوب الطهارة من الحدث الاكبر للقراءة ومن الحدثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

وضوء لحفظه حينئذ هو الأحوط والافضل . ونشير الى الخلاف فى المسئلة وادلته بالايجاز فنقول

اما قوله تعالى « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الاّ المطهرون » فقد فسروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صفة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة . اولا يمس القرآن الاّ المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر » اه وتفسير المطهرين بالملائكة مروي عن ابن عباس وقتادة. وأما حديث « لا يمس القرآن الاطاهر » فهو ضعيف لايحتج به وكذلك حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيهما النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروي عن ابن عباس والشعبي والضحاك وداود جواز مس المصحف للمحدث حدثا اصغر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتى قيل انه لم يخالف فيه من الائمة الاداود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل

وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بعموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه وبالبراءة الأصلية حتى يصح مايصلح لتخصيص هذا العموم والنقل عن هذه البراءة . اه ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بحملهم المصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالاكل من الشجرة (س ٤) الشيخ محمد محمد عياد الطنطاوي بالأزهر: أرجو حضرتكم أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام في معصية آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من العقائد في (ج ٣ : ٥)

والظلم أعم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفراً فمن قصر في فضيلة أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة الفضيلة وفائدة العمل فقوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » لاينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم باقطع أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لايمنع أن يلم غير الكافرين بنوع آخر من أنواعه الخفيفة . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » بالصغيرة وأنت ترى ان هذا ذنب تتناوله المغفرة . والشرك ظلم عظيم و « ان الله لايغفر ان يشرك به »

إمهار الذمية قرآنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندريه : اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟

(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لانه نور وهدى للناس وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوّج رجلا فقيراً امرأة فوضت أمرها اليه بما معه من القرآن ولفظ العقد « زوجتكها بما معك من القرآن » وكان سأله عنه فبين له السور التي يحفظها وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعليم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية والراجح ان ذلك في وقائع متعدده فثبت بالسنة ان تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً وعليه الجماهير الا الحنفية ، ولم أر من استثنى الذمية في هذا المقام ولا من ذكرها فيه وأنت تعلم ان القرآن أفضل ما يدعى به الى الدين وأكبر المنافع ولا شك ان رضاء هذه الذمية بتعلم شيء من القرآن انما هو لاعتقادها ان فيه منفعة لها ، ولكن الذي منعوه هو تمليك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهانته ، ومن أراد الاحتياط وموافقة الجميع فليضف الى التعليم قليلا من المال ، هذا ماظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

(الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى — الدين والإسلام والشرك والتصوف)

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرئ الضبط السابق حسب العادة وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم النجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملالهم بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لابد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لاتكيف تتصرف في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ الطبيعة والراشدون من الناس مهتدون الى ان هذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بلفظ (الله) ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور ووصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسبما يصادفهم من التلقي عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول البشرية مهما كانت واسعة قوية لاتسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية واللامثال واللازمان واللامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ماوراء العقل وهذا لايقال في الضالين أنهم منحطون عقلا عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين والحاضرين أسمى عقلا بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان البارئ تعالى قدر اللطف ببعض عباده واراد اقامة الحجة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فصاروا هداة للناس وهم (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس مقام المشرعين وأتوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عند طلب ذلك منهم (١) أن مخاطبيهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فآمن بهم من آمن أي شهدوا لهم بالرسالة واتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

---

(١) المنار — هكذا فسر التحدي هنا والمعروف في علم الكلام ان التحدي طلب المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقي فأتوا بمثلها أو فآمنوا

بهذه مقدمة اولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معاشر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقناه بانه رسول الله الى العالمين كافة مصححاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى مايكلف الله به عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً بلّغ رسالة ربه لم يترك ولم يكتم منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع اكمالا لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محظور علينا ان نزيد على ما بلغنا اياه رسول الله أو ننقص منه او نتصرف فيه بعقولنا بل يحتم علينا أن نتبع ماجاء به الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول اوفعله أو أقرّه وما اجمع عليه الصحابة ان أدركنا حكمة ذلك التشريع اولم نقدر على ادراكها وان نترك مايتشابه علينا من القرآن (يريد نفوض فيه) فنقول « آمنا به كلٌّ من عند ربّنا : وما يعلم تأويله الا الله »

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية نتصرف بها كما نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس او الغير والرأفة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع والكسب بتبادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .

منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى الرسل وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه . هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس ووثنيو الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وانْ من شيء الا يسبح بحمده » بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤون العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يجلّونه عن تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة وجن وأرواح و... روحيوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنواميس الكونية

من افلاك وطبائع وتخيلات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً أو منعاً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب

وتوهمهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الأمور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والأعوان واستمالتهم بالبطانة والحاشية وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قررناه من ان آفة البشر الشرك الذي أوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جلت حكمته أن يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك وينتاشونهم من وهدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده وبذلك تتم حجته عليهم ويملكون حريتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقاء أذلاء لأتفه شيء من أرواح وأجسام وأوهام ، فثمرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وثمرة الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتنيله سعادة الدارين

« قتل الانسان ما أكفره » أو قبح ما أجهله ، لا يهتدى الى التوحيد الا بجهد عظيم ويندفع أو ينقاد بسرعة الى الشرك فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتتقى في غير الله أو تسماً لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض والسماء آلهة غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة رمل — لفسدتا

فالناس سريعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسمائهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » والله صادق الوعد نافذ الحكم ، وفي الواقع وبالضرورة والطبع لا معيشة أشد ضنكاً من معيشة المشركين

الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا [illegible] فقال « [illegible] شركاء [illegible] »

وقال « ولا يظلم ربك أحداً » وهذا زيد بن عمرو بن نفيل أحد [illegible]

من الشرك فقال من أبياته :

أرباً واحداً أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعاً ... كذلك يفعل الرجل الخبير

ومثل [illegible] الأدبية في الموحدين والمشركين كمثل [illegible] لكل [illegible] ويتخذ قانوناً واحداً ولا يصغي لساع ولا شفيع ولا يشاوره في [illegible] أحد . وبلد آخر سلطانه حيوان مغلوب على أمره [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] عن أتباعهم [illegible]

[illegible] والشفعاء وهذا المثال الأعلى [illegible]

[illegible] كما قال تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك [illegible] »

[illegible]

[illegible]

[illegible] وما [illegible]

ثم أقول : [illegible] الله [illegible]

كتابه [illegible] أن يعرف [illegible] مدلول [illegible] إيمان وإسلام وعبادة [illegible] وشرك) في اللغة العربية التي هي [illegible] « إنا جعلناه قرآناً عربياً » وقال تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » [illegible] هذه الألفاظ وأراد أن [illegible] لا يتعدى حدود [illegible] حينئذ عنده ما هو مراد الله بالشرك الذي لا [illegible] أشفق وخاف علينا نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك » (١)

ومن يبحث عما ذكر من الألفاظ يجد أن أهل اللغة مجمعون على أن المدلول للفظ (الإيمان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض (٢) وللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

---

(١) المنار — الحديث رواه ابن ماجه عن شداد بن اوس ولفظه « إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما إني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية » رواه أحمد والبيهقي بلفظ آخر . (٢) ما فسر

[illegible] (التوحيد) [illegible] واحد وإذا أضيف إلى الله فيراد به نفي الأنداد والشركاء [illegible]. ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى معناهما المتفرد الذي لا نظير له أو ليس معه غيره ، وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا الاشراك بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الانواع الثلاث نجد مظنة (الاشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما يصفون أفنى أو يفني بعض الاشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتعريف حتى عند أساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحى)

أما مظنات (الاشراك في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين تستبد ببعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه دَرَك البر أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق انه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلت شؤونه ، وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الاول) كون غير الاحدية والخالقية ونحوهما من الصفات الخاصة بالله تعالى [illegible] مشتركة [illegible] العلماء الراشدين تمييز الحد الفاصل بين مراتبها في المخلوقين وبين مراتبها الخاصة به تعالى

(الثاني) ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور الى الملائكة واستجابة

بالإيمان هو معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على انه سقط من الأصل تقسيم الايمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره تفسيراً للإيمان . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال العرب يدل على انهم لا يسمون كل تذلل وخضوع عبادة وانما يخصون العبادة بالخضوع الناشئ عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراء الأسباب المادية

دعاء المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومطية سريعة السير لا يلوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قاسى الرسل اولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراك مُعَظَّمِيهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والعزائم في إرجاع الناس الى حد الاعتدال وشددوا النكير على إطراء الناس إياهم وحذَّروا وأنذروا من مقاربة مظانّ الشرك حتى الخفيّ الذي يدب دبيب النمل

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمّى أمته الموحّدين وأنزل الله القرآن ربعه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجاءت أفضل الذكر الحكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً نسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاصّ بالمسلمين بل منذ الأمم كلها لم يكد يفارقها رسلها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

(*) النشرة الرابعة من جريدة الرسم

(الجزيرتان — والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الاطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سألني «أميل» منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من «لولا» كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في ان فيهم أ... اء

جرى على الألسنة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو «ذلك ما أراده الله»

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأجيبهما بمثل هذا التعليل لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى أذهان الأطفال معنى كبيراً لمثل تلك المسألة وما كنت أيضاً لأدخل معهما في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأصعبها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهما قصة فقلت :

روي أنه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لاسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يعادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها أقشار ضخمة طبخت بمرقة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق « أميل ») وكانوا في لباسهم بالغين حد الافراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون(١) الكجّة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في اسمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قمامات موائد العشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المتنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بُسُط هذه المتنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جبل ليأتمروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في مضاجعهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قرّت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبديها لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

---

(١) الكجة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خرقة فيدورها ويجعلها كأنها كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فاما الخرقة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها الكسة .

التي تحسدونهم عليها أو كثيراً منها انهم من وجوه شريفة أو خسيسة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كنهها كال الادراك انه لا بد لوجودها من سبب لان جميع الناس محافظون عليها ، فنحن لا نحكم بها حتى الآن . ثالثها ان ما يجوز أن تنزعوه اليوم من أعدائكم بغلبتكم عليهم يجوز ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم فعلينا اذن أن نفكر جميعاً في اتخاذ وسيلة أخرى . لابد انكم سمعتم بوجود جزر اخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا بحس طالعنا بالولادة فيها فقد حكى لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بسفنهم مشحونة بالأرزاق ومواد الزخرف التي يستعملها الاغنياء انهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تمتد من الماء مكللة بالنباتات والأشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكاياتهم ان احدى هذه الجزر خالية من السكان ولا ينقصها الا ارادتكم حتى تصبح جنة جمة الثمار دانية الجنى فان لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وها أنا ذا مع شيخوختي سأكون لكم قائداً وأمدكم بنصائحي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أدليت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون .

فتلقى جميعهم نصيحته بالقبول وما عتموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بأنفسهم من ألواح خصاصهم فقابل الاغنياء فرحاً بسفر هؤلاء الغوغاء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم بل كانوا يصفقون ويجهرون بقولهم حبذا حبذا هذا الخلاص

قلما كانت تلك السفن تقل الاشخاص المهاجرين لانهم كانوا لا يملكون شيئاً استغفر الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم

مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل ان البحر ابتلعهم [illegible] وان [illegible] كان بعضهم [illegible] في هذا الاختلاف اذ رأوا ذات يوم سفينة مشحونة بالغلال وضروب التجارة رست على ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحيها وبعض ملامح وجوههم انهم من سكانها السالفين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لانهم ما حرثوا الارض وأحيوا مواتها حتى جللتها الحصائد وملأتها المزارع والمواشي فاعتبر الاغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقهوا [illegible] قهقهة المجانين .

على ان الملاحين لم يكونوا مبالغين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة القفرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومدن وطرق

[illegible] فكان [illegible] ووفق [illegible] في غبطة وهناء وقد [illegible]
عليهم السكينة [illegible] يربون ابناءهم بدون [illegible] ولذلك
كانوا يباركون [illegible] العمل وانشائهم على حبه

أصبح الامر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكسل بحيث انهم يستنكفون ان يتولوا بأنفسهم حرث الارض لم تلبث ان امتلأت حقولا وتعطلت جميع الحرف والصنائع لفقد عمالها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يوجد من الرجال من يقيم ما تداعى منها .

فزع الاغنياء في بدايا هذا الانحطاط الى صناع الجزائر المجاورة لهم فلم يجيبوا دعوتهم لانهم كانوا على بينة مما كانوا يعاملون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ماقاساه هؤلاء من ضروب الاهانة .

ثم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم اشتروا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كنز لابد من نفاده بالغاً من الكثرة مابلغ خصوصاً اذا كان أصله لايتجدد ومن أجل ذلك لم يمض الا بضع سنين حتى غاضت أموالهم وأنشأوا يندمون ولات حين مندم على مافرط منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء .

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد تخلى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم لعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر مركباتهم لفقدها من كانوا يقومون على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع منتعلات نعالا من الديباج مشوهة الاعقاب ولابسات جلابيب من الحرير المذهب كلها تمزق وخروق لاتستحي اولئك السيدات الجليلات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه الاهدام بهذا الصلف والعجرفة بعثه حالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن من القسوة واللؤم الاستهزاء بالتعساء البائسين ولو كانوا من الاشرار .

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين .

كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضعفت الارض عن التحصيل لعدم ماكان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولولم يتداركهم اولئك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم .

كان « أميل » كثير الاصغاء اليّ في حكايتي لهذه القصة ومافرغت منها حتى ابتدرني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة » فأجبته ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه يغني الأمم التي تعرف مناهج العدل وتسلكها . اه

باب الأخبار والآراء

﴿ أحياها محمد علي وأماتها خلفه ﴾

نشرنا مانشرنا في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض لذكر بيت الإمارة (العائلة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من عقارب السعاية فقد قال المحتالون إننا أهنّا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فاننا براء من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وضبطها وقرأها في الاسكندرية قد عجبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذم خلفه في الامارة لاسيما اسماعيل باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطل الأحداث — لعلمهم بانه لايراد بالخطبة خدمة التاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والتزلف اليه والشهرة بين الناس . وهم ان يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيا وأنتم أمتم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم . فهذا هو ملخص الخطبة ونحن نزيده تفصيلا تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه أهان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذ [illegible] الأمم وتعلوها في كل علم وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤنها

[illegible] قادرة على [illegible] ، ولذلك جاءها محمد علي [illegible] القادر وهي على شر حال ، فعمل بأيديها أعظم الأعمال ، وصرح ايضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار وضعف ومهانة ، حقوق مغصوبة ، ووظائف مسلوبة ، وكرامة مقبورة ، ومزايا مستورة ، ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل إنسان يفهم ان السيف الذي يقط الرقاب ويفلق الهام وهو صدئ مفلل لا يعجز عن ذلك بعد السن والشحذ ، وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض يكون أقدر عليه بعد عود الصحة وثوب العافية ، فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم الدوبة وظفرت بالدول الحربية المستمدة مع محمد علي واستسلمت وخضعت للانكليز على عهد توفيق وعباس الثاني ؛ ان هذا الجواب بلسان مقال مصطفى بك كامل ، ولسان حاله بل مفهوم كلامه يقول

وعادة السيف أن يزهو بجوهره ... وليس يعمل الا في يدي بطل

جاء في المقدمة ان مقتضى الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والأمصار وكان عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها ان محمد علي ماضرب وغلب وساد ، وأخضع لسلطان مصر البحار والبلاد ، الا بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليلة ضئيلة لا حراك بها » ... « فرآها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء ، وأيام المحن والفتن قادرة على القيام بأعظم الأعمال ، فيها من روح الحياة وقوة النهوض مايزحزح الجبال الراسيات ، وتخرّ أمامه الشمّ الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة الفاتحين وأنه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرفت فيهم السكوارث كما شاءت أبطالاً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم . » . وفي الصفحة الخامسة كشف السرّ عن ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي) الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً على نفسه » . كأنه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رآه « وهو كنز مخفيّ وان هذا يئس من نفسه ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأساطيلها في زمن

محمد علي باشا ، ان حادثة [illegible] كانت [illegible] القوة وأحلّ محلها أمة عاداها زمان فلم يترك لها ارادة ولم يلبسها غير لباس الوهن والاستسلام ، فهل يمكن أن [illegible] هـذا الحادث الا [illegible] عن رأيه [illegible] ما تقدم [illegible] معرفة الامير الحاضر بقوة الأمـة المصرية ورأيه [illegible] الأمة في أعلى الدرجات .. ؟؟ وكأنه ذكر الاسطول [illegible] على عهد هذا الامير

بعد هذا نوّهت الخطبة (ص ١٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن والقرى وبالعمال الذين [illegible] ولم يذكر [illegible] تلك المعامل ومن [illegible] أيدي هذه الأمة [illegible] الأعمال بعد اتقانها فيها . ثم عادت الى التنويه بالقوة [illegible] والسياسية ففي الصفحة [illegible] ان (محمد علي) [illegible] مصر [illegible] من القوة [illegible] وجمع شملها بعد ان كانت متفرقة [illegible] الأمة [illegible] مصر [illegible] وقلباً شاعراً وساعداً [illegible] (كذا) وانه [illegible] المصريين وطناً وأمة وحكومة [illegible] الوطن والشهامة والإقدام وحب [illegible] ورفع الراية المصرية على كل [illegible] ومكان . فأين ذهبت هذه المزايا [illegible] حل محلها الوهن والاستسلام ، [illegible] من أعلى مكانة [illegible] الى أسفل [illegible] ؟ لا يفهم من الكلام الا أن أحفاد ذلك [illegible] الذين [illegible] وفرقوا الشمل [illegible] الهمة والإقدام ، الى ذل ووهن واستسلام . يدل على هذا ما بعده في الخطبة

جاء في الصفحة التاسعة عقيب ما تقدم أن حكومة محمد علي كانت قائمة على مبادئ ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا الملكة بدون إحياءها ، أولاً حماية الوطن من [illegible] الأجنبي وساعدها [illegible] المصري الى أسمى [illegible] ثالثاً الامتناع عن الدَّين واجتنابه [illegible] الاجانب ، وظاهر ان أحفاد محمد علي لم يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فاسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو أساس الاستعباد كما في (ص ١١) من الخطبة ، وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين حتى ضباط العساكر من ترقيته الجراكسة والاتراك (الدخلاء) في الوظائف السامية وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكليز عندما اجتمعت كلمتهم وثاروا يطالبون أحد المبادئ الثلاثة التي زعم حديث السيف ان (محمد علي) أقام عليها حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية ومالها وهدما

دون أن يجيب عنها . وفي [illegible] فهم الخطيب
من خطبته ما فهمه [illegible] أم لا ؟ إن كان قد فهم ما فهمه المؤيد في جريدته ؟
وإن كان قد فهم غير ما فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدبجها ولا يفهمها !!!

وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال « مصر اليوم تمثل الاستسلام للانكليز والرضوخ لسلطته والامتثال لارادته ، وهي هي التي ردته عن انجاز تحت امارة محمد علي وفي ظل رايته » ثم أتى على الامة المصرية بما لم الانكليز ما أتى وذكر ان الانكليز أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه الدولة الناشئة [illegible] بنو مصر أي أمتهم وأبناء محمد علي أي أمراؤهم ، فتركت الأمور والبلاد آسفة على فقدها [illegible] المجد الباهر والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة الحديدية » منطوق الكلام صريح في أن الذي أرى الانكليز ذلك العزم القاهر في نفسه وفي الامة المصرية [illegible] هو الذي كان امام الامة في الاستقلال ، ومفهومه ان أميرها في عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يري الانكليز [illegible] أميرهم وأمته فالنتيجة انه هو [illegible] والامام في هذا الاستسلام .

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الامير الحاضر (وفقه الله تعالى) قد بلغ مصر بهمة محمد علي وعزيمته ، وزاد عليه بدينه وعلمه ، ولكنه لم يجد في البلاد رجالا أصحاب عزائم يعملون معه كما وجد محمد علي . والسبب في هذا هو العدم في الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والنجدة في البلاد فحاربها وطاردها حتى فنيت بعد ولايته في زمن قريب . فمقالة (آثار محمد علي في مصر) التي نشرناها في الجزء الماضي يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأميرنا الحاضر (أيده الله) واذا سلمت هذه المدائح والمناقب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي حجة على كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبعث في نفوس المصريين حب محمد علي وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فضاع في أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاء الوظائف « للدخلاء » .

وان تعجب فعجب سعي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو يسعون إليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤس النابتة كما فعل جدك فلا يصفو لك الملك في مصر » فليتق الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويغشون في عين ما به

ينصحون ، ويضربون الراعي والرعية اذا رأوا أنهم يتقدمون ،

ومما يصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ماتقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا ما بناه ، وأماتوا ما أحياه ، ما في الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت السبيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأو ما لا يكتنه كنهه ، فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شئ هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟ ؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ،

هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا نتعرض لما فيها من الغلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفا وانما كان أمياً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا ، وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين ، ولكنه لم يتعلم من العلم شيئا وحسبنا ما تقدم في المنار من حقيقة أمره ، نعم اننا لم ننكر انه كان جنديا باسلا وشجاعا حازما وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأولئك الشجعان الذين أباد بهم ثم أبادهم

وبقي في الخطبة كلمتان لابد من التنبيه عليهما ، احداهما ما جاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنتمي كل قوة في مصر وهي السلطة المالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها ، فهذا الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام ، بعد كل ما تقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه القوة الكامنة أولا ، وثانيها نصيحته في آخر الخطبة للمصريين ان يتركوا اليأس ويبنوا مجدهم المقبل على « التربية الوطنية » ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار ، فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم ، لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة؟ وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلا انه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالحث عليها وانها المحيية للبلاد ليفهم الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي: انني خطبت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

﴿مصاب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء العمران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو السائح الشهير ، والرحالة الخبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي . اختطفت المنية منا بغتة هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعائم والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو كان الرثاء والتأبين من موضوع المنار لرثيته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمير الدامع ، لاستعبر القارئ والسامع ، ولا لاستمدّ الرثاء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الخنساء . وانما استملي القلب بعض ما يجد من الكرب ، فانه ما أحزنني خطب كخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه ،

حزني عليه دوره متسلسل   مهما انتهى الى النفاد انقلبا

ولكنني أدع الرثاء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال المنتاِم ، وكيف تضيعهم الامم والحكام ، ولتكون ذكرى لمن يذكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احداها مصدق عليها من والي حلب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حلب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرته الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريبها ملخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن افندي ووالده الشيخ أحمد أفندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحلب . ولد السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته وأخذ الإجازات من علمائها ودرّس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

وبعض الفنون الحديثة كالطالعة والترجمة . ومن تآليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بقسميها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدة الشهباء التي أنشأها في حلب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسميا في الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة ١٢٩٣ عين محررا رسميا للجريدة الرسمية بقسميها (كأنه كان في سنة ١٢٩٢ محررها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره خمسمائة قرش . وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً تحريرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (بعنوان بالمحرري ماكان بدون راتب) . وبعد ثلاث سنين انضمت دائرة اللجنة وزيد فيها قسم النافعة (الاشغال العمومية) وعين عضوا تحريريا فيها . وفي ٢ جمادى الاولى نصب محررا للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأمور الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً تحريرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً تحريرياً لمطبعة الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً تحريريا للجنة (عمومي ... ن) النافعة وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين باسم نظارة العدلية (الحقانية) في الاستانة عضواً في محكمة التجارة بولاية حلب مع البقاء في وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفي سنة ١٣٠٣ انفصل من هذه الاخيرة وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ما تقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب (باشكاتب) بقرار من مجلس الوكلاء في دار السعادة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢ عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة انحصار الدخان (الريجي) الشركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي اثناء ذلك اتفق مع ادارة المصلحة وتعاقدا على أن يستلم من المصلحة جميع ما تقدمه من الدخان (التبغ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع في مامنه ويتولى بيعه بنفسه في ارجاء ذلك بمبلغ من المال يزيد عما كانت تبيع به المصلحة دخانها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولا لغرفة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

[illegible] ولا [illegible]

[illegible] رؤس [illegible]

الثانية . وفي ٢٥ [illegible] الثاني [illegible] هذه [illegible] وفي ٢٢ ذي الحجة

سنة ١٣١٢ وجهت اليه مولوية أزمير [illegible] وفي ٢٨ من جمادي الثانية أعطي

الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة اهـ

ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية [illegible] الترجم ولا [illegible] في هذه

الوظائف العلمية الادبية الإدارية القامية الحقوقية التجارية الزراعية المالية يقول ان

صاحبها من أوساط الناس لا من افراد الرجال [illegible] يعدون من علماء الاجتماع وأركان

العمران ومهذبي الأمم كما [illegible] في [illegible] الدول [illegible] في كل عمل منها

آية [illegible] في إتقان العمل وحكمة [illegible] كيف يحسن رجل هـذه الاعمـال

المتباينة . واذا وقف بعد ذلك على بعض سيرته في العزيمة وقوة الارادة وعلم ما كانت

[illegible] اليه نفسه ويرمي اليه فكره وقرأ بعض [illegible] به قريحته الوقادة ، وفكرته

[illegible] . علم أنه من افراد الزمان [illegible] ما كان يرى مثلوما [illegible] الزمان والمكان ،

وانما نلم بشيء مما وقفنا عليه من سيرته في مدة صحبتنا له في هاتين السنتين اللتين

اقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التمييز فعهد والده

بتربيته الى خالة له (من سيدات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن

الشرق لاسيما في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع

فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق

والنزاهة والعزة والشجاعة والتواضع والشفقة وحب الضعفاء وقد كنت كمن

عرفه معجبا بأناته حتى كنت أقول اني أراه يتروّى في رد السلام ويتمكث في جواب

من يحييه عدة ثوان ولا أكاد أعرف أخلاقا أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان

لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبي حبوتي	اذا رياح الطيش طارت بالحبي
* لا يطبيني طمع مدنس	اذا استمال طمع أو اطـبي *
والحلم خير ما اتخذت جنة	وأنفس الابراد من بعد التقى

(علمه ومعارفه) نزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان الفقيد درس قوانين الدولة

درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انتقادات عليها يدل على دقة نظره في علم

[illegible] ولا [illegible] الأمر هذا [illegible] [illegible] [illegible] ولا أعلم أنه [illegible] في
أمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عجيب [illegible]
الا [illegible] قال به كماله أو [illegible] أو تماما [illegible] لا أن [illegible] الأكثرين من الذين [illegible]
في أعمارهم . الا [illegible] في طبائع الاستبداد لم يكتب مثله فيما [illegible]
في الشرق ولا في الغرب [illegible] كثيرين علم الاخلاق واسع في مؤلفات
فلاسفة الغرب وكتابه [illegible] على أن [illegible] لم [illegible] شيئاً من علم النفس والاخلاق
والسياسة وطبائع الملل والفلسفة [illegible] ما طالعه [illegible]
من المؤلفات والجرائد التركية والعربية [illegible] هذا التصرف الذي
يتفوق فيه الحكماء والفلاسفة في علم [illegible] أصحاب العلم [illegible] بلادها
كيف يكون أمره لو تربى وتعلم [illegible] منتظمة [illegible] مدارس أوربا [illegible] وكان
عنده من مواد العلم ومعرفة الامة والحكام [illegible] في أوربا [illegible] وجملة
أنك لم تكن تذاكره في شيء ولا [illegible] الا ويشاركك فيه على بصيرة
(عمله ووجهته) كانت وجهة الفقيد في كل عمل عمله أو حاوله هي المنفعة العامة فأول شيء [illegible]
وجهه هو انشاء جريدة في بلاده تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتاب رائجة
فيها ولو كان في بلاده حرية للجرائد لكان له فيها [illegible] الأثر المحمود ولكن البلاد التي
تحكم بالاستبداد كالأرض الموبوءة لا تنمو فيها [illegible] من الجرائد
الذين انشأها لأن نفسه الابية لم تستطع ارضاء الحكام [illegible] وهكذا كان شأنه في
وظائفه — ولي رياسة البلدية فكان أول عمل [illegible] على طرق المدينة
من خارجها سلاسل من الحديد تمنع الجمال التي كانت تسد الطرقات وتمنع [illegible]
من التردد في حوائجهم [illegible] الى [illegible] أو [illegible]
[illegible] وكانت [illegible] ([illegible]) [illegible] الاغنياء يأخذها
من البلدية بالالتزام ولا [illegible] على [illegible] أحد أقربه من الرؤساء فلما علم أن
الرئيس الجديد لا يصدته [illegible] عرض عليه أربعين ألف
قرش أو أكثر يعطيه اياها ([illegible]) كل عام في مقابلة سكوته عنه فلم يقبل الفقيد
أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون [illegible] صندوق البلدية فعلم الوالي
بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له [illegible] فأبى عليه الفقيد ذلك فعزله .
وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جاهها — [illegible] للاصلاح فيصدونه
عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا [illegible] عمل (لها بقية)

الجزء السابع　　　　　　　　　　المجلد الخامس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق﴾

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعددهم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين رووا في عددهم أحاديث لا يحتج بشيء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثلها ما رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن أبي أمامة قال : قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيرا » وفي رواية للحاكم والبيهقي عن أبي ذر « والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر وآدم نبي مكلّم » . ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد بهم المرسلون وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عن الحاكم « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافياً لما زاد عنه فهو كالمكذب بالزائد وما يدريه لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه قول على الله بغير علم فهو من الكذب عليه جلّ ثناؤه ومن اتباع الظنّ في الأمور الاعتقادية « وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » . وقد قال تعالى لنبيه « مِنهم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ومنهم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فحسبنا من العدد ما قصه الله تعالى في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلا . قال تعالى « وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيمَ عَلَى قومه نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وسُلَيمانَ وأيوب

ويوسف وموسى وَهٰرُونَ وكذلك نَجْزِى المحسنين. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وعيسى وإلْيَاسَ كلٌّ من الصالحين وإسماعِيلَ والْيَسَعَ ويونسَ ولوطًا وكُلًّا فضَّلْنا على العالمين» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس. وقد وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكُرْ في الكتاب إدْرِيسَ إنه كانَ صِدِّيقًا نبيًّا» وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين «وإلى عادٍ أخاهُمْ هُودًا» وقال «وإلى ثمودَ أخاهم صالحًا» وقال «وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيبًا» أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ومثله ما بعده وقال تعالى «واذكُرْ إسماعيل واليسعَ وذا الكفل وكل من الأخيار» فذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الأرض التى يكوّنها القاموس الهندى والبحر الأحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أى من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام. وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه وان القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو ينافى ما تقدم في بيان وجه الحاجة إلى إرسال الرسل فيمكن أن يبطلوا ذلك بهذا إن صح وقد حملهم مارأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

مجاورها على البحث فى أخلاق أهل هذه البلاد وطباعهم وعاداتهم فزعموا أن عند خواصهم استعداداً خاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داع واتباع كل ناعق قالوا ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق فى هذه البلاد دون غيرها

هذه الوساوس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلت حكمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالحقِّ بشيرًا وَنَذِيرًا وإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيها نذير » فهذا نصٌّ قاطع صريح فى أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية كانت منحة عامة لجميع الأمم فى كل بقعة من بقاع الأرض. وإنه لقولٌ فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر فى بيان هذا الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبيًّا أرسل فى الهند أو الصين أو أوربا أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بيانا لإجمال فى هذه الآية وإنما أتى لبيان سنن الله تعالى فى الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة المنذَرِين . وتثبيت المرسلين ، قال تعالى «لقد كان فى قَصَصِهم عبرة لأولى الألباب » وقال « وكلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ من أنباء الرُّسلِ ما نُثَبِّتُ به فُؤَادَكَ » وكل من العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف إلا بالإجمال . ويكفى ذكر آية واحدة لبيان أن رحمته تعالى لعباده بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم رءوف رحيم . أرأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل فى أميركا منذ مائة ألف سنة مثلا وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل لهم من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح فى ثمود ؟

كلا إن ذكر المجهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة ثمود ، « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلاً إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرة وكذلك يقال في بوذة فإن قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لا سيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، ودياناتهم إلٰهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الاسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ للذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتُوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الأمَدُ فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فألهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التي سبقت لها آداب سامية ، ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الأمة الصينية ، فما هو الحكم في الأمم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلا بدوّ البَشَرة والضحك بالطبع كبعض زنوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه بعث فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم في الأمة ؟ وإن قلتم لمّا يُرْسَلْ إليهم رسول فأين العموم في قوله

تعالى «وإن من أمة لاخلا فيها نذير» فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودى بالارتقاء التدريجى فى عمله بالكون وعمل الكون به فكلما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه اياها فهو يأخذ دائماً بقدر استعداده . وإطلاق القول فى العموم والخصوص يراعى فيه قيد ماعرف فى نظام الوجود أنه شرط له فاذا قلنا ان الأنثى تلد أو كل أنثى تلد فالمراد أنها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودى فلا ينقضه كون الصغيرة لاتلد . فاذا فرضنا أن المسئول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الالهام الإلهى من المعرفة سوء ماهم فيه من إفساد ويدلهم على الحق وطرق الاصلاح فلا شك أن ذلك لعدم استعدادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقائهم فى المدنية لايدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس فى كل عصر لايستفيدون فى هداية الأنبياء إلا بقدر استعدادهم فكم من نبى لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح «ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل» وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم فى الشرق حتى أن صحف ابراهيم لم يحفظ منها شيء وهو أبو الأنبياء وخليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت فى ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ للأنبياء الذين يظهرون فى الأمم الجاهلة الهمجية أثر ؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبياء ليسوا سواء في إصلاح الأمم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الاصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو أقل من الحضر ضلالا في الفكر وأقل علما لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً في الأخلاق والآداب لسذاجتهم وبعدهم عن الترف وليس في البداوة من الشئون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتاج الى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامة فطرتهم فلما دبّ فيهم الفساد لم يفش إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه إلى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذى تشعر به فطرتهم، ولا يحيط به علمهم ولا تحدده مخيلتهم ، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكىّ النفس يلهم قلبه ويُوحى اليه أن ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرذيلة ويأمرهم بضدهما، بذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذى طرأ عليهم هو الذى يطفيء نور الفطرة بالتمادى فيكون الانسان به شيطاناً مريداً . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة الى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهى عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنها دائما كما جاء في قصة لوط من النهى عن الفاحشة دائما . وكقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا اللهَ مَالَـكُم مِنْ إلهٍ غيرهُ ولا تنقصُوا المِكيالَ والميزانَ » ثم حكى عنه « وياقوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وإيفاء الكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَفِّفِينَ (كأكثر الباعة فى مصر لهذا العهد) إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسعة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أثرا فى بنى اسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التى فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التى هى أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعا بالتدريج فكانت بعد البيوت والاسر العشائر والفصائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة فى الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التى يقتضيها التنازع فى الحظوظ ويكونون فى حاجة الى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول فى كل طور من هذه الاطوار هداة يرشدونهم الى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على ما به تسلم أرواحهم من الفساد فى الاعتقاد والاخلاق وفى ذلك سعادة الدنيا والآخرة وبهذا وما قبله يعلم أن المقصود من بعثة الانبياء والمرسلين واحد فى الجملة وانه يختلف فى تفصيله باختلاف أحوال الاقوام وان أولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم اصلاح الامم اكتسابا بالتعليم وانما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازا كانوا به على علم بالاصلاح ضرورى عندهم سمى لخفاء منشأه وسرعة حدوثه فى النفس وحيا (راجع الكلام على الوحى فى المسألة ٦٢ من الدرس العشرين – ٢٥٢ : ٤)

وكان علمهم مؤثرا فى النفس باعثا لها على العمل به لانه وجدانى إلهى لا من استنباط التصور والفكر الذى يصحبه الشك والتردد أى انه كان يقع فى قلب صاحبه ومعه علم آخر وجدانى وهو أنه من الله تعالى سواء نزل على القلب فى اليقظة أم فى المنام .

ونتيجة هذا وذاك أن علوم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال أممهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات فى الاقوام يعلم أنه الرسل قد يتعددون فى زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتعددون فى أمة واحدة للتعاون كموسى وهرون فى بنى اسرائيل . واذا كان فضل بعض الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التى بعثوا اليها وما يستلزمه إصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة ومناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الاصلاح الروحى والاجتماعى نتكلم فى الدرس الآتى عن ختم النبوة وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندى عز الدين من اهل العلم والادب فى طرابلس الشام ونزيل مصر الآن

صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : نقوم أمام المحراب تماثيل بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير وألسنتنا بالتلاوة والتسبيح ويحنى ظهورنا للركوع ويثنى عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور بهذه

الأوضاع أو يفعل فى أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلا عن نظر فى مقاصدها وتوجه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التى قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم: « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشمرون للفواحش عن ذراع سبحان الله نحن ما نحن مصلون.

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً ميتة وأوضاعاً جامدة تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكينة ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى فى معارك معاشه ومعامع حياته وفى الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً.

تعالى الله أن يكلف قلوباً غلفاً ونفوساً جلفاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يمد لقاءها حسن الجزاء.

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامى مرقاة لمراقبة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النورانى كيلا تضل فى الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذى يأتيه رزقه من مطاهى هذه الطبيعة كل يوم. خلق هذا الإنسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته فى الوجود. أحدهما: مادى كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة فى وجوده وبقائه والثانى: أثيرى لطيف يستمد وجوده من النور القدسى ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثاني روح.

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحلل وتركب وأصبح من أجل ذلك فى حاجة شديدة لتعويض ما تستلبه

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمنا على وجوده من غارة الفناء وانحلال الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون اريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذ الهيكل الإنسانى فيستخدمه فى أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه العلوى ما يقوى به على التغلب أو يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الإنسان إلى معاهدها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاقه من الكونيات المادية إلى حيث يجعلها من خدم شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم صهوة القلب واقتعد سرير السلطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدركات السفلية وبرزخ العجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يمسها بكفه تصرف أو تمكنه من وطر ، فأى الطريقين خير ؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فحتم عليه فى سائر أحواله أن يجيب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتهيات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدى ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشعار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى العراء ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاء تتقوت به وتعتمد عليه فى مناورات عالم الجسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرب إلى الله زلفى

تلك التى كفكفت جبروت أولئك القوم الجاهلية فى ردح من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالفواجع الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وهاهو تاريخ حياة القوم كانوا يعلمون أو الصلاة ماهية دعامتها الخشوع . كانوا يعلمون أن مافيها من الاعمال انما هو ركن ثانوى يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشترك السر والعلانية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فاننا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لادخل فيها لخشوع ولا يغنى فيها خضوع وأقبلنا نجتزئ بتلك الوقفات الجامدية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدنا عن فحش نأتيه ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل نخالف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟

زعم أننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة ويشكأن القوم لا يعلقون !! هل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك . اللهم ماهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هى عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التى بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وأمثاله ؟ والجواب: ان الذى تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبعية جذبا لمنكرى الملائكة الى التصديق لأن بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومى ﴾

نموذج فى كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى وهو يطبع الآن

فصل

(فى الـكلام على من زهد فى رواية الشعر وحفظه . وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

لايخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له وذمه إياه من أجل مايجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة (والثانى) أن يذمه لأنه موزون مقفًّى ويرى هذا بمجرده عيباً يقتضى الزهد فيه والتنزه عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشعراء وأنه غير جميلة فى الأكثر ويقول قد ذُمُّوا فى التنزيل ، وأيّ كان من هذه رأياً له فهو فى ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف ما يوجبه القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر .

أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يجد فيه من هزل وسُخف وكذب وباطل فينبغى أن يذم الـكلام كله . وأن يفضل الْخَرَسَ على النطق والعِيَّ على البيان . فمنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذى زعم أنه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر لأن الشعراء فى كل عصر وزمان معدودون . والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل . ونحن نعلم أن لو كان منثور الكلام يُجمَع كما يُجمَع المنظوم . ثم عَمَد عامدٌ فجمع ماقيل من جنس الهزل والسخف نثراً فى عصر واحد لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظما فى الأزمان الـكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هـذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ إلا الجِدَّ المحض وإلا مالا يعاب عليك فى روايته وفي المحاضرة به وفى

نسخه وتدوينه لكان فى ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك ونلت مرادك وحصل لك مانحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ماتكره الى ماتحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحاكي عيب، ولا عليه تبعة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً، أو يسوء مسلما، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر إلى الغرض الذى له روىَ الشعر ومن أجله أريدَ وله دوّن تعلم أنك قد زغت عن المنهج وانك مسيء فى هذه العداوة وهي العصبية منك على الشعر. وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من أجله. قالوا وكان الحسن البصريّ رحمه الله يتمثل فى مواعظه وكان من أوجعها عنده:

﴿ اليوم عندك دلُّها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم ﴾

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المَرْزُبانى فى كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أُوتىَ عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد ابن ثابت رضى الله عنه فقال ياأمير المؤمنين هؤلاء المحمّدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم ياغلام فدعا بحلل فأخذ زيد أجودها وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لؤىّ فقال عمر رضى الله عنه أيهاتَ أيهاتَ وتمثل بشعر عُمارة بن الوليد:

أسرك لما صرّع القوم نشوة　　خروجى منها سالما غير غارم [1]

بريئا كأنى قبل لم أك منهم　　وليس الخداع مرتضى فى التنادم

رُدّها ثم قال ائتنى بثوب فأتاه على هذه الحال وقال أدخل يديك فخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها . وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه فقالت لا أتزوجك أو تترك الشرابَ فأبى ثم اشتد وجده بها فحلف لها أن لا يشرب ثم مر بخمّار عنده شَرْب يشربون [2] فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقاهم ببرديه ومكثوا أياما ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا بشَرْب أمّ عمرو إذا انتشوا　　ثيابُ الندامى عندهم كالغنائم

ولكننا يا أم عمرو نديمنا　　بمنزلة الرّيان ليس بعائم [3]

أسرك — البيتين » فإذنْ : رب هزل صار أداة فى جد ، وكلام جرى فى باطل ثم أُستعين به على حق ؛ كما أنه رب شيء خسيس ، توصل به إلى شريف ، بأن ضرب مثلا فيه ، وجعل مثالا له ؛ كما قال أبو تمّام :

والله قد ضرب الأقلّ لنوره　　مثلا من المشكاة والنبراس

وعلى العكس فرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفت من خبر الخارجى مع علىّ رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

---

(١) صرع بالتشديد كصرع بالتخفيف . والضمير فى منها للنشوة السكر . ومن شأن المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن الامارة لنشوة أدعى إلى الغرم ، وسكرة أبعث على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة « كخيمة » وهى شهوة اللبن مع فقده

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذى حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوما من مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال: ماظننت أنَّ قولَ سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال رجل من أهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن يوسف فبهذا ونحوه فاعتبر واجعله حكما بينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض مالا يحسن ولم يرفعه فى نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مَجْنَى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذى قيَّد على الناس المعانى الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضى والغابر، ينقل مكارم الأخلاق الى الولد عن الوالد، ويؤدى ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلدة فى الباقين، وعقول الاولين، مردودة فى الآخرين، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، منارا مرفوعا، وعلما منصوبا، وهاديا مرشداً، ومعلما مسدداً، وتجدفيه للنائى عن طلب المآثر، والزاهد فى اكتساب المحامد، داعيا ومحرضاً، وباعثا، ومحضضا، ومذكراً ومعرفا وواعظاً ومثقفا، فلو كنت ممن ينصف كان فى بعض ذلك مايغير هذا الرأى منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويمنعك أن تعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت الاَّ ظنا سبق اليك، والا بادىء رأى عنَّ لك، فأقفلت عليك قلبك،

وسددت عما سواه سمعك ، فعيّ الناصحُ بك ، (١) وعمر على الصديق الخليط تنبيهُك ، نعم وكيف رَويت «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه[٢] خيرله من أن يمتلىء شعراً » ولهِجْتَ به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا »[٣] وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لحسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشاده اياه ، وعلمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغى اليهم ويأمرهم بالرد على المشركين[٤] فيقولون فى ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذى روى من انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عيّ عجز أصله عيي فأدغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبى هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يريه » أى يفسده وفى رواية بحذف حتى يريه وفى أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يريه بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالفاء « فيريه » كما فى نسخة المصنف . وفى رواية ابن عدى عن جابر « لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلىء شعراً مما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءتا فى حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث على باللام وله تتمة وهى « وإن من العلم لجهلا وإن من القول عيالا) (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابى بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفى حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمى أعراض المؤمنين) قال

«مانسي ربك وما كان ربك نسيا شعر آ قاله»(١). قال وماهو يارسول الله؟ قال: «أنشده ياأبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سَخينةُ أن ستغلب ربها ... وليُغلبنّ مُغالبُ الغلاّبِ(٢)

(وأمّا) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استسقى فسُقيَ قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمالَ اليتامى عصمةً للارامل

يُطيف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

الأبيات. وعن الشعبي رضي الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يارسول الله فقال (إنك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يارسول الله قال (نعم اهجم أنت فسيعينك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام في هامش النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (لعله كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه لم يؤمر بالشعر المناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع) ويؤيد قول الأستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه أن المهاجرين رغبوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك وعرض بالأنصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الأبيات التي أولها:

قضينا من تهامة كل ريث ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا

لخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفا

قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لهي أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فنبئت أن دوساً إنما أسلمت بكلمة كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش الأصل: سخينة لقب تنبز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق الشعير واللحم وتسخن وذلك في أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منده وابن عساكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه «لو أن أبا طالب حىّ لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالانامل» قال وذلك لقول أبى طالب (١)

كذبتم وبيت الله أن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالانامل
وينهض قوم فى الدروع اليهم نهوض الرّوايا فى طريق حلاحل

(١) البيت الذى فيه لفظ الأنامل فى قصيدة أبى طالب هو قوله
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
والبيت الذى فيه كذبتم هو قوله :
كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم فى بلابل
وقوله : كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
والبيت الذى فيه لتلتبسن الخ هو قوله :
وأنا لعمر الله إن جد ما أدوى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
والذى فيه ينهض الخ هو قوله
وينهض قوم فى الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وبهذا تعلم مافى بيتى الشيخ . اه من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو المتهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنن. وجمع فعيل على أفعلة غير قياسى ولكنه ورد ومنه قوله تعالى « أشحة عليكم » . وقوله نترك مكة أى لانتركها . ومثله قوله نبزى محمدا أى لانبزاه ولفظ (محمدا) منصوب بنزع الخافض . يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لانغلب بمحمد ولا نقهر عليه والحال أننا لم نطاعن دونه بالرماح ونناضل عنه بالسهام فالجملة المنفية بلما حال من نائب الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأماثل) أى لتختلطن بالاشراف بما تفتك بهم فى الحرب . والروايا جمع رواية وهو مايستقى عليه من بعير وغيره . والصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء فى الاداوة والقربة ـ يريد أن قومه ينهضون مثقلين بالحديد تسمع له قعقعة كصلصلة الماء فى المزادات

ومن المحفوظ فى ذلك حديث ابن مسلمة الانصارى [١] جمعه وابن أبى حدرد الاسلمى الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدنى قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها فى شعرها وروايته » : فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة عُلاثة

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ　　　الناقض الاوتار والواتر

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياحسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة بعد مجلسك هذا » فقال يارسول الله تنهانى عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياحسان أشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى ، وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عنى فتناول منى . وفى خبر آخر فشعث منى وأنه سأل هذا عنى فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره ومن المعروف فى ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول « أبياتك » فأقول

ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضعفُه　　　يوما فتدركه العواقب قد نمى

يَجْزِيك أو يثنى عليك وأنّ من　　　أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

(١) الحديث رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (ياحسان أنشدنى من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها فى شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (ياحسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة فانى ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فأما أبو سفيان فتناول منى وأما علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تتمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا انقلبنا في البحث إلى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لنتقيه نجد أن الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أي يخصصون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فحكى عنهم قوله « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التي هي التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون المتوسل بهم وسائط ويقولون إنه لابد من الواسطة بين العبد والرب « وإن الواسطة لاتنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركي قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بندائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا في احترام تماثيلهم يغضبون فيضرونهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون» وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلت كلمته « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله أنه شرك فقال «من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك »[1] وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركا وحرم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة هيكلات لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقرباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى[2] » فلا ريب إذن أن هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فلينظر الآن هل فشا في الإسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها في الصورة أو الحقيقة [illegible] من لا [illegible] في الله أحداً لانى لا أرى بداً من التصريح بأن حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريبا كما بدأ [illegible] غيرهم من الأمم . فمنهم الذين استبدلوا [illegible] القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها السرج وأرخوا عليها الستور يطوفون حولها مقبلين [illegible] أركانها ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد و[illegible] [illegible] الله و[illegible] ينذرون لها النذور ويشدون للحج إليها الرحال ويعلقون [illegible] يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم و[illegible] بالخاشع [illegible] وخضوع وصراعة وخشوع أن يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات و[illegible] ذلك من الخشية والتعظيم لغير الله[3] والخوف والرجاء من سواه

ومنهم من [illegible] من أنواع التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظميهم [illegible] الدعاء تبركا وذكراً ودعاءً يعلقونها على الجدران في بيوتهم [illegible][4] ويتوجون بها الأعلام من نحو « يا على ، يا شاذلى ، يا دسوقى ، [illegible] ، يا بهاء الدين النقشى ، يا جلال الدين الرومى ، يا بكتاش ولى »

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بإنشاد المدائح لغلاة شعراء المتأخرين التى أهون ما فيها الإطراء الذى نهانا عنه النبى عليه الصلاة والسلام

---

(١) المنار — الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبى هريرة ورواياه عن أبى سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أى من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا فى هامش الأصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم [1] » وبإنشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها فى الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركى قريش قولهم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك [2] » وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التى يهدرون بها إنشاداً بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلانى ... ياذا الفضل والإحسان

صرت فى خطب شديد ... من إحسانك لا تنسانى

وقولهم

الآهم يا رفاعى لى ... أنا المحسوب أنا المنسوب

رفاعى لا تضيعى ... أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذى يأباه الدين الحنيف

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا أحكاماً فى الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى المشهود لهم بالفضل فى الدين . علماً انتزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا أن نقول فى المتشابه منه (آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه فى حقهم (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار . ومما جاء عن النبى عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادة أى لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التى وضعها أساطينهم أغراباً فى الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذى ننقله بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل

---

(١) لفظ الحديث « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم انما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخارى والترمذى فى الشمايل ولا أذكر غيرهما الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لاتومن بهم فيه لعلى اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتى مسجدا لعلى اتبع فيحتظر من بيته مسجدا فلايتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من بيتى مسجدا فلم اتبع والله لآتينهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلى اتبع »

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكأن الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبى عليه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبوبكر وعلى وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون . أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبى عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرعى)

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا فجعلوا منه التغنى والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك البسطاء ويسرهبون الحمقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والخبل خشوعاً والصرع وصولا والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحانى أو الزايرجه أو الأبجديات أو بالنظر فى الماء أو السهاد أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام فى كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات فى دين الإسلام « مرعى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها إما شرك صراح أو مظنات إشراك حكمها فى الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما جر الأمة إلى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجوع بها إلى الشرك الأول الا الميل الطبيعى للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبى عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فانا آخذ فى حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى فى العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لايهوون « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله فى القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبى عليه السلام فى قوله « إن الله لايقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولننتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد فى الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

---

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدى » (٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو ولفظ مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفى البخارى « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا يبق عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) الثمرة الخامسة من جريدة الراسم

الخط الديوانى

انشأ « أميل » يخط بالقلم خطاً مناسباً لحاله ولكنى فى شك من جريه على قواعد الخط فى شئ مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبيح ولذلك وجد متوسمون يعتقدون انهم يقرأون فى خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسى ولا بدع فى هذا فان كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شئ من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى فى أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق المثبت لصنوف الوجدان وأنواع المعانى على الورق سمة من سمات النفس وأمارة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان من الذين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا فى حياتهم طريقتهم فى صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغيير الذى يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحالات حصلت فى عقولهم . ومن الأمور التى اعتقد الباحثون فى هذه المسألة انهم تنبهوا إليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذى يكون فيه خطه موسوما باقرب السمات إليها أيضاً

اخترع الناس فى هذه الأيام للخط طرقاً لاشك ان لها مزية فى تهذيبه وتقويم يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن فى هذا القرن قرن السكك الحديدية والاقلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة فى كل شئ

لو ان هذا الميل إلى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعانى لكان الخطب هيناً ولكنه لم يقف عندها بل تعداها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هى التى تعوزنا إذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم يتمتع الناس بانتشار أنوار العرفان بيننا وهو أمر أنا بعيد عن المنازعة في جلالة خطره وعظم شأنه ولكني لا أرى علي حرجاً ان سألت نفسي هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الذاتي إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة الظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

وأني إذا التفت حولي فيعروني الذهول ويتملكني الدهش لما أراه من غلبة الاوساط في العقل وكثرتهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السابقة فالعبقرية زالت ولو انهم قالوا ان كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب إلى الصواب . نعم ان قرننا قد وصل إلى طريقة بديعة في الاكثار من الدواليب والآلات الحاكية للفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والعزيمة وأزهق التكلف في آداب اللغة روح الإلهام والاصابة واستبدلت الدسيسة والخداع في مجرى الحياة وشوهتهما الفضيلة والجسارة عن عرشيهما وحلا محلهما فنرانا الآن منحدرين على طريق مستقيم عام إلى محو شروط الفضل والرجحان في العقل والخلق محواً تاماً فهنيئاً أيها الإنسان من الآن أن تنعم بأن تكون كجميع الناس .

ولا شك ان هذه الحالة التي عليها العقول الآن ترجع إلى أسباب كثيرة ليس من غرضي استقصاؤها هنا منها نظام معيشتنا وفقدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المتزايد بالمصالح المادية ومنها أمر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو ان التربية الحالية التي هي عليها اليوم أقرب إلى ستر عيوب الأطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم ببعض طرق التعليم السريعة التي تساعد تكوين آلة محضة . أقول انها أقرب إلى ذلك منها إلى قصد اكتشاف ملكاتهم ومواهبهم العقلية وتنميتها فترى القائمين على التعليم يوهمون تلاميذهم ان الغرض من اجتهادهم وكدهم في التعلم انما هو نيل الفخر بأن يكونوا أمثالا معينين يعملون لأجل الارتقاء إلى المناصب ونيل الغنى ويقتضون منهم أن يتعودوا عليها وهم بذلك يكرهون عقول الاحداث على أن يتبينوا ان المواضعة والصنعة هما أقرب طرق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

الشذرة السادسة

﴿ مذهب تشغيل المتعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد فى بعض المدارس بانكلترا عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة ـ فيما يوجد منها بمدينتى راتون وهارو وهى التى يدخلها أبناء السراة غالباً ـ يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمية والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ فى قومه ولا بغنى أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الغنى السرى بتفصيص ثياب الطفل الفقير الوضيع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه فى قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من تجعلهم المدرسة فى الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذى استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التابعية الذاتية فان الأقدمين من التلامذة يسيرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم سيرة فى غاية القسوة حتى إنه ليقع منهم فى حقهم ما نقرأه فى قصص موليير (١) المضحكة من الشتائم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التى كانت تقع من صغار الموالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أولئك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على الذل مستسلمين للجور يصيرون فى الغد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تنتقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً فى هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً فى أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالى الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجنى منه فوائد كبرى فى تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من الغلمان واليافعين منقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطرى لأنهم كانوا فى هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لباداً أو كناساً أو وقاداً للمصابيح أو موقظاً لاخوانه فى الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

---

(١) موليير هو أكبر واحد شاعر قصصى فرنساوى ولد فى باريس سنة ١٦٢٢ ومات فى سنة ١٦٧٣ مسيحية

المائدة وكانت الأعمال المحقرة التى تقتضى أكثر من غيرها إخلاصاً أجل من غيرها أيضاً فى نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بتمييزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم إلى مباشرتها . ولبثت زمن هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار التحمس الفرح الذى يبديه كل تلميذ فى القيام بعمله الذى كأنه فرض اختيارى أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيتية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأى رئيسهم أن فى المراوحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقى فى نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوى فان الانسان لا يحتقر من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إنى لتعرض لى فى بعض الأحيان أحوال تحملنى على اعتقاد أن ماندعيه من حب المساواة ليس إلا رياء ونفاقاً لأنى أرى من لا تفتر ألسنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لا يجرون على مقتضاها فى أعمالهم فالطفل الذى يرى فى المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا للخدمة يستنتج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكريهة هى من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يهديه فى محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه فى المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فانه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يأكلوا على موائد سادتهم ولما كان يتوهم فى والديه أنهما يعدانه لأن يكون من السادة ويكفيانه بذلك مؤونة الاشتغال ببعض الأعمال التى من شأنها أن توسخ يديه أو تقذر وجهه . كان رأيه فى هذه الأعمال لا بد أن ينتقل إلى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الانسياق إلى احتقار جميع الصناع والرزاية عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل ما يلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح نعليه ويسوى عند الحاجة طعامه فان الفائدة التى تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم امتهان من يكسبون قوتهم بمثل هذه الأعمال بل إن فيه أيضاً تنمية لحريته الشخصية بتعويده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالأسير المسكين من يعجز عن خدمة نفسه . اه

الاحتفال السنوى بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتى

في أصيل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل في قبة الغورى الاحتفال السنوى المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الجم الغفير من الفضلاء والوجهاء خصوا الاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التى يختبر عليها التلامذة فاعطى كتاباً ففتحه وقرأ فيه جملة صالحة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبينه : ثم اختبر آخرون بالاعراب وبالحساب ورسم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعى ككيفية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة فى فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسنوا جميعاً وصفق لهم النادى مرات متعددة . وأنكر الأستاذ الشنقيطى التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الاكثرون لأن بعضهم يراه من العادات المباحة التى اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل إليه الانكار . وكان الرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهى على ماذكرنا فى السنة الماضية قسمان أحدهما ريع المال الذى جمع لاقامة تذكار لعلى باشا مبارك لخدمته المعارف فى مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من الناجحين فى المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأى على أن يشترى به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا المدة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر للحاضرين سعيهم فى الخير لمشاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال مامعناه ملخصاً :

لابد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً انا أوافقهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات فى الدين والأدب كالذى سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعانى العالية مالاترتقى عقولهم إلى الاحاطة به وماتعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الاذهان بحفظ مالا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من ورائه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لغرض صحيح يوافقنا عليه المتقدمون بادى الرأى . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستنا إلى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع فى خطب المساجد ولا فى دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التى تبعث النفوس على العمل بأحكامه كالذى سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معهداً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن يحفظ كل تلميذ بعض مقالات فى هذه المقاصد يجتهد فى إفهامه معانيها بالجملة كما يقتضيه سنه ويوكل الفهم التفصيلى إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحفوظات القليلة المفيدة ذخر للتلميذ فى مستقبله وهى كبذرة وضعت فى أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقى والتغذية حتى تثمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا أجلتم النظر فى أحوال المسلمين ترون ان ترك تعليم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها فى النفوس (وهو الفقه الحقيقى فى الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والاتيان به على غير وجهه من بعض آخر . واضرب المثل بفريضة الزكاة التى حفظ تلامذتنا مقالة فى فوائدها فى العام الماضى كما يذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التى سمعتم فوائدها وهى التى تلى الزكاة فى الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبذل المال فى إقامة هذا الركن يفضل غيره من أنواع البذل ولذلك قرنت الزكاة بالصلاة فى القرآن فى أكثر المواضع وقد جعل الله انفاق المال فى سبيله آية الإيمان ، وجعل تركه علامة النفاق والكفران ، وقاتل الخليفة الأول بموافقة الصحابة كلهم رضى الله عنهم مانعى الزكاة . ومع هذا كله نرى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالمرة . وأطال الأستاذ الكلام فى الزكاة وفى مضرة تركها ثم انتقل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدون هذه الفريضة على الوجه الذى أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل إلى الكلام فى تعليم مدارس الجمعية فقال

ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء مالابد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلغة أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملا والحساب

والتاريخ وتقويم البلدان والـ فا من مبادئ التاريخ الطبيعى وحفظ الصحة وأدب المعاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الأشياء على وجه مفهوم فى أربع سنين وسن التلميذ لايتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاما فى البلاد ومنبثا فى جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات فى المدارس الثانوية والعالية ما هى مستعدة له . ولكن المانع المشتغلين بالتعليم والتعلم من التوجه إلى سلوك هذه الطريقة أمران — أحدهما ان رغبة الناس منصرفة إلى جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة لأنها شرط الاستخدام فى الحكومة والسبب فى رغبة الناس فى خدمة الحكومة هو ان الناس لعدم ثقتهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف هممهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وان كان وشلا آسناً فإذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو فى أعلى الصعيد أو السودان ينام آمناً مطمئناً ويلقى هم الدنيا وراء ظهره الا إذا تيسر له السعى فى شفاعة تزيد فى راتبه أو ينتقل بها إلى مكان غير مكانه ولو استعمل مواهبه التى منحه الله إياها وكدح فى طلب الرزق من طرقه الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من أهل الثراء الواسع والنعيم الخصيب ما شاء أصحاب هذه النفوس الخاملة الصغيرة ثم انتقل إلى بيان السبب الآخر فى عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما ثانى السببين فداؤه اقتل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين والمربين فاننا نحتاج فى التعليم الابتدائى إلى من يبدئ التلميذ فى السنة الأولى بألف با فلا تنتهى السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرض عليكم نموذجه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج معلماً لاحدى مدارسنا فنعلن ذلك الجرائد فيجيئنا الراغبون بالعشرات فنمتحنهم ونختار من نراه الأمثل وان لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن على طريقتنا فى المدرسة مع طول التنبيه والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم معلمى الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافي هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتخريج المعلمين ولا بد في هذا من سعي العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فانصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان نقصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في ايضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تتمة سيرة الكواكبي)

وكان أول عمل عمله في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والمصالح ويسمون (الجاويشية) ولكنه زاد في رواتبهم لعلمه بأن الذي يضطر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رياسة البلدية ان أرجع رواتب الجاويشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقيب عزله ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيد الغرامة التي ظلمه بها

ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوإ الأحوال في الصورة والمعنى فكان ينفق على إصلاحها من جيبه حتى انه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ جعل لكل مكانا ينتظر فيه دوره للتقاضي ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لايهاب حاكما ولايخاف ظالما وعزيمته هي التي جنت عليه فقد كان نجح في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لمصلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل عمل الفقيد في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه إدارتها العمومية والحكومة جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بتهريب الدخان البلدي وبيعه في حلب سبعمائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من التهريب بحكمة عجيبة . وسيأتي مجمل خبره في عداء الوالي عند الكلام على بعض العقوبات التي نفيها في طريقه

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانفصل من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذى ألمعنا إليه ولثقة الفقيد بنفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الاستانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فعقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتى بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً فى المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية فنهب الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفى المصلحة فكان الفقيد يخسر فى الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوسل بذلك إلى الاستانة بحل العقد وإبطال الإتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة

ولإخلاصه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه فخرية أى بغير راتب كاعرف من الترجمة الرسمية ونزيد على هذا أنه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق فى هذا العصر

مشروعاته : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل بلاده على بال . (منها) إنشاء مرفأ فى السويدية وطريق حديدى منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خوارة فى سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواهها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى إلى غاباتها إلا الخنزير البرى فذهب الفقيد إليها واختبر حال الأرض والعين اختباراً هندسياً زراعياً فعلم أنه يمكن جر مائها إلى أدلب القليلة الماء وتجفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة وتحيا أرض أدلب ويحيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً .

و (منها) إنارة حلب وبيرهجك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدثه من نهر العاصى فى محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشغر وكان اختبر المكان اختباراً هندسيا فعلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كالرشوة ونحوها . وقد كان أعطى امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فادخلت مع الفقيد فى العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك إلى إبطاله .

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأوون إليه وكلاء الدعاوي البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات، ويستضيئون برأيه في دياجير المهمات، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضي، ويغنيهم عن المحاكمة والتقاضي، فإن احتيج في قضية إلى الحكومة يندب لها من يراه أهلا لها من الوكلاء المحامين وإن كانت عظيمة الشأن يندب نفسه ويحاكم المبطل حتى يحق الحق لصاحبه. وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة. وكانت الحكومة نفسها تستشيره في الشئون الغامضة وتعتمد على رأيه

مقاومة الحكام له: ورث الفقيد عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوى الأردبيلى المهاجر إلى حلب وما حديث الصفويه في الامارة بمجهول. بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية. وهذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب بثروته. غاضب عارف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانه شاكياً من سيئات الوالى شارحاً لها فعلم الوالى بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيد وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سماها (لائحة تسليم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطلب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستنطاق غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيد فكتب إلى الاستانة كتابة مطولة يشهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحاملها عليه وتحريها ظلمه وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فاجيب طلبه وحوكم في بيروت فحكم ببراءته وما زال يتبع الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من بشره بالعزل بواسطة نائب الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أوعز إلى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقيد أباهم لنصبه إياهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالهارب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيد ليحاكمه ولكنه لم يكد يصل اليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من اعدائه ويقال أن السبب الأول في ذلك إباء الفقيد أن يصدق على نسب الشيخ أبي الهدى هذا وان الشيخ أبا الهدى صار نقيب أشراف حلب وكانت هذه النقابه من قبل في آل الكواكبي. ومن آداب الفقيد العالية أنه كان هنا يثنى على صفات الشيخ أبي الهدى الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلما كان يخوض بانتقاده إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفا من الجنيهات وخسر أضعافها بادارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالي عن إرسال العساكر لمنع نهب الارمن مال الشركة. وخسر بسبب مدارة الحكام غير ذلك من المزارع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالي التي اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركمان باغراء خفي حتى أخذوها . (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للاراضي الاميرية فألف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فأغرى الفرون بعض عشائر الاكراد بالتعدي على حصته فحاكمهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفي أثر ذلك سافر مهاجراً إلى مصر

سياسته ورأيه في الإصلاح : لم يكن الفقيد في اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته غافلا عن شئون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التي كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائط خفية . ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلا وأنه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أي عقيب قدومه إلى مصر . وقد قال لنا مرة إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد في الذهن من الافكار والأراء مالا يتولد في غيرها . ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره في البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم في عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأي الفقيد في الاصلاح وقد كنا معه على وفاق في أكثر مسائل الاصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الغازي اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير إلى المسائل التي خالفنا الفقيد فيها في هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية .

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذي يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين . وقد زعم زاعمون ان معظم ما في هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالي في الظلم . ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودوقهم في العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويرا واذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت في المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديم العكاظي وزادفيها فكانت كتابا حافلا يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى

وإذا علم بعد هذا كله أنه نقحه بعد الطبع وحذف منه قليلا وزاد فيه كثيرا علم اليقين أن ينبوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد في كل يوم فيضانا وتفجرا . نعم إنه قال في مقدمته أن بعضه مما درسه [illegible] وأنا أعلم [illegible] إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكي كلام كثير [illegible] (أبو مراف) وبين من يحكم عقله في علوم الناس فيأخذ ما صح عنده [illegible] ومن كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو الفيلسوف ان كان اجتهاده هذا في العلوم العقلية والكونية وهو الإمام ان كان اجتهاده في العلوم [illegible]

وجوه الإ[illegible] وجه [illegible] إلى [illegible] في معرفة حال المسلمين [illegible] في الإصلاح على بصيرة [illegible] الأخبار التام لبلاد الدولة العلية تركها وعربها وأكرادها وأرمنها [illegible] اختبار [illegible] ومعرفة حال [illegible] منذ سنتين في سواحل أفريقية الشرقية [illegible] في [illegible] الماضي [illegible] بلاد العرب التي كانت [illegible] أم الأخبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال [illegible] بالأمراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حالة البلاد الزراعية وعرف كثيرا من معادنها حتى انه [illegible] حالة الأخيرة [illegible] معاني [illegible] الله له في [illegible] بتوصية من وكيل إيطاليا السياسي في [illegible] سواحل بلاد العرب وسواحل أفريقيا الشرقية [illegible] وكان في نفسه رحلة [illegible] التي [illegible] دون [illegible]

[illegible] أحسن [illegible] ودخل في الأعمال [illegible] وتصدى للمشروعات [illegible] المسائل أحسن الكتابة [illegible] في البلاد واختبر أحوال الأمم [illegible] يكون حاله وما هي درجة استعداده؟؟ هذا هو صديقنا الذي [illegible] بالأمس فكأنما فقدنا به الشمس ومثل تلك الأعمال الكبيرة لا [illegible] إلا [illegible] وقد كان له أمل في مصر وأمرها أراد الاختبار [illegible] كان لموته تأثير كبير في الفضلا والعقلاء وقد سمى [illegible] الجناب الخديوي [illegible] له [illegible] بأمر [illegible] على نفقة سموه وأن [illegible] بدفنه فكان ذلك . فرحم الله فقيدنا وأحسن عزاء الإسلام والشرق فيه

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : أن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ — ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبد الكريم بالزقازيق: نقرأ ونسمع كل يوم من مذام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والعسر واليسر وما مسمى هذا الاسم أهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؛ والحامل لي على هذا السؤال انني سمعت من أحد العلماء حديثا أدهشني وهو: « لاتسبوا الدهر فأن الدهر هو الله » وقد نرى أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رايكم فى هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبدإه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقا حقيقيا وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدباء والشعراء ذم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام قلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا تقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد موهوم » وإنما يقصدون ان تعاستهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم مواتاة الشؤن الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤن التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أعم

شيء يمكن أن تسند اليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحيي ويميت وهذا النفي المطلق جهالة لا دليل عليها ، وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ « لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » ورواه غيرهم وله ألفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها ، ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقته وانما يسمونه الدهر لأنه غير متعين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو الفاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٣) أحمد أفندي متولي بمصر : اطلعت على حديث في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما نعتقده من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع العقل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافا حقيقيا فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اذا لم يمكن تأويله وإرجاعه اليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالي ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصدد أن يصاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان معلقاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشافه علي الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذى لا يمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس مرفوعا « أكثر من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نمير ابن أوس مرسلا « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد أن يبرم » . والحديثان ضعيفا السند جداً . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للعقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في المبادئ . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهنأ الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهليهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالمناكدة والفجور كأنه لم يعش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة فى الغالب وهذا انما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما فى علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون فى الاسباب لا فى أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة فى الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٣:٥٥٨)

رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م . ص . فى الجيزة : اذا رضع الزوج ثدي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت فى الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروي عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطنى عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان فى الحولين » وفى حديث صححه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وكان قبل الفطام » والمراد بفتق الامعاء كونه عمدة فى التغذية ولكن وردت أحاديث اصح من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد أجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن أراد الاحتياط فليجتنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم نفهمه وسنجيب عن اقتراحكم فى الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

﴿ فرنسا والاسلام ﴾

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمه لا تهتدي معهما الى طريقة تطمئن اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشتراع هذه

الطريقة وماهم بشرعيها ولما تطمئن نفوسهم الى شيء كاطمئنان نفس انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت نتيجة حسن سياسة انكلترا في اوربا كلها بحرب الترانسفال فلقد كانت عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي تألبت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وأنتهت الى مثل ذلك الخطر الذى كانت فيه انكلترا أيام كانت الحرب في شبابها .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان فرقاً بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوباً لا تزال الشهامة الاسلامية والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهلت أقرب حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الفرصة من الخروج عليهم حتى كان العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العرابية ودعاتها بعدما كانوا يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحاكمين والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العرابية فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عرابيون » ودعا لعرابي وحزبه بالنصر . واذا وجد فى العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العرابيين وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكامهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدهم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم يتمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستذلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا ينبعثون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استعداد الشعوب على الترقي كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها الاتحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركتهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تنشيطاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوبا ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستعمار ما يغنيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويغنيها عن تأليف اللجنة التي الفتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يعرفوا مايكتبه الاحرار العارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكامهم يستكتبون بعض المصانعين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهمونهم ان هـذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . ا كثر ما يكتبه الفرنسويون عن الإسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهنالك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما ينفثون السموم ويظلون المسلمين بظل من يحموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعلم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية فى بلادها كما تقاوم الاسلام فى مستعمراتها ولكنها تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وأنهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ما سنحت لهم الفرصة وثبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا فى الاوهاق ؛ وتغل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما فى العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ — ومن الاعتقاد ماهو ظن وان بعض الظن إثم . ولا شئ يحرج الصدور ؛ ويمضّ النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الاكثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

نحن والعقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الاقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الوجع مصوبا دائما الى صدور المسلمين ٠ وفرنسا أقدر منا على اقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ؛ وخلابة اللسان ، مالم يؤته إنسان؛

فرنسا في شك مريب من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أيمكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدوء وسلام ، ام ذلك من الأماني والاوهام، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، والارتياب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغير ، ولو أخلصت فرنسا النية لعرفت القضية ، وبلغت الأمنية ،

لو اطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباحت لكل أحد أن يمازجهم ويرى ماهم فيه حينئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب بجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبيلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها ٠

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته ٠ ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة فى المعاملة هي التي تربي الأمم وترجع اليها استعدادها المفقود ، او تبعث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية فى مشارق الارض ومغاربها وإن كانت اكبر خسارة على المسلمين فى الظاهر ٠ وان من ساسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بمَ يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون فى جرائدهم وكتبهم انه لابد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واخماد جذوته ؛ كما بينا ذلك فى العدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل الانكليز بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه فى السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الانكليز ناصحاً قومه ومبيناً لهم الحيل والدسائس التي تفتت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا فى أفريقيا خرقاء وربما تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى والى الله المصير

(يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي فى باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني

(تتمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

كان آخر القول في النبذة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فتنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفاً فهل شكرته عليه فيقول يارب علمت انه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من أجريته على يده » :

(وأما) علمه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت « عديٌّ وتيم تبتغي من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما انها عرّضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليهن وقال « ياويلكن ليس في عديِّكنّ ولا تيمكنّ قيل هذا وإنما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم » . وتمام هذا الشعر:

فحالف ولا والله تهبط تلعة ... من الارض الا أنت للذل عارف[1]

ألا من رأى العبدين أو ذُكرا له ... عدي وتيم تبتغي من تحالف

(١) التلعة تطلق على ما علا وعلى ما سفل من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يا أيها الرجل المُحوّل رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال لا يارسول الله ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسمعها .

(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة يارسول الله قال « أجَلْ ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فانشدته من قولي :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بَوادِرُ تحمِي صفوَه أن يكدرا[1]

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

---

(١) البوادر جمع بادرة وهي الحدة او ما يبدر من الانسان عند الحدة من الخفة الى الانتقام بالقول او الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن النجار بلفظ [بجدنا] بدل [مجدُنا] وفيه انه انشد البيتين بعد ذلك من نفسه فقال له عليه السلام « لا يُفضَض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فلقد رأيته بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أشُرًا كأنه البرد . والاشر الحدة والرقة في اطراف الاسنان والتحزيز الذي يكون فيها

فنظرت اليه فكأن فاه البَرَدُ المنهلّ ما سقطت له سن ولا انفلّتْ ترِفُّ غُرُوبه (١)

(ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أنْ كعباً وأخاه بُجيرا خرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العَزّاف فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر مايقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فأسلم وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه بجير يأمره ان يسلم ويقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من شهد أنْ لا اله الا الله وأنْ محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعادة فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مغلول (٢)

وما سعاد غداة البين اذ رحلت ... الا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظَلْم اذا ابتسمت ... كأنه منْهل بالراح معلول

سحّ السقاة عليه ماء محنيةٍ ... من ماء أبطح أضحى وهو مشمول (٣)

«١» الغروبُ الاسنان ورفيفها بريقها كذا في الهامش بخط الاستاذ وقبل هذه الجملة «ولا انفلت» ويظهر لي أن أصلها «ولا انفكت» وهي مع «ترف غروبه» جملة واحدة والانفلال الثلم والاثر «٢» المتبول من تبله الحب اذا أضناه وأفسده أو ذهب بلبه وعقله. والمتيّم المذلّل المعبّد. والمغلول من وضع الغل في عنقه وفي رواية «مكبول» وهو المقيد بالكبل أي القيد «٣» وفي نسخة «سحّ السقاة عليها» أما الرواية المشهورة في البيت فهي

شُجّتْ بذي شَبَم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

أكرم بها خُلّةً لو أنها صدقت ... موعودَها أو لَوَ انّ النصح مقبول (٤)

حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول (٥)

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال انكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

لا يقع الطعن الا في نحورهم ... وما بهم عن حياض الموت تهليل

شُمّ العرانين أبطال لَبُوسُهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحلَق أن اسمعوا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم يحلقون حلقه دون حلقه فيلتفت الى هؤلاء والى هؤلاء والاخبار فيما يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفّى حتى كان الوزن عيباً ، وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ، فقد ابعد وقال قولا لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم: انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح (٦) . وقد روي ذلك عن النبي صلى عليه وسلم مرفوعاً :

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنّى في الشعر ويلتهى به : فانا اذا

---

(٤) وفي رواية « وَيْلمّها خـلة (٥) وفي رواية لنور بدل لسيف ، ولا تفسر الابيات فالقصيدة شهيرة ، وشروحها في الايدي على انني لم ار أحداً من المحدثين رواها

(٦) روى الدارقطني في الافراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في الاوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمرو ، والشافعي والبيهقي عن ع مرسلا : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه ق

كنا لم ندعه الى . . . من أجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، و . الكلام البين، والى حسن التمثيل والاستعارة، والى التلويح والاشارة، والي صنعة تعمد الي المعنى الخسيس فتشرفه، والي الضئيل فتفخمه، والي النازل فترفعه، والي الخامل فتنوه به، والي العاطل فتحليه، والي المشكل فتجليه، فلا متعلق له علينا بما ذكر، ولا ضرر علينا فيما أنكر، فليقل في الوزن بما شاء، وليضعه حيث أراد، فليس يعنينا أمره، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه، وهذا هو الجواب لمتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما عَلَّمْنَاه الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر، ومن حفظه وروايته، وذلك انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولا فصلا، وكلاماً جزلا، ومنطقاً حسنا، وبياناً بيناً، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة، وحماه الفصاحة والبراعة، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم، وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب. واذا بطل ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه انا ندعو الى الشعر من أجلها ونحدو بطالبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالا، والتعلق بها خطلا من الرأي وانحلالا:

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كره للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها تتوجه الى أمر لابد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاما عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبست به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال، واذا كان لابد لك من ملابسة موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه. قيل له (١) هذا منك كلام لا تحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب اثما، وكسبه ذماً، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريده لمكان الوزن خصوصية دون من يريده لأمر خارج عنه ويطلبه لشيء سواه، فاما قولك انك لا تستطيع أن تطلب من الشعر ما لا يكره

(١) جواب قوله « فان قال اذا قال الله » الخ قاله الأستاذ الامام

حتى تلتبس بما يكره فاني اذاً لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرده له وأردته لاعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالاً في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فارى موضع الاعجاز وأقف على الجهة التي منها كان، وأتبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ لاتكون مؤاخذة حتى يكون عَمْدٌ الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل المموهين ليعرفوا فرق مابين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البر اذ كان الغرض كريماً والقصد شريفاً

هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار . وما صح من الآثار ، وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه ، وكان الشاعر لا يعان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيَّد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخطّ حين جعل عليه السلام لايقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهةٍ كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقمع للمعاند ، وأردَّ لطالب الشبهة، وأمنع في ارتفاع الريبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلا يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما فيه من بلاغة ، وما يختص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

---

(١) وقال ان كلة (قصدٌ) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد فاه بالكعام عندهياجه لئلا يعض أولاجل منعه الأكل

ولا يعمّ وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) ولولا أن القول يجر بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره اه

﴿ تتمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعدي الحكم الى أجزاء المأمور به أو المنهي عنه أو الى دواعيه أو الى ما يشاكله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعيا فتختلط الأمور في فكره وتشتبه عليه الأحكام ولا سيما من تعارض الروايات فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً . ومنهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة . ومنهم من تورع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى الآية أو الاثر في الحديث اذا كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيما يوقعه في التشديد ويظن الناس منه ذلك ورعاً وتقوى ومزيد علم واعتناء بالدين فيبادرون الى تقليده ويرجحون اجتهاده على غيره

وهكذا عظم التشديد في الدين بالتمادي حتى صار اصراً واغلالا فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف ، وأن وضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف ، قال تعالى شأنه وجلت حكمته : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال جلت منته مبشراً « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة ، وعلمنا كيف ندعوه بعد أن بين لنا أنه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » وهو ان نقول : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » وقال تعالى « لا تغلوا في دينكم » وقد ورد في الحديث « لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه »(١) وفي

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ « ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا » ورواه غيره أيضاً

حديث آخر « هلك المتنطعون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة ان ترك السحور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فنهاهم النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بالفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرغبت عن سُنتي » فقال بل سنتك أبغي قال « فإني أصوم وأفطر وأصلي وانام وانكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء وكانوا حرموا الفطر على انفسهم ظناً انه قربة الى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلوٌ في الدين واعتداء في شرعه فأنزل « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » أي أنه لايحب من تعدى حدوده ومارسمه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ماتركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه »(٥) فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « ان أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحُرِّم من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلا فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها انه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لايتجاوز حد الندب جعله الأكثرون سنة وخصصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يسند بباطن رأس الخنصر ويمسك بالاصابع الوسطى ويدعم بالابهام قائماً . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتفل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة وبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي احتج بنقصان الغرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أوعند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن ايضاً حتى صاروا يتبركون بعود الأراك يخلون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائماً ركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا التي يورث مستعمله الجذام : ويتوهم كثير من العامة ان السواك بالاراك من شعائر دين الاسلام الى غيرهذا من مباحث التشديد والتشويش المؤدين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من الندب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بغلاة الصوفية ويلتمسون لهم الاعذار وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كلياً ولندرتهم في سواحلنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والعرب والروم والشام لما عرفت اكثر ماذكرت وانكرت الا عن سماع ولكنت اقرب الى حسن الظن ولكن مابعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة لاننا نرى مؤسسي التصوف الأولين كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالا وقالا. وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الاعهداً قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات . فالشافعي في شغل شاغل بحويصة نفسه وهم مستمر من جهة دينه وتحول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقلبهم في النظر في الشؤن العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحاكمة الشؤن لاجل العمل بالاسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولايزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يميرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتسويش ، وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماثة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظنات الشرك الجالب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ الى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ) وقوله تعالى (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ ولِلرَّسولِ اذا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ اليكم من ربكم ولا تَتَّبِعُوا من دُونِهِ أَوْلِياءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المتعصبون للمذهب الشافي السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالى فيه لا تصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الجيلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لاغبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، ولله على عباده الحجة البالغة ، وعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ماهي الا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تنصروا الله ينصركم»

نعم هـذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع على التائهين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يختلج في فكره ما يخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يتهيّب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلّسين ويخاف من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير هيّاب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية والتعليم

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(النبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو نعلم لنظارة المعارف عذراً نعذرها على تلك العيوب وضروب التقصير ونتكلم في هذه النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم

العيب العام الاكبر هو ما جاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة ائمتها الاوروبيين كلهم فهي لاتجد لها دولة أوربية تقتدي بها .
ولم تكتف بتعليم قواعد اللغة الاجنبية ومباديها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكأن دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصداً .
وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع .

ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري بازاء خصوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم .
وكأن «الضمانات الخمس» التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي لتزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلموها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبية .
فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . ومما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية إهمال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية .

الأمور التي تهمّ الامة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس .

وأما اللغة العربية فتقصيرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لاتحيا حياة حقيقية الا بجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعميم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممدة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤن لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقوّمات حياة الامة تنازعا

ينفصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً الى العمل والعمل منبعثاً عن العلم الا اذا كان العامل عالماً ونتيجة هـذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العـلم الى لغة الامة وهو المعقول المقبول واما نقل الأمة الى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام الأمة وجعلها غذاء ومدة الأمة التي تنتقل الى لغتها وما اخال أن ناظر المعارف ورجال «ضماناته الخمس» من أمته يرضون بذلك سرًّا وجهراً فان كان ذلك هم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بلغتها وان كانوا مغلوبين على أمرهم المستر دنلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعيـة العمومية فى طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه ان قوانين نظارته موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمس ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الامم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والامة والوطن فى الناشئين فبتعليم التاريخ كانت المانيـا المانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة ثم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرّفه حكيمنا الامام بقوله « العـلم ما يعرّفك من أنت ممن معك »

اذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الامم الاوربية بتلقين الناشـئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلا تفصيلا وجملهم تاريخ بقية الامم في الدرجـة الثانية فالتلميذ عندهم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته الا بعد أن يشرب قلبه عظمة سادته وحبهم وحب بلادهم . ويقال ان أكثر الالمانيين لا يكادون يعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم الا إجمالا لأن الواجب في رأيهم على كل انسان ان يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقائهم . وأما معرفة أحوال بقية الامم فانما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه الى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يغرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هـذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الامم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم الى قومهم ونسبة قومهم اليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فانها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانيـــة) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان سلف هذه الامة الغريبة هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهى والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب ٠

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أميري مصر ، وفي السنة الثانية اقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية «٣» الحروب الصليبية «٤» الدولة العثمانية «٥» عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي «٦» عظم فرنسا (٧) ارتقاء الروسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقيـــة وما فقدته الدولة العثمانيـــة من أملاكها وتقلب وسياعتها واضعافها . . (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أمم أوربا (٢) نمو الحرية السياسية في أوربا (٣) المدنية عند جميع الامم ماعدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسـباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار ٠ وكل هذا يعلمه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بضمانات ناظر المعارف الخمس » واطمئني له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لايعرفون لهم أمة ولاجنساً ينتمون اليــه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده وتجديد فخره . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي نراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان من يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في البـاطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمقتون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ماكان من سلائل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرنؤد والجراكسة وان كان حكامنا منهم ؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فنسميه وطنيا ظاهراً ولكننا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاســلام فيجب أن تتحدوا مع كل مسلم من أيّ مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة ، وانا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب ، فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لايحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان القبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دخيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها وينتفع منها سواء كان شرقيا أم غربيا مسلما أم مسيحيا . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لاتدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على ما فيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا فى مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع فى المجلد الثاني والله أعلم

آثار علمية أدبية

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولعين بالبحث وهو أحمد افندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعيـة في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم للاغنياء وقسم للمتوسـطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث فى المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم فى النفقة والبـذل والاوهام . وفي معرفة أحوالهم فى التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبحثه في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح ينبه الافكار المستعدة الى السعي في اصلاح الخلل واتقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر

الكاتب تحري الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الادب فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما أتى من ذلك له كثير على من كان مشغولا بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة صالحة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد انتقدنا عليه التقصير في تصحيح عبارة الكتاب وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملا بالحديث الشريف واتباعاً لسنة المسلمين سلفهم وخلفهم. وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر وأجازه وأثنى عليه وبدأ تقريظه بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريظ الا بنقل بعض فوائده في أجزاء أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فانه لم يكتب عنه الا جملة وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المجلة بالإصلاح الديني والتنفير عن البدع ولكنه عرّض فيها بنا بأن الأمور الشخصية تغلب علينا وقد ظهر لنا منه انه رجع عن هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الأزهر الشريف واهل الأزهر أجدر الناس بمعرفة تاريخه والتأليف فيه. الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون. ويلي المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء تأسيس الجامع وماعرض عليه بعد ذلك وتجدد فيه وثانيها في أروقة الازهر والمؤسسين لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة كحادثة رواق الشوام في اثناء الوباء وخامسها في عادات أهل الأزهر ويتلو ذلك خاتمة في الاحصاء وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكره من عادات أهل الأزهر انه لايمكن لاحدهم أن يعمل عملا يكتسب به لافي أثناء الاشتغال ولابعده قال (بل اذا انتحل شيئاً ينتفع به يعد في أعين اترابه كأنه اقترف ذنباً عظيما) وذكر أن هذه هي علة فقرهم. وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الأزهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيتهم الانهماك في الطلب ومايقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وفاته ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلايفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً . قال : «وأما عادتهم في الأكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكراثاً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبهم يقوم بعمله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك» هذه عبارته بحروفها وسوء تأديتها أمارة في الكتاب مثالها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتنائهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم بحرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجيب لعدم استحضاره) اه بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لاعناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال والمناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحاراً زاخرة هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤنها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتون قراءة

وبالجملة ان في الكتاب فوائد لاتوجد في غيره من المصنفات في تاريخ الازهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فنحث على قراءته

(شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحملاوي مدرس العربية في مدرسة دار العلوم سابقاً . وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبابي شيخ الجامع الأزهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح واضافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فنحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمير الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم في السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم في المعارف (البروغرام) فنحث التلامذة على الاستفادة منه

(المستطرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثيراً من النوادر الأدبية والفكاهية والغرامية وطبع في مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام متري أفندي زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الابرار) للشريف منصور أفندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل في مسائل سئلها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان مانراه صوابا وما نراه منتقداً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

باب الأخبار والآراء

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سأله عن أخبار بلادهم مانصه بحروفه :

« وردنا جواب من بُومَه تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذي وقع عليّ كما اخبرتك في شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت نيتي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقه سَلِمْتُ والحمد لله على كل حال . والآن انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك ثانياً فالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسئلة داخل جوابنا هذا وتسأل خليفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية . داركاتم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ماوقع من الحرب بين الفرنسيس وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدى المهدى بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان غرضه العافية لصلاح الجميع فخبرني بذلك فاكلم الدولة الفرنساوية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد خبرني وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لابد تعرفني بحقيقة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في بير هلالى ؟ علمي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيط والشيخ شرف الدين وغيرهم اه

قال التاجر : « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرنسه والشيخ سيدي المهدي وأكلتها دولة فرنسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرنسه نحن نرسله الى جغبوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم . بنا ينصر الإخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرنسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرنسه . وأرسلنا جواب الى رحب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لا تهمنا والسلام اه مكتوب التاجر

والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإبهام . قال الذي أرسل صورته الينا : حبذا لو علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بوكة ؟ وما معنى قوله : تم البحث الذي وقع على ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رحب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جغرافي (كما تقولون في المنار) يريد أن ينتفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي ؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ اشارة الى أنهم فتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حملني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سلامتُ) . ويفيد قوله : (وتسأل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيما في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ماهي أحوال الإخوان مع دولة الاتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجعه دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملأ النواحي سبابا وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولابذئ ولاصخاب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحجة على الأنام ، بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتفنج والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفقه في الرد على «المنار» ، فكان مجلبة الخزي والعار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، وماعهدت الهداية بشتم الورى ،

بعد أن أهدى الينا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب الينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لاتذكر ، والعاهة التي لاتسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لاتنقطع كسيل السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدَّث مسيح مرسل امام عند شرذمة قليلين . ماهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطّال شطار ، يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح البنوّة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث النبي بخزعبلات كاسدة ، » ثم ذكر هذا العالم مجادلته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردّنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقلته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه . وأطلق بالسب لسانه ، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال « فان لتحريركم وقعاً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » »

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الألمعي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق البينات ، وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها ، ولا تكأة يتوكأ عليها ، الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب اليه ، فقد ادعى انه معجز للبشر ، لا تأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه ، الذي جعله عمدة تحدّيه ؟ ان قال ان العمدة ، هي قصر المدة ، فاني ألفته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولا اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل لك عليه من بينة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة ، في مدة قليلة ، ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات ، لأنه ليس من خوارق العادات ، فالفناري ألف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام ، ولم يتحد به أحداً من الأنام ، وثالثاً اننا نطالب منه محكمين من أهل الانصاف ، يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أغاليط كتابه في اللفظ والفحوى ، والعاقبة كما قال الله تعالى للتقوى ، ليعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة ، لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانهما الرفيعة ، وتشويه محاسنهما السنية السنيه ، وان إصلاح نفوس المسلمين ، لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنعجل قبل تعيين المحكمين باظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعدنا الجزء الآتي

أما الآن فاننا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعساطته في خطابه ، قال بعد مازعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانصه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتيب للاستفسار ، ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذي ويزري

غير وان في الازراء والالتطام ، ولا لاوالى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ، وعمدان يؤذي ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما أمعن كأولى النهى ، وأخلد الى الارض وما استشرف كأولى التقى . وخرّ بعد ما علا ، وان الحرور شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى

ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقمت لتندد بهواني وذلتي ، وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات النواقيس ، وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فجرحتني كالالاكز والواكز . وذكرتني بالنوش والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الخصائل الفرعونية . ولست في هذا القول كالمتندم ، فان الفضل للمتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة ... فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث « ... فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » لانه ينظر بظلمة غروره) والروية ماتحققت ، ... جدت بالمعنى المنعكس ريّاك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقائلها ولا تليق بنزاهة من ... يفهم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لايفارقها الاظى ، وتفور منها الى هذا ... دت نار الكبر والعلى . فعفى (كذا) الله عن موسى ، لم تركها وما عفّى . (وهنا ... الأد ... موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير ، على ان تعفية ... مصر واهلاكها بيد الله لابيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للغلط والتكلف مانصه : « وحسبتك حبيباً يحيي كنسيم الصباح ، فرأيت كعدو شاكي (كذا) السلاح ، وخلت انك تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حدتك وشدتك من غير التحقيق (كذا) ، فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكني استروت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمد الى التوهين والتحقير . وكيف قصد شراً لايزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا

حسداً من عند نفسك لا لاظهار الواقعات ، (اني لا أدعي المسيحية فاحسده على دعواها ولا شيء آخر يحسد عليه) فابتدرت قصدك ، لئلا يصدق الناس حسدك ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حيلة الازراء ، فيستفزهم ويجرءهم على كلما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وما تفوهت وما تجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فاخاف أن يجدد الاشتعال من كلمات المنار ، ويسقط فيه ويبقى على صورة النار . »

ثم ادعى انه كان غالب علماء الهند وسرق سجعات من كلام الحريري وقال « فالآن أحيي الايام بعد الممات ، وشد المنار عضدهم بالخزعبلات . (كذا) فأرى انهم يتصلفون ، ويستأنفون القتال ، ويبغون النضال ويخدعون الجهال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا شدة . بما جاء المنار شيئاً ادّا . وجاز عن القصد جداً . (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجوْر) فأكبر كلمه حزب من العمين ، الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعترضين والمزدرين وقال : « ولكن رأيت أن صاحب المنار ، عظّم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعشي والاسحار ، فبلغني ما يتخافتون ، وعثرت على ما يسرون ويأتمرون ، وأخبرت أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب المنار : « بل أصرّ على الإزراء في الجريدة . فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالعصيدة ، وتلقفوا قوله وجددوا الخصومة بعد ما قطعوها كما هو من شيم القرائح البليدة ، وحسبوا كلمه كالاسلحة الحديدة . وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجرائد الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرءة . وآذوا قلبي كما هي عادة الرذل والسفهاء . وسيرة الأراذل من الأعداء . » ثم قال : « وما أتظنى أن يكتب المنار من معارف كمعارف كتابي ، ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ما عمد الى الاحتقار والتطاح كالعجماوات ، بل أراد أن يعصم كلام الله من سفار الضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يظن ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلاشك انه ادخر لنفسه بهذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأي ذنب على من سعى لحماية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال — : « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره . فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره » الخ الخ

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ — ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب المقائد من الامالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للعقول كمال التجلي الا بعد بيان مسئلتين تجعلان مقدمة له — احداهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة والثانية بيان استعداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠ — ٤) ولا يوجد في اعداء الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن العرب كانوا في اشد الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية ، ويخرجهم من هاتيك الجهالة والهمجية ، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون . وانما حال بينهم وبين معرفة هذا الحق المبين التقليد الاعمى . فالتقليد أعدى اعداء الحق في الدين والعلم وفي كل شيء . لأن المقلد ليس له عينان فينظر في الدليل والبرهان ، بل ينكر الحس والعيان ، ويكابر الوجود والوجدان ، وإنما نكتب ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايمانا وليعتبر اصحاب العقول المطلقة والافكار الحرة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما يغني عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم تفصيلا في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده الى ما شاء الله وانا نقتبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الايجاز ، التي تكاد تبلغ به حد الاعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لنبين كيف كانت حاجة سكان الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الغاشم وتخفض من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم الضعفاء ، والى نار تنقض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل ما أعشو شبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحى ترعج الغافلين ، وترجع بالباب الذاهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة الغاوين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفيم الانسان على الطريق التي سنها الله له[1] « إنا هديناه السبيل » ليبلغ بسلوكه كما له ، ويصل على نهجها الى ما أعد في الدارين له ، ولكنا نستمير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما اتفق عليه مؤرخو ذلك العهد نظر إمعان وإنصاف

« كانت دولتا العالم[2] — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

---

(١) المراد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها (٢) شروع في بيان الكلمة المستعارة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً ممزقة

في الغرب — في تنازع وتجالد مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والفخفخة والتفنن في الملاذ بالغة حداً مالا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأتوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد الضعيف . وفكر العاقل في الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح والأموال .

غمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فعاد هؤلاء كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، ففقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجماوات مع من يقتنيها . ضلت السادات في عقائدها وأهوائها وغلبتها على الحق والعدل شهواتها ولكن بقي لها من قوة الفكر أردأ بقاياها فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الالهي الذي يخالط الفطر الانسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ، ويخرق الحجب التي أسدلت على العقول ، فتهتدي العامة الى السبيل ، ويثور الجم الغفير على العدد القليل ، ولذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحباً من الاوهام ، ويهيئوا كثيفاً من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الاهلية والحرب مع التركمان وسنذكرها في طبعة ثانية ان شاء الله تعالى

ليقذفوا بها في عقول العامة فيغلظ الحجاب ويعظم الرّين ويختنق بذلك نور الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم . وصرح الدين بلسان رؤسائه انه عدوّ العقل وعدوّ كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسيراً لكتاب مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب ، ومَدَدٌ لا ينفد ، هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد أذلاء ، حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة الماضية ، والشرائع السابقة ، أوت الى بعض الأذهان ومعها مَقْتُ الحاضر ، ونَقْصُ العلم بالغابر ، ثارت الشبهات على أصول العقائد وفروعها بما انقلب من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ، والشره حيث تنتظر القناعة ، والدَّعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب الفوضى في العقل والشريعة معا . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين في شعوب متعددة وكان ذلك وبلاء عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .

« وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ، فخر كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسبي نسائها وسلب أموالها ، تسوقها المطامع الى المفاسد ، ويزين لها السيئات فساد الاعتقادات ، وقد بلغ العرب من سخافة العقل حداً صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الأخلاق وهناً قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نفقات معيشتهن ، وبلغ الفحش منهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمته . وبالجملة فكانت رُبُط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها فى كل أمة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة

« أفلم يكن من رحمة الله بأولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه رسالته ، ويمنحه عنايته ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم التي أظلت رؤس جميع الأمم ، نعم كان ذلك ولله الأمر من قبل ومن بعد » اه

فعلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأمراء وان قصارى سير الفريقين كان محصوراً فى اطفاء نور الفطرة الألهية وهدم ركني السعادة البشرية وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان فى الدنيا دينان سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل فكان يغني عن بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء الدينين وحملة الكتابين أن يقيما أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصاً بشعب اسرائيل وهم المخاطبون بالتوراة دون سواهم لعلم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم وحدهم فى الزمن الذي أنزل فيه وبعده الى أجل مسمى . وبعد ذلك أفسد بنو اسرائيل فى الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبوهم وخربوا ديارهم وأحرقوا كتابهم . ثم ان كاتباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار الخمسة التي يسمونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر وفاته وليس ذلك مما أوحي اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود نسوا حظاً مما ذكروا به لا جميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله — لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة لجميع البشر الى كمال الفطرة فكيف تصلح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ

وأما السيد المسيح عليه السلام فانه لم يأت بدين جديد وانما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لان اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة « ليهديهم الى الروحانية ويبالغ فيها بمقدار ما بالغوا فى الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد .

وأما الديانة البولسية التى انتشرت في أوربا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزامهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً فى وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وانما هي عبارة عن شئ واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذين يقولونه وانه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلّص العالم كله من العذاب من آمن به ومن لم يؤمن وانما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب فى رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدّة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الأندلس والشرق كما سنبينه

(م ١٠٢) الاستعداد لعموم البعثة : حاجة الناس الى الشئ تولد فيهم

الاستمداد له فاذا استدللنا بالعلة على المعلول فلنا أن نستنبط استمداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الامم من شدة حاجة الامم الى ذلك الاصلاح واذا استدللنا بالمعلول على العلة فالدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الاديان واللغات والمواقع هذا الاصلاح الروحي الاجتماعي الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الاصلاح الذى غير هيئة الارض وبدّل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدى أمة كانت قبل الاسلام أبعد الامم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية الفطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تألق في مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت في غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تصوّح في أرض الا ونما وترعرع في سواها — كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكلما ظهرت قوّة الاسلام في مكان ظهرت بها ومعها هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخر يبني له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح وسنن الكون اذلو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفى الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استمداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدنية العرب لأول عهدها مع صعوبة المواصلة بين الخافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين المعاصرين فى العراقين من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الكبار ، تغنيهم عن الكهرباء والبخار ، وآية أخرى من آيات هذا الاستمداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام فى الامم ثم يذوب ويضمحل كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أرأيت الاسرائيليين على غلوهم فى دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتى اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويعملون . وقس بهم العرب الأميين وانظر كيف حفظوا كتابهم فى الصدور والسطور . وكيف رأوا فى الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب منها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاورة أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الحيرة ن الترجيح لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين فى كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

ومن آية استعداد الامم للاصلاح الاسلامي على الطريقة الأولى (الاستدلال بالعلة على المعلول) النظر في أصول هذا الاصلاح فمنها حاجة البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الامم المختلفة في الجنس واللغة والدين فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليعيش أفرادها معيشة اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والاسلام جاء لجمع كل الامم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تقييد سلطة رؤساء الدين والدنيا وجعل مصالح الامم شورى بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والعقد المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ المصالح وتحكيم العرف . وكل الامم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول التي وضعها الاسلام سواء لقبت بلقب الاسلام أم لم تلقب به

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبته علم الاجتماع من ارتقاء الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية اللجيّ من فوقه موج من فوقه سحاب لايكاد يرى شيئاً من نور الفطرة أرتقى في الوثنية من الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جماد ونبات وحيوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لاتؤثر بنفسها وإنما تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحوائج. بهذا الاستعداد اصطلم الاسلام بالتوحيد جراثيم الوثنية من جزيرة العرب ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم مؤيداً بالعلم فلم يخب مصباحه في مكان الا وأشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم موحدون لا يعتقدون بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدبر الكون الذي وضع سنته ونواميسه

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتمسون لها الدلائل من الدين فيمحي التوحيد بالمرة . ولكنه لم يمح بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصبغت عندهم بصبغة الدين لضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسئلة الاستمداد بما قاله الاستاذ الامام فى ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام فى العرب الأميين فانظر ذلك فى الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشوابها)

أكثرت الجرائد اليومية الخوض فى هذه الايام في مسئلة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرة وزعم بعض الباحثين ان السبب فى الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متربيات » يصلحن لشبان مصر « المتربين » . . . . وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلهن وأطنب فى التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكثر الكتاب البحث فى تربية البنات فى معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي ناشط اختار في ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون التزوج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وان أكثر الذين يتريثون بالزواج يتربصون الظفر بزوج غنية لا بزوج مهذبة متربية .

ثم أقول انه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وان الاناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتعلمات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لانه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة الملية . ولو ارتقى المتعلمون في شؤون الحياة لاصلحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهن والقوة بايديهم فهم يسيّرون العمران كيف شاؤا .

ورب متفرنج غبي ينغض رأسه اذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فان الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . رويدك أيها الغر المتفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وان كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسعي الرجال صار لهن بها شأن في تربية الاطفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مباين لشؤنهن

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المربى إنساناً كاملا سوياً في خلقه ، مهذباً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إيداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فا

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من ـ ؤرماتركه السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون الذين اتهموا بالتعلم الجديد فصاروا يفهمون أنفسهم وأمتهم قليلون جداً وإنما ساعدهم على الانتفاع استعداد قوي في الفطرة وبعض الاخلاق والآداب الموروثة ولذلك يعد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون لشبان أمتهم ان يتزوجوا بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، واذا اشتكوا فانما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل مالهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

اما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون — على انهم قليل في مجموع الامة — فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لغة اوربية بها يتمكنون من معاشرة بغايا الافرنج مسافحات أو متخذات أخدان . وان عقائل نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الاحلام بله الاقتران بهم وقبولهم بعولة لهن فهذا التبجح الذي يتبجحه شباننا في الجرائد لعلهم أنما هو التبجح بتفضيل البغايا لاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما فتن الناس بزخرف الأثاث والرياش والماعون التي تجلب من أوربا فتذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما خربت تلك البيوت العامرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمات الدين وتركت فضائله وسننه .
فماذا يفتخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلهن لم يجن على الامة والبلاد بعض ماجناه
علم اولئك المتبجحين المترفعين

البنت الجاهلة تتربى في بيت زوجها تربية جديدة لأن العذراء
لاتستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقتاً غير ثابت لانها في طور غير ثابت تنتظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجاً لرجل ثم أماً لولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلياًّ العذارى واشتغلوا بتربيتهن ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لايَنشُزنَ الواخير ولابيوت
السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين مصلحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ماجاء على سبيل الشذوذ .
فما بال تلك « الفتاة المميزة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها المميسات
طفقت تذمهن وتهجوهن في مقالتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأنهم مقصرون وباق في البنات
الآن من المتعلمات من يليق بهم

المميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكلمن هؤلاء الشبان
المغرورين ويعاشرنهم وهذه الفتنة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من
فشوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه المميزة على الشبان فهم

بدت الفتنة واليهم تعود لانهم هم الذين يتعرضون لإغواء البنات . وقد حدثني غير واحد منهم بأنه لايكاد يوجد تلميذ الا وله خليلة من البنات ، ولكن لاتكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمنازلة والمناغاة . فاذا كان هذا حظ شباننا المتعلمين من البنات فماذا ينقمون عليهن من فساد التربية ؟ أينقم بعضهم على من يحبها انها لاتحسن الرطانة بلغة أوربية ! كيف وهو أوسع مادة فى المسائل التى يكلمها بها بلغته العرفية منه باللغة الاجنبية لانهما لايتكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب العشاق الذين لاتربية لهم ولا تهذيب . يوهمنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن تكون له زوجة تعلمت مثلما تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات العلمية والادبية لاحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . وياليت هذا كان صحيحاً ولكن يحزننا ويمضنا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم في أنديتهم وسمارهم ، دون مايقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذا الذى يطلب العلم ليعمل به أوليكمل ؟ ؟ كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التى تقدمهم لوظائف الحكومة والتمرن من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جبلوا عليه من الكسل . نرى أحدهم يجد ويكد قريحته بالحفظ مدة الدراسة حتى اذا مانال ورقة الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب والعناء وجاء دور التمتع — على انه لم يكن فى طور الدراسة مصروفا عن التمتع فيترك البحث والمذاكرة فى كل ماتعلمه الا اذا كان رزقه منه كالمهندسين والاطباء وقليل ماهم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذى يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس الحنطة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد من ثمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدا الى قرن　　أقنى وأنفع من تدريس حبرين

أين أثر علم هؤلاء المتفججين فى التأليف أو العمل ؛ أين الأندية والسمار الأدبية؟ أين الجمعيات العلمية ؟ أين الشركات الصناعية؟ أين الاعمال التجارية ؟ أين التآليف النافعة فى العلوم اللغوية أو العلمية أو الادبية أو الدينية ؟ أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجهل به من العامة الأميين ، ولا يخفى ان الكلام كله فى المجموع لا فى عموم الافراد فان من التلامذة من يرغب في العلم لفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفججين بالعلم ـ وان كان الجهل خيراً منه ـ اذا فتنتم بالاوربيات أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجون الاقتران ليظفر أحدكم بامرأة غنية يتنعم بمالها لان المدرسة ربته على الترف والكسل ، فأقسم عليكم بالشرف الذى تذكرونه ؛ والوطن الذى تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله الذي تعبدونه ، أن لا تعتذروا عن ذلك بتمييزة اخواتكم ؛ والازدراء بامهاتكم ؟ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شئ فى الماضى وهم الذين يعملون كل شئ فى المستقبل وخير لهم ان يكون نساؤهم عونا لهم من أن يكونوا كلا عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦)

في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستمدت الهيئة للمذاكرة والسماع وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية

قال (الاستاذ الرئيس) سنبحث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة واني أرى أن نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما الغربية المعروفة باسم (أكاديميات) لتنظم لنا هذه اللجنة لائحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية

واني أكلف بهذه اللجنة اخانا السيد الفراتي ليقوم بكتابتها وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الاكاديميات وعن مجريات جمعيات ليفربول ورأس الرجا واخواننا العلامة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا يرئسهم لانه أسنهم [١] وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى فيه الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السعيد الانكليزى) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال انا مسلمي (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من (البروتستانية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين ، وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لنتبع الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا ثقاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسعى سعياً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون أي افكارهم منورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا معقود بهداية فئتين اثنتين الاولى البروتستان والثانية الزنادقة .

أما أملنا في البروتستان فلانهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

---

(١) هو من ترك كاشغر لا من أتراك الروم اه من الاصل

ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متواتقة أي باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لايوجد لها أصل صريح في الأنجيل . والبروتستان في أوروبا وامريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مفطورون على التدين قليلو العناد في الاعتقاد مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عقلياً ولاسيما اذا كان الحق ملائماً لاسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية والتوسل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بان للبطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان للبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما يتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لايوجد لها أصل في الأنجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون باصل التوراة والمزامير النابذون للتلمود أي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الأقدمين .

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً لعدم ملائمتها للعقل وهؤلاء في أوروبا وامريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحة تريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلا عن العذاب في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفوراً من شركها وخرافاتها وتشديداتها يقربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها . فبناء على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفربول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن فارجو حضرة الاستاذ الرئيس أن يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاورة والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي المعظم .

فاجابه (الاستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالاخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم النجدي انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة فارجوك

أن تعرفني أولا ماهو الكتاب وما هي السنة .

قال « العالم النجدي » اما « الكتاب » فهو هذا القرآن الذي وصل الينا بطريق لاشبهة فيه لاجتماع الكلمة واتفاق الامة عليه وتناقلها اياه جيلا عن جيل حفظاً في الصدور وضبطاً في السطور مع الحرص المتناهي على كيفية ادائه لفظاً وعلى هيئة املائه كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المضرية القرشية التي نزل بها باتقان لامزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير وموجبات الريب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصدقاً لقوله تعالى فيه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

أما « السنة » فهي ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام أوفعله أواقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتناقلوها بالرواية والسند المتسلسل متحرين الوثوق منتهى مراتب التحري والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاما وقبولا عاما في الامة فوصلت الينا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الانكليزي) لايشك أحد حتى العدو المعاند في انه لم تبلغ ولن تبلغ أمة من الأمم شأو المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر الى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الاسلامية أحسن تحرير فلايوجد فيها ماوجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الائمة فارجوك أن تبين لي ماهو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الاحكام .

أجابه (العالم النجدي) ان الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كمايظن شاملة للاصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لهـا في القرآن أو السنة أحكاماً صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة أو ثابتة باجماع الامة الذي لايجوز العقل فيه ان يكون عن غير أصل في الشرع (١)

« ١ » المنار — هذا القول غير مسلّم اذ يجوز العقل ان يقول المجتهدون في زمن من الازمان قولا مبنياً على خطأ في الاجتهاد لاسيما اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بمعاصد ر الاول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لايجوزه هو الذي لايمكن أن يقع

أما الخلافات فانما هي في فروع تلك الاصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقيا من بعض الصحابة فكلّ قلد من صادف «١» واما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالمدلول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقتضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد العلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات النحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التتبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى)

قال (السعيد الانكليزي) اني أشكرك على ما أجملت وأوضحت غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف الاختلاف في اعتبار الناسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام .

أجابه (العالم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل الا عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر كالنهي عنه حالة الصلاة ثم تعميم منعه . وكتغيير المقتضي للتوارث بالإخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة

«٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد إحكام الوحدة السياسية فى الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون فى الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف لها من الأصل وما ذكره فى الدعوة وفى تحريم الخمر ليس النسخ فى شىء

قال «السيد الانكليزي» ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى «اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» وخلاف ما تقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق.

أجابه «العالم النجدي» اني لا أهتدي لذلك سبيلا «١» ولعل في الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر «العلامة المصري» مخاطباً السيد الانكليزي وقال: ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته. وذلك أنه لما كان معظم الاختلاف كما قرره أخونا العالم النجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الامة هم العامة الذين لا يقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أعني فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالعامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفته فضلا عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون في أكثره أو بعضه فيقوم أحدهم بالبعض دون البعض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقي المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير «٢»

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الاحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة. فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال ان هذه الأحكام في هذه المذاهب هي اقل مايجوز به العبادة.

«١» الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البرتستانية تفرقت في مدة مائتي سنة الى مايزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافا لايهتدى معه الى نتيجة. اه من الأصل «٢» كالاتراك يهتمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اه من الأصل

ويضع له كتاباً آخر يقسم الى عين تلك الأبواب والفصول تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في اكثر الاوقات ثم كتاباً ثالثاً مثل الأولين تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها اولى من تركها.
وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهيات يقسم الى ابواب وفصول تعد فيها المكفرات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الإجماعية او الاجتهادية او الاستحسانية.

فبمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الحنيف ويصير المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره لايعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال «مرحي»

باب التربية والتعليم

النبذة السابعة من جريدة أراسم (*)

﴿ رؤيا منام * أرجو ان تحققها لنا الايام ﴾

رأيتني ممتطياً جواداً أسيح في بلاد مجهولة لاأدري ان كانت من الدنيا القديمة أو الجديدة ولكني بحسب مابدالي من ظواهرها أرى انها لابد أن تكون واقعة على تخوم بلاد الألدورادو (١) او الاوتوبيا (٢)

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

[١] الالدورادو كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس ان ضابطاً من مدينة بزارا كتشفها في امريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والنعيم [٢] الاوتوبيا كلمة يونانيــة تطلق على بلاد وهميــة جرت أمورها على أحسن مايتخيل من النظام وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت فى طريقي بحظائر سيجة باسيجة خضراء فيها قطعان من البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المجترة التى لاتوجد قط في مراعينا تسوم آمنة لاكلب يحرسها ولا راعي يراقبها ولاحظت في انتظام طرق الري فى هذه البلاد وحسن توزيع الماء بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزاياه امتلاء جوّ ريفها بالنسيم البارد المنعش على مافيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من الهضات مكللة بالاشجار كأنها فى تتابعها واتصال بعضها ببعض تخط للرياح والسحاب طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهله آثار النعمة والاغتباط نساؤه حسان وولدانه أسوياء أصحاء الابدان يشعرون حكومتهم بأنهم سيكونون نسلا قويا باسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فلم أكن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراه ومما أرشدت اليه فى احداها بنا آن كانا أقيما فى عصر يسميه أهلها الآن عصر الهمجية احدهما سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلهما خلاء لعدم اللصوص والبؤساء ومع انهما لم تبق لوجودها فائدة حفظهما القائمون على شؤن المدينة ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم .

حدد فى هذه البلاد ماللناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما عليها من ذلك وامتاز بعضه عن بعض امتيازاً بيناً ولهذا تجد الرعايا لايولون حكامهم من شؤنهم الا ماليس من مصلحتهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر أن القوانين فيها على قلتها جداً وصدورها عن رأي من اختارتهم الأمة نواباً عنها لاسبيل لها الاعلى ماكان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا لأنفسهم هذه القوانين لمحاية كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حمقا وسخفا على انهم يؤملون تعديلها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء العرفان

رأيهم هو حاكمهم المطاع أمره النافذ قوله ولم يعهد أن ملكا من الملوك المتنعمين فى صياصيهم المتترسين بحصونهم كان له من المعاقل والمتاريس مايعادل ماحيط به ذلك الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤيدة له القائمة على إعزازه فالقوم أحرار يتفكرون فى كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدهشهم كثيراً على ما أرى أن يعلموا أن فوق الأرض أمماً في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها فى قبضة ظالم

لاقيت فى هذه المدينة شيخاً لا أذكراين ولا كيف لاقيته وقع التعارف بيني وبينه

فأخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويطوف بي على المعاهد المعدة للمنافع العامة لأني لم أر في المدينة قصوراً بنيت لبعض الافراد توفية لاسباب لذاته ولا مسالح ولادور للجيش ولا مواخير للفحش .

لما راقني ما شاهدته قلت الشيخ هل لك ان تخبرني باسم ذلك الواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فتبسم ضاحكا من قولي وقال أراك آتياً من عالم آخر فاعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واني أراني الآن مضطرا الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قلائل فاستمع لما أقول : انا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم وآخر ملك تولى علينا ولانذكر منه شيئاً حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الاشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألبهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثائرون بعد خلعه صوراً مختلفة وأشكالا متنوعة للحكومة وكادوا يقتتلون على اختيار حاكم لولا ان آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدراية قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الاولى لنا ان نرجئ الفصل فيما شجر بيننا وأن نترك لأعقابنا النظر لانفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الاوضاع ولا في أعدل القوانين ان لم نجد في اخلاق الناشئين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حيناً من الدهر وأن ينشئوا الجيل الجديد في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لم نلبث ان لم تر مدرستنا انها أصلح لنظامنا السياسي فهيأنا بنا اليها .

أخذني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن تجلى لناظري في اسمقالات .. المشرقة قصر أو هيكل فوق ربوة شجراء قد عادل انساعه وانفساح ارجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملته لعييت بذلك . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الازديان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانه كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعليم بكون ما حوته ينقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة امم يمثل كل منها جيلا من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ بالالباب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التخالف فتجد حوله الآجام والصخور ومساقط الماء وتحته البحر .

وقفت عن احدى حلقات الدروس فاذا بنا ان يمارسون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية كالمصارعة والعدو والرماية بالقوس وما أكثر ما دهشت له في هذه الحلقة أن معلميها كانوا من هنود امريكا الحمر الاصليين كما تبينت ذلك من لونهم وتوافق أعضائهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية

قال لي الدليل ان هذه القبيلة المتوحشة لم تأت الى بلادنا الا من عهد قريب لما جذبها الى حدودها حسن اخلاق قومنا ورقة طباعهم فانا لم نعتبرهم اعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم الى مشاركتنا في نعم الحضارة وأرشدناهم الى ما تحصله لنا من الفوائد والمزايا مبينين لهم مقدار رجحانها على البداوة ولما كنا لا نجهل ما لهم من المواهب الفطرية التي نحن محرومون منها قد عرضنا عليهم معاوضة المنافع ومبادلة المرافق فقبل فريق منهم ذلك منا وها هم أولاء الآن يروضون أبناءنا على احتمال الآلام الجسدية غير ممتنين من جباههم وعلى أن تعتاد أبصارهم وأسماعهم في اجتناب ما ينصب لهم من الحبائل وانتظار ان ما يكاد لخلاصهم من المكائد ويعودونهم على البسالة في تحدي اعدائهم والتسامي وافقه سلطان الارادة وعلى تعرف اخلاق الحيوانات وعوائدها في حالتها الوحشية

وفيما نحن نجول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت الى دارات مختلفة للتربية والتعليم شهدت أحد الاعياد التي تقام في هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين الى حين فخيل لي أنني في آثينا (عاصمة بلاد اليونان) ان لم أكن واهماً أبصرت قائماً بالاقربول شاخصة امامي على صخرة يعلوها معبد وتماثيل والهة صنعت من النحاس الاحمر والمرمر ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاليزها التي اقامها بريكليس (١) وكنت اشاهد طوائف من الفتيان في أزياء يونانية يتشبهون باليونان في اطوارهم واحوالهم تشخيصاً يقرب من الفطرة ويتكلمون بلغتهم وينقلونهم في تنزههم في المدينة او غدوهم الى مرافئ بيريه (٢) ومونيخي (٣) وفالير (٤) فاستغربت ما رأيت منها استغراب الحالم واقسمت بآثينيه بروماخوس لاكتمن هذا السر.

فلما رأى صاحبي شدة ولعي بمعرفة حقيقة ما رأيته قال لي ان الامر في غاية السهولة ذلك اننا لما تبين لنا بالاختبار ان التاريخ في تعليمه للاحداث يمر باذهانهم

---

(١) بريكليس احد رجال حكومة آثينا الاقدمين (٢ و ٣ و ٤) بيريه ومونيخي وفالير كلها مدن يونانية فيها مرافئ

صور الفال غير تاركة له فيها آثاراً بيّنة احتذينا في ان نجعل له جنسا نخلد فيها صورته فترى تلامذتنا لايقتصرون في اعماله على مطالعة ما كان في العصور الخالية بل انهم يعيشون في تلك العصور .

فقلت له لابد أن تكون جمهوريتكم قد بلغت من الثروة غايتها حتى تقوم بنفقات هذه المعاهد فكان جوابه أنها غنيـة لمهارتها في طرق الكسب ولانها هي التي تدبر نفقاتها بنفسها على انى ارجو أن لا تخدع بما تراه فان ما تظنه بذلا للمال واسرافاً فيه هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولو صح مانسمعه عن أوربا القديمة لكان ماتنفقه امتها على حكوماتها في جانب التبذير وماتنفقه على التعليم العام فى طرف التقتير وأما نحن فامورنا تجري على خلاف ذلك فحكومتنا لا تكلفنا اولا تكاد تكلفنا شيئاً وتنفق كل ارزاقنا على مدارسنا فكان لنا بالسير على هذه السنن مايسمى في عرف التجارة صفقة رابحة ولله طريقتنا في التربية فاننا ببركتها استغنينا عن اتخاذ جيش دائم وكهنوت وغيرها من الاثقال التى توقع الحكومات في مهواة الفاقة وتؤديها الى الخراب

هـذه الامة التي تسل على الآن اسمها لاتقصد في تربية عقول ابنائها وتقويم طباعهم اعدادهم لان يتبعوا فى مستقبلهم نظاماً مقرراً كائناً ما كان بل انها عقدت النية على أن تقبل ماينتج من التربية الحرة المؤسسة على نواميس الكون واصول العلم من الثمرات فبنتها اقدامها على ان تمهد بمستقبل بلادها الى معارف الاجيال الجديدة وعلومهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما أن للحكومة قوانينها وترى تلك القوانين كأنها مقدمة لهذه وتبكر بتعليم التلامذة ممارسة مايتحلى به الرجال من الفضائل القومية .

ليس لمعلمي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل الى التأديب ولكنهم لايسلمون عقابها بما يقترفونه من مخالفة قوانينها وعوائدها بل أنهم يعاقب بعضهم بعضاً على مايقع منهم من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة ينتخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة ومن مصلحة هؤلاء الاعضاء ان يعدلوا فى احكامهم وان لايطيعوا فيها دواعي الهوى والغرض لعلمهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يعود عليهم ضرره فى الحال او في المآل ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احـدهما من جانب المدعي والثاني من جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر المحلفون المتطوعون احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام ومايحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

في الحلقة [illegible] الارهاب [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] الا [illegible] فقط .

يقيم الضباط [illegible] [illegible] قسم [illegible]
يحضرن معهم في غرف التعليم [illegible] [illegible] نهارا

قال لي الشيخ انا نعول كثيراً في [illegible] على ما [illegible] من [illegible]
المعنوي في النفوس فهن اللاتي تمهد [illegible] وتوزيع [illegible] [illegible] على [illegible]
فترى المهرة من هؤلاء في الرياضات [illegible] [illegible] أنفس [illegible] في ساحتها [illegible]
الحركات التي هي مظاهر البأس والقوة والمتعة [illegible] [illegible] حلفاء [illegible]
يمثلون [illegible] أيديهم على [illegible] المدرسة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]
والبلاغة حربا عوانا كل ذلك [illegible] [illegible] أرمشاهن [illegible] [illegible] كان [illegible]
فهن أمهن سابقات الرأي [illegible] الحكم في مواد الفنون كان [illegible] [illegible] تغلب
أنفسهم [illegible] الى رأيهن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فاذا [illegible]
في الدوق [illegible] حسان الاعمال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
كذلك يمتاد أحداثنا على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وجدانهم لحسن أعمالهم [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] استحسان [illegible]
الاعمال [illegible] بالاتقان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
تمثل لهم فيها الفروض التي كتب عليهم اداؤها

لايزال صدى الكلمات الاخيرة التي سمعتها من ذلك الشيخ [illegible] في أذني [illegible]
قال لي في نهاية حديثه لوطال زمن مكثك بيننا لشاهدت من مستحدثاتنا ما لا أشك
في أنه كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ما كان يربطنا بماضينا من قيود [illegible] [illegible] التي كانت [illegible] جمودا
وبرودة ونفياً لحرارة الحياة وأن تعرف أن الامم الحرة انما تنشأ رجالها الاحرار
وأن آباءنا لم يخفقوا في أن يلمسوا في وجدان كل انسان أقوى ناصر على الاستبداد
لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أقلها وجوداً فتراهم قد فضلوا أن ينقشوا في
نفوس الأحداث وجدان العدل والحق الذي لاتغيره الحوادث ولا تمحوه الكوارث
على أن يدونوا لهم قانوناً نظاميا في كتاب رعا أن رياح [illegible] وعواصف الثورات
الداخلية كانت مزقته من زمن بعيد وجملة القول أن الحكومة عندنا ليست هي التي
تدير المدرسة بل [illegible] المدرسة هي التي توجدها و[illegible] . اه

آثار علمية وأدبية

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(تأسيس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الاصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي في علم الخلاف وهو أوّل من صنف في خلاف الائمة في الفقه . وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الائمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيما شجر بينهم من الاختلاف في الاحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سعى في طبع هذا الكتاب الشيخ مصطفى القباني الدمشقي كما هو شأنه في السعي باظهار كتب الأولين النافعة ونشرها . طبعه على نفقته ونفقة محمد افندى أمين الخانجي على أجود الورق الناعم الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على تصحيحه أحد المشتغلين بالفقه والاصول . ولا أعرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فعسى أن يقبل أهل العلم على مطالعته

وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الاصول التي عليها مدار كتب الحنفيــة) وهي نحو أربعين أصلا وضعها الامام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها الامثلة والشواهد الفقيه عمر النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ ونحن نورد بعض أمثلتها عبرة للمتفكرين قال : « الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وبالبته ذكر وجهاً آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم الى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجه وجيه في التأويل . ومنها قوله : « الاصل أن كل خبر (أي حديث نبوي) يجيء بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه » أي انه لابد من تصحيح قول فقهائهم والعمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحتمل نسخ الآية أو الحديث يحتمل رجوع ذلك الفقيه عن قوله فالمنسوخ قليل جداً ولكن الاقوال المرجوع عنها التي رجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذلك وتبقى وجوه أخرى للعمل بالآية أو الحديث منها انهما أصل الدين فان قبل قول الفقيه فانما يقبل لاستناده اليهما او احدهما ولو ظنا فاذا تعارض الاصل والفرع يعمل بالاصل . ومنها ان الثقة بنقل الكتاب والسنة أعظم . ومنها ان خطأهما محال وكل امام وفقيه عرضة للخطأ . ومنها

انهما أصح وأفصح الكلام فدينهما أسهل وبيانهما أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم

(نهضة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة ومقدماتها ونتائجها وهي من تأليف القصصي الشهير اسكندر دوماس الكبير . وقد عربها صديقنا الفاضل فرح أفندي انطون صاحب مجلة الجامعة ونشرها تباعاً في ذيل مجلته ثم جمعها في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وثبة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) وهي أنفع القصص المعربة فيما أظن لأن مطالعة حوادث الانقلاب في الأمم هي أكبر العبر وأولى الناس بالاقبال على قراءة هذه الاخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية ، واستعدوا لأن يكونوا أمة حية ؟ فعسى أن يرغب شباننا وشواباتنا عن مطالعة القصص الغرامية السخيفة الى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك لذة وتزيد عليها الفائدة .

(مجلة المجلات العربية) نهنئ صديقنا الفاضل محمود بك حسيب صاحب هذه المجلة بما وفق له من زيادة اتقانها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد على ما تقدمه في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التي لم تسبقه اليها مجلة عربية . فنسأل الله أن يزيد نجاحه بكمالها كمالاً ويوفق الناس لأن يزيدوا عليها اقبالاً .

«الحجاج بن يوسف» قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبلها في التاريخ الاسلامي وستتلوها غيرها فيه فهي الحلقة السادسة من السلسلة وفيها خبر حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير وفتحها ومقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرمين وعاداتهم . مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ المنشئ جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء . وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار الهلال وانتشاره بها لما فيها من اللذة والفائدة ومازلت أمني نفسي بمطالعة هذه القصص من أولها مطالعة تأمل وانتقاد وما يتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل وثانيهما استثقال نسبة العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام . وقد كان بعض هؤلاء المنتقدين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشتهر . وقد تصفحت ورقات من هذه القصة فألفيت أن الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف العظام ، والائمة الذين يجلون عن الاشتغال بالغرام . وأما مسألة الاشتباه فقد رأينا في مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالعمدة في رواياتنا على التاريخ وانما نأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين . فتبقى الحوادث التاريخية على

حالها وندمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها. فيصح الاعتماد على
ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب
التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الا ماتقتضيه القصة من التوسع في
الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة ، اهو لنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام
والمسلمين الا ما يعتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني
وأحسنهم انصافاً فان فرط منه ما أوجب الانتقاد أو يوجبه فهو عن غير سوء قصد .
ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المنتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف
ماهو خير منها . واننا لا نتحزب لصديقنا بما لا نعتقد واذا اتيح لنا مطالعة هذه القصص
أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فانا ننبه عليه ان شاء الله تعالى . وثمن النسخة من هذه القصة
عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر .

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يعربها بعض المشتغلين بالكتابة والادب
لمكتبة الشعب ومطبعتها فتطبع وتنشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهمام ويصدر في
كل شهر قصتين وجعل ثمن القصة قرشا اميريا وقيمة الاشتراك الى سنة عشرين قرشاً .
وقد ذكر في مقدمتها انه يقصد بنشر هذه القصص التهذيب وخدمة الوطن . وانما
يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع
استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة
واسمها (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحمد حافظ أفندي عوض بيانا في كيفية
عشق الناشئين والناشئات، وما يتبع ذلك من المفاسد والمنكرات . وسنتكلم عنها في جزء آخر

باب الأخبار والآراء

(الوباء والعدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة
ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع
انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية في غير القاهرة مثلها فيها وان كان متيسراً .
على ان حفظ الماء من القذارة في الارياف عسر جداً والعلم الخاص بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الوباء فتكاً عدم مساعدة الأهالي الحكومة فيما تعمله لوقايتهم لأنهم لجهلهم يتوهمون ان الحكومة تسعى في اهلاكهم وتريد اعدامهم وضررهم حتى أن الاكثرين يعتقدون ان أطباء الحكومة يسقون المصابين الأدوية السامة لتميتهم ولا شك ان هذا الوهم فاسد وأن الحكومة خير لهم في هذه الحال من أهليهم ومن أنفسهم لأنها تجتهد في وقايتهم قبل أن يصابوا وفي معالجتهم بعد ذلك بعلم ومعرفة وانما تخدمهم برجالهم وتنفق عليهم أموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا ننتقد على الحكومة الا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون كاعتنائها به حيث يسكن الاجانب . فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمناصع هي المواضع يتخلى فيها للبول والغائط) كشارع الخليج من جهة باب الخلق . فكان الواجب على الحكومة أن تأمر بمنع التخلي هناك وفي أي شارع لئلا يتخلى فيه مصاب فيحمل الذباب جراثيم الداء من برازه الى البيوت المجاورة . وشيء آخر لا يزال منتقداً من رجال الصحة وهو معاملة الناس بالغلظة والخشونة عند داءوطائفهم وهم يعلمون أن الناس معذورون بالجهل ولعل هذه المعاملة لعلفت بعد أمر جناب مستشار الداخلية باللطف في المعاملة

ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهالي بصحة العدوى وهي ثابتة شرعاً وعلماً واختباراً بالمشاهدة . وأما العدوى المنفية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من حصول ذلك بطبعه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .

أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : «لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد» فبعد ان نفى ما كانت تعتقده الجاهلية أمر بالفرار من المجذوم . وسوى الحافظ ابن حجر وغيره من شراح البخاري في حديث المجذوم بأن العلماء لا سيما الشافعية قالوا بإثبات العدوى على أنها سبب من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر . ولايحلّ الممرض على المصح وليحل المصح حيث شاء » قيل ولم ذاك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصرح من من الأول في اثبات سببية العدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف والنسائي عن الأول وأبو داود عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنتقل اليهم بذلك العدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة

ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداراة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو كان الناس يعملون بالآداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان . وقد اشترط في تطهير الاشياء وتنظيفها عند الشافعية وأكثر أهل هذا القطر منهم أن يكون الماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لامورودا وهذا الشرط موافق للصحة . فان الثوب أو العضو المتنجس اذا ورد على الماء ينتشر في الماء ميكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز وضع النجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . ومما لا خلاف فيه بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه

وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهداه اليه المقوقس ملك القبط وهو « لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ولا أذكر من خرجه من المحدثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهيضة الوبائية فان جراثيم الهيضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه يهضم ما أكله بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شرابه شيء من جراثيم الهيضة الوبائية (الكوليرا) فانه حينئذ يهضم ولا يضر . واذا كان مع هذا يراعي النظافة في الطعام والماء مراعيا فيه وصايا الاطباء فذلك اكمل الاحتياط .

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان التطبب غير مطلوب شرعا فقد وردت الاحاديث الصحيحة والحسنة أن لكل داء دواء الا الموت وفي رواية الا الهرم وكثير من الاحكام الشرعية يبنى على قول الاطباء حتى في العبادات . فالاعتماد على قول الطبيب العدل في ذلك واجب شرعا وكذلك غير العدل ان صدقه فاننا كثيراً ما نجزم بصدق من لم توجد فيه صفات العدالة الشرعية كلها لاننا عرفنا صدقه ومهارته بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقضي بتقليل الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما مثل اجتماع الموالد المشتملة على الفحش والفجور

والاسراف في كل الامور [illegible] الله تعالى كان [illegible]
فيه الا اذا كان معه سجادة يصلي [illegible] . واملي الله تعالى يوفق [illegible] في [illegible] هذه
الموالد بالمرة اذا كان رجال الدين لا يسعون بازالة المنكرات [illegible] منها . فان زعم
الزاعمون ان فيها منفعة تجارية فلتكن اسواقا تجارية لا صبغة للدين فيها . وقد قرأت في احدى
الجرائد تسلية الناس عن ابطال المولد الحسيني فقالت ان هذه الموالد ليست من أصول
الدين ولكن النظافة من أصول الدين كأنها تعني أن الموالد من فروع الدين وأن مراعاة
الأصل مقدمة على مراعاة الفرع . ذلك جهل على جهل فأصول الدين عقائده والنظافة
ليست منها وانما هي من الفروع العملية . وأما الموالد فليست من الاصول ولا من
الفروع بل هي من البدع القبيحة والضلالات المشتملة على كثير من الفواحش والمحرمات

﴿ الخمارة الاسلامية والاستهانة بالدين اعتمادا على الاولياء ﴾

فشا شرب الخمر في مسلمي مصر وجاهروا به حتى كأنه مباح أو مستحب ويقال
انهم اكثر شربا من القبط والافرنج لكنهم ظلوا مقصرين في هذا النوع من الفسق اذ لم
يشتغلوا ببيع الخمر حتى أزال عنهم عار التقصير واحد منهم اتخذ له حانة يفتخر بأنها
الحانة الاسلامية الوحيدة . وكأن السكارى في الحانة الاسلامية هم المتحمسون فيما
يسميه الجهلاء في هذه الايام لباب الاسلام وأظهر مميزات المسلمين . مثال من ذلك
انني مررت من أمامها ليلا فرأيت على بابها رجلا يناهز الستين والكأس في يده وهو
يصيح (ياسيد يابا النبي) كأنه علم ان الذين يقلدهم هو وامثاله في شرب
الخمر يشربون على أسماء الكبراء والامراء والملوك وهو ما تسميه الجرائد الآن النخب
فأراد أن يشرب نخب السيد البدوي . والا فهو يشيد باسمه لأجل أن يشفع له .
فخطر لي ان أرمي كلمة أنهاه بها فقلت [illegible] هل أمرك النبي بهذا ؟ فسأل [illegible]
هو [illegible] لي : هو نخب السيد . الله نخب النبي والسيد [illegible] النبي [illegible] هو [illegible]
وقد علمت انه يعرّض بذمي بكلمة تركي لأنه رأى زيي زيّ علماء الترك . وكأني
بمن معه قد اعتقدوا انه من الاولياء لأنه ذكر اسم الله والنبي والسيد على الخمر وان
كان الفقهاء يعدون هذا استهانة بالدين وبحثوا في كفر صاحبه

[illegible] كتبته الجرائد [illegible] فيقدم العلم [illegible]
[illegible] في مجموعة [illegible] من الا [illegible]
رسلوها عن قريب الى ادارة مجلة [illegible]

(ارجأنا الكلام في مسيح الهند الى الجزء الآتي)

الجزء العاشر — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

مصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنه ١٣٢٠ — ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢

(الفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد قاضي القضاة في الاندلس)

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوربا في العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (اسبانيا) إلى سائر بلاد أوربا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة . وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب

وقد نشرت مجلة الجامعة الغراء تاريخه وتكلمت عن فلسفته واستطردت إلى مسائل أخرى كمذهب المتكلمين في الوجود والمقابلة بين الاسلام والنصرانية في اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل . والانسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقي عن أهله إذا تكلم أو كتب فيه . وان صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذي هو فلسفة العقائد الاسلامية لانه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا أنه لم يتعمد تكفير القاضي ابن رشد ولا نسبه أئمة المسلمين في العقائد إلى انكار ارتباط الاسباب بالمسببات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أساؤا الظن به واحتموا عليه ورغبوا الينا في الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الاسلامية وعن أئمة المسلمين

وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض اساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع إليهم إذا اعتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

فى بيان حقيقة تلك المسائل التى وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل . والذى إذا قال لم يترك مجالا لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فننشر فى هذا الجزء مقالته فى فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر فى الاجزاء التالية مقالاته فى الاضطهاد فى النصرانية والإسلام »

تمهيد لمقالة الأستاذ الحكيم : لابد لفهم قراء المنار هذه المقالة من ذكر ما قالته الجامعة فى فلسفة ابن راشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان أعظم المسائل التى شغلت حكيم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى فى ذلك رأى ارسطو . فيقول ان كل فعل يفضى إلى خلق شئ إنما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضى شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخالق وهذا الشئ هو فى رأيه المادة الأصلية التى صنعت الكائنات منها . ولكن ما هى هذه المادة ؟ هى شئ قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هى ضرب من الافتراض لابد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أى انه لايتلاشى أبداً لان مادته لا تتلاشى أبداً . وكل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة إلى حيز الفعل لابد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف فى الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة فى العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شئ قط . وبناء عليه فالعامل الأول الذى هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار فى فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولى العامل الأول على الكون ويدبره

« لابن رشد فى ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه فى هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون أى تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه إلى نقطة واحدة وهى نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدرا لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد فى كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق فى الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التى تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة

فى كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الأول وحده وهذا العقل الأول هو عبارة عن المصدر الذى تصدر عنه القوة للكواكب . وعلى ذلك فالسماء فى رأى فيلسوف قرطبة كون حى بل أشرف الأحياء والكائنات ، وهى مؤلفة فى رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور فى هذه الدوائر . أما العقل الأول الذى منه قوتها وحياتها فهو فى قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل أى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتى تلى بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض إنما هى عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى فى السماء إلى ارضنا هذه . وهى عالمة بنفسها وبما يجرى فى الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الأول الذى هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل مايحدث فى العالم .

(طريق الاتصال)

« وان قيل ماهى علاقة الإنسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه «النفس» وخلاصة ذلك ان الكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشى مثل باقى قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائما للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضى مادة تنفذ فيها والمادة تقتضى شكلا توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها حد الامتزاج بالعقل القديم الأزلى . ولايتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابى الذى تقدم ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابى ايصاله إلى حرم الخالق الأزلى دون أن يدعمه به . وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لايتم الا بطريق «العلم» فالعلم إذاً هو سبب «الاتصال» بين الخالق والمخلوق . ولاطريق غيرهذا الطريق . ومتى اتصل الإنسان بالله صار مثله عارفاً بكل شئ فى الكون ولم يعد يفته شئ . ولكن كيف يتصل الإنسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع إلى الدرس والبحث والتنقيب ويخرق بنظره حجب الاسرار التى تكتنف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية

« اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضروريا له

« وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم . والكون فى رأيه كما مر بك إنما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا ومن هذه المبادئ شئ يستولى على العالم ويشع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشئ الذى يسميه عقلا أيضاً هو عقل ثابت لا يتغير أى انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب إلى الكمال والسعادة »

(الخلود)

ثم تكلمت الجامعة بعد ما تقدم عن رأى ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام ما نصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذى تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والتلاشى ، والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً ، ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذى هو خالد فى رأى ابن رشد ؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الإنسانية فالإنسانية اذاً هى خالدة وحدها دون سواها ، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شئ مما يقوله المادة عن الحياة الثانية » اهـ

(دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين)

(لأستاذ حكيم ، وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد . مررت على ما نقلت من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأنى أعرف آراء الفريقين من قبل ولم يكن لى قصد إلى النقد وإنما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم يقف نظرى لأول وهلة الا على ما حوته تلك الجملة (الاضطهاد فى النصرانية والإسلام) قرأتها بتروٍ وانتهيت منها إلى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتئم مع ما أعرف ويعرف العارفون من الشواهد التاريخية ، عند ذلك تحركت نفسى إلى كتابة سطور ، أشير فيها إلى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على أسماع الجمهور .

لاقانى بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر فى نفسه أشد ، ولسانه فى العتب أحد . وذكر أشياء فى غير هذا الفصل من الترجمة ولفتنى إلى إعادة النظر فيها . رجعت إلى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان منى الكلام عنهما ، وبأن أحاديث الجامعة فيهما ، لو كانت منزلة الجامعة من نفسى منزلة غيرها من المجلات التى لا يُعنَى كاتبوها إلا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحبير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملى ما يصرفنى عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجلات التى لو أهملتُ مباحثها من إتمام النظر وجعلتها فى جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها ، ونبوْتُ بها عن موضعها .

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت فى ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر فى الثالث . أما الموضعان فهما : (فلسفة المتكلمين وآراؤهم فى الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه فى خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الإنسان به والخلود) وهما موضوع كلامى اليوم

« فلسفة المتكلمين وآراؤهم فى الوجود »

قالت الجامعة « فلسفة المتكلمين هذه (أى فى وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة فى الكون أى وجودها بخلق خالق . والثانى وجود خالق مطلق التصرف فى الكون ومنفصل عنه ومدبر له

وبما أن الخالق مطلق التصرف فى كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث فى الكون شىء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده . وفى الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق . ثم ذكرت فى الجملة التى تلى ما تقدم أن هذه فوضى ، وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها[1] .

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون بخلق خالق فإن الخلق فى اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الإلهى . فأرسطو يقول إن المادة قد استفادت وجودها من موجدها وهو الواجب وبواسطة فيض الوجود عليها من العقل الفعال على ما سيأتى بيانه وإن كان لا أول لوجودها وإنما حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهى إليها سلسلتها من جانب الماضى . ولا يجوز أن يوصف بالأزلية إلا الله وحده وصفاته عند القائلين بأنها وجودية . وقبل هذه البداية التى لا يتخطى حدها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم إنه أراد إيجاد الكون فأوجده من العدم البحت . هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر

---

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن مبعث هذا الروح الثانى فى مجلة المنار واستشهدت لذلك بالتفسير الذى تقتبسه من دروس الأستاذ الإمام كبير رجال النهضة الإسلامية المعاصرة

من المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه ملّى من أهل الملل الثلاث .

أما كون هذا المذهب وحده هو الذى يصح أخذه من القرآن أو أنه يجوز أن يتفق مع معانى القرآن رأى آخر بل هو الذى يظهر منه فذلك بحث آخر لسنا بصدده الآن فإن كلامنا فى تصوير مذهب المتكلمين .

الأصل الثانى — وهو وجود خالق مطلق التصرف — لازمٌ للأصل الأول لأن هذا العالم إذا كان موجوداً بفعل موجد فوجده هو خالقه وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذى يخلق .

والمتكلمون وإن اتفقوا على أن خالق العالم مختار انقسموا إلى فريقين عظيمين فالقدرية منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا : إن الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع فى المخلوقين قوى أو قُدَرًا تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية أو بطريق الإرادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة فى قولهم بلزوم الآثار لمصادرها أو تأثير قدر المخلوقين فى أفعالهم . وقد بقى من أهل هذا المذهب إلى اليوم طائفة الشيعة الإمامية والزيدية فإنهم لا يخالفون المعتزلة فى هذه الاصول . فإذا حدث فى الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر له وإن كانت جميع الأسباب تنتهى إلى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلا فرق .

والفريق الآخر الذى عنته الجامعة وهو الذى يرى إسناد الآثار إلى الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبَّباتها بل قال إن الله يُصدر وُجود المسبَّب عند وجود السبب فلا يقال: إن الأكل (مثلا) هو الذى يحدث الشبع بل الشبع شىء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدثه عند الهوى إلا إذا أراد أن يخرق النظام الذى جرت به سنته لأمر عظيم يريد توجيه النفوس إليه وحمل هذا الفريق على هذا القول إنكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود إلى شىء سوى واجب الوجود وقالوا فى الأفعال الاختيارية إن الله يوجدها عند تعلق كسب العبد بها ولهم فى تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاؤه وقالوا إن الأسباب والآلات لابد منها فى صدور الأثر إلا أن الذى يعطيه الوجودَ عند استكمالها هو الخالق ، ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الإتيان بالمكلف به من حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشىء إلا إذا تيسرت أسبابه وارتفعت الموانع منه غير أنهم يلقبون هذه الأسباب بالعادية لأنه ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرت سنته بها ولقبوا ما يحدث فى العالم مخالفاً لها بخارق العادة وليس كل غريب عندهم خارقا للعادة بل الخارق هو ما لا يدخل فى مكنة قوة حادثة ولا يقدر على إحداثه إلا القادر على مخالفة النظام الذى سنه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند فى إثبات صفة العلم لله تعالى إلى ما فى هذا العالم من النظام وإلى ما حواه ذلك النظام من الأسرار والحكم وهل يتأتى هذا الاستناد منهم إذا لم يقولوا بوجود العلاقة بين الأسباب ومسبباتها كان من هذا الفريق أئمة تناول بحثهم كثيراً من الفنون كالطب وعلوم المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الأئمة الرازيون كفخر الدين الرازى وأبى بكر الرازى ومحمود الرازى وأمثالهم ومنهم مثل الإمام أبى بكر الباقلانى . وكيف يتيسر لقائل أنه لا علاقة بين الأسباب

والمسببات أن يبرع فى فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار ومايقارنها فى المادة مما هو مصدر لها فى بادىء النظر.

فإذا حدث فى الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذى جرت سنة الله بأن يكون معه وإن شئت قلت سأل عن السبب الذى أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جَوْدَة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شىء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتابا ولا خط فى صحيفة سطراً لأنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام .

فإن شئت أن تقول إنه مذهب مع ذلك غامض يكدّ الذهن فى فهمه فلك أن تقول وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد فى كتابه أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّل عن مكانك فيتحول الجبل[1] يليق بأهل دين يعدّ الصلاة وحدها إذا أخلص المصلى فيها كافية فى إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى. وليس هذا الدين هو دين الإسلام دين الإسلام هو

(١) المنار — يشير إلى ما جاء فى أنجيل لوقا من الباب ١١ «٢٣ لانى الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم »

الذى جاء فى كتابه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار» الآيات. فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الأسباب فى هذا العالم والمسببات ولهم أن ينبهوا على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أساسه على دعث من الخوارق لا يلبث أن يخسف بالسالك فيه إذا سال عليه سيل الدليل، وإنما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقيل، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية الا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله.

ثم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى أئمة ذلك المذهب وأساؤا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الأسباب فى أقوالهم، وان كانوا أشد الناس تمسكا بها فى رذائل أعمالهم، وتعلقوا من الخوارق بحبل وهن ميلا إلى أهواء من جاورهم من الملل فظن الناظر ونفق قذائف أفواههم، ان هذه الأوهام مما بنى عليهم اعتقاد اسلافهم، فلا يفترن بعد ذلك مفتر بما يظن أولئك الناظرون ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون «سبحان ربك رب العزة عما يصفون».

هذا ما يتعلق برأى الجامعة فى مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وننتقل الآن إلى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه.

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه فى المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: إن المادة «ضرب من الافتراض لا بد منه» الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو فى اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التعريب وفيما بعده .

ثم قالت : « وبناء عليه فالعامل الأول الذى هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار فى فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : «وهو (أى مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت أن الفيلسوف يشبّه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر للتصرف فى الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حىّ مركب من عدة دوائر والعقل الأول فى قلب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أى قوة تعرف بها طريقها » الخ

أما مسألة نفى الاختيار فقد ذكرت عليها إبهاما وأدّى ذكرها كذلك الى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الأمر فى حقيقته كذلك .

يعلم كل ناظر فى مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤن وإشراقيون واشتهر أتباع أرسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين .

وأول مميز للإلهيين عن الماديين أن الأولين يقولون بوجود واجب برىء من المادة والماديات وبوجود عقول مجرّدة عن المادة وغواشيها وبان للواجب علما بذاته وبجميع مايصدر عنه وعن آثاره وان للعقول المجرّد عقلا علما بذواتها وبمبدئها وبما يصدر عنها . والماديّون لا يقولون بشىء من ذلك ألبته فالتعريب بينهما تقريب بين النقيضين . وابن رشد من

مقررى مذهب أرسطو فهو من الإلهيين .

وتشبيه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة أكبر دليل على مفارقة المادين كما يفارق المجرّد والمادّة وقد شرطوا فى هذا التشبيه أن المدبّر خارج عن المدبَّر مفارق له منزه عن مخالطته .

أما العقل الأول فليس كما تقول الجامعة . فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أوّل صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمّى عندهم بالفلك الأطلس ونفس لذلك الفلك تدبر حركاته الجزئية وعقل آخر هو العقل الثانى وعن هذا الثانى صدر الفلك الثامن المسمّى عندهم فلك الثوابت ونفسهُ والعقل الثالث وهكذا الى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمّى عندهم بالعقل الفعّال او العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية واليه يرجع ما يحدث فى عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول فى قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الإلهيين بل هو مفارق لها كما ان نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق باجسادها كتعلق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتى بيانه

والذى حمل الإلهيين على ذلك مبالغتهم فى تنزيه الواجب وقولهم انه واحد من جميع الوجوه وزعمهم أن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا الواحد فيلزم أن لا يصدر عن الواجب إلا واحد وهو العاقل الأول . ولما تعددت وجوه العاقل فى ذاته والنسبة بينه وبين مصدره العاقلة لذاته وعقله لموجده صح أن يصدر عنه متعدد . ولهم فى الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام فى تصوير مذهبهم .

لا في تقريره أو إبطاله

فالمعقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يغشاها شيء من ظلماتها وليس العقل الاول بمدبر الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة معقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذى صدر عنه وتدبير العالم العنصري وهو ما دون فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعّال .

قال الفلاسفة الإلٰهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض تبعثه على اصدارها وان مايصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه لإلٰهيات أرسطو بذلك وهذا مبالغة منهم فى نسبة الكمال إلى الله على أن مايصدر عنه إنما يصدر عن علم فالذى ينفى عنه انما هو الاختيار بمعنى التردّد بين الغايات ثم ترجيح إحداها أما الاختيار بمعنى أن الفعل صدر عن علم العالم بدون اكراه عليه فذلك لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمين ولاهوتيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه . فقد ذهب جمهورهم والمعوّل على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعلقت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه وعلمه لازم لذاته أزليٌ بأزلية ذاته وكل ما يكون فى الكون لابد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلى جل شأنه فلا تردّد عنده بين الغايات بل مايصدر عنه اليوم كان لابد أن يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم فى علمه فهى تصدر عنه على حسب ترتيبها فى العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصعب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أو لم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنفى الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذى يليق بكمال الله تعالى فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق فى حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات. فابن رشد رحمه الله لم يخرج فى آرائه عن المليين فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريبا منه.

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر فى هذا العنوان فى الجامعة مع مراعاة الفصل الذى تقدمه فيها أنه عنوان لرأى ابن رشد فى طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر فى قراءة ما بعد العنوان إلى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الإنسان وحده بخالقه وعثر فى آخر البحث على هذه العبارة: «وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم» : أما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم فى مذهب الفيلسوف. وإنى ذاكر لك رأيه فى اتصال الإنسان بالله أى قربه منه وسعادته به وفى طريقة تكميله لنفسه حتى يستعد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء فى الجامعة ليس بالذى تصح نسبته إليه خصوصاً بعد قولها إنه أخذ مذهبه فى ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث فى كتابه (النفس) وما قاله أرسطو فى ذلك الكتاب معروف مشهور.

اثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التى هو بها إنسان — وهى ما يلقبونها بالنفس الناطقة — جوهر مجرد عن المادة لا هو جسم ولا حال فى جسم وإنما له علاقة بالجسم يدبره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها ولهذه

النفس آلة فى الجسم بها يكون التدبير

وقالوا ان انطباع المحسوسات والمعانى الجزئية فى الحواس الظاهرة والباطنة على ما فصّلوه يُمدّ النفس لقبول الكليات ويهيؤها لتلتق المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعّال الذى سبق لنا ذكره

وجعلوا مراتب النفس فى استحصالها كمالها العلمى وبلوغها ذروته اربعًا (الأولى) العقل الهيولانى وهو قوة استعداد النفس نحو المعقولات وتسميته عقلا تسمية مجازية و(الثانية) العقل بالملكة وهى القوة التى تحصل للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم بأن الأول أصغر من الثانى ومثل النفى والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان فى محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ماخلص من محسوس وهو لا يحتاج فى تخليصه إلى فكر ، والنفس تتهيأ بهذه القوة لاكتساب المعقولات الثانية إما بالفكر . وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما هو فى المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادىء إلى المطالب أو انتقال النفس من المعلومين إلى الوسط الذى يصل بينهما ومن ذلك إلى معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلا للفكر الذي هو النظر بعينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهى أن تحصل المعقولات الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة فى الذهن . والرابعة قوة تسمى (العقل بالفعل) وهى ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب

قالوا والذى يرقي بالنفس فى هذه المراقي هو العقل الفعال وهو ذلك العقل العاشر المصرّف للمادة العنصرية لاعقل الإنسانية العام كما تقول الجامعة

فإن أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الإنسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عُنِيَ أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره فى نفيها . فالعقل الفعال هو الذى يخرج النفس من العقل الهيولانى إلى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة إلى العقل المستفاد ومنه إلى العقل بالفعل

ولما كان العقل الفعال جوهراً عقلياً بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل أما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها إذا استعدت استعداداً خاصاً للاتصال بذلك العقل أي بالإقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة . وإدراك المعاني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس فى المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينحو هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات فى الموضوعات التي كان الاستعداد فيها . فإذا أعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت إلى جانب الحس أو إلى صورة أخرى غير التى حصلت لها بذلك الاستعداد انمحى المتمثل الذى كان أولا كأن المرآة التى كان يحاذى بها جانب القدس ، قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس ، أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية .

قالوا : وهذا الاتصال الذى يفيض به العقل الفعال على النفس ما استعدت له من المعقولات له علة وعلته قوة بعيدة هو العقل الهيولانى وقوة كاسبة هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الإشراق متى شاءت بملكة متمكنة وهى المسماة بالعقل بالفعل

ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد . منها أن الجوهر

العاقل إذا عقل صورة عقلية صار هو إياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن تصير النفس جميع المعقولات التى تحصل لها وتصير المعقولات كلها معقولاً واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجود ما عقلته أو استحالة النفس إليه وهو محال وخلاف الفرض . ونقلوا عن فرفوريوس أنه قال : إن النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنما تعقل ذلك الشىء باتصالها بالعقل الفعال وهو حق فى رأيهم ولكنه قال إن معنى اتصالها بالعقل الفعال أن تصير هى نفس العقل الفعال لأنها تصير العقل المستفاد والعقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون العقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شىء دون شىء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالا واحداً تكون به النفس كاملة واصلة إلى كل معقول وهو ليس بحاصل فى جميع الأحوال وقالوا إن دعوى اتحاد شىء بشىء آخر على معنى استحالة الأول إلى الثانى قضية شعرية غير معقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس إلى العقل الفعال فلم يقل به أحد .

فقد عرفت من هذا أن اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه أو الاندغام كما عرفته الجامعة بل معناه أن ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الطبيعة عما يكون لها من الاستعداد وتنجذب نحو العالم الأعلى فتشرق فيها المعلومات بمحاذاتها لمطلع ذلك النور الأجلى ، فهل مع هذا يصح أن ينسب إلى الفيلسوف ما عنده غير معقول ؟

قال [illegible] إن النفس الناطقة التى هى موضوع [illegible] الصورة المعقولة غير منطبعة فى جسم تقوم به بل هى جوهر عاقل ذو آلة بالجسم

فاذا استحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هي مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها الابدن باقية على استقلالها لا تعدم شخصيتها بالفناء في شيء سواها لا عقل فعّال ولا وجود واجب، وهي تسعد بكمالها العلمي والأدبي الذي حصلته مدة تعلقها بالبدن. وجوز الفيلسوف أن تتعلق بعد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ماهو لذتها. وتشقى بجهلها ورداءة ملكاتها. فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها خلود لشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلا فعالا أو غيره

فهل بعد هذا يعد الفيلسوف مادياً ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته المسلم ؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم قائل بخلود النفس وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها كما رأيت .

بقي علينا أن نشير إلى ما قاله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد في مبدء العالم ومصدر وجوده . قالوا لم يكن يعرف العلم والفلسفة عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في اسبانيا فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس الفيلسوف عدد عظيم لم تأت نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي) إلا وقد انتشر بين المشتغلين بشيء من العلم رأى زعزع طمأنينة الكنيسة وأفزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على أبوابها يأذنون لما شاؤا من العقائد والأفكار أن يدخل فيها ويطردون ما لم يشاؤا ذلك الرأي الذي أخذ ينتشر [illegible] إلى [illegible] أجمع [illegible] إلى واحد هو [illegible] الكل وهو روح [illegible] به كل جزء منه . وقالوا إن

الذى نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد فهم بعض علمائهم من ذلك أن ابن رشد كان يقول إن مبدأ العالم هو أصل عرضت له صور العالم أو روح ظهر فى مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك، واستنتج هذا رأيا آخر وهو أن كل صورة من صور الموجودات إذا بطلت فإنما تعود إلى أصلها وهو الوجود المطلق وظن الواهم أن الأرواح تعود بعد مفارقة الأجسام إلى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه، وذلك كله وإن ذهب إليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد. أما ما يقول ابن رشد فهو كما ترى:

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا فى ذلك أرسطو أن الممكن لا وجود له فى ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا إن جميع ما فى الكون ما عدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن فكل ما فى العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير إن كان ممكنا فكيف يعطى الوجود وهو لا وجود له إلا من غيره فإذا استمد من مستمد فإنما يستمد من فضل ذلك الوجود الذى جاءه من موجده إلى أن ينتهى إلى الوجود الأول. فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود إلا من وجوده أو كل وجود فهو شعاع لضياء وجوده فإذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجدته يرجع إلى ما قاله السيد الشريف من أئمة أهل السنة وغيره وهو إن الممكن ليس بشىء فى ذاته ثم يكون شيئا بالإيجاد. والإيجاد لو حققته أمر اعتبارى انتزاعى له منشأ فى الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الموجود الممكن التى صارت شيئا بتلك الملابسة الإيجادية

[illegible] وجودها وهي ما يصحح تعلق القدرة بالمقدور. وماهية الممكن ليست بموجودة ولا الوجود أمر موجود قائم بها. فإذاً ليس من موجود في نفس الأمر إلا وجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً وسائر ما يسمى وجوداً أو موجوداً فإنما ينال ذلك بالإضافة إلى الوجود الحقيقي وأولى بالتسمية أن تكون مجازية من أن تكون حقيقية.

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمدة إلا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذيوله رأي القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم وإليه يرجع كل أشخاصه لفناء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه

على أن الصوفية وهم المصرحون بوحدة الوجود المعبرون بالشهود أولاً والفناء آخراً الناطقون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هويات النفوس زوالاً حقيقياً بل قالوا: إنها خالدة بعد مفارقة الأبدان ولكنها تسعد في خلودها باستغراقها في شهودها، وذهولها عن كل ما يشغلها عن مصدر وجودها، فهي غنية بعرفانه عن معرفتها بنفسها وهو ما يعبر عنه بالفناء وبقائه، والمحو وبهجته، وهو معنى تقصر دون إيضاحه العبارات، وإن كان في تعريفه لأهله أخفى الإشارات.

ولعل الجامعة لا تعتب على الكاتب فيما كتب وفيما أجاب به من طلبه فقد وفى حقها لو أعطاهم علمها بالقدرة عليه. لحق لها أن توجه العتب إليه

هذا ما أردنا إيجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة المتكلمين ورأي الفيلسوف ونتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام، على [illegible] الإسلام، [illegible] الله تعالى.

تتمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (المحدث اليمني) اننا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بعيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأحكام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن علي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل وانى أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولاسيما الأتراك ومن يحكمون أننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معانى مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عداً (١)

(٣) أن يكون متضلعاً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون تقيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفيه ما كفى مالكا في موطئه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسمائة حديث أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

---

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمني (٣) قد حقق الغربيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع انهم يعتنون بالبحث عن وسائط تفاهم المجاورات اه من الأصل . ولعله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورسية وأبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة وإغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الموسوسين وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دليل من يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهاد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بترجيح يقوم في الفكر لا يتبعون فيه أصولا موضوعة غير مشروعة أو طرقا مقررة غير مرووعة وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام زيد رضى الله عنه أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى قراءة فهم بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها مبنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدى من الأقدمين أو المعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل إلى قبوله كما كان عليه جمهور السلفيين قبل وجود التعصب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يرشدهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الإقناع فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً ما لم يذكروا معها دليلها من

كتاب منتقى الأخبار الذى شرحه وهو ليس له . والمصريون لم يهملوا المنطق وإنما خرجوا به عن الطريقة الحنفية

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتي أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة أعظمها تضييق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضييق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأنف أن يقف عند «لا أدري» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتهما ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضي الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمع بمالك أراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمجموعة في موطئه الذي جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى في اليواقيت والجواهر أن (أبا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي . وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وأنه قال يوماً للمزني يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة فى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الخبر فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل الثقاة أن (سفيان الثورى) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فمزقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن يفتى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة انك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن نفتى بقوله ما لم نفهم دليله ونقنع (مرحى)

ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم ألفوا ذكر الدليل وإن كان معروفاً مشهورا وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق فى الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتمثيل بمن قالوا (قلوبنا غلف) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيرا الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق اليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .

وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهدا في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير على النظير فهم أرشدونا إلى الاستهداء وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علما وهبياً أو كسبياً خارقا للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة وأول وأعظم من وضع أصولا لفقهه نجده قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لاتخرج عن علم اللغة واتبع أبا حنيفة في إدخاله في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والمنتج. واتبعه أيضاً في قياس مالم يرد فيه قرآن أو حديث على ماورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثروا من الأبواب وتفننوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا علمي الأصول والكلام . وهذا التوسع كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية بالأمور المعاشية كلما زاد التأنق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم الأفضل بل كلفنا بان نستهدي كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بجهدنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.

قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع المبارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئا إلا من السياح المتكدين الجهلاء الذين لايعرفون مايصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الذين ربما يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

باب التربية والتعليم

(الأزهر والأزهريون — وفاضل هندى)

إلى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة المنار الغراء

لست فى حاجة أيها السيد الحكيم لان أسهب لكم القول فى فضل الانتقاد والمنتقدين وما لهم من الأيادى فى ترقية الامم فان العوان لا تعلم الخمرة ، وهذا مناركم الاغر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر فصولا ضافية فى الانتقاد . وانه المقوم لما اعوج من اعمال الامم والرافع لما حمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقى والكمال . وعلم الله انه لا حامل لى على أن أوجه بسطورى هذه اليكم آملا فى نشرها على صفحات مناركم إلا اعظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تخشون فى الله لومة لائم وأنه لا يوقفكم عن السير فى سبيل الاصلاح غرض لهيان أو هنات مما يكتب فى صدر فلان .

خرجت ذات يوم إلى متنزه الجيزة لأبدد ما تراكم بصدرى الحرج من الهموم والاكدار فى تلك الرياض الفسيحة وذلك الفضاء الممتد حتى إذا كنت على قيد اذرع من رأس المتنزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرباء القادمة من الأهرام فالجيزة إذا انا باحد صبية الفلاحين وقد أخذ ناحية عن أعين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه إلى حيث تتلاقفها ايدى الرياح فتعبث بها اضعاف عبثه من قبل فاهويت إلى واحدة منها وقد جرى بها الريح إلى ما تحت قدمى فاذا بها كلام عربى فتقدمت نحو الغلام وتلطفت فى طلبها منه وأمرته ان يذهب فيجمع لى ما فرقته يد الهواء فى مقابلة فلس اعطيته إياه ففعل شاكراً وذهب طيب الخاطر راضى النفس بعد أن علمت منه أنه عثر عليها وقد لفت فى غلاف على طريق الكهرباء فيما بين الجيزة والجزيرة واخذت أنا طريقى الأول إلى حيث أشجار اللبخ القائمة على ضفة النيل الغربية فجلست هناك فى ظلها الوارف وكان الوقت اصيلا وصرت اقلبها واجيل فيها النظر واطيل الفكر حتى تكشف لى امرها بعد طويل إمعان واعمال روية انها صحائف سودها بعض الأفاضل احمد المراهين بالبرهان من دار الاسلام الثانية من بلدة يقال لها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرجل احسو السمر وجائتم الخطار وجواب

اقطار من حيث لا صاحب له إلا همة يحاول أن يطأ بها قمة العيوق ونفس تنزع به إلى ذرى شرف لا تتطاول إليه الاعناق وقد تجلى لى من رسائل كانت ترد إليه أن الرجل سيد بلدته، وأشرف بني جلدته، قدم هذه الديار سائحاً متجولا كما جال فى كثير غيرها من بلدان المسلمين ولا هم له التنقيب عن ادواء الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها وقد عاهد صديقا له فى (حيدراباد) على أن يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره ولقد قلبت فى الاوراق كثيراً وقد كتب بعضها بالأوردية والبعض بالعربية على احد فيها ما يشير إلى الرغبة فى كتمانها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لى إلا عكس ذلك فقد وجدت فى أولى رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب. وأهم مارأيت فى تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها إلى صاحبه فى حيدر اباد يصف له فيها الأزهر والأزهريين بعبارة لا تسلم من العجمة ولكن لم يركب بها محارم الاغراب ولم يتدل إلى حضيض العامية المبتذلة وقد تحامى فى انتقاداته خشن القول وغليظ الكلام حتى جاء كلامه أكرم انتقاد واعفه واكفه واحلمه. لذلك احببت ان ابعث بها إلى أعظم مجلة إسلامية وارسخها قدماً فى الاسلام وأحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على رأب صدعهم ومداواة دائهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى راجياً أن لا تضيعوا لى املاء. والله لا يضيع أجر من احسن عملا، وهذه صورة الرسالة الأولى

(من القاهرة إلى حيدر أباد)

سلام عليك أيها الأخ الفاضل امد الله فى حياتك ولا حرمنى إخاءك واسبغ على رداء خلاصك. وبعد فقد ورد إلى كتابك الكريم أحوج ما كنت إليه فاستعذبته وحسن موقعه من قلبي وما ذكرت ايها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من أن يصرم البعد حبل الود ويطفئ غلة الشوق والوجد ويضرب على ماسبق به الوعد فأنا استغفر لك الله فى ذلك وهو العليم بمالك فى فؤاد أخيك مهما شطت به دار الغربة وبعدت به النجعة. وما كان لى وأنت موضع ثقتي ومكان اخلاصي وبك أعتضد وعليك اعتمد ان اطلب قولك زورة طيفه أو انسى وعدك لمحة طرف وانما هى الاسفار أو رثتنى من الضعف والشحوب والانضاء، مالو رأيته لاصبحت عذرى فيما ارتكبت من الابطاء، ويعلم الله انى اكتب لك ما اكتب وأنا نضو سفر قد الحفنى من وعثائه جلباباً، وفل الطرقة ضربت على من رواقها قبابا، ولقد كان الاجدر بى أن لا اكتب لك

كلفة حتى أتزيد من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير فؤآدك ـ فأما ما ذكرتني به وآخذتني على تأخيره وسألتني إنجازه من زيارة مدرسة الأزهر الاسلامية الهائلة واستعجالي بزيارتها إن لم أكن فعلت ثم بالكتابة إليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وأن أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ما ذكرت سابق رأى منى فيه . وان مدرسة يزيد عدد طالبيها على تسعة آلاف من المسلمين ما بين مصريين وسوريين وروسيين وعرب واتراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتى بل جديرة بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ما أنا قاصده من تجوالى في ربوع الاسلام غير أن كتابك قد ورد على وأنا لم يمض لى غير يومين في القاهرة وقد مضى يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة إلا زورة واحدة لما ذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجا بما وقع لى منها في تلك الزورة مرجئاً التفصيل والاسهاب لغيرها من الرسائل ولا غرو أيها الفاضل ان أتتك رسالتي هذه مختصرة في الوصف مقتصرة على ما ذكرته لك على وجه الجملة شأن من كان غريب الدار غريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخوانى في الهند إذا حادثتهم في شأن الازهر كلمة مقولة وهى (الازهر أكبر مدرسة دينية اسلامية على سطح الكرة الأرضية) فكنت اهتز لذلك من الارتياح والطرب « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب » وطالما كان يقع في أذنى إذ ذاك انه على كثرة طالبيه وتعدد معاهده قليل النظام مختل طريقة التعلم عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينتزع من قلبي تلك الهزة وذاك الاعجاب به وبكثرة طلابه وما كان ليوئسنى من أن أجد فيه إذا دخلته قليلا من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومى إلى القاهرة من الوجد لزيارته بليلة الملسوع . حتى إذا كنت من صباح الغد وبلغت الساعة . . أسرعت بركوب عربة إليه ودخلت فاذا ساحة مترامية الأنحاء لافرش فيها إلا الغبراء ولا غطاء عليها إلا السماء غير انها تخلو من جمال هندام في جدرانها وكمال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الأبواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاء أناساً كثيرين يتشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمذاكرة في كراسة بيده وآخرين ما بين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المـآكل يأكلون فيها بشهوة النهوم فألقى فى روعى لأول الأمر أنها ساحة يستريح بها الطلبة فى أوقات معلومة بعد طول المطالعة والدرس ، وإجهاد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم إذ ذاك على استلقائهم وانكبابهم وتزاحمهم على المـآكل لتعويض ما اندثر من أدمغتهم عقب الجد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير أنى لم ألبث هنيهة حتى أخبرنى صاحب إلى جانبى من الطلبة السوريين — وكنت قد اصطحبته لمثل هذه الحال — بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وان ما أراه إنمـا هو نظامهم فى الطلب والتحصيل فكدت أن أصعق إذ ذاك وتلبد فكرى بغيوم الكدر والحزن حتى أوشكت أهلك أسى وغماً — ولقد كنت أرى فى تلك الساحة الرجل وقد كبرت سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فانحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ، وكل بصره حتى لا يبصر إلا شبحا وانه على ذلك كله ليجلس وإلى جانبه فتى حديث السن غض الشباب ما طر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع الآخر على أنه من أضرابه فى الطلب ومنافسيه فى التحصيل ويجلس كل منهما فى حلقة درس واحد. ثم اخترقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لمـا أراه من اجتماع الأضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك إلى المقصورة المعدة للتدريس وقد كنا قبيل الظهر فإذا محل فسيح الأرجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعمائة عمود يخال لى منه شكلها أنها نقلت إليه من المعابد والهياكل القديمة تميد بهـا تلك الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت فى صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل وتلاشى النظام والترتيب إلى حد ظننت معه أنهم مأمورون بذلك وان من قوانين التعلم هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيئ. وأعجب ما رأيته بين الطلبة من سلطان العادة على النفوس أن الطالب هناك لا تحلو له المذاكرة ولا يروق التحصيل إلا إذا رفع صوته بأقصى ما فى إمكانه فيتألف من مجموعهم دوى يصم أذن القادم عليهم فاخترق بى صاحبى السورى الجموع حتى انتهى بى إلى محل هناك يقال له (رواق الشوام) فصعد بى على مدارجه إلى غرفة هناك استرحت بها قليلا وكان قد أذن الظهر فقال لى الصاحب هلم نمر بالدروس وهى منتظمة أما الدوى فلا يلبث أن يسكن لاشتغال الطلبة بالسماع من معلميهم فلم أتمـالك نفسى علم الله من البكاء على أثر قوله انتظـام الدروس وقلت ومهجتى تذوب من الأسى فتنحدر من عينى

دموعاً : يا حبذا ذاك الدوى لو كان زمجرة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء على صدور الطالبين ، فتنبت ما يقوم بشفاء داء الإسلام والمسلمين .

ثم قمت وقام الصاحب حتى إذا كنا فى واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف يغشى بى الدروس وذلك أن يبدأ بدرس أول كتاب يدرسونه فى النحو ثم ينتقل بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلحوا أن يكون خاتمة الطلب فى الفن ففعل وكان أول درس وقفت عليه درس الكتاب الأول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم «واختلف فى الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف أو بفعل؟» فالتفت إلى صاحبى وقلت أو تهزأ بى ياهذا. الم أقل لك أن تذهب إلى أول كتاب فقال : لم أهزء بك والشيخ إنما يقرأ أول كتاب فى النحو ويقرر ثانى درس فى الكتاب. فقلت لن يثبت ماتقول فى نفسى حتى تريني آية ذلك فأشار إلى غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ ياصاحبى؟ قال الكفراوى. قلت أنا والكفراوى ماذا. قال أول كتاب يقرأ فى النحو. فأخذت بيد صاحبى إذ ذاك وأنا خجل من اتهامى إياه وقلت اذهب بى توا إلى الدروس الثانوية حتى أرى ماذا يقرأون .. ولا أريد أيها الأخ أن أطيل لك القول فى هذه الرسالة بتفصيل مارأيته بعد ذلك بل أجمل لك فيه القول إجمالا . وجدت معلم الكتاب الثانى يشتغل بتعريف المركب من المنطقة طويلا ثم لوى زمام الكلام إلى تعريفه عند اللغويين فالبيانيين فالتوحيديين إلى فنون أخر ذهب عنى أسماؤها وحفظ تعاريف واضعيها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكا فى تعريف الرئة واختلاف الأطباء الأقدمين فيها وما قالوا فى تكييف الصوت إلى كلام طويل. وكان ذلك كله استطراداً من قول النحاة اللفظ صوت مشتمل على بعض الحروف. وعلى ماذكرت لك كان الحال فى بقية الدروس حتى إذا انتهيت إلى درس آخر الكتب كان يخيل لى أن الشيخ إنما يلفظ رطانة لا أفهمها وإنى لأقسم لك وأنت تعلم قدر احتفائى بالعربية وشدة شغفى بها أنه لم يعلق بذهنى من كل ما سمعته إلا كلمتين إحداهما قوله بين أجزاء كل جملة وعلى رأس كل كلمة «قال الشيخ رحمه الله تعالى» والثانية ذكر سبب تسمية سيبويه من أن سيبا اسم الرائحة بالفارسية وويه اسم للتفاح. هذا ما رأيته وأقول لك على الجملة فى مدرسة بعيدة الصيت طائرة الشهرة فى كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد بعضهم أن يعلق بها الأمل فى نجاح كل عمل .

ومما هو جدير بى أن أجمل لك فيه القول فى الرسالة ان سنى الطلب يغلب أن تكون من خمس عشرة سنة إلى ما يحتمل أن يعمر إنسان والطالب يشتغل

هناك بالكتاب الأول فى السنة الأولى ثم بالكتاب الثانى فى الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس فى خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه إلى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف ما بقى فى تلقى كتاب كبير فى الأصول وفى خلال هذه المدة يكون قد حضر فى أوقات غير مضبوطة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والتفسير وبعد أن يأتى على ذلك كله درسا يكون على خيار من أن يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع إدراجه إلى تلك الكتب والفنون فيتلقاها درساً درساً ويسمون ذلك فيما بينهم – اعادة المذهب . وقد ضمنى مجلس مع أحد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلا وقورا صالحا على رأس الخمسة والأربعين من عمره غير أن بلسانه حبسة وعياً فعمدت إلى أن أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت إليه بلطف طلب ورقة سؤالى راجياً أن يكتب لى ما تيسر من إنشائه ولما لم أفلح أكثرت عليه من الإلحاح والإلحاف فى الطلب فاكتفى بأن أخرج لى كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنا يرتزق من الفلاحة والزرع يرجو منه إرسال شئ من النقود والزاد ويبشره بقرب نيل الشهادة أحببت أن أبعث به إليك بعد أن أقسم لك بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا أنه على أصله ما تخونت منه حرفا واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانطفأ منها نور البيان وجفت منها غضاضة الذوق فى التعبير ولقد كانت النفس تجد لها بعض السلوى وتلتمس لكاتبها شيئاً من العذر لو لم تكن الرسالة محشوة بالأغاليط الصرفية واللحنات النحوية كما يظهر ذلك لأول نظرة فيها – ولله حكمة خافية فى ثمانى سنوات مضت فى درس النحو والصرف – هذا ما أذكره لك فى رسالتى هذه إجمالا وسترى فيما يتلوها إن شاء الله [illegible] وافيا شافيا والسلام عليك ورحمة الله (الإمضا) .

وسأوافى حضرات قراء المنار الأغر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه [illegible] هذه وهما كما قلت غاية فى آداب الانتقاد والاعتدال مما يستميل قلوب العقلاء إليه ويستدر [illegible] ألسنة القراء بالثناء عليه .

عبد العزيز عثمان العريشى

بالأزهر

(المنار) نشرنا هذه الرسالة تنشيطاً لكاتبها الأديب وبياناً لكيفية التعليم فى الأزهر يعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من أهل الأقطار الإسلامية وننتظر أن تكون الفائدة فى رسالتى الهندى الأخريين أتم مما فى هذه الرسالة .

آثار علمية أدبية

« أفكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى افندى صادق الرافعى »

يا طير ما للنوم قد طارا ... وما قضينا منه أوطارا
كأن هذا السهد لا يأتلى ... يطلب من أجفاننا نارا
إن كنت ظمآن فذى أدمعى ... تفجرت فى الأرض أنهارا
أو كنت ذا مسغبة فالتقط ... حبة قلبى كيفما صارا
أو كنت مشتاقاً فكن مثلنا ... على النوى يا طير صبارا
وجارنى إن كنت لى صاحباً ... فان خير الصحب من جارى
يا طير كم فى الحب من ساعة ... يزيد فيها العمر أعمارا
إن قلت تلهينى بها فكرة ... جرت على الأفكار أفكارا
أو قلت أنساها اقام الهوى ... من حرها فى القلب تذكارا
والصب ما ينفك فى حيرة ... تزيده حزناً وأكدارا
مالى أرى الأطيار نواحة ... كأنما فارقن أطيارا
وما لأغصان الربى تلتقى ... كأنما استودعن أسرارا
فاسأل نسيم الصبح إن مر بى ... هل حملته الغيد أخبارا
واسأل عن الدار ويا ليتنى ... أزور يوماً هذه الدار
كأنها الجنة لكننى ... أبطنت من وجدى بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما ... وأرضها تطلع أقمارا
وكم بها من أكحل إن رنا ... سلت لك الأجفان بتارا
وإن مشى خطر فى تيهه ... هزت لك الأعطاف خطارا
لا أنكر السحر وذا طرفه ... أصبح بين الناس سحارا
يا فاتن الصب على رغمه ... والمرأ لا يعشق مختارا
طورا بنا هجر وطورا نوى ... أهكذا تخلق أطوارا
لو شبهوا بدر السما درهما ... لشبهوا وجهك دينارا
وكم درار فيك نظمتها ... تجل أن تحسب أشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها ... أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(جزء الكلام ، في القراءة خلف الإمام . وقرة العينين ، برفع اليدين)

كتابان مختصران للامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح جمع في الأول ما رواه من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب القراءة خلف الإمام في الصلاة وفي الثاني ما رواه في إثبات رفع اليدين عند الركوع وعند القيام منه ومن التشهد الأول . والأحاديث في المسألتين كثيرة . وقد تذكرت الآن انى سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود نشابه الطرابلسى الأزهرى (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخارى فى أوائل طلبنا للعلم ان البخارى روى رفع اليدين عن خمسين صحابيا وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تمنيت أن أرى هذا الكتاب الذى اثبت البخارى المسألة فيه بالتواتر حتى رأيته مطبوعاً فى هذه الأيام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الذين اثبتها أئمتهم كالشافعية .

الحنفية يتركونها لأن شيوخهم قالوا إنها مكروهة لأنها لم تثبت عند إمامهم وان كان كل من شم رائحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوتاً لو وقع مثله لإمامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فانهم قد يتركونها مسايرة للحنفية . صلى كاتب هذه السطور إماما باستاذه الشيخ حسين أفندى الجسر فرفعت يدى عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الأول كما هو دأبى فلما فرغنا من الصلاة قال لى أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ما عهدى أستاذى أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى أن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافى الأدب معه . فقال ذلك الشيخ : ان إمامك الشافعى ترك القنوت فى الصبح أدباً مع الإمام أبى حنيفة عند ما زار قبره . فقلت معاذ الله أن يترك الإمام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه الحكاية على تقدير ثبوتها (وما هى بثابتة) بأن الإمام ترك القنوت لشبهة عرضت له فى دليله غيرت اجتهاده وقتئذ . فصدقنى الأستاذ وقال نعم هكذا أولوها

فليعتبر المسلمون بهؤلاء الشيوخ الذين يؤمون ويتركون السنة مداهنة لأهل الجاه من الأحياء وتقليداً لأهل الشهرة من الأموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون الدين إلى ... بهم العامة يتجرأون على انتقاد أئمة العلماء والمصلحين من المعاصرين ... فى عيبهم ويتملقون لهم أشد التملق فى حضرتهم والعامة تغتر بهم إذا

درسوا وخطبوا فزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تقريظهما طبعا معا فى المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها الهمام السيد عمر الخشاب ويباعان فى مكتبته فنحث محبي السنة السنية على مطالعتها والعمل بهما «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب»

(الروضة الانيقة . فى بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مسماه من تصنيف العالم الصوفى الشيخ عبد العزيز الديرينى المتوفى سنة ٦٩٧ رحمه الله تعالى . وفى الكتاب مسائل نافعة يصح ان تجعل حجة على الذين يدعون التصوف وينتهكون حرمات الدين . ويدعون انهم أولياء الله وأحباؤه . من ذلك انه عقد باباً للانكار على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن واستشهد لذلك بعدم مصافحة النبى صلى الله عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراسخون فى العلم والدين بشرط عدم الخلوة وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الأجنبى ما يجب عليها إذا لم يكن لها محرم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعموا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطى هذه الأمور مما تحصل به البركة فان قرب المرأة أو الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان النور يسرى من القلب إلى القلب وأشباه هذه الزخارف الباطلة. فهؤلاء قوم تشبهوا بالشياطين فان الشيطان يسول للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة . فهذه حيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب . فليت هؤلاء حيث وقعوا فى هذه القبائح لم يضيفوا إليها ما هو أقبح منها فان العاصى المعترف بمعصيته أخف اثماً وأقل جرماً ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافى والزجر الكافى ومن لم يقدر على ذلك فلينههم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الانكار عليهم بالقلب كما قال الله تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب فى آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال : إذا حقق أصل العلم وعرفت مواده وجرت فروعه ولاحت اصوله كان الفهم فيه مبذولا بين أهله . فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر وإن كان له فضيلة السبق . فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لأنه زائد على المتقدم . والفتح من الله مأمول لكل أحد . ولله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : إذا كانت هذه العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف .
انتهى وهو عجيب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه
(ابابا سنة ١٣٢٠) فإنه ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله

(الحال والمآل) قصة وضعها أحمد حافظ أفندى عوض كما ذكرنا فى تقريظ
(قصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة
والتلميذات فى مصر وكيف يغوى بعض البنات المتعلمات بعضاً وقد علمنا انه لم يذكر
الا بعض الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التى ألفت لمكتبة الشعب أو انفع
ما ألف الشبان المصريون من هذه القصص وان كانت فى عبارتها دون ما كتب
حافظ من قبل لأنه كان فى وجل من طروق هذا الباب الذى يظهر من ورائه سوء
التربية فى قومه وفى حذر واشفاق من عذل العاذلين ، ولوم اللائمين ، فلم يطلق
قلمه بحرية تامة وله الفضل ان طرق هذا الباب من أبواب الجد

موضوع القصة بنت اسمها (اسماء) نشأت (ولا أقوم تربت) فى حجر الدلال
ثم وضعت فى المدرسة فصاحبت فيها بنت أحد الأغنياء من المصريين المتفرنجين حتى
صارت تركب معها احياناً إلى بيت ابيها فترى فيه الأثاث والرياش وكيفية المعيشة
على الطريقة الافرنجية فمقتت عادات بيت ابيها الشرقية وفى هذا المقام إلمام بكيفية
الانتقال من العادات الشرقية إلى العادات الغربية فى شؤون المعيشة .

امتدت المعاشرة بين البنتين حتى ركبتا يوما للنزهة فلقيهما فى الطريق احد الشبان
المتفرنجين الذين قال حافظ فى وصفهم« كان مبلغ ماتعلموه من المدارس وما تلقنوه من
دروس الحياة مقصوراً على العناية بملابسهم وتنسيق هندامهم ووضع طرابيشهم المائلة
إلى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط رقبة
فيه دبوس من الماس ولباس (أى سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار
بسلسلة ذهبية وحذاء أصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية
فكاشفت اسماء بعشقها وسألتها عن العشق ولما عرفت انها لا تعرفه نبذتها بلقب
المسكينة . ثم أقبل الشاب وصافحهما مسلماً ولما صافح اسماء اضطربت من الخجل
لأنها لم تتعود ذلك فقالت لها رفيقتها : « مالى أراك قد خجلت وهل فى الحديث
والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب ان لاينظر إلينا أحد ولا ينظر إلى محاسننا
إنسان » ثم رغبتها فى قراءة القصص الغرامية واعطتها واحدة منها ففتنت أسماء بأخبار
العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والمنام ، فتغير حالها حتى تنبهت والدتها لذلك

التغير وسألتها عن سببه فكذبت فى الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الإنسان أن لا يعرف له مزية . بل ان شئت قل إننا نتعلم الكذب فى بيوتنا من آبائنا وأمهاتنا » ثم إن اسماء تعلمت العشق فعشقت شاباً مهذباً

ثم ان المصنف ذكر ان البنتين اسماء ونجية حضرتا احتفال عرس صديقة لثانية ووصف فيه ماهو جار فى مصر الآن من مغازلة النساء المتزينات للرجال من النوافذ والكوى وم[illegible] شرب النساء الخمر جهراً ، وذكر ان اسماء تعلمت فى تلك الليلة من البنات الشرب على أنه من « التمدن والمودة » فلما خلت مع صديقتها قادتا إلى النوافذ كغيرها فابصرت كل منهما من تحب وكانتا على موعد منهما فأشارتا إليهما بالانتظار فلما التقى الازمة حصل التعارف بين الجميع (كذلك العادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقات فى مصر كما أخبر المجربون) ثم ركبت اسماء مع عشيقها فى مركبته كما ركب عشيق نجية معها فى مركبتها وانطلقوا إلى الجزيرة . ولكن ساء صاحب اسماء سكرها وتهتكها الذى تعلمته من نجية وعنفها على ذلك فوعدته بأن تكون كما يحب وهيهات ذلك فان السائر فى طريق الرذيلة كمن يتدهور من حالق لا يقف حتى يبلغ القرار كما أشار إليه المصنف . ثم ان عاشق أسماء يأس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالزوج بأحد أولاد العمد الأغنياء فرضيت كارهة وعاملت زوجها أقبح المعاملة لاحتقارها إياه لأنه لا يعرف الفرنسوية وفنون التخنث والتهتك وكان أولا يحبها ويحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغضها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمرة . فشكت يوما إلى صديقتها القديمة فأشارت عليها بأن تعامله بالمثل فتنتقم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بداء الزهرى وانتقل المرض منها إلى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فتقرح بدنها واقذرت سحنتها وتحول ذلك الجمال إلى قبح تقشعر منه الجلود وانتهى بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء السارى فى حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة الابعض ما علم فهل يوجد فى مصر قوم يغارون على الملة والأمة فيسعون فى تربية الناشئين والناشئات تربية دينية تصادم هذه الشرور ، وتقلل من هذا الفجور ، ؟ الآباء مهملون والامهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات ؟

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص

الرجال هم الذين يغيرون أحوال الأمم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم إن خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الاسلامية ولكن عملهم للامة لا يزال ناقصاً فاذا استطاعوا ان يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس يربون فيها طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالا عاملين فذلك باب النجاح دون سواه وان لم يستطيعوا فمستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بحروفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ تقريظاً للرواية الاخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف) وقد ألمعتم فيه إلى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنقمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعذار عما يشوبها من الاكاذيب التي هي من لوازم وضعها مع ان منها نسبة العشق إلى مثل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما مع شهرته في التاريخ بضد ذلك وتشبه عذراء قريش بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدهم إلى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل منهم في بدء الفتنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم أن مثل مقدمته التي نقلتموها لايبرىء الكاتب مما يأتي به مخالفا لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الاسلام في كراهة الكذب على أية حال . واني متيقن انكم لو كنتم اطلعتم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في تقريظها . وما كنا نهتم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التي هي المجلة الدينية الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم الافصاح عما ترون فيها لأن المسألة عظيمة إذ اساسها تاريخ الاسلام والصحابة الذين هم الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقات فيما يروون وأنا واثق أن كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق إلى الحق والسلام »

(المنار) قد صرحنا في تقريظ القصة الاخيرة بأننا لم نقرأ القصص التي ينشئها صاحب الهلال في التاريخ الاسلامي فنحكم لها أو عليها . وانما تذكرنا اننا قرأنا في المؤيد نقدا عليها وعلمنا أن بعض الفضلاء ناقمين من مؤلفها لأنه وصف بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصة الاخيرة اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

نقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق إلى الصحابة وأئمة السلف رضى الله عنهم .

والحاصل أن ماانتقد به هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بان ينسب إليهم مالايليق بهم وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للافرنج الذين لايتحامون مثله ويظهر أنه رجع عنه ارضاء لقراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً بأخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى أن المقدمة التى نقلناها عنه تبرئه من هذا النقد إلا أن تكون غير صادقة . فاذا كان يقول أن كل ماعدا الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل إلى تخطئه إلا ببيان أن بعض ما في تلك القصص وراء الحكاية الغرامية التى تتخللها غير صحيح أو أن هنالك اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعلى المنتقد الشواهد والبينات إذا ادعى هذا وعلينا أن ننشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(مسيح الهند)

ملأ هذا الرجل المدعى المهدية والمسيحية الدنيا صراخاً ونشر الكتب والرسائل الناطقة بدعواه في الهند ثم في سائر الأقطار الإسلامية . ولكن لم يفهم أحد حقيقة مراده والأصول التى يدعو إليها . كتبه ورسائله كلها سجع كسجع الكهان بل هو أقل وأضعف فان صبر الإنسان على قراءته ليفهم مراده يرجع إلى ذهنه بعد القراءة فلا يجد فيه إلا إطراء هذا المدعى أو الدعى نفسه والإغراق في الثناء عليها وذم الذين لايؤمنون به ولايجيبون دعوته . وربما تجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد لا يعقل أحد لها فائدة إلا تزلفه للانكليز ليتركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذى زعم ان الله منحه إياه (المسيح) كنسخه حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكمدحه الانكليز والدعاء لهم لانهم يحمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أين المسلمون المشتغلون بالجهاد فيجعل ركن دعوته وأس اصلاحه ارجاعهم عنه . ألم ير أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهمالهم

أمر المدافعة عنها ؟ ألم ير أن الأجانب الذين يعيبونهم بأنهم أمة حربية قد سبقوهم في الفنون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من أوربا بأن الحرب عار على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين ، فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه ليهديهم ويلم شعثهم ويرأب صدعهم .

يدعي أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه . الأخبار ناطقة بنزول عيسى ابن مريم فأين عيسى عليه السلام ، من غلام أحمد القادياني عليه اللام . الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فأين الهند من السماء ؟ وأين الملائكة من أتباعه البلداء ؟ الأخبار تصف المسيح بما لا ينطبق عليه مهما تنطع في التأويل ، وزخرف الأباطيل . يقول ان ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي وأنهم اكتشفوا قبره . نقول إذا سلمنا لك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل موته على انك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله ؟ كلا . فإما أن تؤول الأحاديث تأويلا مقبولا وإما أن تقول إنها غير صحيحة متنا وإن صحت سنداً لأن القرآن متواتر قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل

يدعي هذا الدجال أنه جاء بخوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيما في عينه وحقيرا في أعين الناس ، لما فيه من الهذيان والوسواس ، فاذا كان التأليف السخيف دليل المهدية والمسيحية . فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليلا على الألوهية ؟ أيظن هذا الغافل أن القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه كتاب مؤلف ؟ كلا إنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أمي لم يتعلم شيئاً . فهذا هو الوجه الأعلى في إعجازه . ومن وجوهها أنه وصل من البلاغة إلى حد عجزت عن بلوغه البلغاء مع أن الجائي به لم يكن معروفا بالبلاغة . ومن بلغ الأربعين ولم يعرف له امتياز بالشيء فلا يعقل أن ينتقل مرة واحدة إلى درجة يفوق بها جميع الناس بذلك الشيء إلا بامداد من بيده خرق العادات ، والمؤيد من شاء بالآيات البينات . وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وان لفظ الرحمن الرحيم يدل على محمد خاتم الأنبياء وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلاعب بالقرآن ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا يتقيد بلغة ولاعقل ولا فهم فعسى أن يرجع هذا القادياني إلى رشده ، ونرى الجزر قلل من طغيانه ومده .

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — إبطال مدرسة فرجالى ﴾

تحمس حسين بك فرجالى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لأنها لم تقبل بعض أولاده فى مدارسها وسول له تحمسه أن ينشىء مدرسة ينسبها إلى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزلفى يتزلف بها إلى أميره وسلطانه لأنها ضد المحتلين فأوحى إلى الجرائد أن تنوه به فنوهت وساعدناها نحن على تنويهها لأن إنشاء المدارس الأهلية هو أفضل عمل يعمله الأهلون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الإخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به وافتخر أن مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية إثباتاً لجنسيته ، وبتعليم الدين خدمة للملة . وقد كان أول دليل على انفراج زاوية الخلف بين القول والعمل أن اللجنة التى عقدها فى داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية ، ولكن فرجالى بك ومستشاريه من الأحداث الذين يسمون أنفسهم « الشبيبة المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة اللغط بالوطنية المبهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصريا . فلم تشفع لذلك الرجل عند هؤلاء الوطنيين ديانته الإسلامية . ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل فى عمله حباً فى المحمدة ولكن بلغنا فى هذه الأيام أنه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل إلى معلميها يخبرهم بعزلهم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الأساتذة من أجورهم مدة الاجازة. الأمة فى طفولية وسقوط الطفل ليس بعجيب وإنما العجيب ثباته فإذا سقطت مدرسة فرجالى فان من ذوى المدارس الأهلية من هم أقوى عزيمة منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية وكمدرسة الماجدى وغيرها . فلا نيأس إذا سقط قوم ونهض قوم ما دمنا نرى الأمة متحركة لطلب العلم والعمل. على أننا نرجو أن يثوب لفرجالى بك رشده وينثنى عن عزمه الأخير والله الموفق وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة أن فى قئ المصاب بالهيضة الوبائية وبرازه مادة سامة حية تنمو وتزيد فى الجوف الذى تدخله . فالعدوى التى يقولها الأطباء هى انتقال هذه المادة السامة من شخص إلى آخر كما ينتقل السوس والبق والثعابين. إلا أن الفرق بين جنة الوباء وغيرها ان الأولى لا ترى إلا بالنظارة ، والاحتياط الصحى هو ما يمنع انتقال جنة الوباء من مريض إلى صحيح والدواء الذين يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذى يقتل البق والسوس . فما معنى إنكار هذه العدوى باسم الدين ممن لا يعرفون دينا ولا دنيا؟

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في: هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلاميّ هو الارحم خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا نزلوا بداره، ولاذوا بجواره، وذكرت أن للقائلين بتسامُح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرُو وروسّو ورنان قالوا فيما يضادّ الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى انه قرّر ما قال أرسطو واوضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه. وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بإحراق احد لمجرّد الزيغ في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيردُّ عليهم الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معاً ؛ ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت امتهم ، وفرقت كلمتهم ، فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإعدامه (محاربة للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وأمة لأمة » اه

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين ، ولكنها فصلت فيهما فصلين ، الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً وبناء على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للمسيحيين الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت السلطة الدينية مجالا للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلا عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها الا انه لا نقص أعظم من نقص القادر على التمام » والفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسهما في تربة اوربا وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اه

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول فان كان الانجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة « لا إكراهَ في الدينِ قد تبيَّنَ الرشدُ من الغيّ فمَنْ يكفرْ بالطاغوتِ ويؤمن بالله فقد استمسكَ بالعروةِ الوثقى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليم » وقال في سورة الكهف « وقل الحقُّ مِن ربكم فمن شاء فليؤمنْ ومَنْ شاء فليكفرْ »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : اين الاضطهاد الواقع على العلماء اليوم عند المسلمين ؟ وأين اولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء اولئك الذين يساوون من ذكرتهم من فولتير وديدرو وروسو وامثالهم . وكيف ساغ لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية وحالها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمدّ بنظرها اليوم على أسبانيا ولتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفرير وأميركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان أجد طالبا واحداً مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم انها مدارس رسمية لم يقم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطُهد لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد فى بلاده طائفتان تعد آحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهى تعتقد بالا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انهما من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادهما ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا فى قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عائشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام فى أوج القوة . دخلوا فى حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسروا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تنافي أعمالهم وهم جيرانهم وتحت أيديهم وفى مكنتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأرانى نطقت فيه بكلمتي المجملة . ولكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة فى قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به فى حكميها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلتبس فيه الحقيقة بالوهم

الجواب التفصيلي

أرى الجامعة جاءت في كلامها باربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب الاديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تمتع به الأوربيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الاربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة — كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

ثم وقعت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتمنى الباحث بأدني نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين

اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الكلمة فهى حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وحبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في هممهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجهلة على حكومتهم . أقول « الجهلة » وأريد أهل الخشونة والفطرسة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لعقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم باحكامه لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم فى إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون فى اليد الاخرى ذلك لآخرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؛ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى منازعا : إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجأتنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها ما كان يقع

في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد القياصرة الرومانيين ؟ هل أذكرها بحادثة برتلمي سنتهلير التي سفك فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة وقتلوهم نساء ورجالا وأطفالا . بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي تسود لها الباس الانسانية ، وتسلبت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن لأحد أن يروي حادثة مثلها وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض لخلاف في العقيدة مهما عظم الاختلاف

تساهل المسلمين مع أهل العلم والنظر من كل ملة

ثم أرجع الى الأمر الاول من الامور الاربعة لأن الكلام عليه أول منه على الأمر الثالث . واني لا أستدل على رعاية الاسلام للحكماء من الملل الاخرى المسالمة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بلغوا من الحظوة عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم مالم يبلغه غيرهم

قال المستر دراپر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان : « ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون: «ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم واضعو قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية» . وقال في موضع آخر: «ان العرب قد زحفوا بجيش من أطبائهم اليهود ومؤدبي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين» . ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد

طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء جيورجيس ابن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور كان فيلسوفاً كبيراً علت منزلته عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تنهض [illegible] المنصور و[illegible] اليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال: ان ديني لا يسمح لي أن أتزوج غير زوجتي ما دامت حية . فعظمت مكانته حتى علي وزيره [illegible] المنصور يحمله [illegible] الى [illegible] ماشياً [illegible]

الخليفة في رجوعه [illegible]

[illegible] فقال رضيت [illegible]

وأمر [illegible]

بالامساك [illegible] اليه [illegible]

مدافن آبائه كما طلب . ثم سأله عمن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلاثا أحد تلامذته فأخذه المنصور . وكان جيورجيس فطفق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغائبه فشعر الخليفة بذلك فطرده

وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة فى علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي تيوفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب فى التاريخ جليلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة

وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد فى داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع فى بيت للمذاكرة فى العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع فى بيت يوحنا بن ماسويه

وممن علا قدره فى زمن المأمون يوحنا البطريق . ولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولي سابور بن سهل بيمارستان جند يسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى

وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل: بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخبل في عقله) يحتاج الى الشد؟ فقال بختيشوع: اذا عبث بفتق دراعة طبيبه حتى بلغ النيفق شددناه. فضحك المتوكل حتى استلق

وفي أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمة لا تفل فأقطعه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو فتى فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن مايترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسدة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متقناً [illegible] جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابي وانتهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قنى ونشأ في مدرسة ماوماري وقرأ على روفايل وبنيامين الراهبين اليعقوبيين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لاجل الترجمة ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومنهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق ومتميزاً في النصارى ببغداد وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن قرة الحراني الصابئ من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه غيره وله تآليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة ومئتين بحران . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين وسعهم صدر الاسلام . ولم يضن عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن أتمم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا اسمى الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل . ابن الامير اسحق الذي كان أميرا للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالما بالطب والفلسفة والهيأة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له المكانة العليا عند المأمون والمعتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر بني موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء والخلفاء ؟ أأذكر ابن سينا ومنزلته فى قومه ووصوله الى مسند الوزارة عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء المعري يصلح ان يكون رجلا ممن تعنى الجامعة بنشر تراجمهم وقد قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه فى بلده

أظن انه يسهل بعد سرد ما عددناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام كان يوسع صدره للغريب كما يوسعه للقريب بميزان واحد وهو ميزانُ احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان ألتمس العذر للجامعة بأنها عندما كتبت ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له . بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض السفهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ولذلك كان فى طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لابد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع اليها جميع الفروع وعنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر في أيّ دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فاذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لاتباع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس الى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه

وانني أوجز القول في ايراد الأصول الأولى التي وردت في الاناجيل المعروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الاولين . ثم ايراد ماجر اليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

الاصل الاول للنصرانية الخوارق

أوّل أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات . تقرأ الاناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلا على صدقه الا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لاصحابه ذلك كما تراه في الاصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . واذا تتبعت جميع ماقال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق العادة هو الامر الذى يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فاذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف فى خرق نواميس الكون كما قال فى الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لوكان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفى الحادى عشر من مرقس « ٢٣ لأني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وأن للعلل والشرائط أو الاسباب أو الموانع أحكاما فى معلولاتها أو ماشرطت فيه أوما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضاداً لهذا الاصل فى أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لابد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لايحتاج الى البحث فى الاسباب والمسببات لأن اعتقاده فى الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان فى حصوله فهو فى غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقده فما أصعب احتماله اذا جاء يزاحمه فى سلطانه

الاصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت الرؤساء على المرؤوسين فى عقائدهم وما تكنه ضمائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ما ورد فى ١٦ ـ ١٩ من انجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ماتحله على

الارض يكون محلولا في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه « الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء . وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا في السماء »

فاذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك واذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتقد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فاذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا

الاصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا

وبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الاصل في الاناجيل وفي أعمال الرسل وكلما قرأت في الكتب الأولى عثرت به . وتجد الأوامر الصادرة بالانقطاع الى الملكوت والهرب من عالم الملك صريحة في الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : « لاتقدرون ان تخدموا الله والمال ٢٥ لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « ٩ لا تقتنوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩ من متى:) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤن الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الخليقة من العبادة عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

الاصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارثوذكس ولا بروتستانت وهو ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس انسيلم: « يجب ان تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة . وقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد والا فمجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده في شيء يخالف ماتعلق به ايمانه فكان من الفهم ان يخلق
المؤمن لنفسه مايلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم

(الاصل الخامس للنصرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل مايحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد)

ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل مايحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تعرض عليه البدع الكثيرة) : « ان عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن ينالوه » فجميع ماجاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض ومافيها وتاريخ الامم مما يجب تسليمه مهما ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس ان يؤمنوا به أولا ثم يجتهدوا ثانيا في حمل أنفسهم على فهم ما في تسليمه أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن أن يؤخذ فن العادي بأكمله من الكتاب المقدس

الاصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين

ينظم تلك الاصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك الاصل هو الذي ورد في الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو: «٣٤ لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة مواضع من الانجيل ان الاخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما الخ» هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المتقدين بالدين المسيحي وعفت على آثار ما كان يصح ان تستثمره النفوس من بعض الوصايا الاخر

نتائج هذه الأصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهاراً للغنى بالايمان والعبادة عن كل شيء سواهما وحجروا على همم النفوس ان تنهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك العبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والعبادة كذلك فاذا نزعت العقول الى علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب العهد القديم وحصروا العلم بين دفاتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لكل ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفا من الزيغ عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب لغير الكنيسة)

ثم ان القاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى معارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ماورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧ أمك وأخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي» . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نبتاً ثم شجراً فانظر الى ماصار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة

وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الاديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجو فولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأيا يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاچ رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدال والجلاد الى صدور أمر امبراطوري بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر ثم ان تيوفيل بطريرك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في المدينة لاتلاف مابقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد . قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية وكان لايخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقي في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان أول ماتقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الا وقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتمثل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أماً كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم تر في الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وجاء به الى بطرس أعطاه الثمن وادخر لنفسه شيئاً أخفاه عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسلب حياته من طريق المعجزة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى بها ولم تنبه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً .

فاذا كان الله يسلب الحياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه وبقصد هديته للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله في الارض ونابذهم فيما يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصادرة الذين يخالفون الكنيسة السنة ويشكون فيها « لا يجوز أن يترك لأولاد الذين يرتكبون مثل هذه الجريمة وترك الحياة لهم من قبيل الاحسان » فلم يقصر الجزاء على الجاحدين وحدهم بل تعداه الى أولادهم وعد ترك الحياة لأولادهم يمنحونها ضرباً من الاحسان لأنه لا حق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكراً للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في عنفوان القوة لعهد قسطنطين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يحصل فيها تارة بسلطان الملوك وأخرى بجمع المجامع وثالثة بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وماجاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوربا من التسافك في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوربا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الاوربيين بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا وأولئك الذين يسعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً للكتب — نسخ وتذهيب وتجليد الخ ماقال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تنبهت أفكارهم بما جلب اليهم رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم انساب الى العقول شيء مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل مايظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما فى الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة . قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء . فجاب الى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار . وقيل فى علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا . وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان يعرض مؤلفه أومايريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لاينشر مافيه شيء يومئ الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (كأن الحكومة العثمانية على ماتنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)

انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ماخيف ظهورهما

تسمى تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وايطاليا .
انشئت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب توركماندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة — من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطفق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهامهما اشتد خفاؤها — في المدن . في البيوت . في السراديب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملا بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاما بل سيفاً »

كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ، والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقفون أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته ومايظهر في أعماله بين أهله . فاذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة فينقض شهاب التهمة عليه فاذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه لايجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف

أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوربا ماخيل لكل من يلمع في ذهنه شئ من نور الفكر اذا نظر حوله أو التفت وراءه ان رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغليادیس ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن رشد هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيح لهم ان يبيعوا مايملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو) . وصدر أمر توركماندو ان لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل مايملكون ناجين بارواحهم على انه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر

وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشبيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيح لهم أن يبيعوا مايملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العري والجوع

الا يعجب القارئ اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين

ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تحرك له شعرة في بدن — فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ ان ماقصده كريستوف كولمب من السفر في المحيط الاطلانطيقي لعله يكتشف ارضاً جديدة كان من الأمور التي اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأناجيل والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن ساعده على ماقصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال كريستوف كولمب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط ويحل في الارض والسماء فهو باطل تجب مقاومته بكل مايستطاع . لهذا حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلتها الى اوروبا أمرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أيّ مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق . اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشوراً في سنة ١٨٦٤ جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية او جوازان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فحرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المعضلات السياسية غير ان عزيمة بسمارك نصرت مدنية القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجميات العلمية والكتب : لا أذكر الجميات العلمية (الاكاديميات) التي الفيت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحد وهو ان الكردينال اكسيمنيس أحرق في غرناطه ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعوّل عليها عند علماء أوربا لذلك العهد

البروتستانت اوالاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الاجريا مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانونا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفه وقد أمر كلفان [1] باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد إن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقه . وكان يقول : ان روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فانيني في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكارا على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شتما للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظنا به ولا أوسع صدرا لمن يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبابطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وابطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلا من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قولنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال في الدين لمددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك الدم البرئ على يد المعتدي الاثيم » لكني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية حال ، ليس للناظر فيها مقال ،

الفصل بين السلطتين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطتين الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما علمت نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين احداهما تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطتين وطلب كل واحدة منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الفاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحيين وسننهم فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أفتصبر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين

كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك القوة الى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء . والملك لا قوة له الا بأولئك الناس المغلوبين للسلطة الدينية ؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة الا بعد ان يتناول من الوسائل مالا يعد لإضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها ان تأتي أعمالها على حدة مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل ؟ القصة على ماجاء في الانجيل أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ماينم به فسأله : أيجوز أن نعطي جزية لقيصر ؛ فأجاب لم تجربوني ائتوني بدينار لأنظر اليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له لقيصر فقال : اعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله . فمعناه الظاهر من سياق القصة أن صاحب السكة التي تتعاملون بها اذا ضرب عليكم ان تدفعوا منها شيئاً فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ماهو من الله وعليه طابع صنعته فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً . والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحانية الدينية . فأي تسامح مع العلم في هذا

اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم وروّاد المعارف في كل زمن الى مايقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكؤن عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين فى المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير ماراه القارئ. انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد فى شؤن معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التى وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والعقل من أجلّ القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه وكل مايقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ماصح عندنا عن السيد المسيح لايخالف شيء منه هذا الذى نعتقد . فان صح عنه شيء يكون فى ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أووكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لاعلم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد فى الاولين والآخرين لاتختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ماطولب به العالمون أجمعون على ألسن الانبياء والمرسلين فهو لايتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض فى الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ماقدروا . وهذا لاينافي الارتقاء فى الدين بارتقاء عقول البشر

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ماعمل عليه المسلمون قرنا بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائل أجاذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف فضلاء الاوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده في معاداته فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوربا وما هذا التسامح الذي يتمتع به العلم اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها وبين أثرها في أخريات الأيام؟ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(٥س) غمغمة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنايات : قال بعد كلام يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه

« ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنعه هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم وأريد غمغمتهم . أهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد معتبر شرعا؟ فان قلتم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت غيره فأي شيء هو؟ ألغو من الكلام ، لايثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ الصريح من المعاني »

(ج) الغمغمة هي النطق لابيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع من الناس اضطرارا يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

بحسب النية الحقيقية . فقد صح الانسان مختاراً فإنما يكون لاعباً وهازلا كما جاء في هزله بكلمة الشهادة فلا يعتد بها ظاهراً ولا باطناً . اما عدم الاعتداد بها في الباطن فلأن الهزل بأصل الدين سخرية وهزء وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به الايمان؟ وأما عدم الاعتداد بها في الظاهر فلأنها غير ظاهرة وربما لا يعرف غير الممثل انها وقعت في تمثيله ولأن قرينة الهزء والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره

ومثل هذا يقال في الطلاق الا أن الفقهاء من الحنفية والشافعية يعتبرون تمثيل الطلاق جداً فاذا اعترف بأنه في تمثيله نطق بصيغة الطلاق الصريحة فربما يحكم القاضي عليه بما تقتضيه تلك الصيغة في مذهبه . واذا كان الممثل يعتقد ذلك فهو يعمل به أيضا

والسائل يعلم أن العقود التي من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون العبرة فيها بظاهر القول وبالعرف وأما العبادات فالعبرة فيها بما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الاخلاص في القلب وصحة التوجه الى الله تعالى . فالناس ينكرون على المتصوفة المتغنين في الذكر انهم اخترعوا لانفسهم عبادة لم يأذن بها الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيتناولهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزواً ولعباً » ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها فقد أخبر الله تعالى في كتابه بأنه أكمل لنا ديننا وأتم علينا به نعمته فكل من زاد فيه شيئاً فهو مردود عليه لأنه مخالف للآية الشريفة وللحديث الصحيح « كل من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها سيء فهي الاختراعات المتعلقة بأمور المعاش ووسائله ومقاصده وهي المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجداتها والله أعلم

(س ٢) خرافة الشامة محمد افندي علي السمرة ببولاق : أرجوكم افادتي عن (الشامة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احدى النساء الواضعات فيكون أثر ذلك في الواضعة انها لا تحبل بعد ذلك أبداً الا أن تأتي بتغميس اللؤلؤ نفسه في الماء بشكل مخصوص فانها بعد ذلك تحبل وقد أثبتت كثرة التجارب كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم الى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبتت لهم فائدته ويجتنبوا ماثبتت لهم مضرته فلو فرضنا ان التجارب التى ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النفساء بعقد من اللؤلؤ لانها تضرها بمنع الحبل ثانية لاسيما اذا كان العقد خفياً أو كانت النفساء لاتعرف العلاج أو لاتقدر عليه ٠ وانه يجوز لمن منع حبلها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من اللؤلؤ في الماء اذا أرادت ازالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولاسيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم لهن من أمثالها كزعمهن في الزار ٠ العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات اذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كما اننا فان العقل لايتصور علاقة لعقد اللؤلؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(ايمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشائر السلام نبذة تحت هذا العنوان ماخصها انه يجوز على مذهب أهل السنة ٠ ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقيا وتبقى أعماله شريرة ٠ واعترض الكاتب على هذا اعتراضين احدهما ٠ ان الايمان الذى لاينشئ في صاحبه توبة وعملا صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه ٠٠٠ فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق ٠٠ ثانيهما ٠ عجز الايمان المحمدي عن الخلاص التام ٠ وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطلب من الانسان أن يكون كاملا ولكنها لاتدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب ٠ وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملا صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتنوا به عامة المسلمين الجهلاء ولايبالون ان كان الكلام حجة عليهم ٠ عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لايغنيان عن الانسان شيئاً وانما يغني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

ينجو ويرث الملكوت وان كان شر الاشرار ، وأفجر الفجار ، والقرآن لايكاد يذكر الايمان الامقروناً بذكر العمل الصالح ، وورد في السنة الصحيحة أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان ، وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ماعدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الايمان

قال تعالى « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، مَنْ يعمل سوءاً يُجْزَ به ولايجدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومَنْ يعملْ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً » وقال جل ذكره « انما المؤمنون الذين اذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقدست أسماؤه « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع للفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لان تكون دينا مستقلا لقوم يتفكرون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص الانسان محصور في ان يؤمن — أي يقول وان لم يعقل — ان الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين فالثلاثة واحد وان احد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الانسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الانسان وصار هو الله ثم انه سلط أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللعنة الالهية لاجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لايطالب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرئها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها ، فاذا كان دعاة النصرانية قد بدا لهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لاتعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فانه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلا لانه يقول ان هذا يكلفني بمثل مايكلفني به ديني ويزيد عليّ ثقلا آخر وهو الايمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتألم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الايمان يهذب الاخلاق ويصلح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الايمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الايمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمة له في ايمان النصارى ٠ أما قول مجلة بشائر السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ماتقدم كل ايمان لايكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كايمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه بإله باطل خيالي قائم على الاوهام » ٠ فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لان العقل ينكرها ، ولا يستطيع أن يتصورها ٠ وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن في جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ ٠ فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة ٠ وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به مالم يكن منقولا على انه لايجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب كأحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً ٠ وهذا الذي قلناه هو الاصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقيل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجثو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلمتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون الينا هذه الجرائد لنرد عليها : لايحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتادوه ولا تعدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة الملية والمباراة القوميه حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لايزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المعترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : أننا نعتقد انكم تطعنون بدين الاسلام الذي لولاه لايثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون ، ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له ، ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم أن دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد ، وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء أجمعين ظهر في أكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

باب الاخبار والآراء

﴿ المصريون في أوربا وسوء التقليد ﴾

لما ولع أمراء المصريين وكبراؤهم بالاصطياف في أوربا دب فساد التقليد في في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم يهاجرون الى أوربا بالتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبلغا من المال وسافر به الى باريس وقد أتحف بنتاً له في المدرسة السنية برقعة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد ، ولو علم القراء ماهي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضارّ ولايكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بَغيّ من مومسات باريس وقد صورت على الرقعة عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة وصفها ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري ابنته تحت تلك الكتابة الفرنسوية أنظري يابنتي ما أجمل هذه الغادة

الباريسية !!! فماذا نرجو من رجال يربّون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأدبهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلعت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأنّى لها بالاطلاع عليها ٠

ولا يتوهمن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ السلم أو شيوخ الطريق ٠ كلا انه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندي أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والاميران الآن في شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه ٠ وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالفعل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً ٠ والخطر متوقع على كلا الحالتين الآتيتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تحاربه الدولة فانه يكون موالياً لها وخاضعاً لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً ٠ واذا غلب على أمر البلاد بعد مناوأة من الدولة فيخشى أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا احد الخطرين ٠ وأما الخطر الثاني وهو أشدهما فهو ما ينتظر من احتماء ابن سعود بدولة انكلترا اذا جردت الدولة عليه جيشا لاقبل له به ٠ ولولا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن

لهذا قلنا ان من الحكمة أن لا تمد الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)

(غلط في الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعث والصواب (وعث) وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام للينها ٠ وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بجبال) ٠ وفي س ٢٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وصوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبنارا) والصواب (بنارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دينارا) فليصحح

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ ﴾

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العليم

طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله

(تمهيد الاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن للكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكيماً قادراً وان ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنبهه الى أن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لتثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحيَ به الارض بعد موتها وتُنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته — كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيده تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: « أَوَلَم يَرَ الذين كَفَرُوا انَّ السَّمٰوات والأرضَ كانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وجعَلْنَا مِنَ الماءِ كل شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام: « كان في عماء تحته هواء »[1] والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارىء القرآن يغنني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون — « أَولم يَنْظُرُوا في ملكوت السَّموات والأرضِ وما خلق الله من شيءٍ » . « وآيَةٌ لهم الأرضُ المَيْتَةُ أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنهُ يأكُلُون » — « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وألْوانكُمْ » وأمثال ذلك . فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

باكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .

يذكر القرآن إجمالا من آثار الله في الاكوان تحريكا للعبرة ؛ وتذكيراً بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاما باعتقاد خاص بالخليقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ، انظر كيف يقرع بالدليل ، « لوكانَ فيهما آلهةٌ الا اللهُ لفسدتا » « ما اتَّخَذَ الله من وَلَدٍ وما كانَ معه مِنْ إلَهٍ إذاً لَذَهَبَ كل إلَهٍ بما خَلَقَ ولَعَلا بعضُهم على بعضٍ سبحانَ اللهِ عما يَصِفُون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري ، (وهو مانسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلا ممن لا يعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لا يمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة [1] فانه لا يعقل ان تؤمن بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل كتابا أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

---

[1] المنار — أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على انهامن الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسل وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يحتج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ولم ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء صح سندها او اشتهر أو ضعف أو وهى فليس مما يوجب القطع عند المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقد لمن حصل أصله ، وفضلٌ من التأكيد لمن سلمه من أهله . ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل على أنه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر هو انه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتابة ولم يمارس العلوم وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوما للمعوج كافلا بنظام عام لحياة من يهتدي به من الأمم منقذاً لهم من خسران كانوا فيه وهلاك كانوا أشرفوا عليه ، وهو مع ذلك من بلاغة الأسلوب على ما لا يرتقي اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه بشيء من مثله فعجزوا ولجأوا الى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء واضطهاد المؤمنين به الى ان ألجأوهم الى الدفاع عن حقهم وكان من أمرهم ما كان من انتصار الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمد الدنيا بأضوائها وتنشر أنوارها في جوانبها .

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بعقولهم وطولبوا بأن يأتوا

في نظرهم على آخر ماتنتهي اليه قوتهم فإماّ وجدوا طريقاً لابطال إعجازه أو كونه لايصلح دليلا على المدعى فعليهم ان يأتوا به . قال تعالى : « وإن كنتُم في رَيبٍ ممَّا نزّلنا على عبدِنا فأْتُوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبَّرُونَ القرآنَ ولو كان من عندِ غيرِ الله لوَجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لاينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ماتشاء منها ، أما معجزة موت حيّ بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أوشفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنده العقل ، ويجب تسليمه ، وانما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلا على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

---

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

الأصل الأول للاسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي ، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج ، فأيُّ سعة لا ينظر اليها الحرج أكمل من هذه السعة

الأصل الثاني للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الاصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسعهم هذا الفضاء ؟ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماء بأجرامها وأبعادها ،

أصل ثالث من أصول الاحكام في الاسلام البعد عن التكفير

هلاّ ذهبتُ من هذين الاصلين الى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم وهو : اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولا لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ اذا بلغ به الحمق هذا المبلغ كان الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فيلقى فى النار .

أصل رابع في الاسلام الاعتبار بسنن الله في الخلق

يتبع ذلك الأصل الاول فى الاعتقاد - وهو أن لا يعوّل بعد الانبياء فى الدعوة الى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر الى العجائب والغرائب وخوارق العادات — أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على طريق الاسلام وإصلاح أعمالها فى معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبرة بسنّة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفى آثار سيرهم فيهم . فما جاء في الكتاب العزيز مقرراً لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرضِ فانظروا كيف كانَ عاقبةُ المكذبين — سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ولن تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً — فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ سُنَّةَ الأوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً — أَوَلَمْ يَسِيرُوا فى الارض فينظروا كيف كانَ عاقبةُ الذين من قبلهم » الخ

فى هذا يصرح الكتاب بأن لله في الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويعبر عنها قوم بالقوانين . مالنا ولاختلاف العبارات ، الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد اليها أعماله ويبني عليها سيرته وما يأخذ به نفسه . فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سببه ، فمهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجرى مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ، وتحت أي اسم عرفت ؛ ولكن كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين ، أعدائه الاقربين ، وفهم معناه موقوف على معرفة اوضاع اللسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كلمه وأساليبه ، ولن يكون ذلك الا بحفظ ما نطق به العرب من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يمثل عند الناظر في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها . هكذا صنع المسلمون الأولون ـ ركبوا الأسفار ، وأنفقوا الاعمار ، وبذلوا الدرهم والدينار ، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسلاً بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكانوا يعدون ذلك ضرباً من ضروب العبادة ، ويرجون من الله فيه حسن المثوبة . فكان من طبيعة الدين أن لا يحتقر العلم الذي ولد هو فيه ، بل قد يكون من الدين علم ما ليس منه متى حسنت النية

في تناوله . وهـذا باب من التسامح لا يقدر سعته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان او عبرانيا وكتبوا الاناجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الاترى أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظهم بلغتهم . وتحرُّجاً من النظر فى دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

الاصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية «١»

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل -- قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على ايمانه (على ان الرسول عليه السلام كان مبلغا ومذكراً لا مهيمناً ومسيطراً . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ») ولم يجعل لاحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا كعبه فى الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى فى وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الاصل هو ضد الاصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

الْمُفْلِحُونَ » وقال : « فلولا نفر مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعوالى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي اذا انحرفت عنه . وتلك الأمة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير ، والانذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتتبع عورة أحد ، ولا يسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد . وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة فى زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال فى أمر الاعتقاد أو فى حكم عمل من الاعمال ، فليس فى الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً . وليس كل معتقد فى ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد يغلب الهوى . وتحكم الشهوة . فيغمط الحق . أو يتعدى المتعدي الحد . فلا تكمل الحكمة

من تشريع الاحكام الااذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى فى عدد كثير فلا بد أن تكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم . ولا هو مهبط الوحي . ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة مايحتاج اليه من الاحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفاسد . ويسهل عليه إقامة العدل الذى يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصه الدين فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصفاء العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ، [1] ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوجّ قوّموه بالنصيحة والإعذار اليه ، [2] « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » [3] فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، مالم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

---

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم فى الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند القاء الدرس لأنه فى رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه فى خطبته (وان زغت فقوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه .(١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ؛ فهو حاكم مدنيٌّ من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الايمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً ان يخالفه وان اعتقد انه عدوّ لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على مايعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هو دينٌ وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتنسخ ماتشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخوّل السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على مايحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لا في معادهم ، وعدّوا هذا الفصل منبعاً للخير الأعم عندهم . ثم هم يهمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان يبيدها بها « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرّر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها فى القلوب بالإخضاع ، وفى العقول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، ويبنون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يتيسر للدين الاسلامي ان يأخذ بالتسامح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعدٌ عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خوّلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من أدناهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، ويحرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الاصل الخامس للاسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسالمة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الأيمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك، حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وانما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء، لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل. قلنا: لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاصٌّ بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعْذِرُ الى خصمه ؟. ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لردّ اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم. ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه. ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الاسلامية، ماتسمعه في الحروب المسيحية، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسالمة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال.

لم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين. وإنما كان الصبر والمسالمة ديناً عند ما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين. وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه مالم تمنحه لغيره في الزمن الطويل. فتيسر له في شبيبته مالم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته.

مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية

الاسلام الحربي كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وانما يكلفهم بجزية يدفعونها لتكون عونا على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام العباد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) و (من آذى ذمياً فليس منا) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، — وضيق الصدر من طبع الضعيف — فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يختلط بطينته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يحتملها الصبر مهما عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعميدهم أجلتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العضد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كاتبوه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلقي

سلاما بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه[1] والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين: «وإنْ جَاهَدَاكَ على أنْ تُشْرِكَ بي ماليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا في الدُّنْيَا مَعْرُوفاً واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنَابَ اليَّ» فهو في اشتداده على المهدين لأمنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت. بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

---

(١) تقدم نص إنجيل متى في هذا. ومثله قول انجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم (يسوع) ان كان احد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً). وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه (٢٧ أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي). وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهلين المخالفين ومع سائر المحاربين. قال في ١٣: ٦ — ٩ من تثنية الاشتراع (واذا اغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله: الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٠: ١٠ — ١٦) مانصه (حين تقرب من مدينة لتحاربها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها واذا دفعها الرب آلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الذي أعطاك الرب آلهك. وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي يغلب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل تغلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون معه صفو الدولة ولا يخلون بنظام السلطة العامة . ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم . ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطالبهم بحسن معاملتهم . ففي طبيعته ان يكل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم ، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته ، ويحمي من لا يتبع سنته ، وان كان في عمى من الجهالة ؛ وخبل من الضلالة ؛ أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء ؛ ويضيقُ به حلمه عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء ؛ ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة ؛ أو كشف غامض أو تبيين طريقة . ؟ كلا ثم كلا . فمن بحث ونقب ، وسبر وقر ، أو شق الأرض ، أو ارتقى الى السماء ، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً ، أو يفسد أدباً ، فعند ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد ، وإصلاح الفاسد ، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصاهرة — أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها ، والذهاب الى كنيستها أو بيعتها ، وهي منه بمنزلة البعض من الكل ، وألزم له من الظل ، وصاحبته في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للنصرانية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبها من الرحمة ، وهي كما هي . وهو يسكن اليها كما تسكن اليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ، أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ماعهد في طبيعة البشر . وما أجلى مايظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم ؛ وذوي القربى لوالدتهم ؛ أيغيب عنك مايستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه (١)

ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يمود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه ؛ والعقيدة طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ليعلم البشر التآلف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة . أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها ؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق ان ينبه الغافل ؛ ويعلم الجاهل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكفر في ذلك نعمة المشير ؛ ولا يسلك به مسالك التعسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يحيد عن شرائع الصدق في الولاء ،

ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فاذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخالفه في عقيدته ؛ ودينه وملته ، ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولايته ونصرته ؛ أتراه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليقة ليصل منه الى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وان كان قد يخالف ظاهراً مما يعتقد ؛ أو يميل الى رأي غير الذي يجد ؛ أفلا يسع هذا ما يسع المجاهر بالخلاف ؛ وهو معه على ما رأيت من الائتلاف .؟؟

لو ذهبت أعدّ ما في طبيعة الاسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم ؛ وتكوّن حقيقة المسامحة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب عليّ أن أختم القول بذكر أصل أشرت اليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿ الأصل السابع للاسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ﴾ (١)

الصحة الحياة في الاسلام مقدمة على الدين . أوامر الحنيفية السمحة ان كانت

(١) هذا الأصل ضد الأصل [illegible] (راجع ٤١٣ من المنار)

تختطف العبد الى ربه ، وتملأ قلبه من رهبه ، وتفعم أمله من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه فى ترك اللذات مافوق المادة »

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ماتملك واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثلث والثلث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »(١)

الرخص — فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة فى تحصيل الماء . القيام مما لاتصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وَحَلٌ غزير أو مطر كثير أو مايوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » فترى الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح

الزينة والطيبات — أباح الاسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة والتوسع فى التمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود

(١) المنار — يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثلثي ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الا ابنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولا بان يتصدق بالعشر . والحاصل انه ما زال يراجعه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثلث وحرم الزيادة بالحديث

الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولية ، جاء في الكتاب العزيز : « يابني آدمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (سورة الأعراف) ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره ، كما قال : « وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ثم قال : « وهو الذي سَخَّرَ البحر لِتَأْكُلُوا منه لحمًا طريًّا وتَسْتَخْرِجُوا منه حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وتَرَى الفلكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (سورة النحل) .

الاقتصاد — ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله : « إن المُبَذِّرِينَ كانوا إخوانَ الشياطين وكان الشيطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً . ولا تجعل يدك مغلولة الى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كلَّ البَسْطِ فتقعدَ ملوماً محسوراً » (سورة الاسراء)

النهى عن الغلو فى الدين — وخشي على المؤمن ان يَغْلُوَ فى طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا فى الدنيا اذ قال : « وابتغ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخِرةَ ولا تنسَ نَصيبَكَ منَ الدُّنيَا وأحْسِنْ كما أحْسَنَ اللهُ اليكَ ولا تَبْغِ الفسادَ فى الأرض انَّ اللهَ لايُحِبُّ المُفسِدينَ »

فترى ان الاسلام لم يبخس الحواس حقها ، كما انه هيأ الروح لبلوغ كمالها ، فهو الذى جمع للانسان اجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا جسمانيا صرفا ، ولا ملكوتيا بحتا ، جعله من اهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة . استبقاه من أهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه الى أن يطلب مقامه الروحاني ، اليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هوَ الذى خلَقَ لكم ما فى الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رَفَه الحياة (مع القصد) الى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً ، أو تجده لذيذا او تظنه نافعاً

وليس فى الغريزة الانسانية ان يقف بها الطلب عند حدٍّ محدود ، او ينتهي بها السعي الى غاية لا مُطَّلَعَ للرغبة وراءها ، بل خصها الله بالمكنة من الرقي فى أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى بدون حدٍّ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزجيها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحذين شاحذِ التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحذِ الرغبة فى النعيم الدائم فى الآخرة ، فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضاء فى الدنيا بالدون ، وفى الآخرة

بعذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهامة فؤادها ، مضاء الزميع [1] لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة الرعديد [2] فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وُجدت فيه ووجد لها ، فتسير في مناكب الارض ، ولا تكتفي عن الكل بالبعض ، وتبحث في تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ، ولا يحجبها ظهرها ، عن مد يديها الى ما في جوفها ، ولا تجد ما يصدها عن النظر في الهواء ، والبحث في الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها في مداراتها ، واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل مستعد لوجه من وجوه النظر ، او الولوج في باب من أبواب العلم ، ينطلق الى حيث يبلغ به استعداده إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة او استكمال لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصده عن مطلب ، ولا ما يكف يده عن تناول رغيبة ، أين هذا من ذاك الذى لا يرى الخلاص الا في مجافاة هذا العالم ولذائذه ويجد ان الغنى والثروة من الحجب التي لا تُخْرَق تحول بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره ، اذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره الى سره ، ويقف على قوانينه وشرائعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه ، كيف يشكر الله اذا توانى في ذلك وقد ارشده الله في كتابه وبسنة نبيه الى أن عالمه إنما خلق لأجله ، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله ، انظر الى لطف الاشارة في الاية

---

(١) هو الحازم القوي العزيمة يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا يثني والجيد الرأي المقدام

(٢) الرعديد الجبان الكثير الارتعاد

المتقدمة « قل من حرّم زينة الله » الخ حيث قال: « كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم، ويجمّل به هيأتهم، ويجلي به زينتهم؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد؛ والعزة والمجد؛ ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم؛ فهم محفوزون أشدّ الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان، وتلقيه من أية شفة وأي لسان، فاذا لاقاهم العالم في أي سبيل، أو عثروا به في أي جيل، أو ظهر لهم من أي قبيل، هشوا له وبشوا، ونصبوا اليه وكمشوا[1]، وشدوا به أواصرهم، وعقدوا عليه خناصرهم، ولا يبالون ماتكون عقيدته، اذا نفعتهم حكمته، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »[2] ألم يأتهم عن ربهم: « يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً وما يذَّكَّرُ الا أُولو الأَلْبَابِ » ألم يسمعوا في وصفهم قوله: « الذين يستمعون القول فيتّبِعُونَ أحْسَنَهُ » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلما حقاً. وذلك ما تجرّ اليه طبيعة دينه. وحديث « اطلبوا العلم ولو بالصين »[3] ان كان في سنده

---

(١) لعل نَصَبُوا من نَصْبِ السَّير وهو ان يسير طول يومه سيراً ليّنا. وكَمِشَ الرجل كان سريعاً ماضيا. وكَمْشٌ كماشة شجع واسرع (٢) المنار — حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد. ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضى الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن تخذ الحكمة ولو من أهل النفاق (٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن عبدالبر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسند معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذة بنفسه وان كان في أول أمره مطلوبا لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولا لحاجتك اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجد اللذة في العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها . وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر العقل والعقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعيما ولذة . ولست في حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان يعرفها بله الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان ألذ من كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه ومتممات نعيمه أن يسيح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسيح في بسيط الأرض ليكسب رزقه ويقيت أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماءه للضرورة ، ويستجلي سناءه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات حسه ، حتى يدخل معه في رمسه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

باب التربية والتعليم

الشذرة الثامنة من جريدة الراسم (*)

﴿ تجلي العلم في العمل ﴾

زرت بالامس أنا و اميل ، ولولا مسبك قصدير في بازانس واقع على ضفاف خليج الجبل ولست أقضي العجب من منعطف هذا الخليج الذي كأنه في عظامه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قلادة ، يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أماكن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تغطيها سُقُفٌ من البلاط الاسود لايتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أكواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحصر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطني اللون (كذا) الى معدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليلة ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير وبعد مكابدته محناً مختلفة يتجرد مما كان ممتزجاً به من المواد المكدرة لصفائه وهي الحصا والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة ، يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة البياض ويسقط في خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمعانه القمر في احدى ليالي الصيف أبيض ساطعا

اذا صب القصدير في الخابية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الاخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتهيجه

(*) معرب من (باب تربية اليافع) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنيات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لايبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن الغضبان. ذلك أن فقاقيع الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطيرات محرقة تسمع لها نشنشة تنبجس من كل ناحية انبجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم أن «اميل» ولولا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تعاورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذهنهما من مجموع ماحصل من الاعمال الا معنى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذهما الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين مايربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعليم واقصد قصداً أكيداً أن أستعين به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال وتتراءى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية في بانزانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغريبة فلم يلفت ذهن «اميل» ما في خزائنه من قطع هذه الدفائن المرتبة الا قليلا وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها مايوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوفاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بمجتها يد الانسان فكان مرآه في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت في رواق ترتيباً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الارضين وقد شاه وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المريعة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعاها صدعا وأشبعاها كسرا وقد هاج شوق «اميل» منظر أعمال النحت هيجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستنكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثا

ان فتى ايقوسيًّا اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائق الاثرية وأصبح اسمه كأنه علم له

وربما احتذى « أميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديقونشاير فاعتضد المطرقة وحمل التحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائق الاثرية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها مرتباً في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام العضوية تكون غالباً من الاختباء في باطن الحجر بحيث انه لابد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه لابد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الخافي من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات الناحت وتحتمله وطوراً تكون هشة فتتلاشى وتتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عملَ الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد ثم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يخسر لقطاته أو يعيبها على حين اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشيء في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات المادية وجد عليها وبعثه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة الناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارتها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان نوع حجارتها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والمخلوقات العضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رمساً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بعرق جبينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً راسخاً خذ لذلك مثلا الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتحام ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانيها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا عناء مجهزة

محفوظة في احدى صحف المجموعات النباتية . وما يجمعه المرأ بنفسه من المحار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أ كثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومصنوناً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومرانة

أنا لا أشك في ان التجارب الكماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميـل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم معمولا به في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أ كثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معمل من المعامل الكبيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يُرى فيه من قوى الطبيعة مقيدة ومطلقة و (كلٍّ) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضغ الحديد مضغاً وتقطع الخشب قطعاً و آلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلبية في كده وكدحه فحلت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة . نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الامر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيـه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعية

ليس أحقر الاشياء بأقلها دائماً في صنعه اثارة للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعلبة الكبريت والدبوس والشمعة (كما بينه فاراداي (١) حق البيان) لهـا بعلمي الطبيعة والكيميا تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة

أنا أعلم أن تحصيل علم عدة من الصناعات والاختصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن « اميل » اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها . على أن الشبان أقل حاجـة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيأ كثيراً

وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتآليفه في الكهربائية ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العمل التي لو احتلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتعظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة أو الزراعة ان لم يباشر شيأ من اعمالها بيديه وتلك مزية اخرى له فليت شعري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتبخس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

آثار علمية أدبية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً اولوكان مسلما لعرفه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسببات وان كان القرآن يثبتها ٠ وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن تَرْضَى عنكَ اليهودُ ولا النَّصارى حتى تَتَّبِعَ ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى »وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فاورد عنه مايقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر

قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكياء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العلم المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يغتر الغافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها ٠ وقد علم القراء ان المستائين رجعوا الينا والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذى يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً أن المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير أنه متعمد لذلك الطعن ومصرٌّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلأننا قلنا انه قال ما قال لأنه لايعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة . يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي يلهج بأسمائها تقضي علينا ان نقول انه لايعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لانعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم ينتحل له سبباً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التساهل وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية مايسمح للصغير ، أن يتسامى ويتسلق للطعن في الكبير ، وربما زين الغرور لصاحبه ان كلام الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الفنية المنتشرة توهما انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون ما نال أولئك من الشهرة والثراء . ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : أرأيت ما كان من صاحب الجامعة الذى أثنيت عليه وعلى مجلته حتى رفعتها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لاخسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهمن الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والعناية بارشاده بعد العلم بأنه لاقابلية فيه لذلك ولا استعداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، أم يتوهمن ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها . أما ما تقذفت به على المسلمين وتتقوله على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذى ينتسب اليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال

« المنار » مجلة ملية كما أنها علمية ادبية وهي مع ذلك لاتتعرض لدين المخالفين الا ردًّا على ما يعتدون به على الاسلام . والجامعة لا تعترف بأنها مجلة ملية مسيحية وهي مع ذلك تطعن في الاسلام والمسلمين ابتداء ، وتقتحم الكلام في ذلك اقتحاماً ، فهى في ظاهرها علمية ادبية صحية كالمقتطف والهلال وفى باطنها دينية ملية كراية صهيون وبشائر الاسلام والمشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها .

قلنا أن صغار التلامذة لا يحفلون برد سفسطة الجامعة التى سمتها رداً فان القيد الذى خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو أنهم ينكرونها كما يفهم الفلاسفة) لايفيدها شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان يجري على اطلاقه كما هو معلوم ، وقولها ان ابن رشد كفّر الاشعرية وقال بضلالهم لأمور نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية ، واستدلالها بذلك على ان المتكلمين ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية بذلك رداً دينيا — وهو من علماء الدين الراسخين — لأنه بنى عليه التكفير والتضليل والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكأن ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو عند المسلمين كافر اوضالّ لأن من اصول الاسلام التي يشهدها القرآن وتنطبق على سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مربوطة بالمسببات وان للكون سنناً ونواميس مطردة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف تقوّله فيه على المسلمين . فالمتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية « وكذلك الفقهاء منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .

ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود النواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد بتغيرها نقيضان لايجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بإمكان تغير النواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو مايعبرون عنه بفلتات الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفلتات فالمسلمون احوج لأن أساس هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ومما يضحك صغار التلامذة استدلاله على معاداة الاسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لايعرف قائلها وهي « من تمنطق تزندق » ويفهمون منها أن من تعلم المنطق صار زنديقاً «هذه الكلمة لعاميّ مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامياً ان معنى «تمنطق» لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لايراعي في قوله الا « الحقيقة والضمير » على ما ذكره ينسى او يتناسى انه لايوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لايعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية ، ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه »

لايبعد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد انه مموه ، ويقرب ان يكون مغتراً بما اجاب به عن تخطئته في تلخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة او يبدلونها فراراً من الملام والاضطهاد ، اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملا على فلسفة الناسخ لا فلسفة المؤلف ، فاذا خالفوا الامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!!

ثانيها أن الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد المتعصبين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقلها ، ومنهم ابن رشد ،

ثالثها انه « لامناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق ، وهذا ما توخته الجامعة » اهـ بنصه

ولا احتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله نبشره بأنها لا تروج عند احد طلاب العلم لأمور . (احدها) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم يلحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان ، بغاية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس ، وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير ،

(ثانيها) ان الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لايوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طافحة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون. وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه معربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوربا في القرون المتوسطة مستمدة من تآليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمعناه

(ثالثها) غير معقول ان الذين كانوا يستنسخون الكتب الحكمية كانوا يرضون بأن يغير النساخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويعملون بتلك الاستطاعة.

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا يسهل علينا أن نفرض أنه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب وممارأته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له بالتي هي أحسن .وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القبيل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فحسبنا فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلاناً خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان. هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام المعظم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإعلاء شأن الأمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاسنة ، وان ظهروا بمظهر المخاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد المهدون والسلام ، الداعي الى حسن الالتئام ، فلا يخشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان كان هو يحب الموادّة ويدعو اليها فليدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام ، فانه ليس من موضوعه ولا يعنيه ، ولا علم له بظاهره ولا خافيه ، وهذا القدر يكفيه .

جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جزءاً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهيضة مقام الحيطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به ، والافمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهيضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها ، واذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم يجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال مذهبه حيا مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤونه لازالة المغص أو القيء والإسهال حتى تذهب شحناء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ شيء ما دامت الملاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عزو هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألت الملم منهم بالتاريخ

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فانا نعلم انه قرئ للعرابيين في واقعة التل الكبير فلم يلبثوا أن قتلوا ومزقوا شر ممزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددها وهي تكاد تكون بالمجان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيضي الازهري .

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤن الى ماوراء الاسباب من خوارق العادات لسهولته ولإيهام العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام معا فيظهرون على الامة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكثوا حتى فترت شرة الوباء فقرءوا ثم تمموا ليوهموا ان الخطر انما زال ببركة تميمتهم وطالع يمنهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعمد الى المجربات من النعنع والخل وماء البصل وما شابهها أو يلجأ الى الطبيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الامة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم .

ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامى أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الى قوم من متعالميه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ما جاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروّجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارئيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هـذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ لضلوا وأضلوا

وقد جرأ هذا الأمر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم: ان التقليد بلغ بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبه الميزان، وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون ممن لاخبرة لهم بهمة العلماء في مثل هـذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبثوا في المساجد والأندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الأهلين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتعهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوفد أعيان القاهرة جزاه الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخاب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء مأمور بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيعه على المصالح والنواحي لبت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع

هذا مايقوله القوم في شأن علمائهم رفعه اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس غالباً الا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء تحرزا من حدتهم في المناقشة ورميهم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاندة. أما أنا فاني لا أزال الح في طلب الجواب الشافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد انه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هـذا العمل من غير العلماء الرسميين لضربت عنهم وعن عملهم صفحاً ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعملهم بازاء مركزهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متنصح)

باب الرد والانتقاد

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطهاد النصرانية للعلم بمقتضى

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيهما أصول الاسلام القاضية بالتسامح مع العلم أينما وجد واكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . ويلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة في هذا الجزء وآثارها في ترقية العلم والعمران . وايجاد مدنية فاضلة للانسان ، وسينشر في الجزء الآتي مؤيداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوربية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر . ويختم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطبيب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للاسلام ، ومرشد الانام ، وسينشر ذلك تباعا في المنار وربما وفقنا للتعجيل ببعض الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالا على ما نشر واعجابا به لم نر مايشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هانوتو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لاينكره مكابر ولا حاسد .

﴿ عبرة وتنبيه ، في موت وجيه ﴾

كتب الينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييعه احتفالا عاما وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الاستانة العلية

والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كلهم إخوة . ولو وجد في الهند مثلما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لم يكن له نسب عريق في بلادهم ويسمون هذا وطنية لما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق ينبض ، ولا لحقوق المسلمين حكم يفرض . (وثانيها) ان آمال المسلمين لاتزال معلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وليتهم ينظرون أولا الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملا كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه ، فياليت المسلمين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولايحفلون بما يلغط به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بذم مصدرها

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نمت الينا برقيات اوربا في الشهر الماضي هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بالعلم والعمل والدعوة الى الله تعالى والارشاد الى طريق الرشاد فارتبنا في صحة الخبر وتربصنا به التكذيب فما كان الا أن أكدته الجرائد الفرنجية تأكيداً وتبعها غيرها .

وقد اطلعنا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه ما نصه :

« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك الى الآن أصلا بالكلية بل المتحقق انه انتقل الى جهة من الجهات مجهولة »

« محاربة الفرنساويين بالاقطار السودانية لم نحصل على خبر منها الى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى الى قسطنطينة احدى الممالك الجزائرية وأرسل الينا جواباً يفيد انه قادم الى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلا واجمالا وما الذي سيصنعه الفرنساويون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اه

وسيأتي البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما ننشره من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والخلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال : — الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة العصبية فهو الرجل الديني الوحيد الذي كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتتبع حركاته وسكناته وتبني عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أو قائد باسل مستعد لكفاح الاقران ، وفتوح البلدان . وكان الناس في أوربا وفي الشرق مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والاكثرون يعتقدون أن طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة الى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها ان أتباعه كانوا يعتقدون انه المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله انهم يعتقدون ان شيخهم هو المهدي المنتظر وانه سيحج ويبايع في حرم مكة او في عرفة « الشك مني » وقال : اذا ذهب سيدي المهدي الى الحجاز فلا يتخلف احد من المغاربة عن الحج في تلك السنة الا لعجز مقعد » وكان يقول أيضاً : ان من اصول الطريقة احياء الارض وغرس الاشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم ان للسنوسيين اتباعاً في مصر يكتمون كل ما يعرفون من أمرها بل يكتمون في الغالب كونهم من اهلها

مثل هذه الأخبار وتلك الاعتبار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار ،

وأما الاوربيون فمنشأ اوهامهم وأحلامهم في السنوسيين جرائد فرنسا وكتبها (راجع صفحة ١٧٨ ومابعدها من مجلد المنار الاول تجد فيه النقول التي تؤيد هذا) ٠ وقد بلغنا أن الحكومة الفرنسوية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يليها ويتصل بها وان الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة ٠ وانما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في امر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بتوقيع (محمد الحشايشي) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها ٠ قال الكاتب انه كتب عن علم ورؤية لأنه ساح في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية ٠ ونلخص من مقالته المفيد لأنها اوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فنقول

ساق أولا نسبه الى سيدي ادريس بن عبدالاله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام ٠ ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغانم بعمالة وهران (التابعة للجزائر) من قبيلة الخطاطبة ارتحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن عمان فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هنالك العلوم حتى برز فيها ثم ارتحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج ٠ وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثنائها طريقته المستمدة من نفس الطريقة المحمدية التي أخذ اجازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان بلغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الجبل الأخضر من وطن درنه وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى للارشاد ٠ وولدله صاحب الترجمة سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العلم والارشاد ٠ حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ الشيخ أحمد الريفي بعد ما قرأ القرآن على مؤدبه الشيخ هاشم الصفاقسي والحافظ الشيخ مدين وأخذ علمي التفسير والتصوف عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعلمي الحديث والأصول عن الشيخ احمد الريفي ٠ وجميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الادنى

« لها بقية »

المنار

١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ — ٣ أكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢ ﴾

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

﴿ وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العليم ﴾

(نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم الأولين ؟ — فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام في طلوع فجره ، وتفتح نَوْره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى رجلٌ مسيحيٌّ من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً يعبر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى الى مذاكرتهم . ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه مالم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عُدَّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته

يقول كثير من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الغربيين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرّة والرأي العالي . بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد المحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دفاترهم بالرومية في سوريا ولم تغيّر بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضّ على تعليم الآداب العربية ويطالب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يتحسّسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع مايدعوهم اليه دينهم وتنبههم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلتهم عن كل شيء من من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وإنشاء البليغ من النثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يعلون منزلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الاول .

نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم يسيروا في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه دُلّ عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على الارض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك الى معاوية رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلَّى البنيان بأجمل ما يكون من الصنعة العربية مزين بالجنات والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى الناظر فيه أفخر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا يخفى ما في ذلك من ترويج فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها

اشتغالهم بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً . وأخذ المنصور ينشئ المدارس للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ما ينفقه في تعلم العلوم الفلكية وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت بها أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم مايثقل مئة بعير . وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي . ولايسهل على كاتب إحصاء ماترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿ انشاؤهم دور الكتب العامة والخاصة ﴾

وقد أخذت دول الاسلام تعتني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثالها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لاغير . وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكان فيها كرتان سماويتان احداهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ مافيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابه ان ذلك لايمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمائة جمل لتحملها وهو لايستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جمل

في داره مكتبة عامة يَفِد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع بعذا كرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

انشاؤهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

غطي بسيط المملكة الاسلامية على سعتها بالمدارس . نقول « على سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد المدارس في كل الاقطار — في المغول . في التتار من جهة المشرق . في مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعِدُّ درسه ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأماليّ تنشر بين الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على ان جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى مراقبة ولا حجر ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً واحداً رأيته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الاسلامية لنشر كتب العقائد مقتضاه ان لا ينشر منها شيء الا باذن . على أني لا أعلم شيئاً من ذلك وقع في الممالك الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الاسلامية . يقول جيبون في كلامه على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاة الأقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الانفاق على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد وجعل لها من الريع يصرف فى شؤنها خمسة عشر ألف دينار فى السنة . وكان الذين يُغَذّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء في المملكة وابن أفقر الصناع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنقَدون رواتب وافرة » اه

انقسمت الممالك الاسلامية في زمن من الأزمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان العباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الاندلس من أوربا (الغرب) والفاطميون في مصر من أفريقيا (الوسط) ، ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائما في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية برياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظامات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدته . وأول مدرسة طبية انشئت فى قارة اوربا على هذا النظام المحكم هي التي أنشأها العرب فى ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم فى أوربا هو الذى أقامه العرب فى اشبيلية من بلاد اسبانيا

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الادبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الاحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الاولين من تلك الالسن الى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة . وكان مترجموهم في أول الامر مسيحيين وصابئين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين . وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها الى لسانهم على حسب ما يصل اليه علمهم فيها، وكان المعلمون لأبناء العظماء في أول الامر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين . كلٌّ يعلّم العلم الذي عرف هو بالبراعة فيه

علوم العرب واكتشافاتهم

كان علم العرب في أول الامر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك الا دون قرن واحد ثم صار عربياً . ولم يرضَ العربيّ أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو اقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة للعلوم العصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بآراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد . ذلك حق في أوربا . أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة . أول شيء تميز به فلاسفة العرب عمن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجريبات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم مالم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً » وعند الأوربي الى مابعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلينظر المصريون وغيرهم من الشرقيين كيف انقلب الحال، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال ديلامبر في تاريخ علم الهيأة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تعد من العرب عدداً كبيراً غير محصور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجرّباواحداً عند اليونانيين ولكنك تعد من المجرّبين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهندسة والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وهم أوّل من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاد الفلكية وكانت تلك الجداول معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالي هذا ان أعدّ ما اكتشف العرب ولا مازادوه في العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لاخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه أسلافهم.(١) ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين (٢) : «تأخذنا الدهشة أحياناً عند ماننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاما يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن في اشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل ماقال بين العلماء ان الذهب قد تقلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظن من هذا أنه مرَّ في صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صُفراً ثم فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فانما يقصدون منه ماأرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة بالتدريج ومن طريق الترقي وهم لم يعنوا بقولهم هذا انه تقلب في صور الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حماراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك إنساناً» اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : «ان العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين»

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم مانقلوه عن ابن رشد من انه ذهب في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لابقاء لها بعد فناء

---

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدنية العرب) في المجلد الثالث (٢) هو الفيلسوف درابر الاميركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الاشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفنى وأما الأنواع فهي باقية لاتزول . وهذا باب آخر يغاير بالمرة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) [١] كما أخطأوا في قولهم عنه إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صوره والكل يرجع اليه بمعنى انه يفنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لاينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثرة في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه [٢] ولكني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبعين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه مايدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ميتة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظّ للانسانية منها سوى النظر اليها — صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الارواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعِدّت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل — في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

---

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي رد بها الكاتب على الجامعة

كيف تنظر وكيف تتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليها العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايتاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخلا الى إيتاليا ان البابا كان غائباً لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايتاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصّت بالبلاط على نحو مارصّت به مدن اسبانيا » اه

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفراده وان الكنيسة تسلّطت على العالم المسيحي اثنى عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والعمل . والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء وعمالهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولا يعرفه الحق وتثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم ترَ قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

أخذ الخلفاء والامراء ، بيد العلم والعلماء

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معاً كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين العاملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة . وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يعادون الفلسفة ظناً منهم ان منها مايعدو على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؟ لعلك لا تجده أبداً

كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأمراء والخاصة مايليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر عليُّ بن يوسف القفطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما أحسّ أهلها بالغلب سعوا الى أبي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسّه وخشن حده ، وكالنهار البالغ قاظ وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فانشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأمراء والخلفاء لطال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم مايخلقون من المفتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتغامزهم على أهل الفضل ولمزهم إياهم بالألقاب بل واحتقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا نكير . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لاتخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مهما بلغ أهلها من الحرية ومهما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فان القائمين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يمقتون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون مايوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك مالم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لايجوز في شريعة الدين . ونحن لانرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لايعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذه السيف لغلوه في فكره فلم يترك له من الحرية مايتمتع به الى منتهى مايبلغ به وليس يصح أن ينكر ماصنع الخليفة المنصور وغيره بالزنادقة

وأقول : ان كثيراً من الغلو اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضر بأمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله [1] فتضطر السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنًى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوائه فلهذا يرى حفَّاظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن يُنفَى منهم المجتمع صوناً له عما يزعزع أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم تضطهد الدين هـذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسيّة على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تنحل جمعيته وتقفل مدارسه بقوة السلاح . وقد ينفى من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمّى هذا اضطهاداً ؟ كلا ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمرُه ، يكاد يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحويّ والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس : ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الغلوّ في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذه . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تعلو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لكل الناس حبّاً فلقطوا الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنه أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادٌّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلوّ في الدين فما عليه الا أن ينظر

في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد العصبية للدين وأن ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما تجد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كابن رشد ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإنزاله منزلته دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلا لإيذاء الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكي لنا التاريخ فليس هذا كذلك ممدوداً من معنى اضطهاد الدين الفلسفة لأن التحاسد أكثر ما يقع بين من لا دين لهم على الحقيقة وان ابسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل الينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهمّ عناصرها ومقوّمات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقيّ والغربي . وهذه سعة فضل الدين وقوّته على احتمال مخالفيه وتيسيره لأولئك المخالفين ان يحتموا به متى رضوا بأن يستظلّوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ، وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشد الكرب لعقوق أبنائه ، من أديب لم يكن يعده من أعدائه ان لم يحسبه في أحبائه ، عند ما يراه يسدّد سهمه اليه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ؟؟

﴿ الاسلام اليوم — أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

المقال الرابع لذلك الامام الحكيم

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأبى اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شنق لحملة العلوم الكونية ، ومقومي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أوليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلا في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ماذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزئ به أو مايقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حَمَلة العمائم ، وسَكَنة الاثواب المباعب ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك المبين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدي عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لايحيف ، الخ ماقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا مايتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب الجغبوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له مايدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى مايخالف رأي مجتهد أومجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين ، واتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الاستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجّى الشيخ المرحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الاستاذ المالكي .

هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الازهر من المقالات الطويلة الأذيال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؛ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بادخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد الغضّ من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع انه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولا يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ماعند علماء الأفغان والهند والعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آبائهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يزحزحهم أصبعاً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تلفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الغلوّ في التعصب والمعاقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،

ثم ألا يتخيل المؤمل انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولجباً وضوضاء وجلبة ، وهيعات مضطربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم قيامة المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تغرير بأهله المساكين ، ولا يزالون يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا ألصقوه بهذه البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ؟ لا يسهل على من يعرض أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال من العلل الطارئة على أمزجة الأمم خصوصاً عند ما يجد الوحدة في الصفات ، والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلما من شاطئ الاطلانطيق وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي : « إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الافئة قليلة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها . ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأحرج صدراً من المقلدين وان أنكرت كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فانها ترى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيد به بدون التفات الى

ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليها كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدنية السليمة أحباء ؛

هل يمكن ان ينكر أحد جمود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها احجموا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إني لا أقنع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فقيه (ممن مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يبينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان مايحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وبتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال : انما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلا عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلت الشؤون ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم أغوال الفقر ، فتضعضعت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلبت

المزة ذلة ، والهداية ضلة ، وسا كنتكم الحاجة ، وألفتكم الضرورة ، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم علل ماصرتم وصار الناس اليه ، قالوا : ذلك ليس الينا ، ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في الأخبار مايدل على انه كائن لامحالة وان الاسلام لابد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لكع ابن لكع . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل ،

رأي رنان في الاسلام : هذا الجمود — الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه من طبقات الأفكار وثنيات الوجدان لكتبنا فيه كتاباً — هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : «على انني أخشى ان يثبت الدين الاسلاميّ وحده في وجه هذا التسامح التام في العقائد ولكنني أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسالمة . الا انني أخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختنقت قضيَ على الدين الاسلاميّ . ذلك انه من الثابت الآن أمران — الأول ان التمدن الحديث لا يريد إماتة الأديان بالمرة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لايطيق ان تكون الأديان عثرة في سبيله . فعلى هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان موتها ضربة لازب » اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة فى طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً في سعيهم ، أو نجاحا فى أعمالهم ، من أين يكون هـذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ماسردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلم بأنه عداوة للعلم أو اشمئزاز منه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين فى ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك فى هذا ؟؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب فى الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لابد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجاب

الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأوّل من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الاذهان لتلقي ما يفيضه الله على ألسنة أهل الإيمان من الإخوان

قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السندي) انك يامولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فنرجوك أن تتكرم على إخوانك بنبذة من عرفانك تنور بها افكارنا ونرجوك أن لاتحتشم من التعلثم في بعض التعبيرات اللغوية لغلبة العجمة عليك فان لك أسوة بالفيروزابادي والسعد والفخر وغيرهم •

فقال (الشيخ السندي) إنكم ايها السادة الاخوان سراة افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ولم تتركوا القائل من مجال ، ولا لمثلي غير الإصغاء والامتثال ، وإني احب ان اذكر لكم حالتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثره في هذه المفاوضات . فأقول : أنني من خلفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بعد والدي مرجعاً لعامة خلفائها ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيالات كاشغر وقازان حتى سيبريا وتلك الأنحاء وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم أن طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافاً عن ظاهر الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك الى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقنعت وأقلعت والحمد لله .

على اني عزمت أيضاً على أن أتلطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد الى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شاؤا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتمعين بدون تداع . وان يتركوا المراقبة ويستعيضوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه .

وقد فتح الله عليّ ببركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية وكنت قبلا أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين والآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الافتاء والقضاء حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيهاً .

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم ارتباكا جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجياً لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون

اضطراراً فيهون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لايحذر البلل ٠ لأنه كيف يطمئن الحنفي العامي حتى الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته ٠ وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة ويتنبه لإظهارها كلها ليكون أدّى فريضته

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله الى غير ذلك ليكون عند الحنفية الماتريدية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرجى له قبول الايمان ؟ ومَنْ من العامة يحيط علماً بكل ماثبت بالنص القاطع حتى صفرة بقرة بني اسرائيل مثلا لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انفساخ نكاحه ٠ وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح الى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزية التدين به في الدنيا قبل الآخرة ٠

فبهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً الاّ بالالتجاء الى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين ٠ (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب و : بلمحة تقع الصلحة ٠ و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي ولياً وبنفخة في وجه المريد أو تفلة في فمه تطيعه الافعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة ٠ وهم المقررون بأن الولاية لاينافيها ارتكاب الكبائر كلها الاّ الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحسين الظن بالفساق والفجار أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين ٠

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لفروا منهم فرارهم من الأسد لأن ليس عندهؤلاء الاالتوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضاً عن الملاهي المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

(١) المنار — المنقول ان الصديق لسعته حية لاعقرب ولم يصح

في الآخرة • وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتلبس بها الا من وفقه الله وكشف عن بصيرته • وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان ان من أعز كلمة الله أعزه الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازماً نال ماتوقع ومن تصفو نفسه يلهم رشده ومن اتكل على الله حقاً كفاه الله ما أهمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعاءه الى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى)

قال (الاستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقهة المتشددة والمتصوفة المخففة واني ملحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهله حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دثاراً واسم الفقر شعاراً فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المتزينين بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق •

وإذ كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لإن فيها اعزاز الكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاولين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا •

أما دخول الفساد على التصوف واضراره بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك أقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن • وهكذا بعد ان كان التصوف عملا تعبدياً محضاً جعلوه فناً نظرياً اعتقادياً بحتاً •

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل

أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسموا فلسفة التصوّف باحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وألّفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا في مخيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لايتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتامظ بان للقوم اصطلاحات لاتدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحيين ٠ وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حمقى الأمة نسبُوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ومنهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله (له بقيه)

(المنار لقد بالغ الرجل رحمه الله في النقد وان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الأسئلة والأجوبة

(س ١) الاستمطار بالكهربائية ومفاتح الغيب — محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسيوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحباً ويستمطروها حسب أهوائهم ٠ ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية ٠ وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جلّت قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ ٠ وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء ٠ فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان ينافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات؟ نرجو البيان وتفسير الآية « نفعنا الله والمسلمين بغزارة علمكم ٠٠٠ » اهباختصار

(ج) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء إمكان الاستمطار بالعمل وذلك بإرسال مقدار عظيم من الكهربائية في الجوّ تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال أنهم جربوا ذلك فنجح بعض النجاح ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويصير خاضعاً لكسب الإنسان يفعله متى أراد ، والذي نبههم الى هذا ملاحظة حدوث المطر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تغيراً عظيماً .

وليس من المحال عقلا ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حدًّا معيّناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حدَّ له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك إن حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدرٍ معلوم فان ما يناله الإنسان بسعيه وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك للإعجاز ، أرأيت هذه الينابيع التي نفجّرها ، والآبار التي نحتفرها ، أهي تخرج بكسبنا عن سلطة القدرة الإلهية ، وتحتجب بسعينا عن علمه المحيط بالبريّة ، كلا

أما قوله تعالى : « إن اللهَ عنده علمُ الساعةِ ويُنزّلُ الغيثَ ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ » فليس نصًّا في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيءٍ من هذه الأمور . ولكن يشتبه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كما في حديث أحمد والبخاري . وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب إلا من بيده مفاتحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابه وعلى شيخنا القاوقجي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتح جمع مفتح بفتح الميم أو كسرها بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم ينبت والحيوان الذي لم يولد وما تكسبه الانفس في المستقبل . فالساعة مفتح عالم الآخرة والغيث مفتح عالم النبات وما في الارحام مفتح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتح الكسب والاعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . وذلك أن لا نسمي الموت برزخاً ولا نجعل البرزخ عالماً

(س ٢) الأعطار الافرنجية — ا . ز . غ . في السويس : أرجو الافادة عن المطر المسمّى (بالاوندا) ونحوه أطاهر ام نجس الخ

(ج) هو طاهر كما بيناه بالادلة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجعه السائل

(س ٣) الخطباء والموضوعات — ا . ع . بالازهر : صلينا آخر جمعة من جمادى الثانية في الازهر الشريف فسمعنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم في المنار انه موضوع وهو من صام يوما من رجب فله كذا الخ فاذا كان مانقلتم عن المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف يجرأ خطيب الازهر على اسناد الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو يخطب على رؤس أشهر علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع امثال هؤلاء الخطباء من ذلك ام لا

(ج) جاء في فتاوي ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر في كل جمعة ويروي احاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا رواتها . فذكر في الجواب اشتراط معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك ومن فعله عزر عليه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الاحاديث أصلا أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه » اه ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر حفاظ ولا محدثون فياليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب الصحيحة وعزوها في الخطبة الى مخرجيها كالبخاري ومسلم وغيرها من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعة والواهية هو التزامهم انشاء الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسنا في صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغلين بالعلم جهلاء بالحديث ومن كان منهم عالما به في الجملة فهو غير عامل فلا ينهى عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك استمرت هذه المنكرات حتى كاد يعدها العامة من ضروريات الدين . ألا تراهم يحتفلون بصلاة الرغائب في دار السلطنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة (راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالأزهر : قرأت في رواية «عذراء قريش» لحضره جرجي افندي زيدان «انه لما اشتد الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا ثم قرأ الفاتحة» ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لاتجوز على القبور مطلقاً فجئنا بهذه السطور لنسأل المنار هل ما نعتقده صحيح أو يجوز قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية) وللاسلام منكم مزيد الفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يحتج بها شرعاً لاتؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وانما تؤخذ عن المحدثين الذين يبينون أسانيدها ليعلم أيحتج بها أم لا . فالأثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف في الاحتجاج بعمل الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون أعتقاد السائل بالمنع مبنيا على عدم الاعتداد بما ذكر المجيزون من الدليل فكيف يعتد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث ؟ وقد ذكرنا رأينا في المسألة من قبل فلا نعيده فليراجع السائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الاخبار والآراء

ارجأنا تتمة ترجمة السنوسي الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانيه)

لهج بعض الجرائد في هذه الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مستر د . ج . كوربت) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها . عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارسلها كاتبها الى بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عربتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين تحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً ونيفا بحسب الإحصاء الرسمي والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه الدول الثلاث اكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧٠٧٦٨٠٤

مسلمين • وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل فى ثلاث جداول احصائية • واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاد عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ الفاً • وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكليز ١٣٨٫٧٠٦٫٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الإنكليزية يتمتعون بالحرية الدينية ويرتقون فى معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدريج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدرا المدنية آسيا ومصر منبعاً لحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا • ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم • ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلا وغرورا ونقل عن الدكتور ليتنر الذي وصفه بانه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بابطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضاتنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة المحمدية ارتباطاً انفكاك له » • وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب ردّ الانكليز المرتبات والهبات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستعينوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة المحمدية » • ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فاننا نكفر عن سيئاتنا الإدارية وغلطاتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا فى وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضييق عليهم في وظائف الحكومة • ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين • ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولية كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكليز بالمسلمين : قال يجب علينا وراء التكفير عن سيئاتنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترقي أن نزيل ماعلق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الاسلامي فان نتيجة هذا الجهل جعلهم اعداء لنا . ثم نقل ان المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الانكليز على البوير واستدل بهذا على اخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينفثها اعداؤها . وذكر الافغان وما يكون لهم من الشأن اذا حاربت روسيا الانكليز في الهند . وانتقل الى افريقيا وذكر قوة السنوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانها ستكون وبالا على الانكليز اذا هم لم يجذبوا المسلمين إليهم فانهم لايلومون في المستقبل إلا انفسهم

قال : « الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نبذل جهدنا في افهام المسلمين ان مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك . ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا ان كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه . يقول القاضي سيد امير علي أحد نبهاء المسلمين : ان سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ماهم عليه من التأخر يرجع في الغالب الى ما رسخ في أذهانهم من ان لا حق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لان ذلك قد انتهى بانقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم محرما. وأن المسلم لا يكون مسلماً صادقاً الا اذا كان مقلداً لمذهب من المذاهب المعروفة . فيترك المسلم مايعتقد وما يفهم ويتمسك بآراء اهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت الى الآراء والأفكار التي وصل اليها العالم في القرن التاسع عشر »

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الاسلامي الآن للترقي وحث على الانكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الامل في ربط الالفة بين الفريقين بمسلمي ليفربول

(٤) دين الاسلام دين مدنية : اثنى الكاتب على الاسلام ثناء من فهمه ورد على المعترضين عليه بفهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما نلخص تلك الاقوال والدفائع بعد . وان لنا كلاما في الوفاق الاسلامي الانكليزي نذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الامة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يعرف قراء المنار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرهما . وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمتها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشترك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع نفعاً وأعزها نفراً فانه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقراء . ولكن الجمعية الكبرى لم تلبث أن انحلت وابطلت مجالها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال ماليتها . وظلت جمعية الزقازيق بعد سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمداد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة من افراد الجمعية بعض ذلك منذ باحثنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس لها صالح للادارة يخدم الجمعية للجمعية . وانا لم نيأس من همة هؤلاء الفضلاء فإن كان النهوض بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واحرى بالدوام ويسرنا بقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث المجلة مطبوعة واعاد نشرها . ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من أهل الزقازيق ولكنهم ليسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فلعل هؤلاء يحققون رجاءنا فيهم ولا يقنطهم سقوط الطفل قبل فطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارحب) وفي س ١٨ و١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل . ابن الامير) والصواب (بصري الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (تجربوني) والصواب (تجربونني) . وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالخليقة) والصواب (في الخليقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها) والصواب (فيها) و س ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دُعي) وفي س ١٨ ص ٤٤٧ (وان تجد لسنتنا) والصواب (ولا تجد لسنتنا) وفي س ٧ ص ٤٤٩ (الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وليصحح ما بعده من الاصول على الترتيب . وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥ — ٢٥ و٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون رئيس تحرير جريدة الديبش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي تبغيه فرنسا بتونس . فرأينا أن نلخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك .

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

جريدتنا تحت عنوان (ماهي النسبة التي علينا أن نعاملهم [بها التونسيين ؟ علينا) جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التونزي فرانسز تحث على حرمان التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصل الى النتائج الفكرية النافعة من طب وهندسة وخصام (كذا ولعله يريد الحقوق) ونريد إذ رأى محرر هذه الجريدة ان نظام الحماية قاض بإبقاء التونسي دائماً في دياجير الجهل حتى لا يهتدي الى الصواب والرقي الفكري سبيلا ومعاملته كما تعامل البهائم حتى لا يطمح الى الاستقلال ولا يتوصل الى إنكار ما يلحقه من الأذى والظلم

(الصحافي التونسي) بعد جملة في مدح العلم : هل تنكرون ان فرنسا احتلت هذا القطر لبث أنوار العرفان ونشر راية المدنيــة بين أهالي المملكة فكيف يمكن الجمع بين هذه الدعوى وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نقل بحرمان التونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له بالعلم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يثقف العقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال في نفوس المسلمين لما هم عليه من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلاد والمحافظة على شعائرهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليدهم وميلهم لمجانسة الأوربي كادوا أن يكونوا على صبغته فنحن على خلاف رأي التونزي فرانسيس نرى تقييد نشر العلوم العاليــة وتخصيصه ببعض الشبان لا حرمان جميع الأفراد منه بالمرة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الأسهم من التونسيين (وفي الاصل مراعاة لخاطر أصحاب الاسهم)

(الفرنسي) : ربمــا كان ذلك من جملة الاسباب ولــكن هذا هو رأينا الخاص

(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد والعلم نور ساطع لا يمكن إخمــاده وفي محــاولة حجبه عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيغــار الصدور وجلب البغضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقي الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الانكليز من قبل دائرة تلقي الشبان المصريين للعلوم العالية في مدارس الحــكومة

(التونسي : لكنهــم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أغنت الأمة عن

[illegible] يستخدمون [illegible] أبناء [illegible] [illegible] من المدارس [illegible]
وعدوا عن هذه [illegible] في [illegible] حيث أقام أشراف القوم وسراتهم المدارس
الكثيرة للعلوم العالية [illegible] وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة [illegible] كفله
[illegible] وتفاق [illegible]

[illegible] لا تتثقف أذهان التونسيين بخدمة العلوم العالية وأن لا يخرجوا
ويكونوا أساتذة قادرين على التعليم والاشتغال بحسابهم حتى تأمن مقاصدهم فلا يسلكوا
[illegible] التي تكون في التحامل على الحكومة وانتظامات التونسية

(التونسي) : هذا كلام فيه نظر فإن كمال التعليم يقي الكامل من الخروج الى
الباطل ويسلك به طريق الجد والعمل النافع له ولقومه وإن تطرف الملكي كمون من
ثمرات التعليم الابتدائي الناقص الذي تجيزه

(الفرنسي) : لو تجنس كل نابغ فى العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجسنا
منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضوا فرنسيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبيبة

(التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق
والمصالح ؟ انا رأينا من خواص الفرنسيين من لايرى هذه المساواة مطلقا ويعيب
مجانسه بحداثة التجنس

(الفرنسي) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية فى الجيش
يعودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما لبسوه عثمانيا وارتداء لباس البادية
والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لعلكم تقصدون بالتجنس ترك شعائر الدين وتغيير الأزياء ولو
شاطركم المتجنس في أعز الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الامتيازات
الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؟ فهل
المخلص لكم من يتزيا بزيائكم مع العلم بان لبس الزنار لا يقتضي الترهب ؟ « وهل
تنطبق هذه الأفكار على حرية (التدين) ان لم نقل ترك التدين » الا يعدّ هذا لو صدر
من مسلم من التعصب الذميم والتغالي الممقوت فى عرف مدنية هذا العصر الذى ضيقت
الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

(الفرنسي) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن
أحكام دينه الذاتية كالأنكحة والمواريث مما هو مصداق الحالة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مُرُوءة لأن المارق من دينه ممقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلا فيهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في المواريث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على أذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغير أحكام القانون الفرنسي الى الاحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة المواريث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما تقصده الانكليز من احكامهم في هذا الباب ٠ على انه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهيأتين الاهلية والفرنسية لدوام الالفة وحسن المعاشرة في هذه الأوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تتجه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سعت الجرائد المحلية في تحقيقه ٠ غير أني اقول بالاجمال : ان أكفل وسيلة لبلوغ هذه الأمنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر الاهالي حظا من فوائد القطر ومنافعه حسية كانت او معنوية كالوظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقي الفكري الذي هو ثمرة المدنية ٠ (قال) ثم ودعنا رصيفنا المومى اليه قانعاً بما ونحناه له من الخطاب ٠ اه

(المنار) نقلنا هذا الخطاب بتصرف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستنبط منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم ٠ ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم دأبهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية ؛ اخوان المدارس التي حدثتنا لم تغن عن مدارس الحكومة ولا قاربتها في حسن التعليم ولو ان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكانت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رُزئوا باحداث يبغضون اليهم الانكليز واعمالهم ويعدونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذيان اولئك الاحداث وافظهم فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بحوادثه حقيقة غرور الأحداث وتغريرهم والآن صار يرجى منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

﴿ مثال من أمثلة تعصب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام ارثوذكسي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارثوذكسي آخر تصدت للانتصار له والتنويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليرس) يصح أن تكون مثالا أو ان يؤخذ منها مُثل متعددة لتعصب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فمك أدينك »

جاء في المقالة أن عاملين يتنازعان النجاح وعدمه في تعليم الاولاد « الأول التعصب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال أولادهم الى مدارسهم الطائفية سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة » الخ « والثاني النظر الى المستقبل » وذكر أن الناس يتراوحون بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروفه :

« وما زلنا نرى الناس في هذا التضعضع نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال أولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل أولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم أولادكم وتضطرهم الى ترك معتقدات آبائهم وأجدادهم

« وهذا ماقاله أيضاً غبطة البطريرك المسكوني ونقله الينا البريد الأوربي فقد جاء في جريدة التان لمكاتبها في الاستانة : « أصدر غبطة البطريرك المسكوني للروم الارثوذكس في الاستانة منشوراً شديد اللهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنساوية حرض به أبناء الطائفة الارثوذكسية أن لا يرسلوا أولادهم اليها » اهـ

فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الأزهر في مصر ؟ أليست المدارس الفرنسية ملأى بأولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لأن

مذهب من مذاهبه كالخلاف بين الكاثوليك والارثوذكس ، نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية تجعل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلا وصار اهمالا وتفريطاً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقائله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رأيت مقالة منتقدة في جريدة منسوبة لكاتب غير معين ان أنسبها لعظيم أحب غميزته والنيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتف صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المبتدئين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوقة . هذا وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بنزاهة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه أن صاحب الجامعة أساء الفهم وتجاهل ، ولا أنه حقر المسلمين ، بل كل ما فيه سرد النقول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يتبادر الى الفهم من مناحي الاعتذار عن المعترض على الاسلام والمسلمين والثناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة أن يعامل بضدها من عدهم من الاصدقاء ، وهو مأمور بمحبة الاعداء ، ولا أن يستنجد ابن مذهبه ليقول في الانتصار له ما لا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التهويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تبعته والقاها على من رد عليه .

تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المتعصبة لدين المسامحة والمسالمة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم ادلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متأديبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي ننشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابلغ ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ بأسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة الشرق والشرقيين . ولو تأنى الرصيف المحترم صاحب الجامعة الغراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ...) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء المسيحيين وكبار كتابهم من انها أكبر خدمة خدم بها الشرق. والله الهادي الى سبيل الحق

﴿ سخافة بشائر السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشائر السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبــذة في الجاهلية والاسلام زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توســعت في الكلام على الركن الأعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية على وثنيتها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محتما بعد الإيمان بالله تعالى فجعلت هذا شركا بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسل فان من ينكر نبوة موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر أن الايمــان بالوحي شرك ووثنيــة عند الكاتب الانجيلي . وتعبيره بمقارنة الاسمين في الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون العبد ربّا والٰها ؟؟ وأما المقــارنة في الذكر قولا وكــتابة فهي لا تمتنع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرة ؟ الا يقول الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب المسلمين وهي ان كلمتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض . القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرة فلا يعدّ هذا ولا ذاك نقصاً لإيمانه ولا نقصاً منه . واذا قلنا ان هــذه الكتابة ثبتت وصحت فأيّ وثنية فيها والإله إله والعبد عبد ؟ نعم ان ذلك يدل على التشريف . وهل يقول الكاتب ان جميع عبــاد الله سواء في معرفتــه وعبادته ونفع خلقه وان تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وان التوحيد الخالص هو ان يعتقد الإنجيلي بأن موسى كفرعون وابراهــيم كنمرود بلا فرق ؟ هذا هو فهم دعاة النصرانية في الدين . وهذا ما ينقمون من المسلمين . والحمد لله رب العالمين

(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوهما سواء في أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان القرآن والأحاديث سواء . والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مبينة له قال تعالى «وأنزلنا اليك الذِّكر لتبيِّن للناس ما نُزِّل اليهم» وللقرآن خصائص ومزايا

ليست السنة كوجوب الإيمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته . وأما الأحاديث فلا يضر في الإيمان انكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع إنكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجيء الحديث المتواتر هنا) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأبير النخل الصحيح وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهاد وإما أن يكون عن وحي . أما اجتهاد الانبياء فقد جوّز علماء أهل السنة ان يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقَرّون عليه بل يأتيهم الوحي ببيان الحق كما في واقعة أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن ان يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما ارسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وانه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك . وهذا هو المروي عن ابي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين اي انهم ينظرون في القرآن اولا فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضوا به والا بحثوا في السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون كيف يخترع المسيحيون لهم اصولا للدين . ويبنون عليها رميهم بالشرك المبين ؟ فهذا هو تعصبهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

قال : « الثالث ذكرُ اسم محمد مع اسم الله في مواضع جمة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والمحبة » الخ وقال الكاتب انه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على انه نقلهما بنصهما فكتب « ان الله بريء مما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بريءٌ من المشركين ورسولُه » وكتب « وما كان لمؤمن او مؤمنة » الخ والله تعالى يقول « وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ اذا قضى اللهُ ورسوله امراً » الآية . اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى انما تؤخذ عن رسوله فكل ما يقضي به الرسول من امر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده اليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من

هذا شركا ، وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد

فلينظر المسلمون الى ثقة دعاة النصرانيــة في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في العزو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احــد كبار العلماء وهو انه نبهنا الى وجوب التنبيه على غلطة وقعت في المنار نقلا عن الانجيل وهي « لم تجربوني » وقد حذف نون الوقاية من الفعل بالطبع فطبعت (تجربوني) ، وليتأمل المنصفون في نقلنا عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والتزييل بين المتساهلين والمتعصبين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال : « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه ، وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احــد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصــفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة ، وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالتشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من ألقاب التكريم التي اعتادها النــاس مع الكبراء ومع الاقران ، واما اســتدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستتبع الشرك عنده بآية « إن الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء ، فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من نخاطبه بلقب الســيادة الهاً لنا لكان لنا وللكاتب آلهة لا تحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والانبياء افضل بني آدم فهو افضــل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له ، اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله ، فليتأمل المتأملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين ، واستنباطهم الذي يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال : « الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كائن قبل البشر » الخ ونقول ان هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانمــا توجد في كتب القصص والموالد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم . على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون في حدوث نبيهم وغيره من الأنبياء فلا يصح ان يسمّى القائل بذلك مشركا بوجه ما ،

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ، ويعتدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا أننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال « السادس والاخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً » ثم قال « واتخاذ المخلوق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل » ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد » على أن المسلمين لم يحصروا » والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء ، ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد اتيناك راغبين اليك شُفَعاء له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه ولغيره والدعاء للغير يسمى شفاعة » كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى » فهكذا يفعل (دين التساهل) بفتات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصبين ، ولكن هذا لايخرجنا عن تساهل المسلمين . والحمد لله رب العالمين ،

وإن تعجب فعجبٌ قول من اتخذوا نبيهم الها : ان الذين يقولون إن نبيهم عبد لله ولكنه أفضل عباده لأنه نفع خلقه افضل منفعة وهداهم باذنه اكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد إيراد ما تقدم : « ويرد على ذلك اتخاذنا نحن النصارى السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ماجاء في الإنجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقا (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره فنكون بلا شك مشركين ولكن اذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلسنا مشركين بل نعبد الهاً واحداً تبارك اسمه » !!! يعني أن الشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد لله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وأنه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يصلبها ويلعنها لإنجائهم !! بخ بخ ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات المسيحيين المصلحين . فلله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

المنار
١٣١٥
قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق
(مصر في يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ — ١٨ اكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية

(تتمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شِيَةٌ من الحق ، ولمعة من الصدق ، أما ما نسمعه دولنا من سجن من قال بقول السلف فليس الحامل عليه التمسك بالدين فان حملة العمائم إنما حركهم الحسد لا الغيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويتبعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر يعوذون بالله منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين او العلم فانا معك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم او يجن او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ، وسائس ومسوس ، . يدلك على ان العقوبة سياسة أن الرجل كان يقول بقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد الأمور عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ، إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون ،

جمود المسلمين واسبابه

واما ما وصفت بعد ذلك من الجمود فهو مما لا يصح ان ينسب الى الإسلام وقد رأيت صورة الإسلام في صفاتها ونصوع بياضها ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ بسوء عاقبته (رنان) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما دخل على قلوبهم عقائد أخرى سا كنت عقيدة الاسلام في افئدتهم . وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الإسلام من عقولهم هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى واتباع خطوات الشيطان هو السياسة

لم ار كالإسلام دينا حفظ اصله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا تفرق عنه جنده ، وخفر عهده ، وكفر وعيده ووعده ؛ وخفي على الغافلين

قصده ، وإن وضح للناظرين رشده ؛ ا كل الزمان أهله الأولين، وأدال منهم خُشارة من الآخرين ، لاهم فهموه فأقاموه ، ولاهم رحموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا نسبهم بسببه ، وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجهل من العلم ، والطيش من الحلم ، وأفَنُ الرأي من صحة الحكم ،

أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سبباً فيما صار اليه أهله . كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربيا بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذه جيشاً اجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه ، ويصطنعها بإحسانه ، فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الإسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجمياً .

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه وبئس ما صنع بأمته ودينه . - أكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين . بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آلهه معه يعبده في خلوته ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرّف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم . أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله ليُعدّوا من قبيله ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغض اليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليعالجوه ، أو متداعيا ليدعموه ؛ أو يكاد ان ينقضّ ليقيموه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نخفخة الوثنيـة ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه لكنهم نجحوا في إقناع العامة بان في ذلك تعظيم شعائره ، وتفخيم أوامره ، والغوغاء عون الغاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشئون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام ، وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر الزمان. وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل. وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه. ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ماشد أزرهم في بث هذه الاوهام. وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مثبطاً للعزائم وغلاً للأيدي عن العمل. والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى. أمور اذا اجتمعت أهلكت. فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد مايضارب أصول دينهم ويباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخترق به أطباق السموات، وأخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات، فجلُّ ماتراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس باسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الاقوال التي حرفت عن معانيها. ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذى ذكرته وعدوه ديناً. نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه. فكل مايعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً. والقرآن شاهد صادق «لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد» يشهد بأنهم كاذبون، وأنهم عنه لاهون، وعما جاء به معرضون، وسنوفي لك الكلام في مفاسد هذا الجمود ونثبت انه علة لا بد ان تزول

مفاسد هذا الجمود ونتائجه

طال أمد هذا الجمود لاستمرار عمل العاملين في المحافظة عليه، وولوع شهواتهم بالدفاع عنه، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما يحسن إجمال القول فيها. كان الدين هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم ويسيح به في الأرض ويصعد به الى أطباق السماء ليقف به على أثر من آثار الله أو يكشف به سراً من أسراره في خليقته، أو يستنبط حكماً من أحكام شريعته، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد. فلما وقف الدين، وقعد طلاب اليقين، وقف العلم وسكنت ريحه، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدريج

افساد الجمود للغة: أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها وآدابها فان القوم كانوا يعنون بها لحاجة دينهم اليها — أريد حاجتهم في فهم كتابهم الى معرفة دقائق أساليبها، وما تشير اليه هيئة تركيبها، وكانوا يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم، يساوون من كانوا عرباً بسلائقهم، فلما لم يبق للمتأخر الا الأخذ بما قال المتقدم قصر المحصلون غصيتهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه بدون ان يرجعوا الى دليله ولو نظروا في الدليل فرأوه غير دال له بل دالا لخصمه بأن كان عرض له في فهمه ماليعرض للبشر الذين لم يقرر الدين عصمتهم لخطأوا نظارهم وأعموا أبصارهم وقالوا: نعوذ بالله ان تذهب عقولنا الى غير ماذهب اليه متقدمنا وأرغموا عقلهم على الوقفة فيصيبه الشلل من تلك الناحية. فأي حاجة له بعد ذلك الى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه منها مايفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال بسلفه الاول بل ولا بما كان يحف بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر الا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها حتى وصل حال الناس الى ماتراهم عليه اليوم . جعلوا دروس اللغة لفهم عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وان لم يصلوا منها الى غاية في فهم ما وراءها فدرست علوم الاولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت كتب السلف الاولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد جزءا من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فاذا اجتمعت لك أجزاء الكتاب وجدت ماعرض عليها من مسخ النساخ حائلا بينك وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجمود وسوء الظن بالله وتوهم ان أبواب فضل الله قد أغلقت في وجوه المتأخرين ، ليرتفع بذلك منازل المتقدمين ، وعدم الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع [1] وان هذه الامة كالمطر لايدرى أوله خير أو آخره [2] وقلة الالتفات الى ان ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله . لا ريب

(١) المنار : يشير الى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضّر الله أمرءا سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع » ورواه غيرهما عن غيره (٢) يشير الى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة ؛ يكفيه من ذلك انه اذا تكلم بلغته لغة دينه وكتابه وقومه لايجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى المقول ،

افساد النظام والاجماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لايختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعة ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخر لأسرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجمود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : «وكلهم من رسول الله ملتمس» لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاتها وقواها في تبيين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكنا اليوم في شأن غير ما نحن فيه . يجد المطلع على كتب المختلفين من مطاعن بعضهم في بعض مالا يسمح به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما المطعون فيه بأبعد عن الدين من الطاعن ولكنه الجمود ، قد يؤدي الى الجحود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا تخالف

أنس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل امتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره » ورواه غيره

أشخاص في النظر والرأي، وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه، مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد، فلما جاء دور الجمود — دور السياسة — أخذ المتخالفون في التنطع، وأخذت الصلات تتقطع، وامتازت فِرَق وتألفت شيع، كل ذلك على خلاف مايدعو اليه الدين، وقد بذل قوم وسعهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وانما هو تمييز وهمي، وخلف في أكثر المسائل لفظي، وانما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين الى تلك الشيع حتى آل الأمر الى هذه الفُرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها.

قال قائل من عدة سنين: إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها، وقال: إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد، فقام كثير من المتورعين، يحوقلون ويندبون حظ الدين، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين، مع انه لم يطلب الا الدين، ولم يأت الا بما يوافق الدين، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم الى ماقبل عدة سنين، فأين قول هؤلاء «وكلهم من رسول الله ملتمس»؟ لكن هو جمود المتأخر على رأي من سبقه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع الى ماوراءه، أو هي السياسة تحل ماتشاء وتحرم ماتشاء، وتصحح ماتشاء وتبطل ماتشاء، والناس منقادون اليها بأزمة الاهواء،

جناية الجمود على الشريعة: هذا الجمود في أحكام الشريعة جرّ الى غمر حمل الناس على إهمالها. كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الإسلام إسلاماً

سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا الى أن يتناولوا غيرها وأن يلتمسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي اليها. وأصبح الاتقياء من حملتها يتخاصمون الى سواها. صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها عجزاً عن الوصول الى علمها فلا ترى العارف بها من الناس الا قليلاً لا يعد شيئاً اذا نسب الى من لا يعرفها. وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يعمل بأحكامها؟ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها. وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة الاختلاف. سألت يوما أحد المدرسين فى بعض المذاهب: هل تبيع وتشتري وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك؟ فأجاب أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل الناس. هكذا فعل الجمود بأهله ولو أرادوا أن تكون للشريعة حياة تحيي بها الناس لفعلوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء

تعلم ما وصل اليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سببه فى القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد العارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون. وإما عجز العارف عن تفهيم من يسأله لاعتقال لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها. وذلك للحرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم. فاذا

نلت للمعارف تعلم من وسائل التعبير ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بعلمك واعلُ بنفسك إلى أن تفهم الغرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلا وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله: هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يداً بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدماء المشايخ قد فعلوه وبالغوا فيه حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاججته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يعدك زنديقاً وأنك تدعوه الى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وانه يتهيأ للخروج منه نعوذ بالله تعالى

كان كلام بيني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة في ذلك قطعاً وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وليس عليك أن يأتمر المأمور ولا أن ينتهي المنهي . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغواً . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع ان الدين يدعوه الى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم ير نفسه أهلا لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده اليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الالهية التي وردت في

النصيحة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينتج المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعوّد الطلاب قراءته قد يضر بقارئيه وغيره أفضل منه. كاد يظن أن قولك هذا مخالفٌ للدين ورأى العدول عمّا تعوّده نوعاً من الاخلال بالدين. وقد يقيم عليك حرباً يعتقد نفسه فيها مجاهداً في سبيل الله اذا قلت له: ان دروس السلف كانت تقريراً للمسائل واملاءً للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعونه من أفواه أساتذتهم. وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون. فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجمود من الدين؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقباه على الدين وأهل الدين؟!

جناية الجمود على العقيدة: ذلك جمودهم في العمل وأشد ضرراً منه الجمود في العقيدة. نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم الغيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وهيآتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك ما لا بد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأتينا عنه بالمنقول. نسوا ذلك كله وقالوا: لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

وافترقوا فرقاً وتمزقوا شيعاً كما قلنا . ولم يكفهم الإلزام باتباع مذهب خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالتقليد في المدلول . وكأنهم لذلك جعلوا النقل عماداً لكل اعتقاد ويا ليته النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير المعروف . فتقررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة صافية غير كدرة ولا متزعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المقلدين الى أميهم فتراهم يعتقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق الأمر من أهل العلم وتتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسموعاتهم

انجرّ التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه لنا السلف رضي الله عنهم فقد كانوا يتتبعون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جمود المتأخر على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ عمن عرفه وظن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكاية منه من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فمنشأه سوء الاعتقاد الذي نشأ من رداءة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمالُ العقل في العقائد على خلاف ما يدعو اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج صاحب الغيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكذاب وسلاح أعدائه أقوال بعض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف . وما أكثر عددمن ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله

سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الازهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية فى المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرياسة فى أهل العلم بالدين منزلته — فافتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أتظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا؟ كلا . حدث قيل وقال، وكثرة تساآل؛ ودخلت السياسة ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا . سكت السائل وماذا يصنع المجيب . ثم هذا من شؤم ذلك الجمود فقد فصل بين العامة ومن يرجى فيهم تقويم ما أعوج منها ووكلها الى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا فى أذهان الدهماء شر الغرس ولا تجني الامم منه الا أخبث الثمر . فلو قام العالم بالدين وأراد ان يبيّن حكم الله المصرح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح فى وجهه « ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين » ويريد من آبائه الاولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضلّيه حتى صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن ان أقول؟ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات فى الدين واذا دعي الى ترك المنكر نفر وزمجر ، وأبى واستكبر . انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم فى الاستبراء من البول على مرأى من المارّة وفيهم النساء والاطفال وهم يظنون انهم يتقربون الى الله بما يفعلون

هذا هو شأن العامة يرون ماليس بدين ديناً ويصعب على حفاظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ماورثوا من ملقنيهم بدون تعقل. فهذا معظم الامة تراه قد تملص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما هو الا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

﴿ الجمود ومتعلمو المدارس النظامية ﴾

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما فى مدارس الحكومات الاسلامية واما فى المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجاً عنها . لاأتكلم عن هذا الفريق فى بلاد القرم أو القوقاس او سمرقند وبخارى أو الهند فاني لاأعرف كثيرا من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وارجو أن يكون منهم لقومهم ماينتظره الاسلام من العارفين به فقد رأيت أفرادا قليلين من هؤلاء تعلموا فى البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكا بلب الدين الاسلاميّ وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من العادات التى أورثها دينهم لقومهم فنعم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين فى مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . سماحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير مسلمين بل فى مدارس لم

تبن الاتزويج دين غير الدين الاسلامى . وأباحت امير آباء هؤلاء التلامذة أن يسكتوا وان لا ينكروا عليهم عملهم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضعضعة

جمود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا فى مدارس أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد يسري الى عقائدهم شئ من الضعف وقد تذهب عقائدهم بالمرة وتحتل مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك مراراً . ولو كان آباؤهم على علم بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم وحفظوها من التزلزل أو الزوال . وكيف يكون لاولئك الآباء شيء من هذا العلم مع الجمود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها فضلا عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجمود صير كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنايات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون فى مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وياليتهم يستبدلون بالدين وادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروّجه بعض من لا يريد الخير بها . ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هواهم وامامهم شهوتهم فهلكوا وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من شرور أعمالهم الجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ريبة وليت الاسلام لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

جمود تلامذة المدارس الرسمية والأهلية :

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية ، فهؤلاء ينشأون على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الكون السماوي أو الارضي أو في الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متنطع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جامد على ألفاظ سمعها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للعقيدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالمروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله والجاهل بالدين يعتقد أن مايقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرته من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها مايسرك وينصرك على نفسك وخصمك ، حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على مافيها من تشتيت وتعقيد وأبقوها كما ورثوها ، فيعود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتقد أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يعده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتمسون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت هممهم فلا يطلبون الا ماتطلبه العامة من كسب معيشة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالعامة أو الخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو الغيرة الملية أو نحو ذلك فانما ينثر الالفاظ نثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذي يؤدي الى المفسدة وهو يشعر

أولا يشعر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام فى كلام ولبئس ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا فى كتب دينهم وفى أقوال حملته ما تبتهج به قلوبهم ؛ وتطمئن اليه نفوسهم ؛ ولذاقوا طعم العلم مادوماً بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولوجدت منهم طبقة معروفة يرجع اليها فى سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود علة نزول ﴾

(المقال الخامس لذلك الامام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي بما أوجزناه فى الصفحات السابقة . ولكن يبقى الكلام فى أنه عارض يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق أنها تسمو عن أن ينسب اليها هذا المرض الخبيث — مرض الجمود على الموجود — وكم فى الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم بدون استعمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة الى إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا أيضاً الى بعض الاسباب التى جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام وان محدثها إما عدوٌّ للمسلمين طالب لخفض شأنهم أو لاستعبادهم والاستغلال أيديهم لخاصة نفسه . وإما محب جاهل يظن خيراً ويعمل شراً وهذا الثاني كان أشد نكاية ، وأعون على الغواية ، وهل تزول هذه العلة ويرجع الاسلام الى سنته الأولى وكرمه الفياض وينهض بأهله الى ماذخر لهم فيه ؟ ؟

جاء في الكتاب المبين « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

ذلك الذكر هو الذكر الحكيم وهو القرآن الذي أحكمت آياته ثم فصلت

من لدن حكيم خبير ، وهو كما قال : كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ » وعد الله بحفظ هذا الكتاب وقد أنجز وعده فلم تطل اليه يد

عابث متأول ، ولا يد عبث جاهل ، فبقي كما نزل ولا يضره عمل الفريقين

في تفسيره وتأويله فذلك مما لا يلتصق به فهو لا يزال بين دفات المصاحف

طاهراً نقياً بريئاً من الاختلاف والاضطراب . وهو إمام المتقين ومستودع

الدين ، واليه المرجع اذا اشتد الأمر وعظم الخطب وسئمت النفوس من

التخبط في الضلالات . ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي

اقاموها دونه ولا بد أن تمزق كلها بأيدي أنصاره فيتبلج ضياؤه لأعين

أوليائه ان شاء الله تعالى

هـذا الضياء كان ولا يزال يلوح لامعـه في حنادس الظلم لأفراد

اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهتدون به اليه ويحمدون سراهم ، بما عرفوا

من نجاح مسعاهم ، ولكن الذين اطبقت عليهم ظلم البدع ، وران على

قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيع ، وطمست بصائرهم ، وفسدت عقولهم

بما حشوها من الاباطيل ، وبما عطلوها عن النظر في الدليـل ، هؤلاء في

عمى عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر ، يصيحون بأنهم

عُمْيٌ صُمٌّ فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويعدون ذلك من كمال

الايمان به ولبئس ما رضوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون .

هذا حال الجمهور الاعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويجلبون العار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقوّون حجج أعدائه في حربه بزعمهم الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فقد اتبعوا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر الضب الذي دخلوه (١) ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم فلن يخلص مما قضى الله في عذابهم . فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم ما نزل بهم عند ما انحرفوا عن سننه وحادوا عن شرعه ونبذوا كتابه وراءهم ظهرياً ، فحل بهم الذل ، وضرب عليهم المسكنة ، وأورث غيرهم أرضهم وديارهم . فهل ينتظر المتبعون سننهم ، السائرون على أثرهم ، أن يصنع الله بهم غير الذي صنع بسابقيهم وقد قضى بأن تلك سنته ولن تجد لسنته تبديلا

لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين الى الاسلام ولا تزال القوارع تحل بديارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم) ويفزعوا الى طلب النجاة ويغسلوا قذى المُحْدَثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُمِدُّهم وسائل الخلاص ويؤيدهم في سبيله بروح القدس ويسير بهم الى منابع العلم فيغترفون منها ما يشاؤون فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كمن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد بعض ويسيرون الى المجد غير نا كلين ولا مخذولين . ولهذا أقول : ان الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية أبداً ولكنه سيهذبها وينقيها من

---

(١) المنار : في الكلام اشارة الى حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحديث رواه الشيخان وغيرهما

وضارها وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى عرفته وعرفوا أهله، وهذا الجمود سيزول وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء حاله ولطف الله بتقييض أناس للكتاب ينصرونه ، ويدعون اليه ويؤيدونه ، والحوادث تساعدهم ، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم ،

هذا الكتاب المجيد الذي كان يتبعه العلم حيثما سار شرقاً وغرباً لا بد ان يعود نوره الى الظهور ويمزق حجب هذه الضلالات ويرجع الى موطنه الاول من قلوب المسلمين ويأوي اليها — العلم يتبعه وهو خليله الذي لا يأنس الا اليه ، ولا يعتمد الا عليه ،

يقول اولئك الجامدون الخامدون كما يقول بعض أعداء القرآن : ان الزمان قد أقبل على آخره ، وإن الساعة أوشكت ان تقوم ، وإن ماوقع فيه الناس من الفساد ، وما مُنِيَ به الدين من الكساد ، وما عرض عليه من الملل ، ومانراه فيه من الخلل ، إنما هو أعراض الشيخوخة والهرم ، فلا فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل ، فلا حركة الا الى العدم ، ولا يصح ان يمتد بصرنا الا الى العدم ، ولا أن ننتظر من غاية لأعمالنا سوى العدم ، (نعوذ بالله) هؤلاء حفدة الجهل وأعوان اليأس يعرفون بما لا يعرفون . ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا انه كاد ينقطع عند نهايته ؟ ان الذي مضى بيننا وبين مبدإ الاسلام الف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وان آيات الله في الكون — وإن كانت تدل على ان ما مضى على الخليقة يقدر بالدهور والدهارير ، — تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ! « فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » .. ان ما بيننا وبين مبدإ الاسلام لا يزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة . فهل يعد مثل ذلك دهراً طويلا بالنسبة الى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زمناً كهذا لايكفي — وقد تبين انه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواماً ثم انحرف به أعداؤه عن سبيله وصاروا به الى مايرون ونرى . ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويؤخذ الدين بيد العلم ويتعاونا معاً على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويعرف حدود سلطته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ماامكنه فيه من أسرار العالمين ، حتى اذا غشيته سبحات الجلال وقف خاشعاً ، وقفل راجعاً ، وأخذ إخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، الاقرارُ بجملة ماجهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً ، واعتبر بعد ذلك بقوله : « فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين . هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع[1] قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولهت[2] القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لاتبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) المنقطع ما ينقطع عنده الشيء وهو آخره (٢) تولهت اشتد عشقها

ردعها وهي تجوب مهاوي سدف[1] الغيوب متخلصة اليه سبحانه ، فرجعت إذ جبهت[2] معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا تخطر ببال اولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته .

هنالك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن الوجدان ليدابر العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان سليماً ، وكان ما استضاء به من نبراس الدين صحيحاً ، إياك ان تعتقد ما يعتقده بعض السذج من ان فرقا بين العقل والوجدان (القلب) في الوجهة بمقتضى الفطرة والغريزة . فانما يقع التخالف بينهما عرضاً عند عروض العلل والأمراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على ان المشاهدات بالحس الباطني (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان العقلي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك ولذتك وألمك ونحو ذلك .

مُنِحْنا العقل للنظر في الغايات ؛ والاسباب المسببات ؛ والفرق بين البسائط والمركبات ؛ والوجدانَ لإدراك مايحدث في النفس والذات من لذائذ وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يذوقه الانسان ؛ ولا يحصيه البيان ؛ فهما عينان للنفس تنظر بهما — عين تقع على القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهي في حاجة الى كل منهما ولا تنتفع باحداهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح مقوم الوجدان ؛ والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛ عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فاذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدفة كظلمة لفظاً ومعنى (٢) جُبهت ضربت جبهته ورُدّت

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيهات أن يقوم على الأخرى .
وإن تخالف العقل والوجدان حتى يكون الانسان الواحد إنسانين ؛
والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تعمله طوعاً لوجدانك ؛
وربما أتقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك أن ترجع الى نفسك
فتتحقق من أحد الأمرين — إما أن يقينك ليس بيقين وأنه صورة
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علما وما هي به . وإما أن وجدانك
وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان
الصحيح، وانما هو عادة ورثتها عمن حولك وظننتها شعوراً منبعه الغريزة
وما هي منه في شيء .

(نتيجة) : لا بد أن ينتهي أمر العالم الى تآخي العلم والدين ؛ على سنة
القرآن والذكر الحكيم ؛ ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه (١)

---

(١) المنار — قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون؛[1] وتبعهم الجامدون القانطون؛ وليس بينك وبين ما أعدلك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل؛ وتعليم الجاهل؛ وتوضيح المنهج؛ وتقويم الأعوج؛ وهو ما تقتضيه السنة الآلهية في التدريج « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » . « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين . (الكلام بقية)

﴿ الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وانه هدم بهدمهما وانما يعود باقامتهما وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فاقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فإقامته بالقوة الخ ماهنالك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مستر د . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربتها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد وذكرنا أقطاب مسائلها في نحو صفحتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي بنى دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن لمتبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فتنتفع بهم وينتفعوا بها . وهو يشترط في ارتقائهم ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاغلال ، وتتمه بتتمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تعيد اليهم صفات

الله » الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر فيعرف الحق ثم يماري فيه وينكره عنادا . اه من هامش الأصل

الرجولية ، و (ثانيهما) ان للمسلمين قوتين و حدة في آسيا وهي الأمة الافغانية ، وأخرى في أفريقيا وهي الفرقة السنوسية ، ويرى الكاتب ان الواجب على الانكليز أن يستعينوا بمسألة القوتين ، على تمكين سلطتهم في القارتين ، وذلك بجعل مصالحهم متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية، ومساعدتها على العروج في معارج المدنية ، فانها أمة واحدة لاجنسية فيها ولاوطنية . (فليعتبر الأحداث الذين يفرقون بين المصري والشامي ، والمغربي والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حرة كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة الانكليزية في حاجة الينا ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز الذين لهم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو نصفنا لأجل النهوض والقيام ، وهم يحتاجون الينا لأجل الثبات والدوام ، او نحن نحتاج اليهم في الحال ، وهم يحتاجون الينا لاجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والرقي اذا نحن صدقناهم ؟ نعم اذا قالوا صدقوا ولن يقولوا حتى يعتقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى يثقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة ويكون اهلا للثقة وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد فينا من حاول إقناعنا بذلك مع أننا أحوج الى الوفاق منهم إذ من البديهي أن المحكوم الجاهل الضعيف أحوج الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل يمنعه الجهل ان يعلم المصلحة واذا علمها يمنعه الضعف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يخاطبون بما يهوون لا بما ينتفعون . أرأيت كيف كان السيد احمد خان ظنينا في قومه متهما في بلاده عند ماقام يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لاجرم أن هذا هو شأن الجهل ولكن الـ... الذين انتفعوا بتعاليمه يرونه ... لايلاقي من يجهر في مصر بمثل دعوة المرحوم السيد احمد خان عشر معشار ما لقي من الظنة وما عاناه من مرارة التهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالهند.

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخوانهم مسلمو الهند أيام الجفاء بينهم وبين الانكليز وعرفوا ثمرة دعوة احمد خان وثمرة مدرسته في حفظ حقوقهم ومصالحهم بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث السياسة الذين جعلوا النفاق بالتنفير من الانكليز منبعاً للمال ومنبراً للجاه وعلموا أنهم غاشون خادعون ضالون مضلون فتغيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الازهر يزور عميد الانكليز في مصر وشاعر الخديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تنتمي الى

الانكليز وليس هذا ولا ذاك من تضطرهم وظيفتهم أو تقتضي سياستهم بأن يفعلوا مافعلوا!

انـنا نعلم مع هذا أن أكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرفوا مصلحتهم ومصلحـة القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصلحتنا التي لاشك فيها ان تـكون تربيتنا اسلامية دينية ونرى الانـكليز الداعين الى الوفاق يرون رأينا في هذا ، ان من مصلحتنا ان نـكون رجالا مستقلين في علومنا وأعمالنا ونرى الانـكليز يدعوننا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوفاق بيننا وبينهـم . ان من مصلحتنا احياء اللغة العربية لغة الـكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ونرى الانـكليز يوافقوننا على ذلك . فهل نرتاب في ان شيئاً من هذه الأمور هو من أهم مصالحنا؟ كلا

يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الـكتاب والسياسيين الانـكليز قالوا بهذا القول ولـكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصير رأيا للأمة البريطانية فنقول : ان الحـكومة ستضطر الى مجاراة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الـكاتبين ، ونثق بمن لايتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثـل ما قال هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليونا من المسلمين أوزهاء خمسة أضعاف ماتحكمه الدولة العلية من المسلمين . وهب أنه لم يقل بذلك أحد من الحاكمين البريطانيين فانا سائلك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة مع من لايستحقها ؟ لو أن هـذه الدولة محتاجـة الينا اليوم في عمل اختياري وهي تخطب ودادنا لنخدمها به لـكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخـذ بالاحتياط ولا نخسر عملنا حتى نثق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حاكمهم أو بلسان مقالهم : ربوا التربية الدينية ، واتصفوا بصفات الاستقلال والرجوليـة ، وتعلموا العلوم والفنون ، وحصلوا المال والثروة ونحن نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لانشتغل بشيء من ذلك لأن هذا ثقة بالقوم ولا ينبغي لنا أن نثق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا وان مايصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : انهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الأفغان والسنوسي ليكون الأول معهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الـكتاب يخاطبون دولتهم وان حاكم الهند كان يخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي افريقيا مع ذاك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوسي الذى لا يسمع خطابهما ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرها ؟ ثم ان أمير الأفغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها ، ولكن حاكم الهند العام لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويعدهم بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً عاملين يخاطب رجال التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده ، فقوله هذا أكبر منشط لهم بالفعل ، ثم ما كان لأمير الافغان أن يخدع بالاقوال ، التي لا تنطبق على الاعمال ،

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمئن المسلمون الى حكومتهم وهم يعلمون ان المسلمين لا يعملون ، وتقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً بقومك منك بالانكليز فلا تحمل الذنب على خير الفريقين ولكن احمله على شرهما وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير مخلص في قوله ، واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لأنفسهم ما وصفتهم به وأن الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اقعدوا ونحن نسعى لكم ، وأنهم ان قالوا لرعاياهم : اعملوا ونحن لا نعارضكم فلهم الشكر ، فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم فلهم الفضل العظيم فان سائر المستعمرين من الافرنج يمنعون رعاياهم ومن في حمايتهم من غير اهل دينهم من التعلم ، وكل وسائل التقدم ،

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر وزراء الدولة وساستها ولكنه كان وفاقاً انكليزياً تركياً ، وكان عليه العمل بين الدولتين ولا ننسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القريم وما بعدها ، ثم راخت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر غلادستون التحمسية تقطع تلك العرى تقطيعاً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية ، وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان وعاهل الالمان وضعف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم فى البلاد العثمانية حتى قال البرنس بسمرك ما معناه : ان المستر غلادستون قد هدم بشقشقته الحمقى ما بنته دولته في نحو قرن ، ولا يزال أكثر نبهاء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية وهذا كله مبني على قاعدة مسلمة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية في سياستها الخارجية

[illegible] جميع مسائل [illegible]
لذا [illegible] أكثر مما ينفع المسلمين الذين
يحكمهم [illegible] فان [illegible] أولئك المسلمين بالدولة [illegible] يبعدهم عن الـ[illegible]
الاستقلال الذاتي الذي هو روح الحياة الاجتماعية كما بيناه من قبل ويزيد عليهم
[illegible] حكامهم لأنهم يرفعون مطالبهم الى حكومة أخرى . ومن شأن الضغط ان يفيد
ولكنه لا يفيد هنا لأن المضغوط عليه لا يحاول الخلاص من الضغط لاعتماده على
غيره وقد ثبت هذا بالتجربة المؤيدة للنظر . كان الوفاق انكليزياً تركياً فأصبحنا
نقترح وفاق اسلامي انكليزي وهو وفاق أشرف وأعلى وأعم وأنفع . كانت
سياسة انكلترا في ذلك الوفاق مبنية على قاعدة : يجب أن لا تسقط تركيا ولا تقوم
يجب أن لا تموت ولا تحيا . وأما قاعدة هذا الوفاق فهي : يجب أن يعود للمسلمين
استقلالهم الذاتي وان ينفخ فيهم روح الدين الاسلامي بفضائله وآدابه ليصلهم الى
المدنية الحقيقية ولكن يشترط ان يكونوا هم العاملين والانكليز من المساعدين . فاذا
صح هذا فهو أكبر أمنية يتمناها كل عاقل من المسلمين . ويرضى هؤلاء العقلاء
من انكلترا بأن لا تكون على الدولة العلية اذا لم تكن معها وبأن لا تدخل جزيرة
العرب ولا تمكن دولة غير مسلمة من دخولها كيفما كان حال الدولة العلية
لأن الجزيرة عند المسلمين معهد ديني كالمسجد ومن أركان الوفاق إقامة دين الاسلام
لا هدم مناره وتعطيل شعاره

الواثقون بدينهم من هؤلاء العقلاء يعتقدون بأن الامة الانكليزية الحرة اذا
عملت بنصيحة مستر كريت وأضرابه (ومنهم اسحق طيلر الذي نشرنا كثيراً من
مقالاته في أجزاء من السنة الماضية والسنة الحاضرة) ودرست الاسلام درساً صحيحاً
فانها تدخل فيه أفواجاً . وقد سبق لنا القول بأن أمة أوربية كهذه اذا دخلت في الاسلام
فانها تملك بالمسلمين الشرق كله ولا يبعد ان تملك بهم الغرب أيضاً فان أكبر قواد الحرب في
أوربا قالوا انه يسهل عليهم ان يفتحوا أوربا كلها بمئة الف من جيوش المسلمين .

أنّى لنا بصوت نديٍّ من ذي برهان قوي ، يبلغ قومنا مبلغ انتفاعهم من هذا
الوفاق ويعلمهم كيف يقنعون الانكليز به ويمثلون له مصلحتهم فيه مشدودة مع
مصلحتنا في قرن . ان هذا من وظيفة الجرائد ووظيفة أهل الرأي في الامة . وقد
علمنا ممن ذاكرناهم من عقلاء المصريين الارتياح لهذا الوفاق اذا وثقوا من رضاء

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحجتهم في الارتياب ماذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد إضعاف اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . وانتقاد عمل المستر دنلوب مجمع عليه في مصر لا يخالف فيه مع المسلمين القبط ولا السوريون فهو منتقد في غير ماذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته ، وان كان يجوز انه خطأ في ادارته .

والذى يكشف عن وجه الحق في هذه المسألة وأشباهها هو أن يرجع بعض الوجهاء العقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر ويبينوا له الضرر فيما يعتقدونه ضاراً بالبلاد أو بالمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فعليهم أن يعتقدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءاً وانما يحبون أن ينتفعوا من بلادهم وينفعوهم جزاء على ذلك . وان تبين له الضرر وأصر على ابقائه فلهم أن يسيؤا الظن بدولته وأن يعتقدوا أن هذه الاقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تغرير وتمويه . اما نحن فنظن انه لا يتمنع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلمه في شأن ابطال النيابة من المحاكم وبين له ان ذلك ضار بالبلاد فنكث فتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلمه في مسألة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فنقض الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير

ونختم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يعمل لنفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يعمل له . ومن كان مقصراً في حفظ حقوقه فلا يلومن غيره اذا قصّر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يعيش معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أُعطيَ الحرية في العلم والعمل . فليس له عذر في التقصير والكسل ومن عرف قوة الرابطة الاسلامية لا يقطعها بعدية الوطنية فلولا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوفاق معهم ، ومن ظلم نفسه كان جديراً بأن يظلمه غيره .

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على القائل . وكان همه منه التمييز بين الضار والنافع والحق والباطل .

آثار علمية أدبية

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(تاريخ التمدن الاسلامي) كتاب جديد يشتغل بتأليفه صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة ، وهو يبحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها وأبهتها وأحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكل مايتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في ابان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث ، وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من المباحث المهمة (١) بحث (العرب والتمدن) وفيه اثبات أن العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له راسخ فيهم . و(٢) عصر الجاهلية في الحجاز و(٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم واحساس بعض خواصهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الاسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والانقسام ، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه المباحث يراها الجاهل طعناً في الاسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون المعقولة والمسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومبينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب

ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية والدول العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة ، والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا الترتيب والتبويب ويحكم بالاجمال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في افتقار اليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لانتقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ماعدوه عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سببه وأنه غير مهم ، وقد

كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لننتقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا الكثيرة لاتسمح لنا بإتمامه الا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا من حقه علينا أن نبادر الى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن مسائله لا تؤخذ قضايا مسلّمة فعلى من اطلع على النقد والردّ ان يحكم الإنصاف وقواعد العلم مع النقل وعلى من لم يطلع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلا للتوقف ٠ أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب الا ما اعتقده مع حسن النية وصحة القصد ٠ وأوضح دليل على ذلك أحتجُّ به من أساء به الظن من المسلمين لانه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وانه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا جاه بل طالب إصلاح ألهمه الله تعالى القيام به ولعلنا نعود الى انتقاد الكتاب بعد إتمام مطالعته ٠ أما ثمنه فعشرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق ٠ قصة عربية جاهلية حدثت في الحيرة من العراق العربي بين الغريّين قرب الخورنق والسدير على ضفة الفرات قبل الاسلام في يوم بؤس النعمان بن المنذر ٠ وقد نظمها ومدّ فيها ماشاء فقيد بيت الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في بيروت على عهد الناظم ٠ وقد طبعت في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بإتقان الطبع ٠ وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر ٠ وهو على صاحبه لاينكر ٠ وثمن النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

(التهذيب) ٠ جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين القرائين بمصر ٠ يحررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج المحامي ٠ وهي تصدر في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخامخانة) أنشئت الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة الملية المجلد الأول منها فالفيناه طافحاً بالمباحث التاريخية والادبية والدينية . وقد كنا نعجب قبل العلم بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو ملية في مصر مع ارتقاء الاسرائيليين في العلم والادب والثروة والرابطة الملية ٠ وقد سرنا من هذه الجريدة عدم تعريضها بما يسوء أحد الطوائف. ولا غرو فآداب الاسرائيليين العالية تقضي بذلك

(السعادة) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبها ونشئها روحيا مراد . وقد تصفحنا العدد الثامن منها الصادر في (١٥ اكتوبر) فاذاهو مفتتح بمقالة في (الدفاع عن النساء) تناقش فيها الرجال الجاهلين، الذين يرون حرمان الأنثى من التمام من الدين . ويليها وصية من والدة لابنتها وهي وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبير بيتها بنفسها وان كانت غنية ووجوب تحببها الى زوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة لصاحب المطبعة التجارية بعد بضعة أسطر غريبة في خبر غريب عنوانه « دير في سفينة » وهوان رهبان جبل أثوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديراً . ولعلهم يمرنون فيها على الاعمال البحرية كما يمرنون في أديار الجبل المقدس على الاعمال الحربية . لأنهم كما يقال رهبان مرابطون بارشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وان المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً مصريا في مصر و١٦ فرنكا في خارجها فعسى أن تلقى رواجا ونجاحا

(أسرار القصور) — قصة وضعية « تبحث عن ماهية الروح ومحالها من الجسد وعن التنويم المغناطيسي الشائع بأوربا وعن الزار والتدل بالاقطار الشرقية » مؤلفها محمد افندي حسين محرر جريدة البوسته وقد كتب في مقدمتها انه نشر فيها رأيا له منذ ست سنين ، وكان سنه ثلاثا وعشرين ، وهو اليوم لهذا الرأي من المتقدين .

(المصري) « جريدة أسبوعية عامية مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الاسلامية » ويحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يطلع في مصر كثير من هذه الجرائد الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفى ولا نذكر منها شيئاً لعلمنا بأنها في حكم العدم ، ولكن للتلامذة عندنا شأنا كبيراً ويا ليت شأنهم عند أنفسهم كذلك . لهذا نقول انه يسرنا أن تتوجه نفوسهم الى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بألسنتهم وأقلامهم عنها في وقت التعلم ليقوى استعدادهم ويكمل رشادهم ، حتى اذا صاروا في سن العمل كانوا من العاملين . ويسوءنا جداً أن ترضى جمعية التلامذة الاسلامية لنفسها إصدار جريدة تطبع على أردإ الورق وتخوض في الموضوعات الخسيسة والهزلية، والاشعار الخمرية والغرامية . فان المرأ المهذب يحفظ احسن مايسمع ويقول أحسن مايحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول مالا يتساهل في الكتابة التي يعرض فيها عقله وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين . فعسى أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة الى قبول نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظاً لكرامة التلامذة وفائدتهم والله الموفق

﴿ الاحتفال بافتتاح بمدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية المنيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهلين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدارس الابتدائية الأميرية الا مايرجى من زيادة العناية فيها بأمر الدين ويتعلم فيها أولاد الاغنياء بأجرة قليلة وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الاستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير المنيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبد الرازق العضو في مجلس شورى القوانين عن مديرية المنيا • وقد كتب الينا المحامي الفاضل حسن افندي عبد الرازق تفصيلا عن هذا الاحتفال لخصناه بما يأتي

لما كمل نظام المحفل قام الاستاذ الرئيس خطيباً فبدأ بالبسملة وفاتحة الكتاب والصلاة والتسليم على النبي الهادي الى الحق والى طريق مستقيم ، واعلن افتتاح المدرسة . ثم شكر للمتبرعين بانشاء المدسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم. انكم انفقتم في خير سبيل ، وتاجرتم أربح متاجرة ،فان هذه المدرسة ملككم لو أن العلم يملك وما الجمعية الخيرية الانصير تكم في عملكم وهي لاتني في معاونتكم باذن الله وتؤمل ان تكونوا سواعدها وأعضادها ثم قال . ان مافرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم (وهو ثلاث مئة قرش سنويا) ليس مما يضيق به صدر الكريم ،وتعلمون أن نفقة التلميذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيهات في السنة أو تزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة هي لكم ضعف ما تدفعون في مدارس غيركم لكنتم الرابحين لان فرقاً بين من ينفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار مستأجرة

ثم قال ماملخصه : لا نريد ان نخاطب الموسرين الذين أغوتهم شرة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقذفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتالد ، فيما يضر وما لايفيد . فأولئك كالأنعام بل هم أضلّ . وانما نخاطب العقلاء من الاغنياء فنقول : اذا كنتم تقصدون ان توفروا من مالكم ماتتركون لاولادكم حتى لايكونوا فقراء تصاه فقد سعيتم في طريق محمود ،هدى الاسلام، ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وان ماتصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القبيل أيضاً لأنه توفير لسعادة الأبناء بل لا سعادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع.

لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع مهذبين سعداء. هب انك تركت ابنه خالياً من التربية وهو في موطن حيث تعلمه الجهالة وتستحوذ على اهله الضلالة. أتراه يعيش سعيداً بين الاشقياء ومرتاحاً بين الفقراء ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه طبائع السفهاء وتستهويه شياطين الاهواء؟ كلا. ان المرأ بقرينه ورجل الخير بين اهل الشرور على خطر. فمن أنفق من ماله للعلم والتربية فهو الذي يوطئ لذريته اكناف السعادة ويوطد لهم دعائم المعيشة الراضية. لأنه يصلح لهم مباءة يعيشون في ظلالها آمنين.

ثم بين الاستاذ أسباب اقتصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة الأولى للتلامذة وعدم إنشاء فرق من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في طلاب التعلم من هم أهل لذلك. وتلك الاسباب هي ضيق المحل الذي استؤجر للمدرسة الى أن يتم بناؤها ولم يوجد غيره. وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة عددهم في مصر. وثم سبب ثالث عام وهو أن السنة الالهية في الترقي أن يبدأ الشيء صغيراً ثم يترقى بالتدريج وأن الامور التي تنشأ كبيرة فالغالب أن يحل عقد نظامها في القريب العاجل والعياذ بالله تعالى.

ثم تكلم الاستاذ الرئيس في مسئلة سن التلميذ فقال. ان الجمعية الخيرية الاسلامية لم تحدد سن التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لفوائد سامية. تعلمون بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون تحت لواء الوظائف بل سيكون منهم التاجر والزارع والصانع. فاذا دخل التلميذ المدرسة في الثامنة وأتم التعليم في أربع سنين أو خمس يخرج منها وهو في سن يكون مهيئاً للدخول في أي عمل شاء. واذا تقدم في السن ودخل المدرسة بعد العاشرة فقد يمضي عمره دون أن يكون للأعمال الصناعية أو الزراعية وربما عجز أبوه عن اتمام تعليمه وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال المعاش فضيع بين عجزين

ثم ختم القول بشكر سعادة المدير لحضور الاحتفال واستنهض همته لتعميم المدارس في المديرية وشكر لعبد الرحمن بيك فهمي مأمور مركز بني مزار سعيه في الاكتتاب لهذه المدرسة. ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح ولسمو الخديو المعظم فأمّن الحاضرون. وقام في أثره المدير فشكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه ثم تلاه حسن افندي عبد الرازق فبدأ قوله بخطاب الرئيس مثنياً عليه بما هو أهله

مبيناً تحويم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقي اليه . ثم أثنى على المتبرعين للمدرسة وخص بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية، فتبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفال وأثنى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبد الرازق رئيس لجنة المدرسة فذكا بمعنى ما تقدم فأحسن وكان الختام مسكا . جزى الله هؤلاء المحسنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس الى حسن الأسوة والاقتداء .

باب الاخبار التاريخية والآراء

﴿ تتمة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً الى علوم القرآن والتفسير والحديث . ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو الا النزعة الاجتهادية التي كان عليها والده وربّاه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه . وكأن الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنة صار معيباً عند المسلمين ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من ان المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويسدلون في الصلاة ويقبضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتركون المشهور من مذهب مالك الا في بعض المندوبات . والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل الا بما صح عنده في الكتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم تكلم الكاتب عن سياسته فقال ان السنوسيين لا يخوضون فيما لا يعنيهم كالسياسات فذلك عندهم كالمحرمات وما أشيع عن السنوسي من أنه مستعد للحرب ويدخر الاسلحة المتقنة المجلوبة من أوربا وانه يشيد الحصون بالصحراء ويصنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويبغض الإفرنج فهاته كلها خرافات وأراجيف لا أصل لها وسيعرف الناس ذلك عند ما تسمح الحال بالمواصلات بين افريقيا الشمالية والجهات الصحراوية . وكتب مستشهداً : ولا ينبئك مثل خبير . ثم أطنب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها الى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع في الظنة . واحتج على صدق قوله بأن الرحالة (مونتاي) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله

[illegible] تشاد بين القارة وأثاره [illegible] السنوسي [illegible] من أتباع رابح سلطان برنو الذي قتل في السنة الفارطة وكانت له أخت اسمها فاطمة في عاصمة رابح . ثم وصف من ظلم هذا السنوسي الجديد وعتوه وذكر ان بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بخبره طفقوا يندّدون بالسنوسي صاحب الطريقة ظانين أنه جاءهم بالعدوان ؛ وسرى هذا الغلط الفاحش الى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطان وغيره ؛ وقال انه لا لوم على تلك الصحف في غلطها ؛ لأن هذا الايهام سرى أيضاً لبعض الصحف الاسلامية نفسها مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسويين ؛

ثم قال ان الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٣١٢ من بلد جغبوب على حين غفلة مع أهله وولده وبعض الاخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل اليها بعد مسير أربعين يوماً وبينها بغدامس الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميلانه للانزواء وابتعاده عن الوساوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح الانكليز في جغبوب . وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فتوجه الى نواحي كانم ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعدم اشتغاله بما لا يعنيه هو وطائفة من اخوانه الى أن بلغنا انتقاله الى الدار الآخرة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

(المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : ان أمر موته لا يزال مشكوكا فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصر يكذبون ذلك ولا يبعد أن يكون تكذيبهم مبنيا على اعتقادهم بأنه المهدي المنتظر . فان احتجب أياماً فلا بد أن يظهر . ولذلك نرى أنه يقتضي الشك في موته لا ترجيح عدمه

وأما خبر مناوشة الفرنسيين للسنوسيين فانما اعتمدنا فيه على مكاتبات السنوسيين أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط . وليس حديث هذه المناوشة بالحديث وانما كان في العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مكتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد بطانة السنوسي مؤرخاً في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كانم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراني توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هتك حرمها فوجدوا بها بعضا من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتشب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلا لأن الناس متفرقة والكفار أتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان أخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضيل . ومن المجابرة ثلاثة أخونا ابو علي التمر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شعيب واستشهد أيضاً الشيخ غيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوه المغربي وبعض من التوارق واثنان من جماعة السلطان قورن كانا عند الاستاذ زائرين وواحد قطروني وباعوا نفوسهم لله كما قال عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد التني ومعهم جيشا من المجابرة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين » اهـ باختصار قليل جداً

ومنه ومن أمثاله من الكتب (ومنها ما نشرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار المخصوصة انقطعت عنا من مدة طويلة وانا نتوقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمتثلون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى المدنية في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنشورة في الحاضرة في ريب بعد هذا فانا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوذ السنوسيين في ودّاي ونواحيها وتوليهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع معينة بالاسماء والجهات ليعلم أننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا ذلك الخبر لغرابته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المنار التوسع في هذه المسائل لأنها أقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي بين بها الحجج على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه « بغية

المقاصد . في خلاصة المراصد » وهو مختصر كتاب « المراصد » وفيه القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و(ثانيهما) تأليف عصرية كبيرة ببساطة الطريقة . ومما ننتقده على أصحاب هذه الطريقة انهم غلوا في شيخهم كبار أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهى عن الغلو وأنهم يعتقدون ان شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كما تبين لغيرهم عقبه وانا نرى عقلاءهم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخهم لا يرضاه والله أعلم بمصير الأمور .

﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادي ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية وجعلت عشر كراسات (ملازم) أو احدى عشرة ويضاف اليها كراستان من القصة المعربة الملحقة بها . فتعذر على منشئها اصدارها في مواقيتها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم انه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها اليها كذلك فتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم انه يطبع من القصة الملحقة بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربح المجلة أو أكثر . ونرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له ان يسمي هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطلحوا على اطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات أو الشركات والجمعيات ثم تشرع في تنفيذها . وتعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسيما اذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص الملحقة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجيني للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعه وبنينا عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف المعيشة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وليس في الموضوع فائدة أخرى تستحق العناية . ثم ان القصة عربت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بعض الادباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن الغراء . فعسى يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنفع من هذا الاختيار . هذا ما كتب للجزء الماضي من المنار وقد تبين ان العجز مستمر لأن المجلة لمّا تصدرْ . فعسى أن يزول قريباً بزوال الضنك المالي . .

(البراعة في الإعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلاناً الى جريدة المؤيد يثني فيه على الجزء ماشاء ويشترط أن يكتب في الاخبار المحلية بصفة تقريظ وكانت سماحة الاسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم انه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه الى الإطلاع على مايجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حبا بالمسالمة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه تحرش بالإسلام وطعن فيه وفي أئمته فتصدينا للردّ عليه لأننا كنا نعتقد فيه حسن القصد ولا نكره التنويه بمجلته وانتشارها . ثم انه خيب ظننا فيه وأظهر أنه متعمد للذم فعجبنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الطعن بالاسلام : قد عرفت انه اكتشاف مهم للاعلان عن الجامعة وتكثير مشتركيها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الغزالي سيكون بصفة إعلان لأشهر وبمثل ذلك تزول « عنى العسرات ويمحي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتبه فعلمنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والعسرات » وانا نعلم علم اليقين ان المسلمين لا يقبلون على تعضيد من يطعن في دينهم وأئمتهم وانه لم يكتب الى بعض أصحابه ما كتب الا ليشيعوا ذلك فيكون تتمة للاعلان . ونذكر الرصيف المحترم بجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجامعة نقلت طعناً في الاسلام مرة فكادت تسقط لشدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها وثروتها فكيف تثبت الجامعة أمام هذه العاصفة على ضعفها ، ونبشره بان للمسلمين شعوراً يميزون به بين ما يسيء وما يسر ولا يمكن أن يقصدوا من يطعن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فعدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الغزالي وغيره وليتكلم بما يعلم ، فهو أنفع وأسلم ، وهذا آخر نصائحنا له أو إعلاننا له .

(النقل أمانة) نرى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن المنار ولا تعزو اليه ، ومن ذلك أن جريدة المأمون الغراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات المنار السابقة تغير عناوينها أو تقسم المقالة الى مقالات تجعل لكل عنواناً وكثيراً ما تسند المقالة الى عالم مجهول فتكتب « قال بعض علمائنا » فنذكرها بوجوب اسناد الشيء الى مأخذه لأن النقل أمانة

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(حرية العلم في أوربا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا ما يتعلق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة(١) وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في أوربا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على أن النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليّ أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلتا عينيه مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

واطلاعه على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية .
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى اليه سير التاريخ
ما تناولت ثم أملت على قلبه ماجرى به قلمه

هل يصح ان تسمى الاستكانة للغالب تسامحاً ؟ وهل يسمى العجز
مع التطلع للنزاع عند القدرة حلماً ، أم يسمى غل الأيدي عن الشر بوسائل
القهر كرماً ، ؟هل تعدمسا كنة جناب البابا لملك إيطاليا في مدينة واحدة
واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الايطالية والمملكة البابوية
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك ؟ أليس الأجدر بالمنصف
أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة
الملكية ؟ كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوربا اليوم من
طمأنينة العلم بينهم بجانب الدين تساهلا من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة العلم واستيلائه
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها

(اقتباس مدنية أوربا من الاسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجمعيات : كان جلاد بين العلم والدين في أوربا وتألفت
لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السر حجاباً له حتى تقوى
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظفر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء
الأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بها سطوع نور العلم
لعربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما الى المدنية التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلوّ رؤساء الدين في استعمال سلطانهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع المطرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الإنساني يتلمس السبيل الى الخلاص وإذ لاح له هذان النوران اتخذهما له هداية واستقبلهما بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثر الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه

لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يمتنعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك يعد تسامحاً عظيماً مع العلم (أو الصناعة) ويسهل عليّ أن أوافقه على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما أظن لا يكفي في تشييد هذه المدنية التي يفتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نحسن افتقادها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلو الرؤساء كانا يوقدان الغيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفتر لهم همة فنظم أمرهم واكتشفوا كثيراً من

الحقائق التي نفعت العامة ونبهت العقول للأخذ بما يجدون فيه وصارت الحرب بينهم وبين رؤساء الدين سجالا الى أن ظهر دعاة الاصلاح الديني (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم ظناً منهم أن سيكونون معهم من المجاهدين في سبيل العلم. وكان منهم إرازم الشهير فلما انتصر طلاب الاصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الافكار التي تخالف ظاهر مايعتقدون كما تقدم فانفصل إرازم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية وترك المصلحين يتفرقون شيعاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال: ما كنت أظن ان دعاة الاصلاح يكونون كذلك اعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنتظر الا أن تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنته أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل مؤرخيهم: « وكلما ارتفعت طائفة منهم الى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لإفناء البقية حتى سئمت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مضارّه في كل طائفة ان الأفضل لكل طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية مالا تستغني عنه واحدة منها . والعلم كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات الى مضار الحروب ومفاسد العدوان على حرية الاشخاص من أي طائفة كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها الاخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي الى ذكر ماجاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أنبه القارئ الى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه ان يقف عليه في كتب القوم ، ليعلم ان الدين المسيحي في أوربا لم يحتمل العلم فضلا و[illegible] قامت عليه أحزاب العلم فسامره استكانة وخضوعاً ، ولو [illegible] يستطع الى ذلك سبيلا .

[illegible] المسيحية : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عزيمة و[illegible] دينهم قلما يدانيهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين واشتدادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانه ودفع الشبه عنه ولم يزدهم العلم الجديد الا وسائل وسبلا لترويج عقائده وآدابه ولم تفتر لهم همة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى ان رجال العلم وحماة المدنية يتملّون منه ، والعامة من الشعوب في تخاذل عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحدّد حرية أهل الدين في تعليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت يعدّون بالألوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت فائدتها الاجتماعية ما نصه مترجماً : « اذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكثلكة المحتاجة الى الاصلاح (المذهب الروماني) أو الكثلكة التي دخلها

الإصلاح بالفعل (المذهب البروتستنتي) فالقرن الواحد والعشرون (القرن الماضي) لا يكون مسيحياً أبداً »

وقد جاء في كلام هذا الخطيب ما يصرح بأنه يريد أن يطالب المسيحية مدى آخر ينطلق كل الانطلاق من اعتقاد المسلمين بها فإن وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف - إن شاء الله - بين الغرب والعالم أي بين المسيحية والإسلام

عودٌ إلى ساحة الاسلام : آخذ بيد القارئ الآن ، وأرجع به إلى ما مضى من الزمان ، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني العباس ووزرائهم ، والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من حولهم ، ~~والأدباء~~ والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطيفون بهم ، وكلٌّ مقبل على عمله فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده يصافح الفقيه المتكلم والمحدثُ الطبيبَ والمجتهدُ الرياضيَّ والمتكلم وكلٌّ يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به . وهكذا أدخل به بيتاً من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتحدثون ويتباحثون والإمام البخاريُّ حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث وعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل [illegible] عنه فقال للسائل . « لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكأن الأنبياء ربته إن قام بأمر قعد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ولا باطناً

أشبه بظاهر منه » بل أرفع بصري فأجد الامام أباحنيفة أمام الإمام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقه ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد — أمرٌ به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أنَّ فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث (١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش ، والفقهاء والمحدثون والمتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء ، الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهنالك يشير القارئ المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسالمة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

---

(١) المنار : رواه أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن أبي هريرة بسند ضعيف ، ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ، ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشهرة هذا المعنى قال الغزالي وردت السنة بكذا

يرى القارئ أنه لم يكن جلاد بين العلم والدين . وإن كان بين أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقييد ، وعوفوا من علة التقليد ، ولم يكن يجري فيما بينهم اللمز بالألقاب فلا يقول أحد منهم لآخر إنه زنديق أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك . ولا تتناول أحداً منهم يد بأذى إلا إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن العامة فكان كالعضو المجذّم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين . وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ، ورُمِيَ زيد بأنه مبتدع وعمرو بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق الى مبدإ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك بدأ فيهم عند مابدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدّر للقول في الدين برأيه من لم تمتزج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون ان من البدع في الدين ما يحسن إحداثه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها . وانشأوا ينسون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون برأي من يرونه من المتصدرين المتعالمين ، وتولى شؤن المسلمين جهالهم ، وقام بإرشادهم في الاغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين واستعرت نيران العداوات بين النظار فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه ان يرمي الآخر بالمروق منه لأدنى سبب . وكلما ازدادوا جهلا بدينهم ازدادوا غلوا فيه بالباطل ودخل العلم والفكر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه

لا أكاد أخطئ القارئ اذا زعم ان المسلم إنما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه اذ كانوا يقولون: هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي . أو مايماثل ذلك . أو زعم ان قد فشت في المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة وان الذي سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض كما هو معلوم .

ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم، أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل الدين أو بذهب مذهب الفلاسفة أو ما يقرب من ذلك ؛ لا بل عدا بهم الجهل على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حملت كتب الامام الغزالي الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة وانطلقت ألسنة المتعالمين من البربر بتفسيقه وتضليله فجمعت تلك الكتب خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين — : إنه ضالٌ مضل . وجاء على أثر هؤلاء مقلدون علاؤن أفواههم بهذه الشتائم وطيهم اثما وإثم من يقفوهم بها الى يوم القيامة

اهمال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهمل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الاشعري ولا أبي منصور الماتريدي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الإسفرايني . واذا بحثت عن كتب هؤلاء الائمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير الغزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لا غنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وان لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طعمة للعث وفراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان؟

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثى له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب المتأخرون يتعلم أحدكم منها ما تدل عليه عباراتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فاذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله

هكذا قالوا وان لم يكن القول متفقاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعي عنه مايقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقل جداً في المغرب الاقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما لصعوبة طرق التعليم واقتضائها الزمن الطويل وحاجاتُ الناس مانعة لهم من إفناء أعمارهم في عمل لايسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوربا أو في المدارس الاخرى وليس فيها من الدين شيء وان كان فيها شيء منه فهو مما لايعد تعليما دينياً ينظر اليه . وإما للفتور والجمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك نجد المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الاعظم منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لأنكروه واستغربوه وعدّوه بدعة في الدين وصح فيهم ماقال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : «ان الذين جاؤا بعدك زيّنوا لك دينك ووشّوه وزركشوه حتى لو رأيته أنت لأنكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه ونقم على أهله القائمين بخدمته وإنما اصطفى لاعتقاده بعض أفرادهم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فاذا وقع عن هذا الصنف مافيه أذى للعلم وأهله فهل يعدّ ذلك واقعاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟؟

متابعة العلم للإسلام ومسابقته لسواه ...

العلم، ولا العلم، ما داموا متمسكين بدينهم، فإذا انحرفوا عن شريعتهم وخالفوا أوامره تقاعسوا عنه

فكلما بعد عنهم علم الدين نفد عنهم علم الدنيا وحرموا ثمار العقل، وكانوا كلما توسعوا

في العلوم الدينية توسعوا في العلوم الكونية، وضربوا في الزمان بسوط من

العزة. أما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدّوا في المحافظة عليه أنكرهم العلم

وتجهمهم وأكفهر وجهه للقائهم. وكلما بعدوا من الدين سالمهم العلم وبش في

وجوههم ولذلك يصرحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح أن يكون

له في الدين عمل، ولا أن يظهر منه فيه أثر، والدين من وجدانات القلب ولا

علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل. فالفصل تامٌّ بين العقل والدين

ولا سبيل الى الجمع بينهما. سامحهم الله فيما يسمونه تسامح مع العلم، وهم يصرحون

بأنه عدوه الذي يستحيل ان يكون بينه وبينه سلم،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم؟ أقول اضطهاد ولا

أُريد به ما كان عند الامم المسيحية من الاشتداد في إبادة أهله والتنكيل

بهم واختراع ضروب التعذيب والتفنن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ

بالشبهة، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة، فان ذلك لم يقع عند المسلمين

لا أيام علمهم، ولا في أزمنة جهلهم، ولكن أُريد من الاضطهاد الإعراض

عن العلم ورمي الألفاظ السخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشيءٍ من الشتائم

مع الابتعاد عنهم. لا ريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي

يسميه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم. فالدواء الذي ينجع

في شفائهم من هذا الداء لا يكون الا ردّهم الى العلم بدينهم والتبصر

فيه للوقوف على أسراره والوصول الى حقيقة ما يدعو اليه. كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الواسطة تناكرت النفوس وتبدل الأنس وحشة

الدعاة الى الاسلام: فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون ، أو دعاة لأصل الدين عارفون ، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم ، وجمحت نفوسهم عن الانقياد لهم ؛ وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوربا من أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم فيها أوائل القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك ؟ لا . إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرون متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فما يزيد في قرن واحد ويأخذون في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ المستبد أهبته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشمر السياسة (نعوذ بالله منها) عما عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم ، قبل ان يبلغوا من قلب واحد ما أرادوا من غرس أفكارهم ، فينطفئ النور ، ويتلاطم الديجور ، فهل يعد الأديب هذه الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين ، أنزه كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تعد حجة على الدين في نظر المنصف

المقلد دون المقلد : ربما يقول القائل : ان كان المسلمون قد أخذوا الجمود في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالمعاداة بين الدنيا والآخرة وبين العقل والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً أقرب الملل اليهم ، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم والتوسع في علومه متذيلا بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم المسيحيون إخوانهم قسمين قسماً ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

وقلما يشتغل بالدنيا ليقيت نفسه وبقيت أهل القسم الأول ويحمي قصده ويحميهم من العدوات ؟ ومالك ترى المسلمين خلوا وارتخت أعصابهم وسئموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس من معرفة الطرق لتحصيل الغني والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ، وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لا يعلمون ؟ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهفا على الحطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؟

فأقول له : انك قد نسيت ان المقلد يكون دائمًا أحط حالا وأخس منزلة من المقلَّد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلَّد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم لاسيما انهم قد خلطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازعه عدة قوى يذهب مع كل منها آنا ثم ينتهي أمره بعد الخيبة بالتعب الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون علماء كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغمضوا احدى العينين وأقذوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلبين ولن يجدوهما الا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقذوا

الاصلاح والمصلحون : لقائل أن يقول : كيف تدعي أن دعاة العلم والدين قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جو مصر وسوريا وغيرهما من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي الاسلام مسلمون : قرآن سنة :

بجد الاسلام القديم ، سماه الصالحون : قلم قديم : كتب قديمة كتب جديدة ، وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنبهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثيرون ولا ترى مع ذلك من أغلب المسلمين الا آذاناً صماً وأعيناً عمياً وصدوداً عما يدعو اليه هؤلاء ؟ ويمكنني أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عدده ، والجمهور منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا متجرين بهذه الكلمات لكسب بعض دريهمات : ويظهر لك ذلك من أنهم يلفظون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئاً من مدلولاتها ليقفوا على الحقيقة منه وانما يلفت بعضهم عن بعض ظواهر كأن لا تمكث في الارض ، اما الصادقون على قلتهم فقد يجذبون بعض الناس يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يعلمون ، خصوصاً في أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح ليس ريحاً تهب فتمسح الارض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر

قد يقول القائل : لم لم يكثر هؤلاء كثرتهم بين الاوربيين فيما مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا العادلين منهم اليهم ، وينهضوا بالمسلمين من هذه الرقدة التي طال أمدها عليهم ؟ ولم لا يزال أهل البصيرة منهم قليلين متفرقين يهمسون بالقول ولا يجهرون ، وليس للعلم فيهم دعاة عاملون ؟؟ أليس ذلك سبيلا لمؤاخذة الاسلام وحجة عليه ؟؟ وأقول له : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتعس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ؟ أو تسري فيها الحركة العملية الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية ، مع توالي المنبهات ؟ وتواصل

الصدمات إثر الصدمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذى قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ماهم أهل له

الفرق بين التعصبين: وعلى كل حال لا يجوز فى شريعة الإنصاف أن يذكر المسلمون فى جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو فى التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين فى التعصب ألفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في المعاملات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسيح بفكره فى المستعمرات الهولاندية فى الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد الناتال فى الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد الروسيا فى الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها فى جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة فى المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ، ولا تقبل لهم فيه المدنية عذراً ،

ماعلى الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم فى حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لاتجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط فى القسوة على المسلمين خاصة

وحدهم دون سواهم . وأرباب الاقلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبي الله أن يهديهم على مايبحثون عنه لانهم يطالبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

﴿ رأي هانوتو الاخير في معاملة المسلمين ﴾

موسيو هانوتو أطلق لقلمه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لايزال يذكره القراء . ثم بعد ان قتل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بلسان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر ملخص مانقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعلقاً بأفريقيا واقتصر منه على مايتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال انها الامن والسلم ثم قال : « إنا مدينون لهم بالعدل والسلم كما اننا مدينون لهم بالتساهل الديني ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل مايثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

الذاتية والاجتماعية والسمو بمن نؤمن به [illegible]
على التلات منه . فمن المفروض علينا التساهل في هذا [illegible]
التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا
في فهمه . وعلينا ان نتخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين »
شعاراً لنا لانخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه
من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري
في هذا المقام وهي : « إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من
ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ
هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبه الى
الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة العقيدة في
في مذهبه ؟ أو سمع مايقرب منها ممن لايدانيه من أهل الملل الاخرى ؟
ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين
وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمر المسلمين
مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم ، وعد هذا مبدأ جديداً
لم تسبق الجرى على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية لطلبه ؟ مسألة
فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام
في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

سياسة الانكليز في التسامح

نعم نحن لاننكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحكم من
ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي
الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

ولا يصعب علينا أن نقول : إن منشأ ذلك أن أمراءها في الحروب الصليبية وقوادجيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحملوا من ذلك شيئاً كثيراً الى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة التعصب عن إبصار ضوء الحق وظهر أثر ذلك في أقلام كثير من كتابهم مثل والتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أقلام الكاتبين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لائماً : إن هذه الخصلة الشريفة — خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يتمتعون بأداء فرائضه مع احترام ما يحترمون — هي من أجل الخصال ورثها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأبى علي القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين وأداء ما فرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة ابر وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر؟ أليس في طول الكلام مجلبة الملل، وترويج الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضعافا مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعقله مدخول ، وعزمه مفلول ، وفكره مفلول ، وهو قصير الهمة فيما يقصر إذا طال ، فلا

[illegible]

[illegible]

البدع والمحدثات فيه والعلل التي نشبت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى

وقبل أن أترك القارئ أنبهه الى أن ما أجمل في هذه الفصول لم نقصد به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القارئ نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتنزه عن كل كلمة تشم منها رائحة العيب على آخر . وقد يعلم من هذه النزاهة ان هذا رأي طبخناه لنطعمه بأنفسنا ، وننفق منه على من تلزمنا نفقته من أهلنا ، ولم يكن يخطر بالنا عند ما أجدنا طبخه ان نفيض منه على غيرنا ، لكن اذا عشا الساري الى ضوء نارنا ، وطلب القرى مناقا سمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه أخرى من نفس الحياة ، واهنأ من خلق الأناة ، ان شاء الله ، اه

(المنار) من غريب الاتفاق أنه بعدما كتب هذه المقالات ونشر بعضها ظهرت تلك المقالة لمستر كوربت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز وستلحق قوله في الاسلام بالمقالات اذ طبعت على حدتها في كتاب . وقد انبأ القراء بأن هذا الامام وعد بأن يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ما طرأ على الاسلام من البدع وما لحقها من الجمود سيكون هو السبب في الرجوع الى الأصول وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد بلغ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نحو مئتي صفحة وستزيده شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به . وقد طبع على ورق جيد وجعلنا ثمنه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية العامل في اوفا (الروسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدال وكثر في هذه الأيام القيل والقال بين الناس في هذا القطر في مسئلة حدوث العالم من جهتها الشرعية • فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف • وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمانياً لايكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام ويدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلا • بل هو من باب التدين بالرأي • وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات • وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع • وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلسفة لاتعلق له بالشريعة • ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستفسر رأيكم في هذه المسئلة و نشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل •

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحنيفية السمحة . الذي ظهر في الاميين ، ودعا اليه المتوحشين والمتمدنين ، ان كل يكلف كل فرد في تصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والتمييز بين تلك الخلافات في الحدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلافات الفلاسفة مع اهل الكلام ، في أصل وجود الزمان . فالمتكلم يقول انه أمر اعتباري ، والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي ، وانها المعارك يحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، ونفض عنه غبار القال والقيل ، رجع الى أحد الامرين — وقوف الحيرة أو دين الفطرة ،

المقصد الاول من مقاصد القرآن المبين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لابحسب الذات ولا بحسب الزمان ، فللناظر ان يقول : ان اطراد السنن الآلهية ، في العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، في جميع هذه الاكوان ، يدلان على ان لها خالقاً عليما ، قادراً حكيما ،

حياً قيوماً ، لا رادّ لإرادته ، ولا معقّب لحكمه وحكمته ، وأنه [illegible]
النظام المشهود في عالم الوجود ، وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان ، من طريق القرآن ،
وان لم يخطر بباله حدوث الذات وحدوث الزمان ،

أما مسألة حدوث العالم في نظر الفلاسفة فالمتفق عليه عند فلاسفة العصر ان كل ما نراه ونحس به من هذه العوالم الأرضية والسماوية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كما هو الآن ثم كان ، ولكن عضلة العقد عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة منشأ التكوين ، وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان العدم المطلق لا حقيقة له ولا يتصوره العقل وانه لا يحدث شيء من لاشيء ، فالفلاسفة والمتفلسفون يحسبون ان هذه المسائل القطعية لا تنطبق على الاديان وإن سماوية ، ونحن نقول انها هي التي جرى عليها القرآن ، وقررها الاسلام فليس في كتاب الله تعالى آية تدل على ان الوجود الحقيقي صدر عن العدم الخيالي ، بل قال : « وخلق كل شيء فقدّره تقديرا » والخلق لغة التركيب وهو لا يكون في العدم ، بل قال : « أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » وقال « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وحل المسألة [illegible] ان هذا الوجود الذي نراه [illegible] ممكن حادث وأنه صدر عن وجود واجب قديم لا نعرف حقيقته ولا كيفية صدوره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بإرادة وقدرة وعلم وحكمة ، وذلك بما نراه من وحدة النظام والاحكام واطراد النواميس والسنن .

دعوى كتابة النبي بالتركية . (س ٣) ومنه : قال الفاضل الزنجاني الجزائري صاحب « الطورة الحق » في رسالته « مستنقذ الاحبار » : ان حديث أبي هريرة المذكور في أسد الغابة المطبوع بمصر القاهرة (ج ٤ ص ١٤٠) ، ففيه عدة أغلاط وقت طبعه والصواب ما في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن الأثير رضي الله عنه ، وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتاباً تركياً ذكره » فان رواته نقلوه بألفاظ عربية وبدلوها وحرفوها تركناها لذلك » . ولما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة لنقابلها رجونا من حضرتكم مقابلة النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للعلم والدين ثم بيانه الينا لنكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

(ج) لم يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة

الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فان ما كتبه عن النسخة الخطية هو عين ما في النسخة المطبوعة الا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركيا ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه أن النسخة الخطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان لمثله أن يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتابا تركيا فان جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمير وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي الى مخاطبة العرب بلسان العجم؟ ثم ما كان لمثله أن يخفى عليه ان كلمة (ذكره) بعد كلمة (تركيا) لامعنى لها ولكن معناها ظاهر اذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواته . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفصى الاسامي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفصى في عصابة من أسلم فقالوا يارسول الله انا من أرومة العرب نكافئ العدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلا في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتابا تركنا ذكره فان رواته نقلوه بألفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه

وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أي بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فألفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطويسي بركات بالمحلة الكبرى : قال الله تعالى « واذا حُيِّيتُم بتحيةٍ فحيُّوا بأحسنَ منها أو ردُّوها » وقال تعالى « ولا تقولوا لِمَنْ أَلقَى اليكم السلامَ لَستَ مؤمنا » وقال « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غيرَ بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلِّموا على أهلها » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاصٌ بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : ان من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام « يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ واذا قيل انه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفة أم لا ؟

(ج) إن الاسلام دين عامٌ ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

بالتدريج وجذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إفشاء السلام الا مع المحاربين لأن من سلّم على أحد فقد أمّنه فاذا فتك به بعد ذلك كان خائناً ناكثاً للعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيردّ عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السّامُ عليك . فقالت له : وعليك السام واللعنة . فانتهرها عليه الصلاة والسلام مبيناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سبّاباً وان الموت علينا وعليهم . وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذمي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف انه قال لنصراني سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله يعيش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن انه قال « حيّوا بأحسن منها » للمسلمين « أو ردّوها » لأهل الكتاب . وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون انهم لا يُبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداء الا لحاجة . وأما الرّد فقال بعض الفقهاء انه واجب كردّ سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الخانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالردّ . وهذا يدل على انه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون مع أن السنة وردت به في الصحيح

أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلّم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة : « ان الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » . وأكثر الاحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الاسلام عامة فعندي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبباً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بالحفظ ، وعليكم ، حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين. ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه ، ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خَلْفٌ أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصَونٌ له عن المخالفين ، وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيغالا في هذا الضرب من التعظيم ، وإنهم ليشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم ، ويجتهدون في تحويل الناس الى عاداتهم وشعارهم ليقربوا من دينهم حتى أن الأوروبيين فرحوا فرحاً شديداً عندما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدُّوا هذا من آيات الفتح ، ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة ، ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بآدابهم وعاداتهم ويزعمون أن هذا تعظيم للدين ، وكأن هذا التعظيم لانهاية له الا حجب هذا الدين عن العالمين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وسيرجعون عنه بعد حين ،

باب التربية والتعليم

الأزهر والأزهريون ، وفاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعد به الشيخ عبد العزيز المريشي الازهري والأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهرة الى حيدر اباد)

اليك أيها الاخ سلام صديق طبع قلبه على الاخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك ، وشكوى شوق قد برح بي برحاً لا أستطيع له شرحاً ، وبعد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرفاً من نظام مدرسة الازهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي لك بعبارة أوسع وتفصيل أشق على كل ما رأيته من نظام طلبتها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أدوار طلبه من إبان

دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها مبيناً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها

زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدنف على الربع المحيل وهو يبكي لأناس عاهدوا الرحيل على أن لا يملوا التمديل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتنقير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفي على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا عليه من الغربة وبعد الدار ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلا بنفسه أذكر فيه كل ما استبان لي من النقد كما سيمر بك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هنالك من أخ ثقة خبير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قراها حتى يرى مئات من شبان المصريين حلفاء التربة وضيق ذات اليد وهم يطاردون دون الجوع بالفأس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والنصب تحت شمس تذيب بوهجها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم المادونين يرى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة مجراءبا كل جميع ساعات نهاره إما مارا بما في بيته خالياً من كل عمل أو قاعداً في احدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدر به أيدي أولئك العملة المساكين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم ينالوا اللقمة الا جهاداً . ومن ذلك يتألف لهؤلاء المعطلين عيشة لا تعب فيها ولا نصب فاذا رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين نارين إما أن يدعه يشتغل بما يشتغل هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عالة على العباد متوسداً الراحة من عناء كل عمل . فاذا ترجح عنده الامر الثاني دفع به الى الازهر وأخذ يجري عليه

من النفقة مايقطعه من قوت يومه الضروري . لذلك لاتكاد تجد في المائة واحداً من الطلبة من البيوتات الشريفة التي يمهل أهلوها لمستقبل شريف كالقضاء والافتاء . فأنت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فانما تشق أجساماً تنبو عن رؤيتها النفس وهم مختلفون متبعثرون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويغلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهريين . مابين الخامسة عشرة الى الثلاثين . وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان أتمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسمها الى ثلاثة أدوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طفرة من بين رعاء الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء ، وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ماهم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعيم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والخشونة وبُدل في ساعة واحدة برؤية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لايدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشرى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة ويأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتساءل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه ، ودرس ينتظم في سلك طالبيه ، حتى اذا تيسر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياع الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه ، ويحدد أذنيه لسماع ما يلقى عليه ، فلا ينظر الا نقوشاً لامقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أشبه بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنته الاولى وهو يروح الى الدروس كما يغدو اليها خاليا من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم الا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد . وقتل بكر عمراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى . الخ .. هذا مبلغ ما يصل اليه الطالب من اختلافه الى دروس النحو في سنته الاولى — وأريد قبل أن أسلك بالكلام الى دروس الفقه أن اقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به الطالب من الكتب على المذاهب الاربعة الا اني لا أرى في استقصائها كبير فائدة بل الاحسن ان أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفي لأنه الاشهر . وان لم يكن الاكثر . ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الاخرى عليه لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنته الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول كتاب في النحو يسمونه الكفراوي وما يقابله من الفقه يسمي مراقي الفلاح . اما الكفراوي فقد وضعه صاحبه شرحاً لمتن صغير اسمه الاجرومية مشوش العبارة مختصراً جداً

واما مراقي الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على العبادات فقط وهو على ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على أنه على ما به من التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وقصارى القول ان الطالب يقطع شهور سنته الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق ان أذكره لك . وانما هي كلمات يسمعها فتمر عليه مر الخيال الساري — ثم يدخل في سنته الثانية وهو على هذه الحال فيأتي كل أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ . وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من النجاح فيخرج من هناك ليحترف . ولا كتب يحضرها في سنته الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنته الأولى وسيره فيها لا يتميز عن السنة الفائتة الا بكونه وصل الى أن يعرب جملا بسيطة معلومة حفظ اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكر . ويعرف بعض أسماء الائمة وشيء من الاصطلاحات الفقهية في الفقه . ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش العبارات تأثيراً يحمله على الجلد والتصبر على تلك الاساليب وربما فهم اذ ذاك بعض الجمل بعد ان ينصب نفسه ويتعب فكره كل التعب وينتقل حينئذ من الكفراوي الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد) وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوي وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن سهولته لم ترق للاشياخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من الفروض

على الطالب الازهري أن يكد ذهنه في فهمها ولم أر علم الله كتاباً يكد الفكر ... القارئ في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا ... الكتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (الطائي) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة وسماجتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم اثباته ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير.

وأعجل اليك قبل أن أرتقي الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان أن هذا الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المحشوة بالخلاف وتضارب آراء الائمة فيما لا يعود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره مثل أبواب العتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى بيداء واسعة من الخيال المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلا حتى ترى الكثير من الصور الغريبة النائية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ما قدمت ينتهي التلميذ من دوره الاول ولو أني بغلام سليم الفطرة الى معلم حكيم في التعليم وأخذ يملي عليه كل يوم قليلا من النحو والفقه ويفهمه اياه حق التفهيم لبلغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف ما يبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات.

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون أمر موكول الى المصادفات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يمد عينيه الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد ان أذكر لك الآن ما هي هذه الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك على وصف ما يشتغل به من الكتب في العلمين الأصليين عندهم الفقه والنحو

وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (منلا مسكين) يقضي فيه المدة ... على الطالب سنتين ومنلا مسكين هذا كسائر ما تقدم من الكتب محشو بالخلاف ... كثير عن عين جدوى والتعمق في فروع تنقضي الاعمار ولا تقع ولا

يحتاج اليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالخطأ فيما يورده من نقول أئمة المذاهب الأخرى في معترض الرد عليهم وتزييف أقوالهم ، وهو مالا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الابواب . بعد ان يتم المسكين (مثلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (العيني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والغلط والتمحل في تزييف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهنية والمسائل الخياليه والمماحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة مايرد من اسمائهم في صدد الخلاف ، وان تعجب فعجب بل ألف عجب اتفاق أكثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتداح كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . وعندي ان ذلك كاف لبيان ماهم عليه من الذكاء والنبل وما وصلوا اليه من العلم والفضل . ويشتغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشذور . أما الازهرية فكتاب سهل العبارة اقتصر من النحو على المبادىء الا أنه مبتلى كاخوانه بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشذور فكلاهما درة متلألئة بين أطمار بالية القهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج اليها الطالب الا أتى عليها في هذين الكتابين . ولو اقتصر الازهريون على قراءتهما متنا مجرداً من الحواشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا أسمج من عبارتها وقد سلك بها طريق التعسف والتعقيد حتى صارت سجفاً يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقعت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تعليقاً على بيت أورده المؤلف وهو :

(الا يا أسلمي يادارميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر)

(قال المحشى) الا حرف استفتاح واسلمي فعل امر ومي اسم امرأة والبلى مقصور مكسور والمراد به الاندراس والفناء اى اسلمي واذ كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يخرب الدار . واجيب بأنه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلا

لما على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال

إليك اشتياقي يا كنافة زائد فمالي غناء عنك كلا ولا صبر
فلا زلت أكلي كل يوم وليلة ولا زال منهلا بجرعائك القطر

(والكنافة) اسم الحلوى للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة ست سنوات من النحو والفقه وأقسم أيها الأخ اني لم أر حتى ساعتي هذه ممن بلغ السنة السادسة وحضر تلك الكتب فى النحو من يحسن أن يكتب سطراً واحداً او يقرأ جملتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت وفى الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

آثار علمية أدبية

﴿ رسالة الكسائي في لحن العوام ﴾

ظفر بها الباحث الالماني (بركلن) وطبعها في المانيا وأهدى نسخة منها الى صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن ننشرها في المنار لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صلّ على محمد وآله الطاهرين . هذا كتاب ما تلحن فيه العوام مما وضعه عليّ بن حمزة الكسائي للرشيد هرون ولا بد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول حَرَصت بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أكثرُ الناسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين » ولا تقول تحرَص بفتح الراء . قال الله تعالى « إِنْ تَحْرِص على هُدَاهم فإِنَّ اللهَ لا يَهْدي من يُضِلُّ » . وتقول ما نقمت منه الا عجلته بفتح القاف لا يقال غيره قال الله عز وجل « وما نَقَمُوا منهم الا أن يؤمنوا بالله » . وتقول دعه حتى يسكت من غضبه بالتاء ولا يقال بالنون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) م ر من عدى سكت الغضب بعن ولم يستشهد له وانما الشاهد في الآية معدّى بعن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الاساس فقال :

سكت عن موسى الغضبُ » . وتقول قد نَفِدَ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى « قل لو كان البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي لَنَفِدَ البحر » . وتقول عجزت عن الشيءِ بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُه « أَعَجَزْتُ أَنْ أَكونَ مثلَ هذا الغراب » وتقول كسرت ظُفُر زيد بضم الفاء والظاء جميعا (١) قال الله تعالى « وعلى الذين هادُوا حَرَّمْنا كلَّ ذي ظُفُرٍ » وتقول قد صرفت فلانا وقد صرف وجهه بغير ألف ولا يقال أصرفت فلانا قال الله عز وجل « ثم انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلوبَهم » وتقول قد أَصْرَفَت الكلبةُ اذا طلبت المماظَلَة . وتقول قد استدَّت البطانة بكسر الباء (٢) قال الله جل ذكره « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بِطانةً من دُونكم » وتقول لنا على المضيّ الى فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فما استطاعوا مُضِيّاً ولا يَرجِعون » . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك . وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا تكفرون » . « ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردتُ أنْ أَنصحَ لكم » . وتقول عَسَيْتُ أن أكلم زيداً بفتح السين قال الله عز وجل « فهل عَسَيْتُم إن تَوَلَّيتُم أن تفسدُوا في الأرض » . وتقول قد أريتُ فلانا موضع زيد ولا يقال أوريته فإنه خطأ قال الله تعالى « ولقد أَرَيْناهُ آياتِنا كلَّها » وقال أيضاً « رَبِّ أرِني أَنْظُرْ اليكَ » وتقول قد أوريت النار اذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التي تُورُونَ » وقال عديّ بن زيد في شاهد ذلك :

وطَفِئَتْ حديثَ السُّوءِ بالصمتِ   إنه متى تُورِ نارًا للعتابِ تَأَجَّجا (١)

« وسكت عنه الغضب والحزن وكل منه أثر ناطق » ففهم وجه التجوّز وقال السكاكي انه استعارة تبعية . وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ

(١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظُفْر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء .

(٢) في اللسان السَّدَد القصد في القول والوَفق والإصابة وقد سدّد واستدّ . وبطانة الانسان خاصته الذين يفضي اليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة ولعلها في الاصل استفهام (١) كذا ضبط (طفئ) في الاصل والمعنى يقتضي انه من المهموز والمعروف اطفأ النار . ثم رأيت اللسان والتاج روياه (وأطفئ) وتأججا أصله تتأجج مجزوم وحذف التاء قياس

ويقال وقع القوم في صُعُودٍ وهُبُوط وحُدُورٍ مفتوحات الأوائل وكذلك السَّحُور سحور الصائم (١) والفطور أيضاً على مثال فعول قال الله عز وجل «سأرهقه صَعُوداً» وكذلك الرَّكوب قال الله تعالى «فمنها رَكُوبهم» • وتقول شُدَّ ثوبك وشُدَّ عليه بضم الشين قال تعالى «فشُدُّوا الوَثَاق» وتقول ذَرْهُ ودَعْه وذرِ الأمر ولا يقال: وَذرته ولا وَدَعته قال الله «ذَرْهم يأكلوا ويتمتعوا» ولا يقال منه فعلته ولكن تركته • وتقول جَهدت به كل الجُهد والجيم الأولى مفتوحة والثانية مضمومة قال الله «والذين لا يجدون الا جُهْدَهم» وتقول دَمَمت عني بفتح الميم وبخصت عينه بالصاد ولا يقال بخست بالسين (٢) إنما البخس والنقص ان تنقص الرجل حقه • وتقول وَدِدْت أني في منزلي بكسر الدال الاولى قال بعض الأعراب:

أحبُّ بُنَيَّتي ووددت أني حفرت لها برابية قَبيرا (٣)

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الاصلاح — ورأسه إصلاح التربية والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وصعوبة أسلوبها وعدم موافقتها للتعليم فقيض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسعى في إحياء كتب السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها على التربية والتعليم . فينا جمعية إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المخصص وتسعى باستنساخ مدونة الامام مالك وكتاب الأم للامام الشافعي لتطبعهما ومنشئ هذه المجلة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) اذا بالشيخ أحمد زناتي ناظر مدرسة القبة الخديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأكبر مؤلفاته حجماً، وأحسنها صنعاً، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم. وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب • وفي

---

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الاكل وقت السحر • ومثله الفطور (٢) أنكر البخص بمعنى الفقء الازهري والمصنف وأثبته الاصمعي وقال إنه لغة كالبخز

(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر • وفي هامش النسخة المطبوعة لفظ (حفيرا) وهو بمعنى القبر

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية، يبتدئ الفصل بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم عما تهدي اليه مع بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون كتب الدين لتطمئن بها القلوب، وتؤثر في النفوس . وقد التزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية . ومنافعها الدنيوية والاخروية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرضه على الأمير العباس أيده الله تعالى فسرّ به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة الأميرية طبعاً متقناً على ورق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصولُ اسمَ السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامًّا لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم . وصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والغرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى المطول ويهتدي بتلقي هذا دراسة الى فهم ذاك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضا وفق الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قروش صحيحة فنحث كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للامام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية التي تحتج بها الفرق المفترقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في الحجج مجتمعة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها أحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الجبرية وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية . والصفاتية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعة وفي مقابلتها الخوارج . قال « ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون » أي التي ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون بابا في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المختلف فيها . وانا لنعتقد انه يعسر على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي يحتج بها كل فريق على رأيه ولا نعرفها مجموعة في غير هذا الكتاب . لهذا نقول ان إحياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام . فجزى الله الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الناس بثمن بخس وهو قرشان صحيحان ، ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في ادارة المنار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة الحلبي ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل العازب وطبيب المتزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد ابو جمرة الذى تلقى الطب في المدرسة الكلية ببيروت واتمه في كلية (ماريون سمس) في الولايات المتحدة ، هو يبحث عن اعضاء التناسل في الذكور والأناث وما يعرض لها من العلل والامراض قبل الزواج وبعده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فان أكثر الناس عرضة للامراض والأدواء التي تتولد في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استعمالها فيما يحرّمه الدين والطب (وكل ماثبت ضرره طباً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك العادات الضارّة التي تكون من الشبان في حال الانفراد ويحسبونها هينة وما هي بهينة وانما هي علة العلل للادواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعانهم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة . لأنه هو الركن الركين ، بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدوهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها الى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها اليه جلت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . واننا لانرى في هذا الكتاب غير هذا العيب ، ونقول على كل حال انه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعته والاستعانة به على تربية الاولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان ونيف وثمنه ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(نيل الأرب في موسيقى الافرنج والعرب) الموسيقى فن من الفنون التحسينية يرتقي في الامم بارتقاء المدنية والحضارة ويتدلى بتدليهما ، والميل اليه طبيعي في الانسان بل الميل الى حسن توقيع النغم معهود في الحيوان الأعجم ، ولقد كان للعرب حظ منه ايام مدنيتهم فذهب بذهابها ، ولما ذالت الحضارة الى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركنا من أركان الفنون الحربية ، كما انه ركن من أركان التربية النفسية ، وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الافرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضعوا لنا كتاباً مصنفاً او مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه احمد افندي امين الديك . ومن عرف المؤلف يحكم بأنه انما ألف هذا الكتاب بباعث طبيعي وشعور بأن قومه في حاجة الى هذا الفن وانه

أراد أن يكون البادئ بسدّ هذه الحاجة. وإنما قلنا هذا لأنه شاب بعيد من التفرنج ومذاهبه متمسك بالدين عملا وآدابا على أن الشائع في قومه ان الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين • وما المذموم في الدين الا هذا التخنث الشائع عندهم في الغناء. أما الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والاخلاق • هذا وإننا لا نحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعترف مع الخجل بأننا لا نعرف الفن • والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية وثمنه خمسة قروش.

(الاتجار بالنساء) هي القصة العاشرة من (روايات مسامرات الشعب) معربة بقلم حسن افندي توفيق الرجوي من ضباط البوليس ومعرّب كتاب (التربية الحديثة) وقد صدّر القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة للصحافة المصرية يطالبها فيها بانتقاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة . وينتقد تقريظ الجرائد بمدح كل كتاب او قصة تنشر وتمني الرواج لها .

الانتقاد واجب وان كان يسوء ناشري الكتب كما جربنا. واذا لم يتسع وقت أصحاب الجرائد وكتابها لقراءة الكتاب كله او بعضه فلا يجوز لهم تقريظه لان التقريظ حكم لا بدّ فيه من العلم بالمحكوم عليه . ولقد طالعنا قصة الاتجار بالنساء هذه ظناً منا أن الذي حمل ناشرها على تعريضها للنقد هو ثقته بأنها تعلو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فألفيناها مشحونة بأخبار الفسق والفحش والكيد وسفك الدم والانتقام. ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاء رديئاً للنفوس المستعدة للشرور لأنها لم تترب تربية صالحة. وأين التربية الصالحة في هذه البلاد ؟ يحتج ناشرو أمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء عاقبة المجرمين . ونحتج عليهم بأن الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعاً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علماً بوجوه المنكرات وطرق السيئات. لانه مما لا شبهة فيه ان كل قارئ يوجه فكره الى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام ويغفل عن غيره . والجرائم المشروحة في هذه القصة إثارة على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرظناها من قبل فانها جاءت على الشرط لانها ذكرت منكراً معروفاً فاشياً في مصر وبينت سوء عاقبته فلذلك اثنينا عليها واثكرنا على هذه ولعل كلامنا في الموضعين يكون حاملا على الرغبة عن الضار الى الرغبة في النافع والله الموفق

(روايات الحداد) أحسن القصص التي تنشر في مصر لهذا العهد عبارة ما عربه فقيد التحرير نجيب أفندي الحداد، وقد اهدي الينا ثلاثة منها منذ اشهر اخترنا

احداهما واستعار الاخرى أحد اصدقائنا ولم يردها فكتبنا هذه الكلمة لئلا يتوهم المهدي أننا أغفلنا تقريظهما اجحافاً بحقه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(ألقاب التعظيم) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات الأعاجم المفضولة وهي اضافة ألقاب التعظيم والتبجيل الى أسماء الاشخاص عند ذكرهم في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المفضول بالفاضل ، وساووا العالم بالجاهل . وانا كنا نألم لاتباع عادة الجرائد في ذلك على تحرينا القصد فيها وترى النفس تنزع الى اتباع سلفنا فيه ولكننا نرجئ ذلك حتى كان في هذا الجزء أن كتبنا نبذة من رسالة الكسائي وذكرنا في ترجمتها اسم طابعها واسم المهداة اليه مقرونين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث ان نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرهما مقرونين بلقب ما فتنبهت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترميج تلك الألقاب التي كانت كتبت فرمجت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الا اللقب الذي يميزه في نفسه أو صنفه كالشيخ والبك والأفندي . ومن كان غير معروف للقراء نعرّفه بجملة خبرية لا بألقاب مفردة ينعت بها نعتاً ، وتنظم مع اسمه عقداً . ويدخل في هذه القاعدة أساتذتنا وأصدقاؤنا فاذا نقلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع) نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . واذا كان الكلام عن الجمعية الخيرية نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا اذا أسندنا اليه قولاً من غير ذكر اسمه فانما نشير اليه بلقبه الذي اشتهر وهو (الاستاذ الامام) بالتعريف . وانما سبق لنا تعريفه بالتعيين لأن لفظ (الاستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق الاسفرايني ولفظ (الامام) وحده ينصرف الى فخر الدين الرازي ولفظ (الشيخ الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فعندما استقر رأينا على أن نجعل لاستاذنا الذي يكثر نقلنا عنه لقبا مختصراً يغني عن ذكر اسمه ووظيفته اخترنا هاتين الكلمتين لانه لم يشتهر بهما أحد . وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لا حق للمشترك أن يطلب جزءاً من المنار لم يصل اليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يحتج

بأنه اذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر الا بعد وصول ما بعده اليه . لذلك رأينا أن نمدّ في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطر المصري . فمن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلا في الحادي والعشرين منه فما بعده فعليه ان يرسل ثمنه ٢٥ مليما سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا . ومن وصل اليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا بالثمن . وربما يعدّ بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء نرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يعذرنا لا محالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن الهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والخشبية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانياً هناك قال: إن هذا الخط أمتن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجى له الا سخاء صاحب المشروع الذي يخلد له بتمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . ومما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على العسكر المشتغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يعملون بجلد وثبات حيّر المهندسين الأوربيين وانوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فعسى أن يوفق للمحافظة على صحة اولئك الجنود المساكين .

(الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بإنكاره مفتي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فيها فعسى ان يؤثر ارشادهما في محو هذه البدعة السيئة

﴿نصيحة للقارئات ومن يسمع من الأميات﴾

إن من خلائق الأنثى وسجاياها ما هو عون للسفهاء على إغوائها وهو أنها تحب دائماً ان تكون موضع الاعجاب والاستحسان . ولذلك يتملق اليها المغرورون ويخادعونها بالمدح والفواني يفرهن الثناء حتى يستميلوها اليهم ويهتكوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأنثى ان تعتقد ان كل من يرمي ببصره اليها يكون مستحسناً لها ناهيك بصاحب التحديق ونظر الترنيق وهو نظر العاشق المستهتر

عادة والمبصبص المتملق اختلاباً وخداعاً فانه يغر الفتاة الغر ويقع من قلبها موقع السهم الذي سقي بالسم . وقد ورد في الحديث « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » رواه الحاكم وصحح اسناده .

بلغ النساء عندنا من الغرور بتطاع السفهاء اليهن انك تجد نساءنا يتلفتن في الاسواق ماشيات ، وينحنين وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحصنات النزيهات ، وان هو الا حب توجيه الانظار ، واعجاب النظار ، وترى نساء الافرنج يمشين قاصرات الطرف ، مستقيمات العطف ، تحسبهن في ادبهن الظاهر من الملائكة المقربين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لانهن تربين على ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يبعدهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر لزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد في الشرع ان المعصية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة وترى القوانين الوضعية عند الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما تبيحه منه في السر

السبب في هذا التبرج والتغنج ، والتشوف والتقصف ، والانثناء والانحناء ، الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا للقلوب . وانها لتكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر الكمال والصيانة ولم تلتفت لكلاب المبصبصين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكالمتها فان هذه الاماديح التي تسمعها منهم تنقلب الى ضدها بعد ان تبعد عنهم فلا تسمع ما يقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاءهم لا يزالون يعرفون قيمة الفضيلة ويحترمون اهلها

هذا اللين في العطف والخضوع في القول قد اطمعا أصحاب القلوب المريضة في كل امرأة تمر في الطريق فلا تكاد تسلم من سفههم او عبثهم امرأة ولا يعهد مثل هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانا لنعجب من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نسائهم حتى اباحوا لهن كل هذا

انا ليسوءنا جداً ان نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا اللين المذموم لا فرق بين المتعلمات منهن والجاهلات . وانا ليحزننا ان نرى التلامذة الذين هم محل الرجاء ، مستنين بسنة اولئك السفهاء ، حتى انك لا تكاد تجد فرقاً بين من نشأ في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يمشي مع اخوانه في السوق خارجين من المدرسة فمر بامرأة فوضع يده على وجهها وعبث ببرقعها ولم ار مثل هذه الوقاحة من غوغاء الحشاشين ، فهل يغر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

الهن . وتصدّيه لاغوائهن ؟ وهل كان مغرماً بتلك المرأة التي عبث بزوقها فكان الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام — اذا فرض — مما يرغب فيه ؟

ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التي اقدمها للقارئات والنتيجة المقصودة هي ان الانسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم ليثبت على التظاهر بالحب زمناً طويلا ليُصدَّق . فيجب على الفتاة المتعلمة أن لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها بمثل هذه المخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في الاقتران بها وكان اهلا لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا يعاملها بهذه المعاملة . من البصبصة والمغازلة . ولكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في كل طريق . بان يحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المعمَّم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يغريه بالطعن في صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) لأن صاحب العمامة حسد صاحب هذه المقالات على ما اوتيه من سعة العلم وقوة التأثير وعلوّ المكانة فحاول ان يطفئ نار حسده بذنوب من ذنوب ذلك الطعن الذى امر به ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات وان انكر من فاتحتها ما عرف حكمته في اثنائها وخاتمتها . وإنه ليعلم ان مثل صاحب العمامة معه كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر الخ فهو لا يراه الا يمين النقص ولا يعتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه . ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمارة . على ان الطعن في مثل هذه الحال . على مثل ذلك المقال . لا يزيد المطعون فيه الا احتراما واجلالا . ولكنه يسلّي الحسود لأن عقله صغير . وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) . اخترع الافرنج هذه الدفاتر التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمحامين . ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفاتر الافرنجية ويتعبون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية لسنة ١٩٠٣ وضمّت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . وجعلت في آخرها جداول لتحويل النقود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية . وجعلت ثمن النسخة ١٢ قرشاً ونصفا صحيحاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب من المطبعة والمنتظر ان تصادف رواجاً عظيما

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للاسلام

(بقلم صاحب السماحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية(١))

(الفصل الاول في رأس مال الاسلام)

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الاسباب الأخرى الكسبية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذه جميعها يأتي بها دور الزمان، وان أخرتها آونة طوارق الحدثان، ولذلك قال (مونتسكيو) و (تين) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى. ومن شاهد رُقيّ اليابان وما كانت عليه الروسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لايشك في صواب ذلك القول المتقدم، وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار النائية من لايعرف البكري، هو من بيوتات الحسب والمجد وقد انفرد في صنفه بتلقي العلوم في مدارس أوربا العالية ونيل رتبة قاضي عسكر من الدولة العلية، وهو في العربية خزانة الأدب، ولسان العرب، يشهد له بذلك شعر فحل، ونثر جزل.

خلدون الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصبيتها في الاصل ، وقال الشاعر : وانما العزة للكاثر . فاذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير ، فان حظه من هذين الأمرين وافر ، وقسطه متكاثر ، واليك البيان

اذا تأمل المسلم في مصور الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد تقسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقتسام عظيم ، ونصيبه جسيم فهو يمتد في فسحة من الارض بدؤها بحر الأطلنطيق ، ونهايتها وسيف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبريا شمالا الى جزر المحيط جنوبا . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأمصار متناخمة ، وأخياف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وآطام ، ووبر ومدر ، وبدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقعة ، وأمرعه نجعة ، فيها النيل والفرات ، وسيحون وجيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراقين ، وبطاح الأناطول وجبالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبعث موسى الكليم ، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طلق ، وماء عذب ، وجو صحو ، حسنات وراء حسنات ، تقصر دونها الأمصار ، وتموت حسرة عليها الأقطار ، ذهب بعض مجوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال المجوسي : وأنتم لو رأيتموها لعبدتموها

***

ثم ان هذه السعة في الارض والبسطة في الخصب التي رزقها العالم الاسلامي أصل كبير في نمو أفراده وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالمكين في السعادة والشقاء والقلة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى لهؤلاء ان يزيدوا عددا فيكثرون وينمون بالفعل فان تعادلت موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالهم لا يزيدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوبئة قاشرة فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدها اكثر ممن يزيد حدودها ببعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف » وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجعل الزيادة في السكان محتمة . ومن شك في هذه الحقيقة احلناه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان اوربا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما يفي بحاجاتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح الناموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يغفل عن المحافظة على ابواب رزقه و يعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك . ولا يكون ثمة للامم الاوربية من حيلة ولا مخلص الآن تتفانى لتبقى فترى اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تليها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لاطعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المعروفة فكل ذي دُربة ورويّة دقق النظر في امر ممالك اوربا ومستقبلها يجدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اه

***

هذا : وربما ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للأمم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فوليتر) في دحضه مانصه : « نسأل من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها كما قال الامبراطور (جوليان) ان الذي اعجبه من أهل باريس هو متانة أخلاقهم وأخذهم بالجد والصلابة والسكون في طباعهم . وها هي أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاما وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغار وان كانوا كبارا . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومتانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن امة رخوة ضعيفة العزائم ، طعمة لكل آكل ، ولِمَ لا يوجد الآن في أثينا مثل (أناقريون) و (ارسططاليس) و (زوقسيس) . ولِمَ استعاضت رومها عن (شيشيرون) وعن (قاطون) وعن

(تليفت) قوماً بها لا يحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانيهم ينحصر في أن يكون الزيت رخيص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى انه كتب مرة في رسالة لاخيه (أقانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزوته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأً ان كان وجد ثمة فلاسفة كبارا أو رياضيين عظاماً . فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيـيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للاقليم أثر يذكر في ارتفاع الامم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .

***

كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين اذا أعجزهم الضعف يوما ما عن صونها حتى يؤوبوا الى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك ان جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيـه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية ولبيان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الانسان اذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعنـدهم انه كما لا يمكن للسمك أن يعيش في البيداء ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للنخلة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن للالمان ، أن ينبت في في السودان . قال (لوبون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الانسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، ووهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر الى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفناهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من القوطيين واحـد في ايطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع انهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بحتة . ولاريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فتهلك هذه الارض ذراري فاتحيها مالم يفعـلوا كما يفعل الانكليز في الهند من ارسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الانسان

اذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً اذا جاء من الشمال الى الجنوب » اه‍ .

*** ***

جميع ماتقدم متعلق بالمكان أي مواطن الاسلام وبلاده . أما السكان وهم الامم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حصى البطحاء ، ورمال الدهناء ، أونجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ماترى :

٩ ٠٠٠ ٠٠٠	في مراكش
٤ ٥٠٠ ٠٠٠	« الجزائر
١ ٥٠٠ ٠٠٠	« تونس
١ ٤٠٠ ٠٠٠	« طرابلس
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« مصر
٦ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان المصري
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« الصحراء الكبرى
١٣ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الذى تحت حماية فرنسا
٩ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الذى تحت حماية انكلترا وفي النيجر
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوها
١ ٥٠٠ ٠٠٠	« الكونغو
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« توبو وقامرون
٣ ٠٠٠ ٠٠٠	« الأوغنده
٣ ٥٠٠ ٠٠٠	« الأريطرا والحبشه
٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« موزمبيق ومدغشقر والكاب والزنجبار وأوبوك وأفريقيا الوسطى
١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠	مجموع مافي أفريقا

وفي أوربا ماترى

٢ ٥٠٠ ٠٠٠	في تركية أوربا
٧٠٠ ٠٠٠	« البوسنه والهرسك
١ ٠٠٠ ٠٠٠	« البلغار والروملي الشرقي
٦٠ ٠٠٠	« رومانيا
٤ ٢٦٠ ٠٠٠	المجموع

٢٠ ٠٠٠ في الصرب
١٠ ٠٠٠ « الجبل الاسود
٣٠ ٠٠٠ « اليونان
٢ ٥٠٠ ٠٠٠ « روسيا أوربا والقفقاس

٦ ٨٢٠ ٠٠٠ مجموع مافي أوربا

وفي آسيا ماترى

٧ ٠٠٠ ٠٠٠ في الاناطول
٤ ٠٠٠ ٠٠٠ « أرمينية
٢ ٥٠٠ ٠٠٠ « العراق
٢ ٠٠٠ ٠٠٠ « الشام
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ « جزيرة العرب
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ « العجم
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ « روسية آسيا
٩ ٠٠٠ ٠٠٠ « أفغانستان
٥ ٠٠٠ ٠٠٠ « بلوجستان
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ « الهند
١ ٠٠٠ ٠٠٠ « سيام
٢ ٠٠٠ ٠٠٠ « الهند الصيني
٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ « الصين

١٩٧ ٠٠٠ ٠٠٠ مجموع مافي آسيا

وفي الاقيانوس ما ترى

٥ ٠٠٠ ٠٠٠ في فيلبين
٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ « سوماطرا
٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠ « الجاوا
٥ ٠٠٠ ٠٠٠ « بورنيو
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ « ماليزيا وغيرها من الجزائر

٥١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ مجموع مافي الاقيانوس

فهذه ثلاثمائة وستون مليونا من النفوس خلف لذلك السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

***

وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنها لم يزل في أمزجتها آثار شريفة وصفات قويمة من أثر دينها وارث سلفها تمتاز به على كثير من الامم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنتشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتسن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنيهم من الوثنيين برفعة في السجايا وشرف في الاخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة النفس فهو سواء في حال بؤسه ونعيمه لا يري العزة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقيات الكمال. وان أردت فالمع بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور في حركاتهم وقصور في هممهم وخصوصاً اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى الملل كطائفة الدهير ومالك.

***

ثم ان هذه الامم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان وتنوعت الاجناس وافترقت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلغى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخوانا. قال تعالى: « انما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الايمان .(١) وليس المراد به حب التربة والمسكن والاهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الاسلام ، ولما نطق الكتاب بالحث عليها والامر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ في سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ في الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الارض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً ولاَ تَفَرَّقُوا » ولهذا ترى المسلمين مهما تباعدوا او تباغضوا لا تزال تعمل هاته الجامعة عملها فيهم يسرون لسرور بعضهم ويحزنون كذلك وان افترقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الاسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تعصباً) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما ترقى اليه الامم ، وتنبعث نحو الهمم ، قال أدمون ديمولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائماً بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حراً ثم قال : « والنصر كل النصر للامم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية »

والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ما تقدم سيرٌ مع سنة العمران وذلك ان أول اجتماع للانسان كان على شكل جمعيات صغيرة جامعتها النسب كبني دار وبني أسد وبني شيبان الخ ثم ارتقى الى جمعيات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقي الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

---

(١) المنار — اشتهر ان هذه الكلمة حديث وقد نبهنا غير مرة على أنه موضوع

(٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سخيفة مثل « الوطنية الحقة » و« الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين و« مهاجرين » لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فانها تعطي كل ذي حق حقه « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ولئن وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين فانما وجد بتراخيهم عرى هذه الجامعة العادلة كما بيناه مرارا

وترى الأمم تقرب من تلك الغاية النهائية بتأليف الأجناس المتقاربة الى جنس أعم كما في الجرمان والسكسون والسلاف واللاتين في ذلك الآن . فاذا تبين هذا كانت الجامعة الاسلامية التي أسست بل لاشت جنسيات الأجناس ونقلتها الى جامعة عظمى يكون فيها كل مسلم اليوم بالرغم من ٣٦٠ مليونا خطوة كبرى في السير نحو تلك الجامعة التي ستضم أفراد الانسان والتي يسعى ورائها الانسان من ثلاثة عشر قرنا .(١) فشأن الجامعة الاسلامية أشبه بشأن الجامعة الامريكية التي تضم الاجناس المختلفة فيها شرقاً وغرباً لتأييد مبدإ (مونرويه)

ولا يقول بعض جيراننا من المسيحيين ان التشبث بالجامعة الاسلامية يفقد المسلمين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا في هذا القول لفقد المسلمون بذلك عشرة ملايين نفس هم كل المسيحيين الذين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من اخوانهم . على ان الامر ليس كذلك فان رابطة تامة تقوم مع هؤلاء المسيحيين مقام الدين فلا يحرم الفريقان من التعاون والتعاضد للعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»

هذا وان الاسلام آخذ في الازدياد والنمو في اكناف الارض بكيفية تستوقف البصر ، وتحير الفكر ، بل هو كلما حزبته الاعداء ، وضايقته اللأواء ، اربى في النماء ، كالشجر اذا شذب منبته زاد ، او الأتي اذا شد طريقه غرق البلاد . وقد جزم العارفون وفي أولهم علماء الافرنج انه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جاريه المسيحي والوثني وعدد الأول الآن (٤٣٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق ما بين الماشي وراكب الهملاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة ملايين وكان مسلمو الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم الأخرى . قال ديمولان: يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣٤ عاماً وسكان المانيا

(١) المنار : يراجع القراء مقالة (الجنسية والدين الاسلامي) في المجلد الثاني من المنار (ص ٣٢١) ومنها يعلم أن الاسلام هو الذي جاء بجمع البشر كلهم فهم يسعون اليه ولا يعلمون

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٩٣ عاماً واستريا في ٦٢ عاماً

والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . قلت مرة للسيد جمال الدين الافغاني ماهو دين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : « إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » وقال بركامتر في مؤلفه عن الاسلام: « هكذا جذب الاسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس بتصوُّر الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكّرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئاً مما يشتهون . واعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه وكلمته (اي كلمة الشهادة) يعتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلي امامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار الدين الذي لا يزيد شيئاً على تينك الحقيقتين ويعتنق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن): « ولا يغيبن عن ذهن القارئ ان تلك الطائفة ... لا تزال حافظة لكل مافي الدين المسيحي من الامور الظاهرة الوضوح القريبة التصديق مضافاً اليه مايوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه احاجي الانجيل التي نحالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما أنه جرّد تعاليمه من كل قاعدة يشدُّ بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحسّ كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم . وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في ايامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عند العجز عن إحداث

مواطئ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذى هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً »
أن دين الاسلام قد انتشر آنفاً من مراكش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو الآن ينتشر في افريقية بسرعة لايأتي عليها الوصف وانا نرى الاسلام أوفق مايكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها . أما الديانة المسيحية فلا تنالها عقولهم وبذا قد نفع الاسلام المدنية أكثر مما نفعتها المسيحية . اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية تحت عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة النفس والوقار وكرم السجايا فيصير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الاناث من خلائق التقوى ويفشو التناصح بالاحسان والأخوة بالوجدان » (*)

(السبب الثاني لانتشار الاسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على الحكمة العقلية . قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الاسلام في القرن التاسع عشر) :

« إن نمو الاسـلام في الهند أمر لاينكر وسببه في الغـالب حكم المساواة بين الناس الذى سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهنـد بحسب مذاهبهم القديمـة ينقسمون الى طوائف لاينبغي لطائفـة منها أن ترقى الى الطائفـة التي فوقها فمن ولد منهم في طائفة دنيا لايجد له مخلصاً للارتقاء الى العلاء والخلوص من قيـد الطائفة الا اعتناق الاسلام » وقال (لودوفيق دوقنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والاسلام) :
« لا يصـل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الاسلام الذى يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد الديانة الاسلامية » (١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الاسلام وهم الصوفية . الصوفية جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام ، منظمة الهندام ، يبلغ عددها مائة مليون من النفوس فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينيـة في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١) إن من أحداث السياسة في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بفمه وقلمه لغواً بالوطنية ويزعم مع ذلك انه يخدم مصر والاسلام !!!

أوربا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الاسلامية مقاما محموداً (١) . قال بعضهم : « ان العالم الاسلامي وقف عن التقدم والغلب أمام الدول الأوربية من مدة مديدة فاستطالت هذه الدول على الممالك الاسلامية وغلب الكثير منها بالقوة

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات والفصوص ونحوهما وأما العمل فهو ارشاد المسلمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وانا نرى في هذه الايام من بعض مشهوري الكتاب انكاراً وتثريباً على عقائد الصوفية وطلبا لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : « ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم أعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن أدهم البلخي وبشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعته . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكماء الاشراقيين . وأخذه اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلا لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها اليها وان ماهو مفتقر في الوجود الى غيره فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (السوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذى أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم فى الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء فى العالم الاسلامي فتراهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى لقب الصوفي

وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد (الحلول والاتحاد) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكليته الى العلة الأولى متشبهاً بها على غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلع العلائق والعوائق (الرياضة والتجرد) .

وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان معدودة مجندة تتعارف وتتناكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيرورة ما يحصل لها به بعد مفارقه الابدان الاقتدار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل بأسمائها وقربوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات (أصحاب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل من طريق الرياضة وكل ما يفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد فى الذكر ونحوه هو لتخليص النفس من الحس حتى تجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه جميعها عقائد وقواعد يجب الغاؤها لأنه لم يجيء بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطل وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطالب ايقاف الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقيه الآن فى الاسلام والتي فتحت للاسلام الآن قدر مافتحته سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح حال الصوفية ونفي الضار عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام

وبهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب الكريم قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون الى الاسلام ويدخلون الافواج فيه كل يوم حتى ان الخطوط التي ترسم في افريقية لبيان حدود الاسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة الى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق في مجاهل افريقية . وما دخل الفرنسيس قرية في الكنغو الا وجدوا الصوفية قد سبقوهم اليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن اطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في اوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم ان مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الاسلام الماضية والمستقبلة

وقد بلغ من العناية بهم ان والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دوبون) عن البحث في احوال الصوفية ففعلت وطبعت اعمالها في مؤلف ضخم ورسمت خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الاسلام بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاستري : « قد فطن المسلمون الى ما احدق بهم من الاخطار وارادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين اشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الايمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الاسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من اول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الاسلامية التي لا حد لها وغير الاسلامية كمبشرين او مستعطين او قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة الى جغبوب الى القسطنطينية وبغداد الى فاس وتنبكتو الى القاهرة الى الخرطوم الى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجذوب وكلهم يلاقون صدوراً رحبة ومنزلة كريمة بين المؤمنين » اهـ

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون). وتكون جمعية الصوفية في الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قد وضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة

وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة واعمالا كبيرة يقوم بها المهديون او الامراء في العالم الاسلامي ثم تزول كأن لم تكن . اما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الاسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوبا. وقال (شاتلييه) بعد ان اطال في وصف انتشار الاسلام في الدنيا وعزا لمساعي مشايخ الطريق: «والخلاصة ان الاسلام مدين بكل فتوحاته السلمية وانتشاره في الاقطار لجماعة الصوفية . فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الاسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) تعدد الزوجات وهو الامر الذي به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث « تناكحوا تكاثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة » (١) وقال تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾

قال دي كاستري أيضاً: « ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب لانتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان اعتقد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود انصار الاسلام الاولين »

(السبب الخامس) — بغض الامم الوثنية للمسيحين وميلهم الى المسلمين بالفطرة قال (كونتانسون): ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والالقاب والمنح ما يمنعونه النصارى. وقال بعض الكتاب : « قد ملأ الأوربيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدوهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الاجنبية من كل سلطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب ما تحرمه القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الاسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التعصب

(١) المنار : رواه عبدالرزاق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلا بسند ضعيف، ولكن ورد بمعناه في مكاثرة النبي الأمم والأنبياء بأمته مايقويه

وبالجملة إن الأوروبيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الابيض من بني الانسان معاملة الاخ لأخيه واللون الاصفر معاملة الرجل لخادمه واللون الاسمر معاملة السيد لعبده ويطلقون الرصاصة على ذي اللون الاسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالانسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان . ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاثراً وحقدهم عليهم عظيما .

وقال (فيلكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانصه : «وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شردوه ولا قسيسا الا قتلوه وكان قد تنصر من أهل اليابان ٣٧ الف نفس فاعدموهم قاطبة» . وقال أيضاً : «ان الصبغة التي تصبغ كل مشكلة أو ثورة في اليابان الآن اتجاهها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج»

وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الاوربيين يعلمون بان الحالة اليوم كما كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وانه لو كشف الغطاء عن الياباني الحالي وزخرفه لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة وراثية فيهم لافرق فيها بين الكبير والصغير والأمير والحقير »

وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقالته عن الاسلام : «وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلا حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين في الصين لايلبثون أن يصيروا مائة مليون(١) فيقوم الدعاة لله مقام الدعاة (لسا كيامونى) وليس هذا بالأمر الغريب فانه لايوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق . فهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها — أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

---

(١) المنار : جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوجي مسلم ذهب الى الصين مراراً فاكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان علماؤهم يهزأون بقول الاوربيين أنهم ٢٠ مليونا

وقال آخر : ان للاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة علية . قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي: ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكيا موني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية »

وقال شاتلييه (ان من تأمل حال الاسلام في القطرين اللذين هما آهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تتداعى وتضعف والمسيحية لاتكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه :(ولم ير المبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجوههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيّف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستنير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ماوراء الطبيعة

---

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس فى التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذى اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره فى القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل فى القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة المحمدية فى الصين وتركستان الشرقية المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٨ اه من هامش كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهمّ الاسباب في انتشار الاسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرّر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي يجافي الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملاك الى هاجر من أجمل الروايات ووصف بادية الظماء ولهف الام على ولدها من ألطف مايقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل سبقها الى السماء فجاءها الملاك من قبل الله : مالك ياهاجر لاتخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعتيه فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ماقاله الاب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت مابشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سراً من الاسرار الربانية » اه

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حظ الاسلام من الارض أوفر حظ وان ارضه له لايمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قويمة، وجامعتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الابصار، وتحير الافكار، وانه لايتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار، واذا كان الامر كذلك كان رأس مال الاسلام من الاصلين الطبيعيين الضروريين لمستقبل الامم كبيرا في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولاينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لابد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة ولله در القائل:

لي في ضمير الدهر سر كامن   لابد أن تستله الاقدار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء وافترق العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الامم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالانسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تغيره الصنعة فهو اذا جاء زمن المشي مشى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجمعيات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسيّر الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيّها وانحطاطها • وانه بذلك تكون الجمعية كالشخص لايبلغ سنّا مالم يمر بالادوار التي تفصله عنه وان تأثير الانسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضعيف لايذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الاكسير الذي يحول الترب تبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (ليبنيز) و(ليكورغ) • ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لايختلف فيه اثنان.

***

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل. قال ليبنيز الحكيم : « لو كان أمر التعلم موكولا اليّ لغيرت وجه أوربا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أحلنا النظر لألفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرذلون نافعون أو مضرون بالتعليم الذي تعلموه وان كل مايوجد من فرق بينهم فسببه ذلك التعليم. وقال (ديدرو) علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فاسباب ثانوية وعلل جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدلنا النظر في حالة العمران ان العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وبيانه أن هذه الأرض وان تنوعت أسماء أجزائها في المواضعة واختلفت ألوان بقاعها في النظر فهي بسيط واحد فيه العامر والغامر والأمم فيه كأمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز عامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالنقم وجبل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي الا ما منعته الناس ولو أمكنهم لقصموا بي حجراً حجراً » فوقع بين القوم بسبب ذلك ما يسمى بتنازع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سيوف [illegible] كل يطلب الطيبات لنفسه ، ويحرص على نزع ذلك من الآخر بقوة بأسه ، معمعة يعيش فيها الجليد ، ويهلك الرعديد ، ويحيى القوي ويموت الضعيف . فلهذا احتاج كل واحد ان يكون أقوى من قرنه فلجأوا في الأزمان الأولى الى القوة الجسمية حتى اذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طمس به قوة الجسد فزعوا الى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الجاهل الآن كالأعزل في القرون الوسطى » . فمن كان اكثر علماً كان اكثر قوة فكان له الغلب والفلج على خصمه وقد يكون هذا التنازع جهرياً وهو معروف في تغالب الأمم بعضها على البعض بقوة الآلات المستنبطة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو التناظر في سائر وسائل الحياة ، فالأمم في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة ، كما قال المتنبي :

إنما أنفس الأنيس سباع   يتفارسن جهرة واغتيالا

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما ان الجندي اذا غالب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسيم وسلاح الآخر الرمح غلب الأول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . وبقدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحط فرد واحد منها الا أثر ذلك في كونها كما اذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالتها حقيقة وان لم تدرك ذلك مشاعرنا .

ومن هذا يعلم ان جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فان صلحت الأشخاص صلحت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »

وقال تعالى: « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى: « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جلّ شأنه: « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم: « كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ »(١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فولتير: « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها ».

ويعلم مما تقدم أيضاً ان الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم او ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعلة أولى هي علة العلل وهي الجهل أو العلم. فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلا قلنا له ان الحكومة لاتكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذّ عن ذلك لاحكم له بل لافائدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تتبدل بموت القائم بها أو نحوه فأخرى تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى. وهكذا من جعل السبب في فشو العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم انها من الدين وليست منه نقول له ان السبب هو الجهل بالدين وهلمجرّا

***

ثم ان العلم له نبعان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فنأخذه من الدين أولا ثم ان أردنا التفصيل في الفروع أخذناه من الحكمة. قال ابن مسكويه: « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة. وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الاداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجّتهم وقف على الصراط المستقيم. ومن خالفهم تردّى في سواء الجحيم. فأما من أحب أن يعلم صحة مادعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ماليس منه أو اخطأوا مقاصده ومعناه. قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه (التربية والتعليم) مانصه:

(١) المنار: رواه الديلمي عن أبي بكرة والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلا

« العلم عدو الاوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولـكنه ليس بعدو للدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار . ثم أنه يوجـد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته . ولـكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذي اكثره وهم أما العلم الحقيقي الذي يغوص وراء حقائق الاشياء لايناقض الدين كما قدمنا »

وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والـكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العـلم ينمو متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلاسفة انتجها أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلســفة العقلاء من سقراط وأرسطو وافلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهــم لوجدناهم من أهـل الدين وان لم يتسموا بهذا لانهم يعتقدون بما جاء به الدين ويتخلقون بالحكمة التي أمر بها أن تكون . قال (كارليل) الفيلسوف في كتابه (الهيرو) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصــف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعا عائشين فيــه ؟ (ثم قال كارليل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكمال في الحياة عائش فيه » اه

ولا فرق مثلا بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوا انك أنت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعــد العامة التي فيه فانما جاء من فساد عرض أوعرام طرأ وهو منه براء . وهــذه الاصول العامة التي هي عمــد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »

***

اذا توضح ذلك وانه لاخلاف بين العلم والدين فلنبين هنا ماهية كل منهما

ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يتسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالا ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً . وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو مالا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة و (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل و (القسم الطبيعي) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الامة ويدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته علم الحساب والهندسة والجبر والهيئة وكالطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لاربت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فمثلها في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغني فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الآلهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (رينان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس في الشرق سواء فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الاولى منها اذ هي للعلوم كالسلك للعقد أو القاعدة للمسائل فإن فقد السلك تبدد العقد أو عدمت القاعدة تناثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وعنهما [illegible] ما نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب انا نرى الانسان اذا اصيب بدمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دملا لا يلتفت اليها وان انهكته في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموه عند غيرهم من الامم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .

ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كملكة النحو في اللسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فتصير الفضائل — كالوقوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه — خلقا له وسجية طبيعية

واما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى مضاداً للثانية ضاعت النفس بينهما ضياع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو معضلات جبرية ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشريح ثم يحاول ان يخيط عرقاً مقطوعاً مثلا ولكن نرى كل يوم رجالا لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الامم ويضعون القوانين ويسنون النواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عملهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يودي بشخص واحد وهذا الخطأ يودي بأمة . وعلى هذا النحو فقس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط اوالفيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية ، ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بانه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغّب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به نفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسمه في ذهننا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم ، فنجد تحته قسم الإلهيات مفعما بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الاولى : « نعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول مادل على الله وانه لم يفتأ يعلن ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اننا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعيات فقد حث عليها في جملة ماحث فيه من النظر في الاكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ليس وراءها مطامع الناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم اذ نراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قروناً عديدة

***

واذ قد تبين أن الجهل هو سبب الأنحطاط وان العلم هو سبب الارتفاع على الاطلاق فيهما فلم يبق خلاف في ان سبب انحطاط الأمم الاسلامية هو الجهل . ولو نظرنا نظرة واحدة في أحوال المسلمين لتبيّن لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا ان بابي العلم هما الدين والحكمة . أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الاول على خط مستقيم . وأذا كان الاول آلة للاعلاء كان الثاني علة الانحطاط . ليس الغاية من الدين مجرد الانتساب اليه فان ذلك لا يهدي الى خير ولا يدفع عن شر وانما العمل والانتفاع بكل ماجاء فيه هو الذي يرقي صاحبه الى ذرى الكمال وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد الانسان انه نافع فيبرأ من مرضه وأوصابه وانما يحصل على ذلك باستعماله والأئتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه . ولذلك حرصت جميع الاديان على تبيان هذه الحقيقة للناس قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وانه ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون ارادة الله » ومهما قلبت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملا فيما وضع له . فهو عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براعة في اختراع وجوه وتأويل مناحي وبعد عن مقاصد . وعند العامة دفتر تعاويذ ورقى وكتاب ترتيل وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الادباء : فات هؤلاء ان يفهموه الاحياء فهم يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فحالهم فيه كحالهم في الدين . فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من نقيضه ولهذا تجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية فانه لا يقرأ الكتاب فيها اذا مضى عليه عشرون عاما

منذ كسرت أقلام المسلمين الاولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك . أين الجماعات المشتغلة بالعلوم الالهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟ أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت مثلما شرح ابن رشد كتب ارسطو وابن كمونه كتب افلاطون ؟ أين من جمع علوم

الاوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني ؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي ؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار الى بلاد الافارقة ؟ أين من جرب في الحراثة ودوّن كابي زكريا الاشبيلي الذى رقت تجاربه زراعة الاندلس • أين من ساح آسيا وافريقية والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الافريقي والبيروني والشريف الادريسي • أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم ؟ أين من دوّن حوادث زمانه يوماً يوما وأخبار قومه خبرا خبراً باختلاف الروايات وتنوع الاسانيد • أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الامم • أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها • أكثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في اعراب البسملة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشيء من الفقه يعلمونه ولا يعملون به وما عدا ذلك فقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو اجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوها

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الاسلام عمرانا وحضارة ورفاهية وشارة — تسعون في المائة من أهلها أميون ولا يوجد الا واحدة في المائتين من نسائها تقرأ الخط • فكيف حال المغرب والتركمان والعجم والسودان ؟ حيثما سرت واين اتجهت وقعت عينك على اناسيّ لو جردتهم في الخيال من القابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء • قال المعري :

لو يعرف الانسان مقداره — لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه — لكان كالمعدوم في وجده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى « وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة » ولله در أبو تمام حيث يقول :

أفكر في احلامكم اين عزبت — فيصرعني طورا وأصرعه الفكر
اذا الوحي فيكم لم يضركم فانني — زعيم لكم ان لا يضوركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

اذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع • فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المعلول على العلة

ولكن ربما رأى الانسان الفساد الحالّ بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أممهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جارحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطرقت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللا وكل مرض ينتج أمراضاً وغدا بينها شبه الدور والتسلسل. فيتيه في هذا التيه ولايدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأيّ دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حائراً بائراً يائساً يرى ان خلق خلق جديد أهون من اصلاح هذا. فلمثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذي ضربه (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (النيفا) في الروسيا وقد جمد التاج ماءها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت المجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المعاول ولا يقطعه الديناميت فقيل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو ضحاها حتى يمحى فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حالم . قال (هوجو) هذه الشعاعة هي (الحرية) وأقول انا هي (العلم) وقد بينا آنفاً ماهيّة هذا العلم الذي ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و(كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وايجاده بين المسلمين فله طريقان وهما ترجمته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العلم (وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) لتكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والسريان والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى انك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه الينا وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا أفراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءا من نقطة واحدة الآن فلا يلبثان أن يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبد الابيد ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر الى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين ، ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق الأول في نقل العلم الى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القولين فنجعل تعليم اللغة العلمية إجباريا وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) ونرفع الستار عن عالم العلم ، ثم نجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها ، ومتى فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ماشاء الله ان ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وحنين ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة وامثالهم ، ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة علمية وذلك بنقل ما جدّ من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول الى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلا ونذيله بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم واصطلاحات الفنون كما هي بعد تحوير قليل تنتظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا النقص بايجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له

***

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم عامّاً اجباريا على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعال) وان يكون التلامذة بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساتذة على نسبة واحد لكل خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكل خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا ، والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

وينبغي أن تكون الغاية عند الكافة من طلب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا ان تكون اداء امتحان واخذ شهادة

ثم ان جدول التعليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ماعداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الخيبة فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الامر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر مانتعلمه في المدارس كأنما نتعلمه لننساه لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ماعندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا: ان ثلاثة أرباع الوقت يضيع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جلسة عامة بأكاديمية العلوم في فرنسا: « اني عضو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولا يجب أن يملأ كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذا الحال فلا تسوق الا الى الجهالة » . واذا كان الامر من الاهمية بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجب ان نجعله في المنزلة القصوى من الاهتمام به ولا نقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

وليس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (مايحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسيولوجيا وعلم (مايحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الالهيات والحكمة الأولى التى هى سلك العلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لابد له من علم (مايحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل

واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذى اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما اجمله في المدرسه الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى اقسام كل يختص بعلم مخصوص .

والاختصاص بالفن الواحد من اهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ماتعطيه من نفسك ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند مايتلقونه في المدارس وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل مايجد في الفن . قال برتلو الكيماوي المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مصنف تنشر في الكيمياء وأحلل ما اجده منها في نفسي تحليلا كيماويا فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

***

وأما المال اللازم لذلك فهو لايتجاوز ريالا واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطلب منها والالحاح عليها والاستمانة في ذلك . أومن طريق الأمة بالاكتتاب العام الدائم والحث عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأيا هو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لاصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة ادارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت ادارة مصلحة البوسطة مثلا . على انه لايعدم الاسلام رجالا في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضى الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التى أخذوا بها والدين الذى انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبا بكر)

أما البحث عمن يقوم بهذا الامر فهو أهم الابحاث وأس المسائل . الذي يقوم بهذا الامر إما الامة وإما الحكومة . أما الأمة فما دامت في الطفولية فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو ان تترك الامية وتشتري الكتاب . واما الحكومة فهي اما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعلمت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيهات هيهات ان تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الاجنبية فهى بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فمصلحتها ان تحول بينه وبين الرشد دائما (١) وإذ قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق امل يرجى وأمنية تنتظر الامن فئة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤلية على عامة الأمة « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الاولياء فهم المسأولون عن خيرها وشرها ونفعها وضرها

لاسبيل الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) ينعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

---

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لابدان يسوقهم دافع المدنيـة وروابط الانسانيـة الى أن يحتلوا بلادهم فيصلحوا احوالها وينظموا أعمالها كما ذكر ذلك (روسفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (ان داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والتغلب على الأمم المنحطة لنرتب احوالهم ونصلح اعمالهم ونرقيهم حتى يصبحوا مثلنا تماما وما نأخذه في أثناء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل). اقول ان هذا تغرير للابصار وتضليل للأفكار. اذ الافرنج قد يصلحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لايفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهندمة التي يضعها الباعة على تماثيل الخشب. زخرف على تربة ، ونقش على خربة. فان الأمة لايمكنها ان تنازع غيرها سبل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شئ • ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فمثلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حالته الاولى •

اما اصلاح الاشخاص الذى هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يدأبون في الغالب لصده ورده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة •

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك

أي دولة قامت,أو راية نصبت ، أوأمة خلصت؛ أو وحدة تألفت، الابالجمعيات ، الجمعية عامل لايموت وأمة في واحد ٠ هل اجتمعت الوحدة الايطالية أو تهيأت الجامعة السلافية والجنسية السكسونيـة ، الا بالجمعيات السرية او الجهرية . هـذه الأمة الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لاتكاد تذكر بين كل موجود، تعمل اعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الأسر، الى اوج النسر، والأمة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لاتنقل اليها قدماً ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده .

ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، ولكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الامة خير من الحياة في موت وانه لا محيص من الصدر او القبر ، على ان كثيراً من بلدان الاسلام الآن مفتوحة الابواب لمثل هذا العمل واخصـها الممالك التي احتلها الانكليز ويقرب سكانها من نصف المسلمين (١) على ان الممالك الاخرى متى علمت ان المقصد من العـمل هو التعليم والتربية . لايكون لها مجال في منعه . فان منعته في الجهر فهـل يمكنها أن تمنعه في السر ؟ وان أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب

اما اولئك الآخرون الذين تراهم ينذرون بفناء الاسلام وانتهاء امده ويستدلون

---

(١) أوجـه كثيرة كانت تحملني دائماً ان أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن يتفقوا مع الانكليز في السياسة العامة سواء في ذلك الذين تحت سلطتهم والذين تحت سلطة الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون ٠

أما الذين تحت سلطتهم فيجب عليـهم ذلك لأسـباب كثيرة منها أن الانكليز يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعليم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة بأن تكون البلاد سوقاً لتجارتهم ومجالا لارتفاقاتهم المالية ٠ ولا شيء أنفع وأجدى على الاسلام من هذه الحرية التي لاتوقف نموه الطبيعي ولا يخشى عليـه أكثر من وقوف القوة أمام ذلك النمو ٠

على ذلك بالاحاديث الموضوعة والاقوال التي افقها اعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد افواههم ونوجع اقفاءهم ونتلو على اسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسلَ رسولَهُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ ولو كَرِهَ المشركونَ » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأبى اللهُ الا أنْ يُتِمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون »

أيها المسلمون جدّوا في هذا امر لتجدوا ، وموتوا فيه لتحيوا ، واعرفوا قومكم قبل ان ينكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل ان تضيعكم ، قد حدثت فيكم حركة عامة فأيدوها

ومنها انه يمكن للأمة الاسلامية اذا ارتقت ان تخلص من نير الانكليز بالاتفاق او بالقوة اذ قوة الانكليز البرية ضعيفة ، وقد صعب عليهم ان يخضعوا ثلاثمائة الف من البوير اخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون اذا اصبحوا مثل البوير

ومنها انه اذا لم تكن الانكليز بين ظهرانيهم فلابد أن يكون غيرهم من الامم الاجنبية اذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فان تسلطت عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو المانيا وفرنسا في افريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على انها اذا لم تنكل بهم فانها تسد ابواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم . هذه تونس ابطل منها الحج ، والجزائر لا تدخلها جريدة اسلامية حرة كالمؤيد وتركستان لا يقرأ في مدارسها آي الجهاد من كتاب الله ، وجاوه اصبح المسلمون فيها من الضغط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسباب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة اذ هذه الدول (ماعدا الروسيا) لا تصل الى ممالك الاسلام الا من طريق البحر ومفاتح البحر في أيدي الانكليز .

واما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز ايضاً لأوجه منها ان مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنبية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الاسلامية مستقلة فابواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فان احتلتها دولة اجنبية فهناك المخافة والخطر . وهذا

وتحملوا فيها الأذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم « ياقومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم »

﴿ الهدايا والتقاريظ من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم . في روم التعلم والتعليم) كتيب لشيخ الاسلام زكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة في العربية وتعريفاتها . أما ماذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . وياليت أهل الازهر يتدبرون قوله ويسيرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم المناقشة بعبارات كتبه . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبعه لان كلاً ميسّر لما خلق له وهم لايراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الجيّدة وهم قد التزموا كتبا مفضولة لاحجة لهم على اختيارها الا تقليد الآخر لمن سبقه في ذلك . وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد امتزجت فيها العلوم امتزاجاً ، فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

واما ماذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند اهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالي بعد الحرب الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحققهم وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه لولا دماء الانكليز وأموالهم لاستولى الروس على القسطنطينية وعلى العجم والافغان وملكت فرنسا مراكش والطليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل وقت الى عضد قوي تتقي به أوربا . والانكليز هم أولى الناس بهذا اذ تجمعهم مع الأمة الاسلامية كراهية أوربا للفريقين وكراهتهما لها

هذه هي أفكاري في هذا الموضوع ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى مستقبل الاسلام لما احتجت للتعرض لها في هذا المقام . اه لمؤلف الرسالة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور ومن اغرب ذلك قوله في الكيمياء : « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله : « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الاصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يبتدئ بتعلم الأصول الاطلاع عليها فانها تؤنسه بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم : « ضد الموجود » مع قوله عقيبه : « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ! ومنه قوله : « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نبهت على هذه الاغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ماقال الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا . هذا وقد طبع الرسالتان أو المقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أشهر من أن ينوّه بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الايدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك انبرى الشيخ احمد عمر المحمصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الابيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباقي قرشاً ونصفا فنحث كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب

(سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسنا مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذى يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيته منتقدا فيه ذكر جمل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير والمعنى صحيح ، ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذى اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وانما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذى ليس مظنة للاقتباس اذ لم يعتمد في مثل هذا المقام ، اما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفريق) وقد أشار الى اسمه بهذه الاشارة (ح ٠ ط ٠) وأتبعها بهذه العبارة « مفتش اللغة العربية في احد المدارس الكبرى بالقاهرة »

﴿ المنار وجريدة « تربيت » الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته

ان العلوم والمعارف في هـذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى ، وأحكمت كما يجب أن تحكم ، ولم يبق الا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة ، والخيالات الواهية ، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي اهواء مختلفة ورياح متناوحة ، يسلكون المناهج المظلمة عمياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد اصبحت مفاتح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة ، وفتح الابواب الموصدة ، واصبح عمر الانسان القصير من جراء هـذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين ٠ والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي يرومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه وأوجاعه هي التي تولد الامراض وتضاعف الاوجاع ، فحكمها حكم الخمرة التي يشربها الشارب في جنح الليل ليدفع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال احمد عبدة الخمر : إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ماشربته بعد فانما كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخمود

لا يبعد فالغرض هو العلم اذ به اصبحت اكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنى وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السراب بحراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة ٠ وأحد تلك البحور الزاخرة التى ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراعنة الذي صار حقيقاً بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة ، وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحد مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متعنا الله بطول حياته — في الجامع الازهر في القاهرة

(الجامع الازهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم)

وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وانّا نكرر الحديث فيها حتى لانكون مدينين بشيء لشرح هذا المطلب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة .

في هذا الاسبوع وردت على ادارة التربية (مجلة المنار) ففاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة باكبر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الاستاذ الالمعي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرته من الفضل والادب

أقول: لم يبق في هذا العصر للأمة المصرية شيء يمنعها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتابها مثل السيد ومحررو أخبارها من ذكرنا قبلُ ومرشدها فيلسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فاذا لم يصل أولئك القوم الى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه وهي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتغني . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح وينجي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار لأجل الوصول الى الحقيقة ومزايا الاسلام ولو أن ابن خلدون الحضرمي كان حيّاً لعلم ما أقوله وأثبته

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ريحانة الفاضل الخبير ، والنحرير الذي ليس له نظير ، رئيس مفاخر قاموس كل علم ، علم الأعلام سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجمالهما . واذا راقت الآراء المعدودة من حكايتنا في اعين العرفاء من الإفرنج فاول تلك الآراء هي تصورات ذلك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله الى اعلى المقامات منتهاه والى أعظم البحور طريقه

ومن هذه الجملة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الاسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول: بخ بخ لمصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعاديات والمدارس كنوز معارف من المجلات المضيئة المفيدة . وما أطيب زمن طلاب جامع

الازهر إذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعلم ، الجناب المستطاب المعظم ، الشيخ محمد عبده سلمه الله تعالى . يحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا مقدارا من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها واذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياه في عنقي .

طالت حياة شيخنا الاجل الشيخ محمد عبده اذ فيها خير المسلمين . وان شاء الله سنزين أوراق « التربية » بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار

(المنار) لقد سبق ان قرّظ المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لاننا نرى أن ناقل مدحه كمادح نفسه بنفسه ولكننا عنينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تربيت) ونشرناه لا لأن صاحب الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء ، وخيرة الكتاب البلغاء ، ولا لان الجريدة لها المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك صاحب جريدة « حكمت » الغراء ، بل لان صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف قراء المنار من أهل السنة ان من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين أن نزع من قلوبهم في هذا العصر تلك التعصبات والتحزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم ، وفرقت كلمتهم ، فذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، تقشعت الظلمات وانجلت الغياهب عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصلحتهم واحدة لان جامعتهم واحدة وهي جامعة الدين الحق الذي جعلهم اخواناً . صار المسلم في فارس يفرح لاخيه المسلم في مصر اذا أحسن عملا ويحزن لاخيه في مراكش اذا أساء صنعاً ، وكذلك حال المصري يبتهج بما يسمع من حسن حال اخوانه في ايران . ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوجستان ، الا ما يلغط به بعض الاحداث ، وان لم يصادف أقل اكتراث ، فلا وطنية ولا عصبية ، في هذه الديانة الاسلامية ، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخينا صاحب جريدة (تربيت) حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا . أما ما قاله في الاستاذ الامام ، فهو الذي اتفق عليه ذوو الافهام ، ولكن الشرط في حصول المراد ، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوربجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر أحياناً في أفراد لايهتدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية مايندفعون الى القيام به من

الاعمال النافعة والمشروعات العامة . وانما يتعلل علماء النفس والاخلاق في التعليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وقالوا ان لله في بعض البشر عناية أزلية ، وفي بعض القلوب الهامات خفية ، وليس هذا وذاك من الشذوذ عن النواميس الفطرية . ولكنه غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس

مصطفى بك الشوربجي تربى في الحقول والمزارع لا في المكاتب والمدارس وهو لايقرأ الكتب والجرائد التي ترغب في انشاء المدارس والمستشفيات . وقد وفق منذ سنين الى انشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلده (بمديرية البحيرة) وأوقف عليهما من الارض ما يفي ريعه بنفقتهما ثم انه صار يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) لمساعدة أراضي اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء . وبعد ان وضع المدير الحجر الأول الأساس على الطريقة الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال مافتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الانسانية . ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الاطلاق حتى ان إنشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد . ثم الانتقال الى حث الاغنياء على إنشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون فى اللذات الحسية وان أوهمت المظاهر الصورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف وكان فى أيام الجهل محصوراً فى الإنفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لايرون الشرف الا فى العلم والسعي فى نشره أو القيام بثمراته فى نفع الناس فعلى من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً فى الدنيا أن يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد أن يكون سعيداً فى الآخرة أن يسعى فى ذلك أيضاً

ثم انتهت بعد هذا على إقبال القبط على تعميم التعليم وتثبيطهم المسلمين فيه مبيناً ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت فى فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغابن بينه وبين الفريق الجاهل فاذا كان هذا على نسبة قريبة منه فى العدد والثروة يسرع اليه الغلب والتلاشي ويسود العلم على الجهل سريعاً كما يرشد اليه قوله تعالى: «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون».

أي الذين يصلحون لعمارتها والعمل بسنن الله في ترقيتها ، واذا كان للفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون التنازع شديداً ، وخراب البلاد وشيكاً والنتيجة أن خير البلا في أن يكون أهلها متفقين على عمرانها ولن يتفقوا في العمل حتى يتفقوا في العلم بالمصاحة . وذكرت أيضاً العلم النافع وأنه مايصلح العمل للدنيا أو الدين أو مايصلح الاعتقاد ويقوّم الفكر . ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على مجاراة وجهاء المنوفية في انشاء المدارس وعلقت الرجاء بسعادة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق

ثم قام ابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن . وان الناس كانوا يتفاوتون بالسجايا الفطرية فصاروا يتفاوتون بالمعارف الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل موتاً حقيقياً وضرب المثل بهنود أمريكا الذين انقرضوا لأنهم لم يقدروا أن يعيشوا مع المستعمرين العاملين — الى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتنويه المؤيد بها . وقد ضم الخطيب صوته الى صوتي في تعليق الرجاء بالمدير

ثم قام جندي أفندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه ان الذي حمله عليه هو ماقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه . ثم ذكر مآثر المصريين مشيدي الاهرام وذكر ان السبب في سبق القبط المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات واطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله اهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشورنجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة . ثم انصرف الناس داعين شاكرين .

(المستقبل للاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجليلة ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة . واذا كان هذا رأي شيخ عامة المسلمين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية ..) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب . وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل للاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ — ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

أيصومون ولا يصلون وهم مؤمنون

اذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي ينظر في إحكام عرى الارتباط بين المؤمنين العابدين لتتأكد أخوتهم ، وتبرم جامعتهم ، وتتحقق وحدتهم ، وقد اهتدى علماء الاجتماع في هذه العصور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتمدد ما به يكون اشتدت الأواخيّ وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد كالشخص الواحد. فتراهم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زيًّا واحداً ويأكلون في وقت واحد ويتنزهون في وقت واحد كما يتعلمون على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد. وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت واحد يتعاطفون ويتعاضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطلب مرضاته فصلحت نفوسهم وسمت هممهم وتهذبت أخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والأكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصلحت احوالهم باطناً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: « إن هذه أمتكم امة واحدةً وانا ربكم فاعبدُونِ » أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو – تزول حقيقته المعنوية اولاثم تزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحيّ بقاؤه ببقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه الفساد ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الاطباء الروحانيين او إهمال خواص الامة لهم وتركهم طبّهم لارواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الامراض التي تلمّ بهم مستلذة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسيّة لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها إياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكّر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فترى انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند الفطر والسحور

اذا تذكرت ان تغيير مواقيت الاكل انما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسومهم وتعويداً لهم على حكم قوام النفسية كيلا تَفْرُطَ عليهم وتطغى ليستمدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . واما الصلاة فكل قول من اقوالها وكل عمل من اعمالها فهو ينفخ هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لان فصلا بعيداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الاتيان بصورته كالفصل بين خَلْق الانسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

اذا قال مقيم الصلاة : الله اكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى اكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتنزيه وتستولي عليه هيبة الكبرياء والعظمة . ثم اذا قال : وجهت وجهيَ للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضرٌ أنه يعبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه ») فان نفسه تسمو عن الالتفات الى الدنايا ، وتسمو عن الاشتغال بالخسائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك اذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وفقهت سر ذلك القيام والقعود ، والركوع والسجود ،

كأني ببعض المنكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والناشئين معهم يقولون : إنَّ هذه المعاني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سانحة ، وموازين غير راجحة ، . وعذرهم في ذلك الحرمانُ ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، ولست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمشار

القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجامع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاء الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؟ أيتصور ان يكون لعلة واحدة معلولات فتوجد ويتخلف عنها اول تلك المعلولات وأولاها ، ثم يوجد اضعفها وأقصاها ؟ هذا موطن من مواطن العجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجامع الايمان وترك الصيام لا يجامع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجاراة للاهل والجيران ، فهو عادة لا عبادة ، ولو تركه المعاشرون والاقران ، لما بعث عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يبالون بالعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يعتقدون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يجاملونهم من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تاركي الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها لمرض الجهل والكسل لا لمرض

الارتياب او الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً فيه تقوى الله تعالى في امور كثيرة فهو يظمأ ويصدى ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له ان يكون ضعيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يعصي الله لاجلها . فان لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الاجمال

اما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند ابناء العصر الجديد وبعضها عند ابناء العصر العتيق . يقول أبناء العصر الجديد : ان الله تعالى لا يعذب الناس اذا قصروا في عبادته لان الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لانفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والغش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول اشتبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا ان نقول لهم صدقتم في قولكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لنبيه « وما ارسلناك الا رحمةً للعالمين » وقال في خطاب المكلفين « ولوْ شاء الله لأعنتكمْ » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريدُ اللهُ بكم اليسرَ ولا يريدُ بكم العسرَ » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعلَ عليكمْ في الدينِ من حرَجٍ » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وانما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضارٌ لانه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياب فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم الفواحش والمنكرات فتذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بلادهم بالسلاسل والأغلال

وتسلمها إلى الأجانب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدهم الاستعداد الفطري وما يسمونه (الظروف) والوراثة الطبيعية لسلفهم المصلين على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهم المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شر يصيبه حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي اذا أصابه الخير امسكه عن إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنىً عن هذه الصلاة؟ وإذا لم يكونوا في غنىً عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق لذين تمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لهيأة الصلاة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم العقوبة على ترك الصلاة غير سديد وأنهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى العقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفحشاء والمنكر لفقهوا معنى كونها رحمة تزكي النفس فتفلح في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تُدَسّي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتملكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله معناها وما وصفها به الكتاب العزيز لفقه ذلك . ولو علم انها الآية الكبرى في انقلاب أحوال مسلمي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستغنينا عن هذا وذلك في تعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، واقناع المجادل،

هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما نقول لهم الآن بالايجاز، وان لنا لعودة نفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله ، وأما ابناء العصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى أصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغل أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرور بالله والتشدق بذكر الرحمة والمغفرة . وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهدم أركان الاسلام وترك شعائره فكاد ينطمس مبناه، بعدما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة المقلدين، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بهم تنفق على اعواد المنابر بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى: وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه. لذلك نرى اكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكون، ومنهم الذين لا يحلون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة . فهو الرسم الباقي عند اكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطراً كبيراً على الرابطة الاسلامية . لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطعن بعقائدهم او يستأثر بسياستهم . ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدق بكلمة الوطن او الامة . واعجب العجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهر انه يتمنى عزته . ويحاول خدمته .

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها تثاقلا من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانا أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء . وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين ، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين ، فأما الطهارة فالفرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتحراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليتحر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولماذا يحتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركين احتياطاً . بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيءٍ فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيءٍ اذا روعيت السنة ونبذت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيءٌ من ماء وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يمسح على ما يستر رجله ولو جوربا من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تمدد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرهما وهو ان

النبي صلى بالصحابة الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد اوّل اكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الاولى والتعجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لئلا يحرج امته » فدل هذا على ان هذا الجمع رخصة والعزيمة في اداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة اولى من الترك كما هو واقع ٠ كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتثاقلون عن اداء الصلاة يغسل أطرافه عند القيام من النوم فاذا جعل ذلك الغسل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكراً لله تعالى وحفظاً لافضل شعار يربطه بأمته وتعليما لمن يعيش معهم للدين بالعمل او حملالهم على التأسي به فاي ثقل عليه؟ ثم اذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن الى الراحة او وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فاي تعب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؟ وكذلك وقت العشيّ عند ما يستريح من عمل النهار

اختم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم ٠ وهي أن الامم الحية تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وان كانت تعتقد انها وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك الا اذا تبين لهم انه ضارٌ ضرراً كبيراً لا ينفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه ثم إنهم يتروّون في ذلك التروي الواجب ٠ فما بالكم وانتم تقلدونهم في الزي والحركة في الطريق (لا في العمل) وفي الماعون والاثاث لا تقلدونهم في الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم ؟ تعلمون انهم ما تركوا شيئاً الا بعد ان استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فماذا استبدلتم بهذه الشعائر

الاسلامية النافعة ، والروابط الملية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير تحلون عرى جامعتكم التي فيها عزكم وشرفكم في الدنيا وسعادتكم في الآخرة وأنتم لاتشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفلحون ،

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَهُمْ يُنْصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرئيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايمان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانه . ثم امرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبخهم على نسيان أنفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى مجملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام لكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمه أرجى

﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آمالا كباراً ، وهاج من قلبي مرامي بعاداً ، ورأيته يتفق معي في الغاية؛ ويلاقي قلمه قلمي في النهاية ، الا انه سار اليها من طرق المعارف التشريحية؛ وانتحى اليها وجهة علم الظواهر الجوية ، وناط ذلك المستقبل بالقواعل الطبيعية ، والاحوال الوسطية ، من كثرة السكان ، وخصوبة المكان ، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان ، وهي قضايا يتناولها النقد ، ويمكن فيها الاخذ والرد ، والإقبال والصد ، إن رضيها (جوستاف لوبون) رفضها (لينيه) و (كاترفاج) و (داروين) و (وروسل ولاس) و (هكسلي) و (لامارك) و (كوفييه) و (بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين . على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري افكار الافراد لتسكين الخواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم، والنور الصريح، والكلمة العليا؛ والمحجة البيضاء، أنشودة الانسان، وضالة العرفان؛ ونظام العلم والدين؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فسينشره غداً لهاميم الفلسفة الحسية ويآفيخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخروية فقط هذه بعض مزايا الاسلام ونتايج بسيط تعاليم نسردها سرداً لبعض العقول البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الا من أجلها؛ أما غدا وليس ببعيد يوم تجيئ دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة الصماء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والاميال البهيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني، كما انقلب من حال فطري الى حال فكري عقلي؛ فتشرق الروح في سمائها، وترعج الانسان الى أداء مطالبها؛ وتصيح به لأن يعرج بها الى محتدها؛ ويصعد معها الى أوجها؛ كما كانت ترعجه المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لعروجها؛ وترتاد طريقا لصعودها؛ تلتفت الى جثمانها فتراه عبئا ثقيلا؛ ومانعا كثيفا؛ وأنى له اختراق طبقات اللطافة الملكوتية بها؛ وكيف له السبح في العوالم النورانية معها؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية؛ وأغذية دهنية وشحمية؛ وألبسة قطنية او حريرية ، بل تنازع فى كيفية اعتمادهما معاً على السبح فى سبحات النور الاقدس؛ والجري يداً بيد فى باحات الكمال الاقدم.

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله الآن الا كبار الافئدة كبار العقول . هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان العدالة المطلقة والمؤاسي ببراهينه الشافية القلوب اليائسة . هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لا أرواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها للاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فمستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بعلو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به ديناً إلهياً؛ ووحياً علوياً؛ ولكن متى نصل اليه؛ وأيّ نوع من أنواع الوسائل نعول عليه؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد . يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها؛ ومشاطرة الاجانب فى لغاتهم والتعمق فيها؛ ويرجو لذلك أن تعقد جمعيات؛ وتشكل هيئات، وتنضم أصوات وتتحد وجهات، وتتفانى هم أبية؛ وتتكاتف عزائم إسلامية، وتبذل أنفس عزيزة وأرواح؛ وتباع فى سبيل الوحدة بيع السماح؛ وكلها مطالب سامية؛ ورغائب عالية؛ ولكن هل تتحقق؟

لنجل فى إمكانها نظراً؛ ونعمل فى احتمالها فكراً؛ فإن لاح لنا برق امل ضممنا صوتنا الى صوته؛ والا أبدينا فيها رأينا؛ وعززناه باسلوبنا؛

حكم السيد بان لا وطن للاسلام ولا جنسية ؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الايمان ووشيجة اليقين . فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لان تضم اجزاءنا وتلم شعثنا وتوجه عواطفنا الى الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظاماً ؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعا جساماً ؟ يضرب لنا السيد مثلا بالجمعيات الاجنبية التي تألفت للوحدة الايطالية ؛ والجامعة السلافية ، والجنسية السكسونية ، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية ، ثم قال انها « تمثل أعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الاسر ، إلى أوج النسر ، والامة الإسلامية التى ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد . ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدما ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده » ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الاسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، لكنها الهزيمة التي ترى ان الموت في حياة الأمة خيراً من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر . »

نقول ولسنا بجبناء ولا مفقودي القلب ولا يائسين ولا مغترين : لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي — ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العمراني . ولو كان قبل ان كتب مقاله تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بعشرين سنة وكان فيها من ضروب الحض والحث والتحميس مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثرا ؛ ولم تحقق

لكاتبها ولا لخلافه أملا ، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات ، والإصاخة لتلك الحيوات ، أمر جلل وخطب كبير . وللتراءت له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجع دعاء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الانسان لا يعمل عملا بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمله او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعا عن حقيقتهم وقراعا دون حريمها ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للاسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكنني لا أحب أن أجعل للخيال سلطانا على قلمي ، ولا للحماسة التي تنطق بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي ، بل أعلم أني عائش في عصر الفلسفة الحسية . والمدنية المادية . والمعارف الطبيعية . وصرفت زمنا ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتي التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من اصولها تهنا في تطبيبها وضللنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات معاً وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الاجنبية , كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكه به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيئاً لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الاجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريحية ، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منهما ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماويا ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الاجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضنون عليه

يقولون يامعشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم أنه ليس دينكم الا أثراً من آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (معاذالله) بأن نواميس الكون كافية في تعليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لتوهم عالم علوي بعد هذه المرئيات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فنائه وتبعثر ذراته فها تبطله الشواهد العلمية ،

وتحليله البدائة التشريحية ، فقد قرر العلم (معاذ الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية، ولا ميزة له على سواه من الانواع الحيوانية، بل ليس هو في ذاته الا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والإدراك . واذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدلك تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الانسان ولا هو وصفه المميز . فاذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة الى الحيوانات أيضاً ؟ أليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا امعان ؟ أما الفضائل التي تقرعون الآذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بسلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وان لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعاليم من التعاليم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الامم الحية ظهور سائر آثار النواميس الاخرى فلا علاقة لها بالدين البتة . ألا ترون أن كثيراً من المتدينين بمعداءعن الفضيلة منغمسون في غمرات الرذيلة . ودونك الاحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الانسان ترى أن أكثر اصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فريرو) و (سيرجي) ترى العجب العجاب . بل انظر بعينيك الى الامم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيرة على اليقين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها الامم التي تركت الاديان ، وجعلتها خبر كان ، والتفتت للمدنية ، والعلوم الطبيعية ، فاصلحت شؤنها ، ودبرت أمورها ، فقامت على قطب الاستقامة والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ؟ كما صارت بالنسبة اليهم علما في فضائلها وآدابها ؟ اذا كان لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضللة للمدارك ؟ إذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طبيعة علوية ، وانه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ، فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم ؟ اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره الا بطابعه فلماذا حرمتم من أصغر أنواعها وسبقكم في باحاتها من يقول أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والرذيلة كذلك ، تنشأ الاولى عند ما تكون شؤن تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟؟

اما ما تزعمون من أن لا قوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم سوى حبله المتين ، فما لا نحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ، فدونكم الامم الغربية الكبرى قد بنت عظمتها علا شأنه وأقامت وحدتها بنابذة أشياعه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المعالي أثراً جديداً ،

وفي حدائق الفخار والمجد صرحاً مشيداً ، فان كان الحال كما تزعمون فما هذا الاثر المنعكس ؟ وما تفسير هذا الامر الملتبس ؟ اليست كل هذه البراهين المحسوسة دالة على انكم متمسكون باقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود شاهد ، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع ، لا جرم أنكم تتأخرون ونتقدم ، وتخضعون ونحكم ، ولا غرو أن علونا وسفلتم ، وتعززنا وذللتم ، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم ، واستغللنا خيرات الطبيعة وحرمتم .

كل هذه الشبه المتماصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتأثت باكثر العقول أقدارها ، وتسممت الفطر بسمومها ، وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية التي نهلت من دن العلوم الاجنبية خالصها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجعلها مع هؤلاء ولا هؤلاء ، وكفى امة عجزاً وضعفاً وقصوراً وتأخراً أن لا يكون لشبيبتها وجهة تسير عليها ، ولا غاية تقصدها وتتوق اليها ، وتدأب للحصول عليها ، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد الاجنبية محلاً عليّاً ، وجعلتهم ينبذون معتقداتهم ظهريّاً ، ولكن قام مقامها لديهم موقتاً غيرة قومية ، وحمية جنسية اولغوية ، لمت شعثهم وضمت اجزاءهم حيناً ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا انه مصدر رقيهم ومنبع نظامهم والتئامهم ، ومنشأ اقتسامهم وتأخرهم ، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء ثم لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمن وراى قادتهم ورؤساء معارفهم ان هذه خطة عوجاء ، وسراب ليس وراءه ماء ، وان بالادمان على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي

تطفئ نور مدنيتهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم مناهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تعطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنت فطرهم اليه حنين البائس ينتظر فرجه ويتنسم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحسية فلسفة (اجوست كونت) وأشياعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لايمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لايمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهما لاحقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياع من قبيل مالا يمكن إثباته ، وما لابد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلا وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالأعناق خضوعاً، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعاً. فنشأت أبحاث سموها (ايبنوتزم) و(مانيتزم) التنويم المغناطيسي و (اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدل منها عليهم على أن للانسان روحا وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والمجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألفوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المعارف العظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفننين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يقعوا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبيبتنا التي جرعت من حوض علومهم وشحنت في أدمغتها صور معارفهم لم يشاؤا أن يوسعوا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لاتنقع صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (لفوازيير) و (توسيلي) و (ماريوط) و (فولطا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا شكلا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كونت) و(داروين) بدون أن

يكلفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبيهما ، ولا أصول نظرياتهما ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا (اوجوستيين) و(داروينيين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتهما لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه مسالك الاستقراء والتحليل • ثم انهم على فرض تعمقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتفانيهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النشأة صاروا لهامة علوم العصر تاجا وفي ذروة العلاء الاسلامي علماً ، ولكنهم ويا للاسف قليلو العدد مبعثرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما نتألم ويرون أدواءها مثل ما نرى •

هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفتها الينا مدنية اوروبا والصقتها باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصبيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج بيع السماح ؟ اللهم لا • أذن فلنختر احد أمرين اما أن نقلب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيهات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة • وإما ان نتعهد رابطتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الاذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية التائهة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدامغة • وأنوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صلى اللهم عليه وعليهم وتابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : مادخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوربا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كلٌّ يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر • وقد كنا شرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام • ومستقبل الاسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الاغراض التي رمى اليها ونتائجه صحيحة وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب اليه بل التخيلات الخطابية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثير فيما يحمد وإنما يذم اذا كان خلابة وخداعاً . وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا يرجى للرجاء السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا استدلالا بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فإن كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وإن عقلاء المسلمين يشتغلون الآن بما طالبهم به السيد وانما مطالبته لزيادة البيان والتنشيط والكمال . وإنما لم يظهر أثر كبير لسعيهم لضعف الاستعداد . لكل أجل كتاب . وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السديد . وانه لمن نبأ بعد حين .

التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أمرها مبهماً . ومستقبل أمرها مجهولا وتعليق مستقبل الاسلام عليهما لا يحث المسلمين على عمل ، ولا يحيي في نفوسهم ميت الأمل . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليقة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للاسلام لأنه دين الفطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العليا عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي أضيفت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سير البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكاتب الثاني إعمال قلميهما في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبا لا يمنعنا من نشر ما كنا شرعنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿ تتمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى ﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال (الخطيب القازاني) : إن الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه وانما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المبين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علما وافياً فيريد ان يتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد أو عمرو او بكر أصحاب الاقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهاتر فهل من مانع في الاسلامية يمنعه من ذلك

فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المتقولة مذاهبهم فانطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ

فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولاقتضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما اخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولا شك ان الاثنتين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فأين يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرها ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائعها عما دونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطبيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع اوسام فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يهملهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وإننا لنرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدروا ان يطلعوا على مالا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولا) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل وندر تخالفا مهماً مابين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله ومالا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك كحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كأصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذى يتقيد بتقليد أحد أولئك الائمة ولاسيما الامام الاعظم منهم لايتخلص من قلق الضمير أو يكون كحاطب ليل وعلى ذلك لابد للمتحري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عمن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لايجوز العقل ولاالنقل فيه المماشاة واتباع التقاليد .

أجابه (المفتي) نحن لا نجزم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلدمنا اما أن يقول بإصابة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تجامون المفاضلة بين الأئمة واعترافكم باحتمال المذاهب للخطأ يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لاتنطبق ولا تعقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المبتلى لنفسه فاذا تحقق عنده شئ عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والا كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

أجابه (المفتي) اننا لبعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطاء .

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس مالم يكلفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان معذوراً ويكون ذلك أولى من أن يأسر نفسه

للخطاء المحتمل من غيره .

أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافيات فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ولا سيما اذا كنتم لاتجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن اسراء النقل وان خالف ظاهر النص .

أجابه (المفتي) انا اذا أردنا ان لا نعدّ من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة او الاجماع تضيق حينئذ علينا احكام الشرع فلا تفي بحل اشكالاتنا في العبادات ولا تبين احكام حاجاتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يعمل برأيه في في غالب دقائق العبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بمحاباة شرعية وهل من شك في ان اطراد الاراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من عدم الاطراد والنظام .

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطرد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجاب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا أن نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضعي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم اهل الغرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً لاختارها الله لكم ولم يعفكم منها بقوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتعلق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً) وقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الخير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤونكم لتوقفوها على مقتضيات الزمان ابي النير وموجبات الاحوال التي لا تستقر فناه عليه اذا أتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب بباحتها يكون خيراً من أن تأتوها وأنتم حيارى لا تدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتعيشون و أفئدتكم مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيما . وليس هذا من مخافة الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدين بل هذا من الارتباك في الراي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي انتم عليها من التشديد والتشويش في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت (ارثوذكسية) مغلظة أو (كاثوليكية) متشددة يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤن تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا ما يلقنونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا الأنجيل أو يستفهموا عن معنى التثليث الذى هو أساس النصرانية كما ان التوحيد أساس الإسلامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أى الطائفة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيدات والتشديدات التي لا صراحة فيها في الأناجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فانطفت أيضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الخواص لان العلم والنصرانية لا يجتمعان أبداً كما ان الاسلامية المشوبة بحشو المتفننين تضلل العقول وتشوش الافكار .

أما الإسلامية السمحة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يزداد ايماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الاسلامية هي أحكام القرآن الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في الصدر الاول لا يوجد فيها ما يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفا انه على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً تمخضه أفكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » بل الأمر كما نبه اليه

المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة بالتلميح أو التصريح في القرآن، أودع الله ذلك فيه ليتجدد إعجازه ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان.

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات.

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يعزى اليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع ان في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية ألوفا من المقررات المبتكرة يجلي عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان.

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلا وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقتداراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزما بتصديقه في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني الى الاسلام فلبيت والحمد لله وعندي ان لو قام في الاسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله. ثم قال: واني أرى انه لا يمضي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام، ويفيضون بها على الأنام، حتى على أهل الركن والمقام، ولا يبعد أن تأتي الايام بالبرنس محمد المهدي الروسي أو الانكليزي مثلا قائماً مقام الإمام، معيداً عز الاسلام بأكمل نظام.

أجاب (المفتي): لا مانع مما ذكرت، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام، لا يختص بقوم من الاقوام.

ثم قال (المستشرق): أيها المفتي المحترم لا يطاوعني لساني ان ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك انما أناشدك بالله وبحبك لدينك ان تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتعينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته ليكون سعينا هذا ذخراً عظيماً ننال به فخر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس الى هذا الدين المبين. ولا يكبرن ما أقول على فكرك فان أهل هذا الزمان

المستنيرين الاحرار لايقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين المربقين تلامذة المدارس المصرية من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يعادل أجرها أجر نبي مرسل والله المعين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للاحاطة وحصول الثقة وأسوء الحظ لايوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك يتحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن يلهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول لتعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) انى أرى ان الاسلام اصابه فتنتان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق مايتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) لم تزل مستمرة وهي ان الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقرباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافيات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندرست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ماعنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

وتقرير علل المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفلين شاركوهم في الفتنة وهم لايشعرون كما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ،

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لأن مجال التحكم واسع وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الاكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لايميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل مايجدونه مدونا بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافيات مداراً لتطبيق الاحكام على الهوى لايبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواتقهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف ظاهر النص يزعمون ان اختلاف الأئمة رحمة للامة .

ثم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نقمة اذا صار سبباً للتفرقة الدينية والتباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السلفيين وبين أهل مصر والمغرب والشام والترك وغيرهم من المتمذهبين وبين أهل عراق العجم وفارس والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لانقمة وسببه وهو التوسع في الاحكام سبب خير لاسبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لايتصور العقل ان يكون

رحمة لا بقيد حسن استعماله وإلا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثة أو تعصباً ولا بد أن يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أولئك القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الاحكام وان أضرت بهم أو الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاصلية لئلا يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوزه الدين أساساً الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلعين في علوم مآخذ الدين وأكثرهم ولا سيما الايرانيون منهم متفقهون ومتخرجون من مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدوّن عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوزاً واتباعاً لعادة الاعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الا من تقولات السياسيين غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين يجوزون الرأي في الاجتماعيات ويخرجون الأحكام اخذاً من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعاظم أئمة الهداية الأولين فما احرى مجتهدي فارس بأن يلقبوا بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا المقلد لأحد المذاهب اذا اخذ في بعض الاحكام بمذهب آخر ملفقاً وسموا اخذه تلفيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترقيع القبيح والحال ان ما سموه بالتلفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لكل من اجاز التقليد ان يجيزه لانه اذا تأمل في القضية يجد القياس هكذا : يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكر اي يقلد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فينتج عليه يجوز له ان

عامل في كل مسألة دين مجتهداً .

وما الشأن على هذا الاعتبار لمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو مجتهدين تابع لمجتهد فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلا بدون دلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا المقلد صلى صلاة تجزئه عند الله ؟ بلى ثم بلى تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لأنه لا يعقل أن يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد لان الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام . وهل يتوهم مسلم ان أبا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك أو يأبى أن يأكل ذبيحة جعفر كلا بل كانوا أجل قدراً من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال وما كان تخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاعه على أدلة مجتهد آخر او انفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولان الدين يلزم المسلم بأن يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الامام وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامثاله رحمهم الله تعالى كانوا افضل من ان يعتقدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك خالفوهما في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزالوا الى الآن يجوزون الاخذ تارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع أن ذلك هو عين التلفيق فلماذا لا يجوز الحنفية مثلا التلفيق بين اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم بعكس الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لامره تعالى (اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). ه مرحى ه

ثم ختم (المجتهدالتبريزي) مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وانما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب . ولا شك ان ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصمة عار على الشرع حيث لا يعقل ان يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتال . أو ان الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا . أو ان إيتاء الزكاة فرض ولكن اذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — الى غير ذلك من ابطال الشرع وجعل التكليف تخييراً والتقييد اطلاقاً . ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع . ولا شك ان المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة .

بناءً عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاماً اجتهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرتفع الخلاف فتعمل بها الأمة ما دام المقتضي باقياً فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف . ويمثل هذا التدبير الذي لا يأباه شرعاً ولا تنافيه الحكمة نستبدل بتلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية ايجابية لا زيغ فيها ونحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويتخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الاهواء وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة . والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا متجهاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة

قال (الاستاذ الرئيس) انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص ان التلفيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية التي تبحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستتشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وآن أوان الانصراف

باب الاخبار والآراء

(رمضان — المنكرات فيه) هو شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثيره ظاهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد اللهو والعكوف في المساجد وتغيير العادات الآن هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) أضعف منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم أظن لا متأثر به من كثرة المرتلين للقرآن في البيوت ترى أكابر العلماء في غير القطر المصري قد انتدبوا فيه لقراءة الدروس الدينية وإلقاء المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة سواها خالية منهم الآن إلا كالمسجد الحسيني والمسجد الزيني . وأكثر من يتصدى للوعظ الجاهلون الذين يغرون الناس بالاماني ويقصون عليهم القصص الخرافية والأساطير الوهمية . وفي كل سنة نذكر الشيخ علياً الببلاوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القصاصين منه ولماذا يفعل في هذا العام يفعل شيخ الأزهر في المسجد الزيني لا يأذن لأحد بالوعظ فيه إلا اذا وثق بعلمه

اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا عجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلعنا منذ أيام على (إعلان) ينشر في الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعيماً من زعماء الملاهي قد استحضر مغنية شهيرة وراقصة [illegible] لإحياء ليالي رمضان [illegible] ولو انه [illegible] هؤلاء [illegible] الذين يخربون بيوتهم بأيديهم ليعمروا بيوت أعدائهم بقية من الغيرة الملية والشهامة الاسلامية لكافؤا هذا المستهين بهم والمستهزئ بدينهم بالاعراض على فئته وراقصته وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان — أو — المنار والمنارات

سمعنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو أبسط الشهور في الإنفاق يدا ، وأكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب في ذلك القبض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الانفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القربات الدينية ، لا في

الحركات السياسية ، ولهذا لم يكن المنار من الشاكين ، وانما هو من الشاكرين . لان حظه في رمضان كحظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن ، كل منهما وضع لدعوة المسلمين الى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الأيام : أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنار فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنار آكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوته عامة تشمل العقائد والاخلاق ، ودعوتها خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوته يسمعها الالوف ، ودعوتها يسمعها نفر قليل ، ودعوته مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لاهل الإذعان ، ودعوته متوقفة على مدد القراء ، ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء . ولهذا كان إمدادها هذا منتقداً عند المتورعين ، وترك امداده منتقداً عند المتدينين ، وقد سبق الى العمل بهذا الحكم أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهم الفيوم وشبين ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعثرة في الفيوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة وسماع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح واضعها فيها المسجد مدحاً استنبطه من حروفه ، وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطباؤهم مثل هذا الكلام اللغو الذى أمر الله تعالى بالاعراض عنه كما أمر بالاستماع للخطبة حتى ان حاضر مثل هذه الخطبة لايدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال فيهم « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بامتثال قوله عز وجل « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين انها نزلت في الخطبة ؟! أما كون ذلك من اللغو فيعرفه العامي اذا لاحظ ان كل حرف يكون مبدأ كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيسة فالدال اول حرف من كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة

ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الخديو » الخ ثم مضى في كلامه والناس تصفق له لا سيما عند ذكر الامير حتى كأنهم انقلبوا عن الاسلام الى عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدية هي التصفيق ، فليعلم الغافلون ان بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجتنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية . فمن كان مخلصاً لسلطانه واميره فليدع الله تعالى فيها بان يصلح شؤونهما ويوفقهما لما فيه خير الملة والامة وليعلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والامير ، في الخشوع لله العلي الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) ـــ رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاؤها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم يرجع الى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العلية العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً .

وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر العزم على نشره في المنار أن ما فيه من القول بسيئات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئين وأننا نختار حذفه عند الوصول اليه . ولكنا رأينا كثيراً من الناس يفند هذا الرأي ويقول ان قراء المنار كلهم أوجلهم من خواص الناس وأهل الفضل الذين يزيدهم العلم بعيوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في اصلاح ما استطاعوا فيجب أن لا يحرموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية . فلم يقنعنا هذا القول تمام الإقناع وأحببنا أن نستشير قراء المنار الآخرين فمن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل ما فيه عن الدولة والترك فحسبه سكوته دليلا على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ما ينتقد على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولا أو كتابة وإننا نرجح هذا الرأي اذا كان عليه عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده

(أشهر مشاهير الاسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون دمشق كانت قاعدة الغسانيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمات ومساعدتهن للرجال في الفتوح . وبحث الحكم النيابي والشورى في الاسلام . وبحث الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرته العادلة التي تضرب الامم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء . وانا نشكو من كثرة أغلاط الطبع فيه ولكننا واقفون على سببه وهو أن معظم الكتاب طبع ومؤلفه (رفيق بك العظم) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له جدولا أحصى فيه الاغلاط والحقه به ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ وثمنه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن المكاتب المشهورة

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ — ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

﴿ مصير الامم ، ومصير الاسلام ﴾

كتب الباحثون من أهل اوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام في القرون العشرين فخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان المسلمين سائرون الى العدم والانقراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم بذلك أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم الأمم القوية ويعيشون أذلاء مستضعفين ، الى أبد الآبدين ، ومن ذاهب الى أنهم سينهضون ، ومن بعد غلبهم سيغلبون ، واختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالاخذ بمدنية أوربا وتنشأ في الهند ، فارس والاستانه ومصر ورجح بعض أنها تكون بالعصبية الدينية والقوة الحربية وتنشأ في افريقيا او الصين . وغفل كل من المختلفين عن منبتين آخرين لجلد الإسلام المستقبل وهما أوربا وأمريكا اذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الإسلام ، الذي لا بد أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوربا تطارد المسلمين وتضطهدهم حتى يأرز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تأرز الحية الى جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجلت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يعرفها الاوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فلنترك المنكر في انكاره ، ولنساير المتفكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأنام ، ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، والى اي غاية ينتهي سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدما ، وتزداد الشعوب المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والمائتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر وهل يجرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا العفة والصيانة والتراحم

والتواصل حتى لا يبقى للمسلمين — وقد أخلقت فيهم إخلاق العمران —
من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من الهالكين؟

هل تظل أوربا توائب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه، وعذبت
العلوم الكونية عليه، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين،
كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والغابرين، يتسللون منه لواذاً،
ويمرقون منه زرافات وافذاذاً؟

هل تنبت المدنية العصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب
وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم القهقرى الى القرن
السادس عشر الميلادي فيبتدئ منه؟ أم يكون اول سيره من نهاية
القرن التاسع عشر فتكون مدنيته اسرع واعجل، ومعارفه أتم واكمل؟

اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا
وجوههم شطر المدنية، والتذوا هذا الأجاج من العلوم الاوربية، لا يسعه
الا ان يقول: ان حال هذه المدنية ستكون (او هي كائنة منذ اليوم)
دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الإسلام باسرع مما نبذ اولئك
النصرانية لان لرؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام،
وموظفون يسيرون بقانون ونظام، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام،
ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمناً طويلا ولما دالت للعلم الدولة وفاز بالنصر
سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى إن أزمة المدارس اصبحت في
أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة، ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين
والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع
عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الام المسيحية

حتى أكفرها بالدين كفرنسا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للاكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلما كان من اولئك

ترى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على اعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء وليس له من الاستقلال في عمله مثلما لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الحج خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله ! ! !

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إياهم خاضعين للأجانب إما ظاهراً وباطناً وإما باطناً فقط . وإذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم بشيء من سير الامة الاجتماعي والادبي ولا هم يتقدمون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والاتراك كثيراً ماينبذون الدين ظهريا ، ويحسبونه شيئاً فريا ، ويستحلون الخمور ، ويستمرعون مرعى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، ويأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم ، والرعايا تبعاً لحكامهم ، وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامرائهم وكبرائهم ، أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم ، فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوروبا مدة خمسة قرون قد أنجم ببقاء الدين في نمو وسلطانه في نفوذ وعلو ، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا الا ان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين — قلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون العقد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيه ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لإدراكه وينبو طرفه عما سواه وإن كان واضحاً جلياً . فما بالك اذا كان مايعلو استعداد الناظر الحسير خفياً سره ، مجهولا عنده امره ،

إن سير الامم يشبه سير الظل لاتحد له الخطوات ، وانتقالها يحاكي انتقال النجوم السيارة لاتدركه لاوقفات ، والوليد يعذر اذا انكر سير الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل بعلم الفلك يعذر اذا انكر بديهياً ان السيارات تسير من الغرب الى الشرق لانه يراها تغيب في جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الارض لانه قريب يكون كل يوم ولا يلاحظ سبب تأخر طلوع القمر كل ليلة فضلا عن غيره من السيارات . كذلك يعذر الماجن اذا جاء يدرس [illegible] فيها على الحانات والمواخير اذا قال ان غاية مدنية أوربا الخمر والفجور ولا غاية وراءها . ويعذر كليل النظر اذا جاء مصر [illegible] دون ما كان يسمع اذا حكم على مستقبلها [illegible] ما كان يحكم به [illegible] ويبعد عنها وييأس من مستقبل الاسلام بالنسبة اليها

يعذر باليأس اذا دخل الازهر فرآه كعالم الخيال لا أثر لحال الناس في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القلمية التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل عبارات كتب مخصوصة اختصاراً وتدريساً . ثم رأى أن أهله غير محترمين عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوذي (سائق المركبة) ليسخر من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لمناصبهم التي بقيت لهم او اثروتهم وقليل ما هم

ويعذر به إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ الدين عن المدرسين الاوربيين، ورأى علم الدين كالرسم الدارس، لا يحفل به المدرس ولا الدارس، وظن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية

ويعذر به اذا شاهد الجريدة الهزلية البذيئة تطبع منها الوف من النسخ فتباع بالنقد يداً بيد ويتهافت عليها القارئون والقارئات من جميع الطبقات، يلغون بها مقهقهين ولا مثار للقهقهة والكركرة، ولا للإهلاس والهرنفة، ثم يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قلتهم يلوون ويمطلون ولا يخرج منهم حقها الا النكد، ويعذر به اذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم، واكتشف ضمائرهم وأسرارهم، فرأى اكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي التربية قصيري الآمال لاهمّ لأحدهم الا أن يكون موظفا في الحكومة لا ليرفع شأن أمته ولا ليخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضمونا فلا يتكلف عناء الاعمال، وان كان وراءها نعيم الاستقلال، — ويعذر به إذا رأي الاغنياء والوجهاء لاهمّ لهم الا التمتع باللذات تنبسط أيديهم في الإسراف والمخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط اذا رفع بصره الى الحكام والامراء ورآهم العوبة في أيدي الاجانب، وقد أخذتهم الفتن من كل جانب

هذا ما يراه الطارف القصير، والبصر الحسير، ويبني عليه حكمه الجائر

ولكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيرا طبيعياً، ويتقدم تقدما تدريجياً، يسير بلغته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الاخر كلما خطا المسلم الى المدنية الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدإ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدنية المسرفة المائلة ليرجعها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع ٠

*
* *

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والمتمذهب الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره ٠ وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقي لغة الدين (العربية) وتقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا لفرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فهي الان هذا أغرب عند اكثر القارئين من الاول ٠

كانت أوربا في القرون الماضية تعتقد أن الاسلام دين وثني نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يدينون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم ٠ والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجموا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل الفوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجهلها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة. ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام، ونبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، لأحتجت الى تأليف مستقل. وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي [1] في كتابه (ابن رشد) قوله فيه «دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات» ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للموسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس. ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فمازال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول اوربا حتى خففت انكلترا ثم روسيا وطأتهما عنهم من عهد قريب فاذنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى). وهذه انكلترا التي كانت ولا تزال أبعد أمم اوربا

---

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم، فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتعلق بالاسلام أو تاريخ رجاله العظام؟

وحكوماتها عن التعصب وأقربهن الى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أنه تكون للانكليزي فالاوربي فالوثني فالمسلم فما كان يوظف مسلم الا اذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل العدد الكثير من الاوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وألفوا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يعتقدون بأن نبيه كان يدعو الى هذا الدين معتقداً بأنه ملهم من الله ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة ، ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماؤهم على الاسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد، وإن لبعضهم من الاجوبة عن هذه الامور المنتقدة في نظر قومهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين، وقد قام بعض القسيسين منهم يحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قضت طبيعة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم اليه لانه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعا عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة الى تعدد الزوجات حتى قام من الكاتبات من يدعو اليه في الجرائد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا الى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية

والاشتراكية وتعصب العمال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام

ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن. ان الايات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالوهية هي أقرب الى العلم الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان. ان الوحي الذي يطالب القرآن بالايمان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته . ان الاخلاق التي يدعو اليها القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران ، والعزة والسلطان ، ان أصول الاحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها ما لم يصلوا اليه ، ولو عرفوه لعولوا عليه ، ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري دواء شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء الاجتماع . وان من هذه الادوية ما ينفع بدون الإيمان ومنها ما لا يتم الا به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الامم الراقية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإلهية التي أجملناها الان ، وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلا اذا أمهلنا الزمان

ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالإيمان والتسليم فأسرعت اليهم بالسيادة والسعادة ولكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقوال مقلديهم ولا غناء فيها عن كتاب الله تعالى فجهلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لإيضاحها ما أخفاها فساروا الى الوراء ، يخبطون خبط العشواء ، ولما تكمل مدنيتهم ،

الا ترى مقلديهم في العقائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، الى نظريات اليونان تأثراً بذلك الزمان، ألا ترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا أصول القرآن وما يوضحها من السنة واستبدوا بالعمل، الا ترى الأمة بين هؤلاء الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعوملت معاملة السوائم من الانعام؛ هذا هو سبب ضياع أثر تلك الاصول في سبيل الوصول الى المدنية الكاملة

الاوربيون يسيرون الآن الى الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها ما لم تعرفه الامم من قبلهم وثنوا بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي عملها الحيوي والاجتماعي ، ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعمل بل لا علم عندهم الا ما أيدته التجربة العملية ، وكل ما علموه كان مقربا من القرآن فما عليهم الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين يدرسون لغته ويدرسونه بقوة واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دعاة اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

أما نحن المسلمين فاننا نعترف بالتقليد انه الحق ولكننا تركنا من عدة قرون البحث في الآفاق ، في أنفسنا الذي علق عليه كتابنا تبين الحق والآن توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا ضللنا في هذا السير الجديد فاننا نقلدهم من بدايتهم فنترك الدين وآدابه وليس عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندهم فنكون من الهالكين ويكونون هم السابقين الى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن يصلوا بجدهم واجتهادهم الى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

باب الاسئلة والاجوبة

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفى أفندي رشدي المورلي بالزقازيق : ماهي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لسائر المؤمنين وهو التزوج بأربع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن الكهولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال من السياسة الرشيدة . فأما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورابطة الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقد بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهلهن خوف الفتنة ولو عادت الى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لعذبوها وفتنوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في التزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة ببدر وهي اكرام صاحبيه ووزيريه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) واقرار عينهما بهذا الشرف العظيم .

وأما التزوج بزينب بنت جحش فالحكمة فيه تعلو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لاحقة ببدعة التبني كتحريم التزوج بزوجة المتبنى بعده وغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالتان في هذه المسألة احداهما للأستاذ الامام فليراجعهما

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة الحكمة في التزوج بجويرية وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الرضوان أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا حرباً عليهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك ان هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائلها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تجير منه الناس وقد ماتت في حياته .

وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبد الله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر الى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجله حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سلي الله ان يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه الا به فخطبها فاعتذرت بأنها مسنّة وام أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان الا محسناً — وتزوج بها . وظاهر ان ذلك الزواج ليس لاجل التمتع المباح له وانما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية واتعزيتها كما تقدم

واما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عبيد الله بن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر الى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتنصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سببها . أمن الحكمة ان تضيع هذه المؤمنة الموقنة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة ان يكفلها من تصلح له وهو أصلح لها ؟

كذلك تظهر الحكمة في زواج صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دحية الكلبي من

سوى خيبر فقال الصحابة يا رسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فاستحسن رأيهم وأبى ان تذل هـذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها ووصل سببه ببني اسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم

وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة) والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها اليه بعد وفاة زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا أدري هل كانت الحكمة في زوجه بها تشعب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك

وجملة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء واكرام كرائمهن وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهن مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع •

ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الأبكار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في التزوج بأرملة « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » هذا ما ظهر لنا في حكمة التعدد وان أسرار سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والامراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ا ـ ع بالازهر: «من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على كل مسلم استطاع اليه سبيلا وبديهي ان أمراء المسلمين وحكامهم هم أقدر على الاستطاعة فلمَ لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضى نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حج أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب»

(ج) لا نعلم لاحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا النكير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى. وانا نرى العقلاء منا صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمرائنا كشاه العجم وخديو مصر يذهبون الى أوربا المرة بعد المرة ولا يذهبون الى مكة المكرمة فاذا كان السلطان عبد الحميد يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الارمن (دون سواهم من رعيته) اذا خرج حاجا لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره • واذا كان

سلطان المغرب الاقصى وأمير الافغان يخافان على بلادهما من الفتن أو اقامة غيرهما في مكانهما اذا خرجا من بلادهما فما بال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يعترض على شخص بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولكن يظهر من حال ملوكنا وامرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاه العجم ولا أمير مصر وأنه يمنعهما اذا أرادا ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراكش لانه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملا سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء كل منهم في امارته او سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لوكان لدول اهل أوربا وقياصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه

(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الشرائع والقوانين إنه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم واقاليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلمَ لمْ نشاهد سوى قانون واحد لدى الامم الاسلامية (الشريعة الغراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقاليم ؟

(ج) إن علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة وهم انما يهمهم من رعاياهم جباية الاموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التعدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التعدي . واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق والعادات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة درء المفاسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس أصولا عامة للاحكام لا تختلف باختلاف الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . وكون درء المفاسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضررين • وجعل البينة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق • وجعل الحاكم مستقلاً مجتهداً يستنبط الاحكام مع فرض الاستشارة عليه • الى غير ذلك من الاصول العادلة وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيما يختلف من أحوال البلاد والعباد التي لا تخل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجملناه لم تلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالتزام جزئيات الاحكام التي حدثت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفاسد وحفظ المصالح وقد تقدمت الادلة على هذا في مقالات « محاورات المصلح والمقلد » فليراجعها السائل في أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه و آله وسلم خاتم النبيين كما بيناه مراراً بالتوضيح

(طهارة السبيرتو او الكحول)

(س ٤) علي افندي حسني بكمرك السويس: قد ألجأت حالة الوقت الى (السبيرتو) في إزالة ما على الملابس والطرابيش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته للشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرابيش المنظفة به بحرارة النار عند كيها أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالادلة بل هو أقوى المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يعرض الثوب على حرارة النار . والقول بنجاسته وتنجيسه تشديد مبني على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]

﴿الاجتماع السابع لجمعية أم القرى﴾

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦)

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية

قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد الفراتي ان الجمعية لتنتظر منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقررها مجمل الآراء التي اوردها الاخوان الكرام اذ احطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت اجمعنا

لهافكرا. هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال انا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطول ، كليل القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري وما لبث أن شرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هـذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لهاحكم الاصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية. واني أقرأ عليكم خلاصتها من جـدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

(١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (ا) (٢) تأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (ا) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (ا) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (ا) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (ا) (٧) تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشـديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (ا) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (ا) (١٣) خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) (١٤) ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين اموراً سرية وان العـلم حجاب (ا) (١٥) اعتقاد منافاة العـلوم الحكمية والعقلية للدين (ا) (١٦) تطرق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون العلماء العاملين في تأييـد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب ولآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسالك السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وحكمة الحج (ا) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها (ف) (٢٢) التزام مالا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه مالا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به ٠ (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا) (٢٥) تفرق الامة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الامة من حرية القول والعمل وفقدانها الامن والامل ٠ (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الامة (ف) (٢٨) ميل الامراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (ا) (٣١) قلب موضوع اخذ الاموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (ا) (٣٢) تكليف الامراء القضاة والمفتين اموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهم المتملقين والاشرار (ا) (٣٤) مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الامراء وتمسكهم بالسياسيات الخرقاء (ف) (٣٧) إصرار اكثر الامراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الامراء في الترف ودواعي الشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندية فقط (ا)

﴿ النوع الثالث الاسباب الاخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (ا) (٤١) استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاد الى الخمول ترويحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البغض في الله (ا) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (ا) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (ا) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمرة دوام قيامها (ا) (٤٨) فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكوة (ا) (٤٩) ترك الاعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) اهمال طلب الحقوق العامة جبناً وخوفاً من التخاذل (ف)

(٥١) غلبة التخلق بالتملق تزلقاً وصغاراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في العمائم وفي كل ما سطر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة والسفالة (ا) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشئون العامة (ا) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشئومه (ا)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات أسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو اوردت تفصيلها و تشريحها لطال الامر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا

والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها اكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد ان اندفعت لتنظيم امورها فعطلت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب الثلث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الانفراد

واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوالا اخرى اضرّ وامرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ملخصة • هي •

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والعقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات (*) (ا) (٥٨) تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (ا) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم من هامش الاصل

المتباعدة وخصائص سكانها (ف) (٦٠) التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة والولاة عن أعمالهم مطلقاً (*)(ف) (٦١) تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف)
(٦٢) التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم بين العمال والاهالي وتعذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت كامارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والعربستان لايحسن ادارتها لاجل ان يكون الامير منفوراً منه ممن ولي عليهم مكروهاً عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (١) (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالمشيخة الاسلامية والسر عسكرية لمن يكون منفوراً منه في صنفه العلماء أو الجند لاجل أن لا يتفق الرئيس والمرؤس على أمر مهم (*)(ف)(٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في الغنم والغرم (*) (٦٦) التساهل في انتخاب العمال والمأمورين والاكثار منهم بغير لزوم وانما بقصد به اعالة العشيرة والمحاسيب والمتملقين الملحين • (٦٧) التسامح في المكافأة والمجازاة بما يشئون الادارة حسنت أم ساءت كأن ليس للمال صاحب (٦٨) عدم الالتفات لرعاية الشؤن [illegible] كوضع نظامات مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع لزومه ولكن بدون اعتناء بتفهيم الامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضاء • (٣) (٦٩) تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدها حيث كان العمال مسؤلين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسؤلية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق السلطنة هامش الاصل

(*) هكذا تكون احتياطات الحكومات الجائرة (*) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارزاق مع بيت المال عمداً لانسبة فيه لانها مميزة عليهم حال كونهم ثاني رعيتها كما من الجركس والبشناق و الاكراد والارناؤط والروم والارمن والخروات والبلغار و[illegible] [illegible] اهل [illegible] وغيرهم حتى بعض البيوت [illegible] العسكرية [illegible] والمرعية [illegible] [illegible] غير المسلمين من [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] جيشها

[illegible]

اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا ٠ (١)
(٧٠) التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لحبهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية ٠ (٧١) الغفلة اوالتغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المتنبهة بقصد منع نموها وسموها واطلاعها على مجاري الادارة محاسنها ومعايبها وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة
(٧٣) تمييز الاسافل أصلا وأخلاقاً وعلما وتحكيمهم في الرقاب الحرّة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة ٠ (٧٤) ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً ٠ (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولاقبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون ٠
(٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معايبها حذراً من أن ينفثوا مافي الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهنالك الطامة الكبرى ٠ (٧٧) ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة والامتيازات والنقود ٠ تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية ٠ ولولا تلك [illegible] والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ٠

ثم قال (السيد الفراتي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمراض [illegible] تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قريب والعياذ بالقدير القادر كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول (٢)

رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط الزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالرسوم ورواتب جزئية جداً ٠ (١) تعطيل بعض أحكام الشرع كاف لخرق حرمته [illegible] النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها [illegible] بعض مايتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه

ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى افصلها بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات ، وهي

﴿ أسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والأوقات (٨١) الفرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطبيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعاظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين وعمر وصلاح الدين (رضي الله عنهما) وجنكيز والفاتح وشرلكان الالماني وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاما بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كرأس جمل على جسم ثور أو بالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لايكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي

إنما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بأخلاق الرعية وتتحد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها ، ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتيا الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذي يقع على أهل الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وغير ذلك من الاحوال التي لاتطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت سلطة الاجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لأن يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤن ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحينئذ لا قدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلا وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اه من هامش الاصل

الى لغتها فاخلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كآل بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل محمد علي فانهم ما لبثوا أن استعربوا وتخلقوا بأخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا جزءاً منهم وكذلك المغول التتار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم فلم يسعوا باستتراكهم كما انهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا أو يتألمنوا ٠ ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سى) أي نور العرب و(قبطي عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامك شكري ونه عربك يوزى) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (پيس عرب) أي عرب قذر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي سفيه و(عرب طبيعتي) أي ذوق عربي أي فاسد و(عرب چكه سى) أي حنك عربي أي كثير الهذر وقولهم بوني پارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا أكون من العرب وقولهم (نرده عرب نرده طنبوره) أي أين العرب من الطنبور .

هذا والعرب لايقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هي قول العرب فيهم (ثلاث خلقن للجور والفساد القمل والترك والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الاتراك لم يخدموا الاسلام بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم . وانهم أتوا الاسلام بإطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام مواقد النيران (أوجاقات) فزادوا بدعاً بلاءات في ضمن الخرافات

ثم قال (السيد [illegible]) [illegible] لانه يعلم أني ما أفرضت [illegible] المصري [illegible] كتاب [illegible] قال (الاستاذ الرئيس) [illegible] السيد الفراتي حطيب [illegible] وفارس [illegible] والابحاث التي أشار [illegible]

باب التربية والتعليم

الشذرة التاسعة من جريدة الدكتور ابراهيم (١)

❁ تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما ❁

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « اميل » تينك اللغتين واقرائه ما الف فيهما من الكتب ولست ذاكراً شيئاً من هذه المناظرات الا ملخصها فأقول :

الواجب أن يربى كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو الوسيلة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي ان يعرف طبعه ويبحث في ضروب ميله ويختبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان الفضل والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة وينالان بطرق شتى كان أول فرض عليه ان يبحث في هذه الطرق عما يلائم طبعه ويناسب استعداده

فالذي أعيبه في طريقة المربين عندنا هو إغفال ما للناشئين من القوى وضروب الاستعداد النفسية وعدم تمييزها في شيء من التربية . ذلك انك ترى بعض الناشئين مثلا قد ولد رحالة ليضرب في الارض ويجوب آفاقها وأخص حاجة له فيما خلق لأجله هي معرفة اللغات الحية ليتفاهم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين ميتتين انقطع التخاطب بهما من على وجه الأرض . وترى آخر خلق ميالاً الى معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن (الميخانيقا) يلقون به في بحر من الكتب ما له من قرار . وتجد ثالثاً أعد للتجارة ورابعاً سخر للزراعة لا يراعى ما لكل منهما من الميل الى ما أعد له بل يتبع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهو انه لا بد لمن يريد الاشتهار باسم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . كم رأينا من متعلمي اللاتينية واليونانية من قضي عليهم بأن لا يستعملوها في حياتهم لانهم متى خرجوا من المدارس واشتغلوا بمصالحهم قلّ [illegible] الحق ان يخطر ببالهم تصفح كتاب فرجيل (١) أو ديوان هومير (٢) والنظر في صحفهما البالية التي قضوا في مطالعتها كثيراً من ساعات التعب والسآمة ولست أقصد بقولي هذا تجريداً أي معرفة من

---

(١) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

معارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان ارتأيت في ان ما يخسره كثير من التلامذة من زمنهم في تعلم تينك اللغتين لا يساويه ما يعود عليهم من الفوائد بتعلمهما

أنا اعلم كل ما للمنتصر لهما من وجوه الاحتجاج على ضرورة تعليمهما فله ان يقول ان معرفتهما حاسة سادسة لنا ندرك بواسطتها دقائق آداب لغتنا وانه لا يسع احد من الناس إنكار ماكان لمطالعة الكتب القديمة المؤلفة بهما من التأثير الماثل في عقول الناشئين الذين تغذوا بلبان معارف الاقدمين حق التغذية وان مطالعة هذه الكتب تخلصنا من شواغل وفتنا المساديه وتعارض عصر الذي ... فيه الناس و ... درجات التفاضل بينهم واشتغل اهله بالحقائق الثابتة دون غيرها كعصور الابطال ... وافاد من مخترعات الخيال وتستر مواضع الضعف فينا بحجاب الجمال الظاهر بدون ان نغير من طبيعتنا شيئاً، ثم ان بعد اهل تلك العصور عنا ومباينتهم لنا في الاخلاق والعوائد مما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية سراء منتهى الكمال المطلوب

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاناشيد الوطنية التي كان من آثارها ما ... في عهد الجمهورية الجميل من احتقار الملوك وجر ذيل الخيلاء عليهم فلقد كانت نسيمة هبت من رومة او من أثينا في إثارة بغض السلطان المطلق ... في القرن الثامن عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا مما دعوه من الكتب المدرسية اصلح الصور لإيقاظ العقول وبث روح الحياة السياسية في النفوس وكان للخيالات الغابرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان للاحياء انفسهم فلا تقل لابي غراكوس (٣) وبروتس (٤) ... اوتيكا ... قد ماتوا بل هم احياء يعينوننا على كفاحنا ويعاضدوننا في جهادنا ويسمعوننا من اصواتهم ويشهدوننا من اسمائهم ما يقوي عزيمتنا على السعي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الابية

لا أنازع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

---

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) هومير هو اشهر شعراء اليونان الاقدمين لا يعلم مكان ولادته ولا تاريخه كذا كتب المعرب والمعربون اسمه ويونانيه هوميروس ... ويكتب بالقلم الافرنجي هكذا Homer-ere «٣» غراكوس حاكم روماني شهير في اسبانيا ورزق بولدين ... بالغراكيين وكانا من قضاة الشعب «٤» بروتوس احد قتلة القيصر الروماني

ولكني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وان من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان عالماً يشار اليه بالبنان وخطيباً باهر البيان وسياسياً حصيف الجنان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو «١» ولا ديموستين «٢» ولا شيشيرون «٣» باللغة التي ألفت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ماتغنيه عن الزخارف المدرسية فرأيي هو ان الاحوال التي تحتف بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التعويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما أوجدت للاحداث ولم توجد الاحداث لها

لما أعلم حق العلم ضروب استعداد «اميل» ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدها ملاءمة لطبعه والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما تقتضيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان انفاق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل لغتين مهملتين تحصيلا في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني باحث الآن فيما اذا كانت اضاعة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من الميسور التغيير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى لطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهلهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتممون بافهم نفسها مضبوطة ولحبسهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سجناً تتعاقب عليه الاجيال الناشئة تكفيراً لسيئة جهل آبائهم الاولين فهم

واما قانون اتيقافهو حفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقا وقتل نفسه «١» أرسطو حكيم يوناني مشهور «٢» ديموستين أشهر خطيب يوناني أثار مقدونيا على فليبوس وألب أثينا على الاسكندر «٣» شيشرون أشهر خطيب روماني

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حالت المدرسة بينهم وبين المحابّ البيتية والجواذب الاهلية وهي التي كانت تحبب العمل اليهم وتشمر قلوبهم قدره فأصبحوا لا تصلهم حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العمياء من محابرهم الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلامهم، ولا تدركها افهامهم، فرخُمّى لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم تعاقب التمارين ولا تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطيئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة هو الوسيلة إلى إصلاحها

انا أحب ان يرى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان يتفتق ذهنه باحتكاكه بالصناعة ودراسته تاريخ الموجودات فان كل واقعة وقضية تولد في نفس مراقبها لذة وتنمي فيه الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان بينة صار بهذه الواسطة أحسن استعداداً لفهم مايتقاه عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مبهمة من الالفاظ

ثم ان من أسباب طول المدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان المربين يعلمونهما للاطفال قبل أن يطلعوهم على شيء من احوال الرومان واليونان والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سأهتم عند تعليمهما «اميل» بأن اجعل له من آثار اهلهما بلاداً يتعلمهما فيها. وفي هذا المقام تظهر فائدة انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البلوري ثم اني على يقين من ان مشاهدة مايكون في مثل هذه المعاهد من التماثيل والصور ومثل المعابد والمباني الأثرية العامة لا تعين التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترن تعليمهما بتعليم تاريخ قومهما وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقيان لغتين مندثرتين اندثاراً تاماً كأنهما علمتا مجردتين

ذلك ان للفنون الرسم من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً بسبب اجالتها العقل في آثار الماضين وسموها بالنفس في اعمال الماضين ولان سر الابداع هو الحس الذي يسهل فهم الدماغ الواقع في شخص غيره لسبب سهل الادراك وهو ان معنى الاستدلال الذاتي لا يظهر الا قليلا في هذا الطور من الحياة فبكثرة هذا النوع من المعيشة مع اليونان والرومان فيما بقي من آثارهم يلقى التلميذ [illegible] باخلاقهم [illegible]

في سلامين «١» ويشهد خلف بومباي «٢» واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا الوجود الفكري فيما غبر من الزمن ليس هو إلا وهماً محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم نجد طريقتنا في تعلم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عليها مسحة من تعلم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلهتهم التي تراه على قهره إياها لا يزال يعتقد أنها مضرة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استئثارهم على توالي القرون باللغات القديمة واحتكارهم معرفتها كانوا يعْنَوْن في تعليمهم بإزهاق ذلك الروح الذي ألهم الصناع ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين وآداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصلحتهم ان لا يزيلوا عن تلك الاسرار الا طرفاً من حجابها لانه كان لا بد لما يعيه الخلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يتفاوتون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي

أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم «اميل» تينك اللغتين واقرائه كتبهما لانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الامور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما ضره لو انه أخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي ينقم منه ان قدم قرباناً للالٓهات العفيفة (٥) ولمنروة (٦) الحكيمة الابية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملاءمة لخيال

«١» سلامين وتسمى الآن كولوري هي جزيرة في خليج أثينا «٢» بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً «٣» فرسالا مدينة باقليم تساليا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم القائد بومباي (٤) هرقل بطل خرافي مشهور بأعماله العجيبة (٥) الالاهات العفيفة في أساطير اليونان هي الاهات الفنون المسمة بنات المشتري (٦) منروة هي في الاساطير المذكورة الاهة الحكمة والفنون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيلاً بزعزعة عقيدتهم في النوع الانساني ، ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية فاني انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد النفوذ الى أسرار افئدة قوم من اختلاس آلهتهم » اهـ

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »

ظهرت في العالم مَدَنِيَّاتٌ ثم خفيت ، وَدُرِسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دَرَسَتْ ، وَصلحت أحوال الأناسيّ ثم فسدت ، وطلعت فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأمم في تلاش وفناء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعد المجموع في جملته للرقي العام ، فمنحه الله تعالى دين الاسلام ،

جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين ، من جهة العلم ، من جهة المدنية ، من جهة السياسة ، فلم يمر قرن واحد حتى جدّد العالم كله دينا قيّما ، وعلما محكما ، ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق ، وسرعة البرق ، فتغير به وجه الأرض ونفخ في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١)

ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تجْتَوى ، لم يابث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتحتها « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « سلطة مشيخة الطرايق الروحية » وفيها الكلام على تقييد الاسلام السلطتين السياسية والدينية وجعل الناس سواء ، وكل هذا في المجلد الأول ، وكمقالة « الجنسية والديانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث وكمقالات الحكومة الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفونه من أين جاءهم كما ان أكثر أهل الينبوع المنتسبين اليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم، وانهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان ، لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية ، أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الاصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الاسلام عقبة في طريق كل اصلاح ، يقولون للمسلمين: ان ماءنا صاف نقي يحيي البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهلكت الحرث والنسل ، فكيف يستوي الماآن ، وقد اختلف الأثران ، ؛ منهم من يقول هذا معتقداً ، ومنهم من يقوله منتقداً ، ونحن ساكتون عنهم ، لأننا جاهلون بأنفسنا وبهم

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ويظهر الحق من الباطل ، فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه ، والمكابر لوجدانه وحسه ، لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى ، فقد أعدهم بنوائب الزمان ، وصروف الحدثان ، لأن يعترفوا بذنبهم ، وينيبوا بالتدريج الى ربهم ، اذا ظهر فيهم علماء ربانيون ، وأطباء روحانيون ، يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء ، وما طلب الانسان بلسان استعداده شيئاً من مولاه ، الا تفضل عليه به وأعطاه إياه (١)

هذا وقد أتاح الله للمسلمين حكيماً من الاعلام ، واماماً من أئمة الاسلام ، يطب لدائهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم ، وقد كتب في هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية بالنسبة الى الديانتين النصرانية والاسلامية ، رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله ان المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام وان الاسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية ، وبين في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الاسلام وسلفه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين المتأخرين بل دلهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة معالجته والخروج منه باذن الله تعالى ، ولعمري انه أنذر فأعذر وبرئ من وعيد الكتمان ، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ؟

---

(١) راجع مقالة « الاصلاح والاسعاد ، على قدر الاستعداد » (ص ٦٨١ م ٤)

ويلي هذا في المقدمة إلماع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب وإصداره وثمنه ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليمات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الاخبار والآراء

﴿ سعي في الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى للاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوربا حقيقة الاسلام لأنهم متى عرفوا حقيقته يعرفون حقيته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله . ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأنهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الإسلام من عدة سنين وثبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة صالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين نبت فيهم وذلك بأن ينشئ جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والنجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبراء المسلمين هنالك ويستمدهم في الإسعاد عليه . وقد بلغنا ان اللورد كرومر مرتاح الى هذا العمل ومساعد عليه ويرجى من كبراء عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عقلائهم في مصر إسعاداً وإرفاداً .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدّت النفوس من الفريقين له كما نرى من الكتابات الكثيرة التي دلت على توجيه حكام الانكليز وكتابهم الى مساعدة المسلمين في التربية الملية الاستقلالية والتعليم النافع وقد عرف [illegible] ما لم يعرفه المصريون ثم عرفوا بالاختبار سوء مغبة ما جرى عليه أحداث السياسة عندهم من الغلظ بسبب الانكليز وشتمهم وجعل حسناتهم

سيئات فرجع المصريون الى رأي إخوانهم مسلمي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فعرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الانكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص • وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معايب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب الينا بعضهم يجزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها • ولم يكتب الينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً انهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر المحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية • ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجح على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها • اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقنع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لاشيء اضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية • ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سلفه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على إزالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الاتراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي • ولولا انهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها • ولا يجوز ان يحملنا ماورد في سجل الجمعية على بغض الترك فنزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسعى في إزالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها • على ان ماذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاماً فيهم وإنما هو شنشنة من افسدتهم السياسة الفاسدة واكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغريبة • وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعربي اذاراًوه ويجلونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيعاً سافلا • ويكادون يعبدون من ينتسب الى آل البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشتركون ﴾

يكتب الينا كثيرون طالبين الاشتراك بالمجلة بما دون القيمة المعروفة لأنهم تلامذة

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى المنار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يطلب لانه صادق في استثقال دفع خمسين قرشاً صحيحة واحدة لانه فقير اليد ومنهم من يجرم ان يساعد على الطاعة شحيح الأنفس فقير النفس غني اليد وقد يشتبه هذا بذاك فان لم يشتبه فان الثاني يحكي على الاول

كنا جعلنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤٠ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس ونظارها لا يدفعون الا ٤٠ قياساً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا قضاة الشرعيين وجميع من تخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤٠ عملا بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جرياً مع حركة الاستمرار الطبيعية ، وهكذا يضيع حق المنار بين القاعدة الفقهية والناموس الطبيعي بسوء التطبيق ، واذا جعلنا الفقر سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعرّف للفقر واذا كان اكثر الاغنياء الحقيقيين مع هذا لا يحفلون بالعلم والدين ولا يقصدون من يخدمهم فلا شك أنه لا يسلم لصاحب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة

واذا علم بعد هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطال أو الارجاء في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وان بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات وان محصلين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع لنا مراراً ومنهم من يشارك صاحب الجريدة بالخمس حتى كأن المال غنيمة والمحصل هو السلطان أو بيت المال — فان العالم بذلك يخجل أن يطالب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يبلغ صفحات مجلدها في السنة نحو ألف صفحة ويصرف صاحبها في تأليفه سنة كاملة

(المنار) أقل مجلات القطر الشهيرة ثمناً فمنها ما ثمنه في السنة جنيه ، ومنها ما ثمنه ٨٠ وما ثمنه ٧٠ وما ثمنه ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المنار حجماً وربما كان التعب فيها أقل فاننا ربما نشتغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لنعرف جميع مخرجيه وما قيل فيه فاعتبروا بمجموع ما تقدم ثم حكموا فينا الذين طلبوا الاشتراك بنصف القيمة عن عدم محاورتهم والاعتذار لكل واحد منهم ، وقد كتبنا هذه النبذة في الجملة ليعلم الشاكون على المنار ان يسمعوا من يطالبنا لاقلل من اخذ الاشتراك باقل من خمسين قرشاً في السنة قيمة مجلة وبرغم ذلك ومن نعلم باليقين انه يتعسر عليه ان يوفر من نفقته في السنة خمسين قرشاً يجعلها ثمناً لمجلة يحب ان يقرأها ويرجى ان ينتفع بها فاننا نرسل اليه المنار بلا ثمن

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣﴾

﴿ باب المقالات ﴾

﴿ رأي في علم الكلام ، وطريقة في اثبات الوحي ﴾

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلام عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته ، وانعامه واكرامه ،

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختمها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلاّ وشيء آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلب لا يلقى نفسه إلا بين شيئين يسمى أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفر . ياويح الانسان الذي يشتغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم ياويحه حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيرين يزاحمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقل فيما يحب وينفر . يحب شيئاً فيعاتب ، ويكره شيئاً فيعاقب ، ثم ياويحه حين يعلم افراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد .

هذا الجدال قد يحتدم بين الاخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواء مسكناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داء ودواء

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأه الضرورة بل كثير منه منشأه حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً اليه . المطعمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمطعمين ، والفريقان محتاجان للبانين ، والثلاثة محتاجون للبائين ، والاربعة محتاجون للحافظين ، وفحول الكل محتاجون للاناث ، وإناث الكل محتاجون للفحول ، والكل حريصون على تحصيل [illegible] ، والكل محتاجون للشارعين الذين يبنون

الحدود والحقوق ، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين ، وفي هذا كله حكمٌ عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها

ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التحاب والتعاون في لوازم العقل فيا الاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا التفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيبقى الى من بعدنا

ليس علينا رفع الخلاف ولا نقوى نحن عليه . ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعالمون المطاعون في حياتهم والمتّبعون بعد موتهم . اولئك الذين يكدرون على الناس صفاء فطرتهم ، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم ، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدإ الاوهام فعلينا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهدنا . وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسّم الممدّ الذي جعل لنا منها نصيباً . وآتانا عليها عوناً .

واحسن جلاء للعقول هو إزالة سيطرة المتعالمين عنها (فهو الصدأ العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع . وافضل عون لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس . ذلك لان البشر منذ القديم كدّروا العقل بتصورات سقيمة في شأن الموجد الاول فالدين يرشد لاسلم . وحملوا النفوس على عادات قبيحة ضارّة سمّوها عبادات فالدين يهدي لأجمل وانفع . وحمّلوها اثقالاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل . وزينوا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصلح .

لكن الناس اصناف مصنفة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير وتحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو دأب الذين خلوا من قبل . فمن لم يتمسك بالدين البتة فلا كلام فيه ههنا . ومن تمسك

فيه تراهم في مغايرته على نوعين — نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يبصّرون الناس فيها انهم اولياؤه . فأما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير ، واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة العاقل مع العاقل في الدعاوي والبينات ، ويحق الحقيقة ويبطل الغلط .

ولما عرفتُ ان الدين كلام يفهمه العاقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفرقون ، حرصتْ نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثة فأقول مالها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذلك منذ علمت ان سعادتي في ان اكون مخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً انعم العاملين بما ينفع الناس ملتئماً مع من عرفوا النعم فشكروها ، او جهلوها فاستعرفوها ، نافراً ممن كفروا بها واستيقنتها انفسهم .

فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام ، وطريقة في إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتيه الإنسان لم يقف به عند استعراف ما يطعمه ويكتسيه ويأوي اليه بل ساح به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الحدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشأ هذه الارواح العاقلة ، من خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، من سوّى هذه الروابط الثابتة ، من صوّر هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة :

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ماهو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة الذي سوّى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحبها وهي مع قصرها مرّة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتزاحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجاوبون في هذا الى ما شآء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكر تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقد فهكذا تكوّنت نحل الناس ومللهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرّب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيحبون ان تتجافى عباراتهم عن الاصطلاحات مهما امكنهم .

ذكّرني بذكر هذه القضية أني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن أفهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بعضهم أن الناس أجمعين مكلفون أن يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من أن يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباحثين من أمم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة

هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حُبُّ الحكمه) . ومن أجل شيوع هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يردُّ كثيراً من آراء فلاسفة اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام انما جعل لنقض الفلسفة . والظن الأول يزهقه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة القديمة التي يجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزهقه معرفة أن علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين حتى يحتاج الدين الى علم به تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام مقبولا عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق يعلم أن ليس علم الكلام الا قسمين قسما يجمعون فيه نظريات على طريقة الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسما يجمعون فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم

ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضا للفلسفة . ولكي يعلم الناظر ههنا آراء الناس في الإلهيات قبل الاسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

الفصل الاول

— الفلسفة الالهية عند الأمم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبتها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلا وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالماً روحانياً على نحو ما يسميه الكتابيون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك

واتخذ هؤلاء صوراً وتماثيل على صور الكواكب وأمثلتها و[illegible] لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بفروض ومراسم شرحها يناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي أسمه « زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها ،

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و« اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ويدعي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له

وكان (طاليس) اليوناني — الذي تعلم الالهيات والهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية — يقول ان جميع ما في الكون لا يخلو عن إحساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فمنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تفنى فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسما فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات ، وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جعلها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وناهد امه ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فغاب فيها سنة ثم خرج نحيفاً اشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان في جهنم ولما ابوا ان يصدقوه شرع يحدثهم بما حصل في غيبته فظنوا انه

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلئ من الجن والعقول وان الإله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان «انكسغوراس» يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجو بل هو مملوء وان جميع الاجسام تقبل القسمة الى مالانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لأمكن ان يستخرج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء استرتها من غير تناهيها في نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان «افلاطون» يقول الأصول ثلاثة الإله والمادة والإدراك فالإله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والفساد . والإدراك كجوهر روحاني قائم بذات الإله . كان الناس يلقبون افلاطون بالالهي وكانوا يقولون إن أفلاطون يعرف الإله الحقيقي معرفة جيدة وهذا إمّا من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين (تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوّع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم السماء ومتوسطين يسمون جناً كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين مسكنهم الماء سماهم انصاف آلهة (تأمل) وقال إن جميع عناصر العالم وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان لأبصارنا ويختفون احياناً . وتبع أفلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح

وكان «ارسطاطاليس» يقول: الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة: وعرّف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وايجاباً فقال في الأول : المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له : وقال في الثاني: المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغيراتها: وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)

وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية معللا ذلك بأنها محركة لاجسامنا مشاركة لها ألماً ولذة وانا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض

هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الإلهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصاري يقولون لا بل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداءً لهم من الخطيئة التي لا يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقة دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا نموت ونحيي . وما يهلكنا الا الدهر » اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة على تركبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر

ومنهم صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عندالله في الآخرة وهم الدهماء من العرب الا شرافهم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب: كلا ورب الكعبة ليعودنّ ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد . أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، : وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو من حكماء العرب أيضاً اني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ، لاحياهم الدواء ، ثم قال : إني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له : ماذا ؟ قال : يرجع الميت حياً ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض : وقال علاف بن شهاب التميمي

وعلمتُ أن الله جازعبده يوم الحساب بأحسن الأ...

— ظهور محمد عليه السلام —

فبينا حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد » من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه

بدعوته الواحد والاثنان، وكذبه الشعب الكبير المتشعب الى جماجم وبطون وأفخاذ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه صادق، وخطته خطة مرشد، ودعوته دعوة مؤيد من عالم الغيب، وكذبه من كذبه لشبهة عنت له، وحجاب أسدل على بصيرته، ثم صدقه آخراً من كذبه أولاً، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متماقلوهم كل شبهة عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحر كذاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟ هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في المغانم؟ فكيف سرى هذا الخاطر الواحد في أفكار الكل بعد ان صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً من أجل أن ينصره قوم ويكيده قوم؟.

انما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً، ووفدوا على حضرته زمراً، يبايعونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة، وعزائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها فهي أن يشهد الرجل أن «لا اله الا الله» وأن «محمداً رسول الله». كلمة «الله» عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه في بعض ملكه فعرفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع
لما يحكم به وتعضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أوحاه اليه بواسطة
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لايعصون الله تعالى ويندرج في
هذه العقيدة الايمان باليوم الاخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدِّق محمدياً وقد ورد تفصيلها في
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد
في الدار الاخرة ويعلم القارئ أن العرب المدعوين لما آمنوا ما كانوا يعلمون
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولا . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً)
بل كان هذا التباحث من قسمة الذين أتوا بعدهم

أتى بعد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئاً وأناس
استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه
فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله .
ثم انقسمت المؤولة زمرتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول ان العصر الأول للاسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والفروع . نحن لانقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كمذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كمذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تنبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بانكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلهما قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصومهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لايجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه .

وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازليين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن

الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة « المعتزلة » وطالع بعده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة خلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها هي مسئلة الكلام فسمي الفنّ باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وتروّق كلامهم في أيام المأمون والواثق والمعتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها فهي القول بأن القرآن مخلوق ومن اشتهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في افعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافاتٌ ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخرين لا على قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتقاناً ابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه ابي على الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب اهل

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالقاضي ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابي بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لامرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتئم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكنّ القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظريهم ان يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفعوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . ومن اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لمجرد المباينة بالفهم . ولا يلفتنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب المرعي المعتمد على اصل شرعي . ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدّم على الدليل النقلي عند التعارض ويستعان له بالمجاز والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا ان هذه الفائدة لم تتم الا في أعقل الباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

عندي ان صنيعهم ذلك رفع شأن العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب ويسير به الى ابواب اخرى من استشراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع عامة ،والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجى للدين دوام سيره وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم ، أما مناظروهم فالمتكلمون من أهل السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقايون من أهل السنة والغلاة من الفريقين كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة ، والغلو في كل شيء مذموم .

وقد أجللنا هذه الفلسفة عن أن نمد في أهلها أولئك الذين يتشيعون لرجل بعينه أو يتعصبون عليه وان عدهم الناس الباحثون في فرق المحمديين ، اذ الشرط أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلاَّ بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجهها لعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أومأنا اليها . ولئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً عن المتأخرين وجه من الوجوه المزينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم الا هوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها لجمهورهم أيضاً على عدم تروي كل منهم في كلام الآخر . لأننا حين التأمل والتروي نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلاسفة يمكن القول فيها هكذا أيضا ، ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة :

(١) هل بين العقول السليمة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدإ ، هل بينها اختلاف في أن مبدأها يجب أن لا يكون قبله شيء ، هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرفة دائما أن تعرف ماهو ذلك المبدأ ،

«٢» ماهو ذلك الشيء ؟ ههنا الاختلاف اذا لم يتروّ الناس مع بعضهم واذ تروّوا فلا خلاف . نحلل هذا السؤال الى أربعة : [١] ماهي ذاته [٢] ماهي صفاته [٣] ماهي أفعاله [٤] ما هو اسمه ؟ . اما السؤال الأول فجواب كل عاقل فيه لانعلمها . لا يخالف في ذلك عقلاً مليٌّ ولا فيلسوف على اختلاف فرق المليين والفلاسفة الاّهم إلاّ من لا يتدبرون . واما الثاني فالجواب فيه لا يحدّ لأنه لم يحسّ ، ولا يوصف لأنه لم يعرف ، لا يخالف في هذا أيضاً أحد . ومن يصفونه من المليين لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه الوحي ويفوضون الأمر في علمه . ومن يصفونه من الفلاسفة فانما يصفونه بما هو مقتضى وجوده كقولهم : واجب الوجود : بل جعلوا ذلك علماً عليه . وأنت خبير أن هذا ليس وصفاً . وأما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء والتصوير . وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً . ولا يعد خلافهم خلافاً ولا يجدر بعاقل أن يتصدى للرد على من يقول وُجدت الاشياء بنفسها ، وقامت متسقة لحالها .

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه !!!

وامّا الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف النفوس في معرفة الأبيض لكون الدالّ عليه مختلفاً . ولا أرى العقلاء

الا مفتين، على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي الملي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذاك . هذه الكلمة تغنيك عن اكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشعيب الاختلافات التي منشأها اللفظ لا التصور كما سترى في الامثلة الآتية وأنت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أي عاقل يتجاسر على ادعاء معرفة هذا من طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في جوابها . أما المليون فلهم الوحي فقالوا أراد ان يُوجِد فأوجد . وقال ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مآلها) وللفريقين كلام كثير . ولئن سألت الملي هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبهها بارادتك التي تعرفها ؟ ليكونن جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولن لا اعلم أو يخترع اسماً يجوز ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها الملي ، فكلاهما بالعجز عن الإدراك مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان، على أن المتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (تلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) متى اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) ان ذلك المُوجِد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها وعلى انهم يجهلون متى أوجدها ، وما كان للملي أن يقفو ما ليس له به علم

من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي، فليس في الدين ما يحمله على الخوض في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يقم عليه دليل يقيني، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا للحق، كما اتفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها،

هذا والمليون (نقليوهم وعقليوهم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة. يسأل هؤلاء عن معنى نصوص لا يستطيعون إبقاءها على ظاهرها كالنصوص القائلة ان السموات والارض خلقت في ستة أيام. فقال لهم: هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم أيام أخرى لا تعرفونها؟ ان قلتم بالاولى فالايام هذه انما عرفت بعد خلق السموات والارض. وان كانت النصوص تقدر مدتها دل ذلك على ان ... مدة وزماناً. وان قلتم بالثاني (وهو ما نقوله) فقولوا نعرف انه خلقها ولكن لا نعرف كيف خلقها ومتى خلقها ومم خلقها. ومن يقول الله تعالى «ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين.»

---

(١) فاذا أوجد ذلك الشيء غيره؟ وهذه محاولة ايضاً للعقل وينبغي أن يجتمعا هنا ايضاً على العجز عن المعرفة. على أن الذي تقول به الحكمة الخفية يصح ان يقول الفيلسوف مثله «وما أوتيتم من العلم الا قليلا»

---

(٢) ما هي صفات ذلك الشيء؟ فقاعدة الجواب مختصر أو لكن هذه المسألة جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليين أنفسهم، بين النقليين منهم والعقليين أولا. وبين المعتزلة من العقليين والاشاعرة ثانياً. ونحب أن نبين الخلاف الحقيقي هنا كما نبينه بينهم وبين الفلاسفة في الأمثلة المارة.

قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم مريد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لاهي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة معروفة في محلها . ونحن نقول اذا تروّوا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى اخره . والكل قائلون هو واحد [illegible] . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبلغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباري وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتدلتين نرجعه لا الى شيء . توضيحه ان المعتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للباري فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة التأدب المحكم ونصفه بما وصفه لا ننفي معانيها ولا نعتقدها كالمعاني المخصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المتعقلون من العقليين قالوا: إنا قد علمنا انه ليس كمثله شيء فعلمنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالمحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه ايضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لا خلاف بين الفريقين . غاية الامر أن اولئك احجموا عن ادعاء التفسير وهؤلاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكراً من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدّوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

اما الغالية من النقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعدتها الى غيرها . وأما الغالية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلاهم منكرون النصوص ولاهم واقفون . مهاقط . وهم مختلفون ايضاً . فالبون انما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التقسيم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي [illegible] . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين براء . ومع المعتدلتين سواء .

---

(٦) ما هي افعال ذلك الشيء ؟ مر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليين وأعدناه ههنا للخلاف في الظاهر بين المليين الفلاسفة ومناظريهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون إن الله تعالى خالق خواص واسباباً واسند اليها الفعل . قلت هذا اصل لمسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الاشياء فعلى رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخرين ان الانسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يعجب من عدم تروي الفريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم يأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلا متصرفا في هذه الدار بغيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عقله وتصرفه . ومهاناً او مكرماً بعمله فليقولوا كيفما شاؤوا ان يقولوا . افما بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزي عليه ؟ أراد المعتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الانسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيء . إطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاقهم على أن المرء مأخوذ بعمله وهي المرتبة الاخيرة .

وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء [illegible] غالية قالوا بالاستقلال المحض وافرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل المكون عن المكون في كل الشؤن . ويومئذ لا يتقي ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعقلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم

في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود اصحاب الكبائر وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفي في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها احد ائمة اهل البيت وهي « ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

حجب عنا ما اراده بنا ، وبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نشتغل ونتعاون فيما اراده منا ، ولا نتجادل ونتخاذل فيما حجبه عنا مما أراده بنا. »

هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا ان نقولهن او جهها لناس من أهل عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام ويجتهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في غيرها من كتب الفلسفة العصرية . ولا ان يتعدوا حدود ما كتب لهم الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : (١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت بعد تلك العلوم علوم ، فاقرأوا ماتيسر فما وجدتموه موافقاً للدين وهو الاكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبايناً فاسعوا في معرفة أسباب التباين . (٢) علم الكلام فائدته على ماقالوا الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الإيقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل معين وتحفظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بها من سلطان . ولا شهد لجلها العقل بتبيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . (٣) ان الشبه التي تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا

والكلمة الرابعة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري ، دأبهم الاستهداء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء (١) ان الذين ماتوا لم تختبروهم . ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم (٢) ان الناس قد يحدثون مقالات بحسب زمانهم ومكانهم وغرض [illegible] اه حاكيم (٣) ان الح[illegible] [illegible]

محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته والناس منهم مخلصون لاحكمة فى مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول الحق وبذل النصح ومنهم ضد ذلك (١) ان أخذ الادلة عن الاحياء المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم من أمرهم شيئاً . واعني بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجمود

والكلمة الخامسة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا شيئا من الفلسفة وما قرأوا شيئا من الدين فإمام حيارى في الامر وإمامهم مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين حنيفة سمحة . أركان اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لايشبه شيئا من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) النبى العربى أرسله ليتمم مكارم الاخلاق . ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عباداته ذكر الله تعالى بصلوات خمس في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب النهمة المتعبة، وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر المعلومة لتتأكد الوحدة الملية وتزداد الالفة . وإيتاء الزكاة في الحول للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا زائد لاتحد فرده من قيود هذه الجملة فيجدر بكم أيها الاذكياء ان تعرفوا بالدين وأسراره لتجمعوا بين فائدة الفلسفة التي تنور عقولكم وبين فائدة الدين التي تزكي نفوسكم . وان سألتموني ما الدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لا أضن عليكم بمبلغي مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولا (والانسان خلق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعاظم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك وفرس وهنود وافرنج فلم اهتد لعلم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم الف المطلوب . فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بعضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائن أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصير تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والارادة (لما تلزم البدن وما تلزم العقل) . والكلام (الذي يبلغ به ارادته للحاضر منه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات الجادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للنائي [illegible] ، والآتي بعدنا في الاجيال [illegible]

هذا التلغراف الذي يسمع به المشرقي مايريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذي نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع في فكره صور الاشياء) فبمجموع مزايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الارض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق ارادته . وفوق سمعه وبصره. وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة ان هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة في العوالم الارضية . وان تلك النواميس التي هي فوقها وحاكمة عليها يجب ان تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم : هذه نقطة ثانية عرج اليها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتمس الدليل في معراجه هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف المألوف عند تصورنا . هو عالم الحقائق والقوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم الغيب وهو بحر عظيم لاساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء وكنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة تمسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسمعها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بفمنا ، ولم تبلغها عقول الاكثرين منا من المتقدمين والمتأخرين ، واليوم ادركها بعض اقطاب العلم الباحثين في اسرار الوجود وقرب ادراكها لعقولنا فصرنا نقول بها ، ونلهج بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السر في حركتها ثم ظهر . وكنا لا نعلم كيف تكونت ومتى تحركت
ويدعي البعض اليوم انهم يعلمون ذلك . وكذلك كنا لا ندرك طبائع
الأجسام البسيطة والناس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة
وبعد التركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الأسرار التي حجبت
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف
عن تعيين طرف لهذا الميدان لذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرم البصر

قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقته لنواميس تحدث
خواطره وخواطره متضادة متنازعة كمال التضاد والتنازع . فإما ان هنالك
قوتين متضادتين (من جنس القوة التي هي العقل) مسلطتين عليه وتصرفه
تابع لنفوذهما على النسبة . وإما ان الأمرين المتضادين منفعلان عن المزاج
الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما
وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجدا خارج
الجسد فالمادة التي تقومان بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تخطر
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيتها لا من طريق
تسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي لها نفوذ على الإنسان
هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا
التفاوت العظيم الذي يرينا رجلا يعلّم أفضل شرع وأكمل آداب . ورجلا
[illegible] البخار والكهرباء وما يفعلان من سحر الالباب بروائع
آثارهما وبدائعهما . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة ببيان يبديه

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف . ورجالا كثيرين لايعرفون من الامر الا حيوانية وموتاناً .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه محفوظة بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان الانسان على عظمته في الارض غير كامل . أما من حيث الصورة فلفنائها وأما من حيث الخاصة فلتردده في تحصيل مايعتبره سعادة (ولذلك يعيش الانسان في هذه الدار شقيا على كل حال اما بالآلام والأتعاب الجسدية واما بالآلام والأتعاب الفكرية واما بهما معاً) فيجب ان تكون النسبة المحفوظة بالتسلسل مع من دونه محفوظة أيضاً مع من فوقه . وليس في عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خلقان متضادان (تضاد المليح والقبيح) لهما علاقة بالانسان كعلاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانسان بمن دونه هي احتياجه اليها لتكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما لظهور خاصته . هذا القدر يكفيني ويكفيك ولا تسألني عن اسميهما وكنهيهما فاني اكره جدا ان يختلف العقلاء بسبب الاسماء وأحب ان يتقاربوا من قريب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم في الاصطلاحات كيلا تكون سبب اختلافهم (١)

أما خاصة الانسان التي يطلب تكميلها مادام حياً فهي التصرف بعوالم هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم قوة محبة الخير فيلهمون تصفية العقل

الغريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرائي أفكارهم صور المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها تصرفهم وتحمد آثارهم ويبقى ذكرهم حيا اذا اضمحلت صورهم يوما من الايام

واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتهيات المادية ولن تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتذابح لا توازيه ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم تذم عقباهم ويموت ذكرهم كما يموت ذكر الانعام التي تحيي زماناً ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي يبتدئ في النفس على وجه التردد ثم يخرج ويتمادى به الخطوط المتباينة وكان بحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم أقل وأشرارهم اكثر لم يستغن عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهذبة للنفوس ومعينة للقانون وعند قراءتنا في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا فاصطفى من البشر اناساً هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآداباً كما اقتضته حاجة الناس . وما وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ما ذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري تعالى هو المدبر للموجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدى القوتين ناقص ايضاً كما هو معقول ، ولا بد لنا من تصرف اكمل لانه ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك فوقه ما هو اكمل فالتصرف الأكمل هو لاكمل شيء فيجب ان يكون

هو الباري تعالى رب العالمين . فكأن الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً مدركا ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان مجده — وهو الغني — بعبارات يستعيرها ، واوصاف يستعين بها مما عرف من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على أبدع مثال في المحسوس، وأقرب مثال في المعقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلا في ارادته ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحدا منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في كل تصرفه، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم . فكأنه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاً منهم وانقص، وكاملا واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم

وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والآداب التي جاء بها المصطفون انما هي بوحي منه لانها معرِّفة به باديء بدءٍ نصاً على وفق ما تعرِّفُ به خلقة الانسان حالا واشارة وهذا اكمل تعريف وهيهات ان يستقل به عقل الانسان الناقص المتردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و« محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث في الأميين زمناً طويلا من عمره ، ثم ظهر عليهم وهو الأمي بمعارف من عالم الغيب يملأ شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة التي تصلح شرعا لكل زمان ومكان بما يملأ التفريع عليه اسفاراً ، ومن الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً ، وصدع بالهدى على رؤوس

الملأ فقوبل بالرد والدفع . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم تصغر ، واشتد عزمه ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهذب على يديه جماعة منهم يقوون ان يتسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح وما زال اسمه يسمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر في نفوس الاعاجم والأعارب ، فما في دينه من الأدب الرافع ، والنظام النافع ، وما في قومه الذين رباهم وأرشدهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، وما في انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ، وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعد بها المؤمنين (كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل هذه تكفي من سلمت فطرته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ، وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو معاند . اللهم صلى وسلم عليه ماشكرك الشاكرون ، وذكره الذاكرون

— اليوم الآخر —

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه في شقاء الطلب المهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحرمان

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لانه محجوب عن عالم الغيب ، يجنح الى انه لابد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخلص من الاضداد ، فينقسم فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعير شقاء الحال وشقاء الندم على ما اجترحوه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لتعي هذا أوجهُ حسك وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدإ أو ذهبت بها الى المصير بمصير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاصله مهما امتزج بغيره . والروحيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحيُّ ان يلزمه ان لا يستبعد رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جاءت أولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجا تاماً في يوم آخر كالامتزاج الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج الثاني (الذي يحصل على كيفية ثانية) في هذا اليوم الآخر غايته التي اعدت له . وعازٌ على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم عندنا) قد استخلص من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان تُستخلَص الانسان (هذا المخلوق المدرك الكريم عند فاطره تعالى) من جنسه الحيوان . وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم نقل باليوم الآخر فأين تميز الانسان على الحيون اذا ماتا ميتة واحدة واين تميز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .

اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية والتوفيق الى سبل السلام ١٠ه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمَع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين . ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم . . . »

يعلم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب للطعن في دين النصارى أو غيره ابتداء وانما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك الجاهل بالاسلام في الدين مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مصيبة على نفسه وعلى الناس . ولا غرض للطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً متفلتين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الإسلام الا وراثة الاسم من آبائهم الأولين .

قال السيد جمال الدين الأفغاني الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى) : « ان سبب الدعوة الى مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

الى النصرانية ؛ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادتها الجمعيات النصرانية في دينه . فلما جرب الذين يدعون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ؛

وكذلك لما رأى مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المسلمين بالنصرانية لا ينجح في المسلمين من الطريق الذي انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمي ، وبذل جهده لإقناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدو العقل والعلم و(٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الأسباب و(٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام مضر بالمسلمين وسبب لتأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الرقي والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي (١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لأنهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فإذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم مما ينشر في المنار وغيره فإنما يحاولون محالا بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و(٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . و(٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكماً مدنياً يخترع الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا

النصف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والاسباب لاجل العبادة .

هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولاجل أن يجعله مقبولا اوردلهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء بها وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفقه أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال : « مع انه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم أطلاعه على الشؤن التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الاية للغرض الذي ذكره مع أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يتهكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفين مقتبس من الامام الغزالي الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

اذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملا ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كتبه بامعان وإخلاص — فهل يضحك او يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

ليغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محتجاً بكلام امام من ائمتهم ولا موضع للاحتجاج ؟ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق في المسألة التي اشتبه فيهما على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهابا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يجاب بها النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لايختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اه بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لايأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنونا وبين ان التوكل لايأتي

فيها أيضاً قال مانصه : « فاذاً التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لايناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكيّ التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هناقوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقضي التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضارّ هذه الكلمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فبهذا تبين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحد أمرين أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جليّ واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب من المزاج وبما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والا فالسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب » اهـ بحروفه

فاي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يوهم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الاسباب وينكران معنى سنة الله التي لاتتبدل ولا تحول الاسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين ماقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الاسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل هي مايعتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه بين في هذا الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لايناقضه ذلك انه هنا يشرح الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقته الشرع وهناك يتكلم على العلل والتأثيرات الحقيقية في الايجاد والاعدام وما قاله في الموضعين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما نبينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب المادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هي شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي صح القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالا عقليا وانما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها واوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما اوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً

قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ما اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانبه القارئ الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرهما فالانكار هو القول ببطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى ان قال ما نصه « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى وشق القمر . ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا مافي القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم واوّلوا تلقف العصا لسحر السحرة بابطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . واما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال « وإنما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات » فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين الانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة

فأنا نهيء من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة

ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضروريا عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا إثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادّعوا استحالته ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون مالا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان عما اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات مالم يقع كإحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدم آنفاً بأن المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت الآخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسببات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع « لامحالة » وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسببات وهو التفسير المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسببات المادية على اطراده ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالا وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغي للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالا عقليا

ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلا فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالممكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ماثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لأنه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سننا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند مايظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الالهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان يتقي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الا[illegible] في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فبهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في [illegible] الله مهتدياً بسنن الله [illegible] (باكون) على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوربا فقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عندهم أكثر جلاء

ووضوحالأنه كان يعتقدبخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي الى ان تكون نظرية مظنونة . ولكن اوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها الى الاخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعد باكون إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة ان صاحب الجامعة أخطأ في زعمه ان الامام الغزالي أنكر الاسباب. وفي زعمه ان مذهبه في السنن الالهية غير ماقلناه في «المنار» وندعو اليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً ان التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس اذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى فان خالق الكون وواضع نواميسه اذا كان حكيما لايفعل شيئاً الا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال ان النظام في الكون مشروط بكونه [illegible] الى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا الا صاحب الجامعة النصرانية يثبت ان مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدٍ الى انكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتاً في طعنه بالاسلام وأئمته الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذي تخلى في مذبح تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الائمة لاجل دريهمات تجيء من عدو للاسلام ، يجب ان يتشفى من أهله ولو بزور الكلام . ، هو أعلى من أن تعرج اليه الاوهام ،

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة ٠ يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه

فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة ٠ وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو الشراذم الذين لاينتمون لخدمة دينهم فيستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لايقوون غالباً على العمل بما يعلمون لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة عند الكافة وهي ماينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان المسلم مصاب ٠ وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه ٠ وان أكثر أهل الجنة البله ٠ وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ٠ وان غيرنا مستدرجون ٠ وانهم كلاب الدنيا ٠ وانهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ٠ وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخت ٠

ثم قال فمن (الغرارة) في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اننا لانرى ضرورة للاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يغني عن كله ٠ والحق ان الإتقان ضروري

«١» كما يتربى أولاد أكثر أمرائنا على أيدي اللالات أو الخادمات وما أدراك ما تلك الحيوانات ٠ اهـ من هامش الأصل

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحوّل عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الإتقان .

(ومن الغرارة) توهمنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فنظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدنا مثلا على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علماً ويتمرن عليها عملا ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قربةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومتى يغلب العطش ليقصد المجتمعات ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفّاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أدري وأقدر: جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لا تتحقق في الانسان الا في فنّ واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان كما قال تعالى « ماجَعَلَ اللهُ لرجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ » فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا اقدر: لأن الأول يتكلف اعمالا لا يحسنها فتفسد عليه كلها والثاني يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم اموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلا حكيما لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية او القضاء فلا شك انه يكون كرب بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيّه في صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولا) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الأسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

(ثالثاً) يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكد في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلا منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها مالا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفوارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهمّاً آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حال كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت ، وبتعبير آخر يغره انه أمامها وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع ، وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم ، وأمرت باستقرارهن في البيوت الا لحاجة ولا شك أنه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور ، وما هذا التحديد الا مرحمة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة ،

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والملذات

وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في التزوج وذلك ايضاً مرحمة بالرجال و... لأئمة المجتهدين اغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفؤاً لها فقط لكيلا تهلك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً وجهات عائلية مهمة منها التحفظ للاستسلام والتحفظ لتربية النسل ، وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان التزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او بسافلات الطباع والعادات او بالغريبات جنساً او الرقيقات مفاسده شتى لأن الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لامحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرته الى موالاة قومها والتخلق بأخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الازواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أتاهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة(١) أن تترك بعلها وهو في الغالب أطوع لها من خلخالها أن يجيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تغرز في رؤس صبيتها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطرة كلا لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

---

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقيقات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

بمرّ ان أعاظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أو بيوت قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً : واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الامة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم ينتقصون أنفسهم في كل شئ ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الخيبة في كل امل . ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات . وكإهمال التمسك بالعادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته . وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر . وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين . وكالغفلة عن إيثار الاقربين في المنافع . وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله . وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم . وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق . وألفوا الانقياد ولو الى المهالك . وألفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون . ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون ، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة واللكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملا والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم ان النشء الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منهاشى

أه من هامش الاصل

وتتعلق الاوطان بحبال هممهم عساهم يأتون فعلاً مذكورا هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويجتنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لايقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسارة . الذين يودّون ان يموتوا كراما ولا يحيون لئاما . الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤنه لايحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بارّ بوطنه لايبخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من ترابه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة . الذين يعتبرون ان خير الناس أنفعهم للناس الذين يعرفون ان القنوط وباء الآمال والتردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيرا .

وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد لانهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاونا وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لايقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشبيب والاحساس فقط

---

(١) اكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين . ونخاطبهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجمنستيك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرف بهما المسلم أ . . لكفى . (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التشبث بالأعمال التي يستوجبها الحب الصادق . والحاصل ان شؤون النشء المتفرنج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف « لا خلاق لهم » والواهنة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولو رياء وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الأتراك الملتهبين غيرة يقتضي احترام منيتهم

ثم قال (السيد الفراتي) ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يمطلون ولا يسفهون ولا يثبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت وتسلط عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بعبارة بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامة . وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين النشء والواهنة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاشلين المتواكلين المتقاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصبيتها يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولوتر الالمانيين وفولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النشء وإثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفينا الضوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضعف من أن تحوجنا أن ننتظر أم حسان تلد حساناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١ ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥) وهذا أنجع دواء والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما سنح لي في هذا المرام وقام ، وتبادل ، مع الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحــة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عــدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضية فقضــية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التربية والتعليم

الشذرة العاشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)

(التقليد والذاكراة)

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتغرير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتستهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شــعابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائفه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلا . وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميتها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمــل من القول المنثور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتغنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجــد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيــل (١) وهوراس (٢) من النعوت والاوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنه ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لاذهانهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطنطنة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مراداك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت(١). واقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجابة نال إكليلا مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة فى البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً .

ثم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهريا غير انه لا معنى لهذا الا انهم يعتاضون عن مُثُل الغابرين مُثُل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقالتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه فليقل لي ربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون « أميل » ميالا الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أني وهيلانة دأبنا في تحبيبها اليه وأفلحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة . فاتقاء لهذا الخطر تراني مصمماً على ارجاء تعليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعيت في ايتائه من آلات الضبط والدقة

---

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق ٠ م ٠ وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة لهذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلا ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فاتم تاريخه قبل ورودها ثم قال اني متكدر من ذلك ولكن قد انتهيت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعي في الافضاء اليه بما لي أو ما لغيري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتنبيه الى ان هـذه المُثُل لا تقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لا نكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لا غضاضة علينا في أخـذه عن كتاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يباشر بعض خواص الاجانب يقتبس شيـأ من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لتشابهـه لهم بحال من الاحوال كذلك مباشرة الاقدمين بواسطة ما تركوه من آثارهم توحي الينا شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين بضياء العرفان ٠

التقليد الخسيس سواء قلد فيـه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على إضعاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فلشدّ ما يخدعون بمـا تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الإنشاء والالفاظ والجمـل تفعل في نفوسهم ما يفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون أنهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق أنهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هـذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل ٠ ذلك ان ضروب الاستعداد متلازمة فمن قبل واحداً منها فقد أخـذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصـفه المقلدون بالمُثُل الحسنة يصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يجبن ويفزع عند كل عزيمة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسناً في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومـة عادة بربرية او تأييـد حق قلّ ناصروه ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للسُخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الجبان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتيهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما اكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسفلون بها اليه من دركات الذل . عرفت امرأة بَرْزَةً (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبلة آمالها فبدا لها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاورة والتمثل باشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً برداً من الخطر ويلقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم دخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا قشورا محبوبة عند الناس ولكونه أوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قوبل بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثرثاراً عديم الخلاق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الاكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحببت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون مما يتعاصى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكامنا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مدنيون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظيفتهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضح فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعا من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقلدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم: «الهوينا» أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الخطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصغون الى ندائهم وان كثيراً من هؤلاء يحيزون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم ولكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يولّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسيرون بما تتابعه لهم من ضروب الايذاء وما تبلوهم به من العقوبات والنكبات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسية ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم

ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لاميل » وكان الذي يعنيني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الاعجاب بها دون ان أرضاها لتربيته

﴿ النبذة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا

ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكراههم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفلحون غالباً الا في ان يكرّهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان

فالإفراط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في اعجابه بما يعلمه يذهب بالحمية من نفس هذا فيما يتعلمه

والمقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فانه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامتثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبيح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لا تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همتهم في مستقبلهم مصروفة الى تلقي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلا

سادع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون مناهضاً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضن عليه بالإرشاد متى سألني اياه تجدني اقصد ان يلتمس في ما يطالعه تنمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتهي ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واغتبط لو انه اتفق معي في التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محقاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كمالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتعلق بنفسه أو بوظائف أعضائه ، يدلك على ذلك انا لا نكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها في ذلك الزمن ، ولم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا في شيخوختنا الا النزر اليسير ،

آثار علمية أدبية

(الاسلام والنصرانيه ، مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لنتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً ، وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح لطبعه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وألزمنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام

وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريظه لأحمد أفندي الكاشف وأننا ننشرها أيضاً في المنار وهي

سلاما حجةَ الإسلام فينا　　ورضواناً رجاة المسلمينا
عُنيت بما كَتبتَ فكان وحيا　　يؤيد وَحْيَ مُلهِمك المبينا
فلم تترك لمتهمٍ مكانا　　يرى فيه المزاعم والظنونا
فما بطلٌ يخوض الحرب فرداً　　فما يدعو بآخرَ مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي　　بمهجته المواطن أن تهونا
بأبقى منك آثاراً وذكرا　　وقدراً في قلوب العالمينا
وكان يراعك المنصور سيفاً　　وكان كتابك الدّرع الحصينا

ملكتَ به معاقل عاليات نبتْ عنها سيوف الفاتحينا
وماضرَّ الضلالُ الخلق حتى نفحتَهم وأوضحتَ اليقينا
فرفقاً بالمكابر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدينا
وَدَعْهُ في تأمله عساه يجيئك باعتراف المهتدينا

باب التقريظ

رحلة صادق باشا المظم الى صحراء افريقية الكبرى

الفريق صادق باشا المؤيد المظم أحمد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عنده ولاه بعثه في المهمات السياسية والفنية العملية. فكما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء أفريقيا وا كتناه شؤنها عامة وشؤن السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جميل بك المظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لايحب التارخ ولا يحفل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشتغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وجدي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ماوراء المادّة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدنية أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويختلب أفئدتهم كل يسمعونه من علومها وعقولهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي انتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنيتهم وتلك العلوم علومهم لا يعتقدون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكتفي

لايقاعه في الشك أن تخفى عليه حقية مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أويراها مخالفة لما يقول أولئك الخاطفون لبصره والخالبون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غيرما يفهم أويكون المخالف للمسألة هوالمخطئ ولكن من فتن باعتقاد عظمة إنسان لايخطر له أنه يخطئ . التقليد يفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسليما

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف الثمام الا اذا انصرفت همة الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى ان يوفقه لاكماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه . وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تنجيماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرشاً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿قاموس الماني عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهتت العالم فأحلت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يبتغون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد العلائق بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المتكلمين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا العهد . الف هذا الكتاب العالم الفاضل اللغوي المؤرخ الدكتور ارنست هردر المحرر باحدى الجرائد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بَخْلَشْ رُنْدْ شَوْ » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجة المتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشر قومنا طويلا — بعيد

ان يضع للكلمة الالمانية أخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعمد اذا لم يصب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدر ما يمكن ٠ ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة «هيدلبرج» وصادفت اقبالا طيباً ٠ قد يضع المؤلف احياناً ازاء الكلمة الالمانية أخرى من اللغة الدارجة مع التنبيه على ذلك ٠ لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد ٠ ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكاتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء)

(مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ المنصف جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والامراء والقواد ورجال الادارة والسياسة ولم نتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال ٠ وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسما وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) «رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية» ألفها عبد العزيز أفندي فتحي الجورجستاني وقال في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دما عند ما أرى بدعة أسندها مبتدعها الى الدين: وتلا الاستاذ قوله تعالى «ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعبا» الآية ٠ أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدها ٠ و(٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وذم ضده و(٣) الاصلاح والمعاونة ٠ و (٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر ٠ و (٥) النميمة والغيبة والحسد ٠ و (٦) نشر المعارف وفضل العلم ٠ و (٧) العمل وترك الكسل و (٨) المبتدعون في الدين ٠ و (٩) المفاسد في الموالد و (١٠) الطريق ٠ وختم الرسالة في انتقاد الوعاظ ٠ ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفر عن المنكر وتحث على المعروف والخير ٠ ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

كلمات من الفصول الاخيرة لأن سائر الفصول لاتشرح من أحوال العامة ماينبغي شرحه فعسى ان يوفق المؤلف الى كتابة مايعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل ٠ ولم يعتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لايمنع من الانتفاع بها

(النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا معوبع اللبناني وقد عرفنا الناظم شابا متوقد الذكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق (كونتينتال) بمصر قال فيها

حيِّ في مصر أربُع الغادات   ومغاني الحسان والحسنات
أربُعٌ قد حوين كل صنيع   من جميل وأوجه سافرات
يتجارى الفتيان فيه الى البذ   ل باغراء أعين الفتيات
آنساتٌ صيّرن من كان في القو   م بخيلا يجود بالمكرمات
يستبيه لحظ الحسان فلا يلـ   بث ان يبذل اللهى والهبات
كل خود للسحر في مقلتيها   عقدٌ قد حَلَلْنَ بالنّفثات
أخذت للفقير منا زكاة   قابلتها من حسنها بزكاة
وغدا الزهر غالي السعر اذ قد   كان يعطى من تلكم الراحات
ينثر الورد حولنا من يديها   فتخال الخدود منتثرات
وتعير النسيم من صدرها أنـ   فاس طيب تردها زفرات

الى ان قال

سوق حسن للعاشقين وسوق   من جميل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكواعب منهـ   ن ويا حسنهن من منشئات
ما كفتنا محاسن العين حتى   ملكتنا الحسان بالهبات
هكذا يجمل الجمال افعال الـ   خير لا للخلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو   للذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم المتيم بالوعـ   د ولكن يحمى عن الوجنات
هكذا يعرض الجمال محلى   بجميل الأفعال والغايات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان ٠ طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه الى نقولا بك توما المحامي الشاهد من حبه للأدب وأهله

(حديث ليلة) قصة فكاهية غرامية تأليف القصصي الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير ٠ وقد عربها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

تعريباً للقصص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناً للطبع فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع

(المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده مراعاة النظير ، وتشبيه الاسد بالأمير ، في القسم الادبي منه مقالة في (اللغة) وفي ختامه خطب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد افندي محمد شاباً غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يتمرنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فنرجو له النجاح ونحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساعدة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي العلم والادب في غير المدارس تنشيطاً واسعاداً ، وقيمة الاشتراك في المجلة المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(المعلم الصناعي) مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئيها عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهمي أفندي احمد المتخرجين في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ، صدر الجزء الاول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً طبعاً جميلاً بمطبعة الشعب على ورق جيد ، وهي مفتتحة بمقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها (في) العمران) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الامريكاني مصدرة برسمه وفيها نبذ أخرى في النتائج الصناعية ، وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون بعنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد علي) فاذا كان هنالك شركة تصدر المجلة فان النجاح يرجى لها بقدر رسوخ تلك الشركة وثباتها والا فلا بد من تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء ، لأن البلاد لم ترتق الى حيث يكون فيها لكل نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة ، وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً فعسى أن تصادف إقبالاً ورواجاً لتحبب الصناعة الى أهل هذه البلاد الذين هم في أشد الحاجة اليها ،

(الثبات) جريدة أسبوعية علمية أدبية تهذيبية بشكل الجريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوماً الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم ٠ أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (ا ٠ عبد الحميد) ولكنه أرسل الينا مع العدد الأول رقيما علمنا منه أن الالف اشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه وامله يصرح باسمه في الأعداد الآتية ٠ وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة ٠ فنتمنى له التوفيق وللجريدة الانتشار

﴿ إعجاز أحمدي — أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبتدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد غريبا

وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحمد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بخلق غريب ، وخَلْقٍ من إفكه عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من المخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدّعيه من المعجزات ، وجعل لها مقدمة هذيانية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ، وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطاعين ،ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ،يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهذيان ، وقد أخرنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي سلخها من كلام فحول الرجال ، ومسخها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيخ الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخافة ٠ وأما المخدوعون به من الأعجميين في الهند فلا يفهمون انتقادنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة ونترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مُدٍّ قد دفاك مدمّر وأرداك ضلّيل وأغراك موغر

دعوت كذوباً مفسداً صيدي الذي كحوت غدير أخذه لا يعزّر

وجاءك صحبي ناصحين كأخوة يقولون لا تبغوا هوًى وتصبّروا

فظل أساري كم اسارى تعصب تريدون من يعوي كذئب ويختر

فجاؤا بذئب بعد جهد أذابهم ونجي شاء الله منه وأظهر

فلما أتاهم سرهم من تصلف وقال افرحوا اني كمي مظفر
وقال استروا أمري واني أرودهم أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا
وارضي اللئام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبطر

ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصر على تكذيبه لا يقصر
دعوه ابتهالا لموت مزور مضل فلم يسكت ولم يتحسر
وكذب إعجاز المسيح وآيه وغالطه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الأبيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا النظم أعني قصيدتي ليخزي ربي كل من كان يهذر
وهــذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا الشثل أغضى وأنهر
وليس علينا في الجواب جريمة فيهدي له كالأكل ما كان يبذر
فان اك كذاباً فيأتي بمثلها وان اك من ربي فيفنى ويتبر
وهــذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كغصن تجذر
ارى ارض مدّقد اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تجذر
أيا محسني بالحمق والجهل والرشا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر
اتشتم بعد العون والمن والندى اتنسى ندى مني وما كنت تنصر
ترى كيف أغيرت السماء بآيها اذا القوم آذوني وعابوا وغيروا
فلا تختر سبل غيّ وشقوة ولا تخاش بعد النوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيح الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووهمه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أضر منها على السياسة الانكليزية . وهذا شأن الصديق الاحمق يريد أن ينفع فيضر

من سياسة هذا المسيح الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عصبية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم انه المهدي المنتظر ٠ وقد كتب في هذا المعنى كثيراً ٠ وانما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارّة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى ٠ فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى تخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم ٠

وأما الرأي الأفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جمع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لاترضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه ٠ أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف مايقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة ٠ وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عليها وحسبها هذا منهم ٠ ولو كان هذا الدجال يجتنب هذه الأوحال، لكان أسلم له على كل حال ،

باب الأخبار والآراء

الحجّ في هذا العام

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لئلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فيتفشى بهم وأرادت حكومة مصر أن لايحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنيهاً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤنهم في السفر ٠ وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقد الأكثرون أن الغرض منه التنفير عن الحج والتمهيد لمنعه ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكليز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تغن شيئاً ، على ان الوقت لم يفت واللورد كرومر صاحب النقض والابرام في السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكليز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتنموها وخففوا من المال المفروض شيئاً ، ولعل الذي منعهم من تلبية الأهالي وسماع شكاويهم هو لغط أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتطرفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق ، فكأن مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قررته وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بذيهم ،

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الاهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تأييده في مصلحة من مصالح دينها ودنياها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صاداً للمحتلين عن إغاثة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على لسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد ، فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير ، بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريدته من قوة التأثير ، (ثالثها) ان نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الغوث الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدنيوية دون حكومة الامير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها ،

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعلق قلوب مسلمي مصر بالانكليز من جريدة الاحداث التي تتجر بذمهم ، قالوا : اذا كانت الجريدة لا ترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تحتج بغيرها وان كانت لا ترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي لعلمها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويحملهم من الحكومة على الاصرار فهي لا تقصد نفع المسلمين ولا تسعى في تسهيل الحج عليهم ، وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لا يهمها كثرة الحجاج

أو قالوا وانما سبب الصياح والعويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي الى الجريدة وايهامهم انها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهـذا مقصد يتلاشى أمامه التفكر في نتيجة النشر هـل تكون تسجيل مدح الانكليز والطعن بحكومة الامير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيـه ان نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضارًّا وما كان يتصوَّر له وجه منفعة قط

أما نحن الذين لايهمنا الا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أملنا من سموّ الأمير ومن حكومته لاننا نعلم انهم لم يأمروا بمـا أمروا به ليصدُّوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومـة مصر لاتقاس بحكومة اسـلامية أخرى كحكومة تونس مثلا لان أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسيّر ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة العلية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . فحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يخدش هـذا الشرف ولا أن ينتقص . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمنع الفـقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هـذا العام فاذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلّما يحجون لأنهم مشتغلون بتمتعهم وهم أحرص الناس على حياة وان الخير في جميع الأمم انما يكون غالباً في الطبقة المتوسـطة وأن أهل هـذه الطبقة هم أقرب الى الصحة من الاغنياء لقلة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يثقل على الاكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنيهاً أو سبعين غير ما يأخذه معه وما يتركه لاهله وعياله من النفقة — واذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحترم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باجتماع مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر بتخفيف ما فرض أوّلا الى نصـفه مثلا . والنسخ معـهود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الامير وحكومتـه محل الرجاء وغاية ما نرجو من حرية الكتاب أن لا يعارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا معارضين

اذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هـذا العام مؤلفا من أهـل اليسار فما كان أجدر الموسرين بالانتظام في هذا السلك الدريّ الذي لاخرز بين درره ولآلئه ونخص بالذكر المترفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيـه من الزحام وقلة العناية بالنظافة لصعوبتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هزّت الاريحيّة الاسلامية بعض النظار الى الحج لكان فيمن يحج منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الاغنياء

ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً ۰ واذا لم يبادر عدد كبير من الاغنياء الى الحج لإحياء شعائره وحفظ شرف مصر الديني فلا سلام على الاغنياء ۰ ولا زادهم الغنى الا تعاسة وشقاء ۰

﴿ الجامعة الدينية ، والجامعة الوطنية ﴾

بينا رأينا في الجامعتين مرات كثيرة وأحسن ما كتبناه في ذلك وأوضحه مقالة مسهبة في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » أثبتنا فيها بالبرهان المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على مواداة من ليس على دينهم ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلمهم بأن سعادته في تأليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً ۰ ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا ، ومما نعتقد فيه الاخلاص من هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أصدقاؤنا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها من الجرائد العربية ونوّهنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلغط بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى منهم الذي يلقب في المنار بحدث السياسة فانه خلق وطنية لا يعرفها أحد سماها « الوطنية الحقة » ومعناها ان يبغض المصري المسلم كل من ليس مصريا لانه ليس وطنيا وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (العثمانية) وأن لا يحب القبطيّ المصري لانه ليس مسلماً ۰ فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا الغيرة هي التي حملنا عليها في المنار حالاتنا المعروفة وانا نرى جميع الكتاب من المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق لبعض الكاتبين السوريين في البرازيل ان كتب في (المناظر) كتابة في الدعوة الى الوطنية ونبذ التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث السياسة » ووطنيته فظن انه المعنيّ وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكهل السياسة وعساه يتكلم على هذه النبذة بأنه ليس المعنيّ بالحدث وانا لسنا من السياسة في شيء وانا ان كنا ندعو المسلمين الى النهوض باسم الاسلام فانما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي تقتضي بها حالة العصر لاحياء الدين واحياء دولها وحكوماتها وملوكها وامرائها ۰ نرى المسلم في تركيا وروسيا والهند وجاوه ومصر وتونس والجزائر وفي سائر الاقطار متأخراً

في العلم والآداب والعمل النافع ونرى ان التقاليد تأثيراً في هذا التأخر وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى [illegible] الوحدة وتحصيل العلم الجاري مجاوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم الوطنية لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لنحث أهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هـذه الامور باسم الوطن . على أننا لا نقصر في الدعوة الى التأليف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التعصب الديني والجرائد والمجلات ﴾

التعصب للدين بمعنى الاعتصام به والاستمساك بعروته فضيلة هي أمّ الفضائل والتعصب بمعنى ايذاء المتدين لمن يخالفه في دينه رغبة عنه تتولد منها مصائب كثيرة لاسيما اذا أنشئت لهذا التعصب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتعصب بالمعنى الأولى قوي عند المسلمين لا يساويهم فيه أحد حتى في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور الضعف والتأخر . والتعصب بالمعنى الثاني لا يسلم منه أهل ملة ولكنه عند المسلمين أضعف منه عند غيرهم لاسيما النصارى

إن المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة دينية الا المنار وهو حديث العهد فيهم . والنصارى لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم . واقرأ هـذه الجرائد والمجلات تجدها ملأى بدعوة المسلمين الى النصرانية والطعن بالاسلام ولا ترى في المنار الاسلامي دعوة لأهل الأديان الى ترك دينهم والدخول في الاسلام وقد مرّت عليه ثلاث سنوات من أول نشأته وهو معرض عن الرد على المعترضين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأننا لم نكن نرى المسلمين مبالين بها فأحببنا بقاء ذلك السكون بالسكوت عنهم . ولكننا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتحنا في المنار باباً لردّ شبهات المسيحيين . التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين .

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لاتعرف لهم الا مجلة دينية واحـدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكا بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصـغيرة تعتدي على تلك الملايين الكثـيرة وتطعن بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان تعجب فهناك ماهو

أعجب من الأمرين وهو ان المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها باقبالهم عليها وهم يعلمون أن النصارى لايكادون يشتركون بجريدة صاحبها مسلم ان لم تكن دينية الا لغرض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الاسلامية الوحيدة وهي (المنار) فليس لها من المشتركين المسيحيين الا اثنان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرمج اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ،

ومن العبر التي هي احدى الكبر ، ما جاءت به « الجامعة » في الأيام الأخيرة ، وهو أنها تصدت للطعن في الاسلام . وفي ائمته الأعلام ، من طريقة خدمة العلم دون الدين ، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين ، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين أنياب الفقر . ومخالب الضنك والعسر ، الى أن تحرش بالمسائل الاسلامية ، وناطح بقرنه أعلام الملة الحنيفية ، فأقبل عليه المسلمون ، وهم من كل حدب ينسلون ، وما زالت تتوالى عليه منهم « الاشتراكات » ، حتى زال عنه بالمهم « الضنك والعسرات » والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة . وأما العبرة على تقدير تمويهه وتعظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامعته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماقة مبلغاً يستزلهم فيه بمثل هذا الكلام الى مكافئته على الطعن بدين الاسلام ،

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرظ كتابه الذي لفقه في الطعن بالاسلام وائمته ووجه أنظار المسلمين اليه ، وحثهم عليه ، أليس من الألغاز والمعميات التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة يومية إسلامية تقرظ كتاباً يطعن في الاسلام ويجرح كلام ائمته ليقنع المسلمين بما يقول ويزعم ان الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاض بهدم الاسلام وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين ازالة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوربا — الى آخر ما أشرنا اليه في باب الشبهات ونوضحه بمقالة مخصوصة ؟ بل ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون ، كأنه يتعذر علينا ان نرضيهم ونحن مسلمون . . ولن نرضى تلك . . . ولا ننكر ان أصحاب الصحف المعتبرة كالهلال والمقتطف والمقطم والأهرام غير راضين عن خطة الجامعة وفتحها أبواب التعصب بين المسلمين وهم يعلمون عن جعل مجلتهم دينية

﴿ الفلسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها الا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضييع الوقت بالاشتغال بنظرياتها العقيمة الا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليعرفوا نسبة الماضي الى الحاضر وهؤلاء الأفراد لا يوجدون الا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والفنون العصرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ سلسلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يسمونها كمالية وأمامها مرتبتا الأمور الضرورية والامور الحاجية

ولا يخفى ان أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تشتغل أفكارهم بالمرتبة الكمالية لأن ذلك تضييع للوقت وافساد للفكر . فالاشتغال بنشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين الفارئين وترغيبهم فيها ضارٌ بهم ولو كان ضروريا أو حاجيًا لطلبوه بسائق المنفعة وقرروه في مدارسهم

ثم ان ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كتبه في نسبة الفلسفة الى الدين ينبغي أن يطلع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للامام الغزالي وكلاهما مطبوع بمصر في كتاب واحد وثمنه بخس

ولا يصح لعاقل أن يعتمد في فلسفة ابن رشد -اذا هو ارادها- على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب الفرنجية فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الاسلامية ولا علوم الدين في مدرسة كنسية وهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الاسباب والسنن) المنشورة في هذا المنار ويعلم مما سننشره في اثبات ان دين الاسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة ان الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

﴿ القوى الادبية فى الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام باحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة الى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالفحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالاساءة

والنميمة والبهتان للتفريق بين الصديق وصديقه والرصيف ورصيفه والأستاذ وتلميذه

أما الكذب فمنه نسبته ما كتبه في هذا الموضوع لغيره مع ان العبارة والأسلوب والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والا فمن هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من الطعن في بعض الأصحاب والرصفاء ما نعلم انهم يقيسون عليه ما حكاه عنهم فنعلم ان كل ما قاله كذب ه الخ

وأما سوء الظن فمنه أنه جزم بأن الذي أفشى سره المنوي بسوء قصده وبعزمه على الاستمرار في عمله السيء هو ذلك الأديب الذي ينوّه به ويمدحه ويدافع عنه والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محيي الآداب في الشرق أن لايجاري ظنه السيء في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فمنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان مستخدما قبل ماهو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لاينبغي التصريح به وانما يشار اليه بالنقط ... مع ان الرجل لم يكن مستخدما الا في شركة الأسواق.

وأما مكافأة المحسن بالاساءة فنها وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملة غيره من المحسنين بما لا حاجة الى التصريح به ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النميمة والبهتان فمنها زعمه ان فلانا كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانه فكيف يصرح به محيي آداب الشرق وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهذه النميمة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونيــة والحاح الدول عليها بوجوب الاصلاح ومن مطالبة انكلترا لها بالاذن لسفنها الحربية أن تمر في الدردنيل والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكشية في خطب عظيم من خارج يدعى (أبا حمارة) خرج على السلطان يحاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصبيته لأن الاهلين نفروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسه في زخرف مدنيتهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحنا له ولحكومته

بالاستعانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي بطلب رجال من العثمانيين المسلمين يقومون بالاصلاح — والمنار يرسل دائما الى ناظر خارجيته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وأمرائهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .

هاتان الدولتان الاسلاميتان مضطربتان وبقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة ليس فيها شيء يؤثر ، ولاحادث يذكر ، اللهم الا الهند ومصر . فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملك الانكليز وتسميته أمبراطور الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدربار) ويكون في مدينة (دهلي) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لأنه انفع الاشياء لهم . وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالخزان الذي بني في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وانما نتكلم عن الاخيرين بوجيز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البلاد الحارة ولاشك ان مصر خير مكان يصلح ان يؤمه أطباء أوربا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسمياً وأرسلت مندوبين عنها بحضرته . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في الملهى الخديوي (الأوبرا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والمجامع العلمية التي لبت دعوة حكومته وأرسلت مندوبيها الى المؤتمر ومما قاله « يجدر بي ان أفتخر بأن بلادي قد اهتمت اهتماما حقيقيا بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعيّ موجهة دائما الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل » .

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيصر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الغازي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوبا آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لايرضي الدولة العلية لأن من شأن مثله ان يكون في البلاد المستقلة وكأنها ترى ان الواجب ان يكون المؤتمر [illegible] بدعوة الحكومة المصرية بنفسها .

﴿ الخزان – أو – سد أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ريّ الارض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوّراً وعملا فسدّ مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصوّر بناء سدّ للنيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراده وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم الا في زمن هذا الامير (العباس) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الانكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالانكليزية اسم واضعه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سموّ (الخديو عباس حلمي)

طول السدّ من الشرق الى الغرب الغامر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠ مصباً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام ومتران من الوراء في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء واطلاقه . ويبلغ ما يمسكه السدّ من الماء مليار أو ٦٥ مليون متر مكعب أو مليارا و ١٤٠ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السدّ المقدرة فهي عظيمة جداً منها احياء أرض واسعة تقدر بمئات الالوف من الفدادين ومنها التمكن من زرع نحو نصف مليون فدان مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن الا مرة واحدة ومنها سدّ العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين .

ومن تتمة منفعة هذا السدّ انه بني في أسيوط قناطر كالقناطر الخيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وفائدتها اصلاح الري فيما تحت أسيوط من الوجه القبلي

اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الافرنج وكان الامير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتدأ الاحتفال ناظر الاشغال العمومية حسين فخري باشا بخطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السدّ بالاجمال والعناية في بنائه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وجيزة اعترف فيها بعظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همتهم في مساعدته وقال « وانه ليسرّني كثيراً أن أرى حكومتي تتبع اغراضي وأخص ميلي فتبذل كل الجهد في جانب الخير والسعادة للبلاد »

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ٩٠٣)

باب العقائد ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بإيهامهم ان مانقول ليس من الدين وانه ضار به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدواً للعقل وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره وانه لو كان معقولاً لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبثُّ من دابة آياتٌ لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويلٌ لكل أفّاكٍ أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرُّ مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الادلة والبراهين ، طالباً بها أهل العقل باليقين في الايمان ؛ واليقين لايكون الابالبرهان ، ومعرفة الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل الى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين ان الظن لاينفع في الدين ؛ لان المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغني من الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على ان الاسلام دين العقل وانه علم وانه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الايمان بأصوله كوحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الانبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كله « يعقلون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الايمان بغير هذا الحرف كالنهى واللب فلفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية . لهذا كان العلم بالكون طريق الايمان والاسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » فحمداً لله الحمد على كل حال دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم »
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل ما لا تحس به
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم
يتصف باليقين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة
وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر
الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ولنا في النقل التأويل أو
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الازهر
وغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى « لا يكلف الله نفساً الاوسعها »
عند ذكر التأويل : وقد ثبت انه متى وقع التعارض بين القاطع العقلي والظاهر
السمعي فإما أن يصدقهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبهما
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجح الظاهر
السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك
بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في
الدليل العقلي والدليل السمعي معاً فلم يبق الا أن يقطع بصحة الدلائل
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل » اهـ ثم انه أقام الدليل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بنقول

ولكن فشت بيننا فى هذه العصر مطبوعات المشككين فى الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الائمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام فى معنى واحد

﴿ الشكوك فى المسألة ﴾

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة فى أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس ينفك فريق منهم عن خزي فى مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله ، وظن ان الامور الالهية يستولي على كنهها بنظره وتخيله » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا

فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنه الخالق وحقيقته وكنه صفات البارئ وحقيقتها ، واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشككات

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة دقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيككم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم في

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لاتنال بنظر العقل بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن ادراك حقيقة البارئ وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال وستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٥٤٤ من المنار): « لابد ان ينتهي أمر العالم الى تآخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛ ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه ، « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون ، وتبعهم الجامدون القانطون ، » فكلام الامام الغزالي وكلام هذا الامام واحد لافرق بينهما . ولو كان الاسلام كلفنا بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لايعقل ولا يستطاع ولكن الله يقول « لايكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل الجملة الثانية بأسطر (ص ٥٤) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين ، بل خوض الهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في العقائد ولا في غيرها كما بناه على ذلك في مقالة لا اسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهبه من كتبه في العقائد والاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان براهينه القطعية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم

فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الاصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) في هذا الكتاب أثبت ان الشرع الإسلامي أوجب النظر بالعقل وجعله أساسا للعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه:

« واذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له . واذا كان هذا هكذا فان أدى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو عرف به . فان كان مما سكت عنه فلا تعارض هنالك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي . وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقا لما ادى اليه البرهان فيه او مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هنالك . وان كان مخالفا طلب هنالك تأويله . ومعنى التأويل هو

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف أصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعا أن كل ما أدى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتاويل » اه المراد منه بحروفه

اقول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهاءهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الإسلام فمكروا مكراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصارا ،

فان قيل : ان لابن رشد كلاما آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفا لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراكان وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزت فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل فانها مبادي الشرائع والفاحص عنها اوالمشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وإنه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية . والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اه بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه باعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادمنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لايعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والا فقد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليين مسألة المعجزات ومبادي الفضائل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بدياً يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادیها لافي الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمور لاتجعل الدين (المُطْلَق) فوق العقل بمعنى أن فيه مايحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن مالا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسائله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالا بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله يتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

و(منها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يُشكّ في وجودها . والموجود لا يكون محالا لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عنهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين مالا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود

و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه وضرار . وأي سفه وضرر أكبر من التشكيك في شئ موجود نافع للناس لصدّهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه اكبر من سفه من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات) او يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟

وما احسن ما اورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبه (أي ما نسبه الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة إبراهيم عليه السلام فشئ لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادي الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك انه لما كانت كل صناعة لها مبادي وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أحرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها فان جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مباديها هي أمور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بها مع جهل اسبابها ولذلك لا تجد احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادي تثبيت الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل . ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبدإ من المبادئ فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء » اه بحروفه من (ص١٢٩)

حقا أقول ان هذا مايصح ان يسند الى الحكماء العقلاء وانا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال للمريض عليك ان لاتقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادي الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ماهو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء في الشرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها

فتلك المرض بمريض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة بمريض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه الكيفيات فبقي ان الصواب ما قرره الاسلام وهو أن النظر واجب في الاصول التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتقدنا بقدرة الله وإرادته وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبيده وألهمهم ارشاد الناس الى ما يسعدهم في حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل ما يقول الموحى اليهم (الانبياء عليهم السلام) تسليما . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي القطعي نرده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي القاطع بحال من الاحوال .

وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التاويلات التي تظهر للراسخين في العلم بل تبقى خاصة بهم لئلا تكون سببا لفتح باب الجدل على العامة لعدم الاتصال اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادلين

ارتقاء الأديان ، وختمها بالإسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة فى طور أشبه بطور الطفولية للناشئ الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ماوقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعاني مالا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على مايقيم بناء شخصه في هم شاغل عمّا يلتفت اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الاديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلّم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده فى سذاجة السن لا يأتيه الا من قبل مايحسه بسمعه أو ببصره ، فأخذتهم بالاوامر الصادعة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلّي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مداركهم الى مرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ؛ وتنفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه (١)

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها (التوراة) يتجلى له انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « الغليظ الرقبة » أى المريض القفا والمراد البليد الجافي وكان يريه الآيات والمخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرده ، وكان يعلل له الاحكام بالوقائع الخاصة كالخلاصة من المصريين ، وكان يعاقبه على ترك أي حكم بأشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملا يقتل قتلا

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الاقوام وسقطت، وارتفعت، وجرّبت وكسبت، وتخالفت واتفقت، وذاقت من الايام آلاما، وتقلبت في السعادة والشقاء أياما وأياما؛ ووجدت الانفس بنفث الحوادث؛ ولقن الكوارث، شعوراً أدق من الحس وأدخل من الوجدان؛ لا يرتفع في الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان؛ فجاء دين يخاطب العواطف، ويناجي المراحم؛ ويستعطف الاهواء؛ ويحادث خطرات القلوب، فشرع للناس من شرائع الزهادة مايصرفهم عن الدنيا بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الاعلى، ويقتضي من صاحب الحق ان لايطالب به ولو بحق، ويغلق أبواب السماء في وجوه الاغنياء؛ ومايحو نحو هذا مما هو معروف. وسن للناس سننا في عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه، وما دعاهم اليه؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصلح من فاسدها،

ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتماله، وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ باقواله، ووقر في الظنون أن اتباع وصاياه ضرب من المحال، فهب القائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك في السلطان، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جادته بالتأويل، وأضافوا اليه ماشاء الهوى من الأباطيل، هذا كان شأنهم في السجايا — نسوا طهارته، وباعوا نزاهته؛ أما في العقائد فتفرقوا شيعا، وأحدثوا بدعا، ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من أشد أركانها، وتوهموه من أقوى دعائمها؛ وهو حرمان العقول من النظر فيه وفي غيره من دقائق الأكوان، والحظر على الافكار أن تنفذ الى شيء من سرائر الخليقة، فصرحوا بأن لا وفاق بين الدين والعقل، وأن

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذاهب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جدّ في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلوّ في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوّض الأصل ؛ وتخرّمت العلائق بين الأهل ، وحلّت القطيعة محلّ التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محلّ السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالانسان أشُدّه ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخروية ، وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، انما هو تجديد الذكرى في الارواح ، وان الله لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهراً مطلوباً ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن مافرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظر ان الاستاذ الإمام يلحق جميع ما ابتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية ، بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم ، فلا يتوهمن أحد ان مسلما يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئا كان ضارًّا بذاته فيمن خوطبوا به

هو الأوجب من التطبع بظاهر الملكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . « ان الإنسان خُلِقَ هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرجل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضاء الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول الى خير العقبى الا بالسعي في اصلاح الدنيا .

....

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غمة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر ان آيات الله الكبرى في صنع العالم إنما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير انه لا يجوز ان يغفل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحيي ذكره عند رؤيتها ، فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »[1] ففيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية الازلية على السنن التي اقامته عليها ،

ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلا محكما – ثم بعد ان ذكر حال الافراد وان ما يصيبهم قد يكون بكسبهم وقد يكون بغير ذلك قال

---

(١) [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الناس انها كسفت لموت [illegible] البخاري وغيره

وأما شأن الامم فليس على ذلك فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر ، وتأديب الاهواء ، وتحديد مطامح الشهوات ، والدخول الى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغيبة من أسبابها ، وحفظ الامانة ، واستشعار الاخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الامم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة « من يرد ثواب الدنيا نؤته منها » ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى اذا فارقها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعتها الراحة الى مقره ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو العادلين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه الى الباطل ، ثم لا ينفعهم الانين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم مابقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا كاشف لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الاكرم فيستنزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » — « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يرفع الا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزلزل الارض

بدعائه ؛ ويشق الفلك ببكائه ، وهو ولع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يغني عنه ظنه من الحق شيئاً » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا ماقاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥ وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسميا في الجامع الازهر ، ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر متفقون على مافي هذه الرسالة ، ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات ، ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقية الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغني عنه بالدين الاخير

تقدم ان دين الله واحد « لا نفرق بين أحد من رسله » وان خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس ، فالشريعة الموسوية وماشا كلها مما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية ، والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية ، والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير ، وهذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والغرض من الجميع واحد ، ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقال ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلما ، وهذا الذي قلناه ، قد ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة أعلى منها، ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من القوة الحسية والوهمية ولولا الطوارئ التي طرأت على سير الاسلام بواسطة الرؤساء من الملوك والامراء، وفتنتهم للعلماء والفقهاء، لما بقي للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة .

القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الاصول المرعية .

قال (الاستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة السانحة التي وضعتها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون موقت الى أن تتشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعتني بتطبيقه على الوجيات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا أمضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرةً حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبدها عند قراءتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل بالأكثرية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سانحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياه وعدّل بعضها وضبطت المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر

المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر المنعقد مساء الأحد أي ليلة الاثنين

الاجتماع الثاني عشر

«في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها

أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً مجرداً فقرياً وهذه صورته .

قانون جمعية تعليم الموحدين

المقدمة

قد تقرر في الجمعية المنعقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة والف المسماة «جمعية أم القرى» النتائج الآتية

«١» المسلمون في حالة فتور مستحكم عام «٢» يجب تدارك هذا الفتور سريعاً والا فتنحل عصبيتهم كلياً «٣» سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء «٤» جرثومة الداء الجهل المطلق «٥» أضر فروع الجهل الجهل في الدين «٦» الدواء هو إنارة الافكار بالتعليم أولا وإيجاد شوق للترقي في رؤس الناشئين ثانياً «٧» وسيلة المداواة عقد الجميات التعليمية القانونية «٨» المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة من السراة والعلماء «٩» الكفاءة لإزالة الفتور بالتدريج موجودة في العرب خاصة «١٠» يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم «جمعية تعليم الموحدين»

الفصل الاول

[في تشكيل الجمعيه]

« قضية ١ » تتشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون وثمانون فخريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم .

« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي «١» سلامة الحواس وكون السن بين الثلاثين والستين اعتداداً «٢» الاسلام من أي مذهب كان من مذاهب أهل القبلة . «٣» العدالة بحيث يكون غير متجاهر بمعصية شرعية إجماعية

ولا متلبس أو معروف بخلة منافية للمروءة . «٤» المزية بعلم أو جاه أو ثروة (*) . «٥» الكتابة باتقان في لغة ما ولو عامية «٦» النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية .

(قضية ٣) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ما سبق وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . (٢) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مراكز الجمعية وهي ما عدا ذا الحجة ومحرماً وصفراً وربيعاً الاول . (٣) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . (٤) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

(قضية ٤) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية . (٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية باحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يختاره والجمعية تستصوبه وتقرره . (٣) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

[قضية ٥] تتشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى اليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين .

(قضية ٦) الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة تعين المترشحين للهيئة العاملة ثم المترشحين للهيئة المستشارة .

(قضية ٧) الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان وبالمذاكرة واكثرية الثلثين تميزان المترشحين منهم للرياسة ولنيابة الرياسة وللكتابة الاولى وللكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لاجل سنة ونائب رئيس لاجل سنتين وكاتباً أول لاجل ثلاث سنين وكاتباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون

(قضية ٩) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عمن يعلم وقوع

(*) ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة

«١» (قضية موقتة) يبتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها موقتاً وله أن ينيب عنه من شاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .

حالة منه تستوجب ذلك وتحقق خفياً وتصدق بأكثرية الثلثين ٠

(قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي: (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية ٠ (٢) التدقيق في حساباتها الماضية ٠ (٣) تقرير مايلزم التشبث به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلة (٤) تقرير نفقات السنة القابلة ٠

(قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران ونحوه وكابل وكلكته ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة

(قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً وتكون مرتبطة تماما بالجمعية فيما عدامالياتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تتشكل الشعبات على التراخي ويعطي لبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها لان تتخذ عند مسيس الحاجة هي المركز الاصلي (١)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لاتدخل في الشؤن السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتنبيهات بمسائل أصول التعليم وتعميمه ٠

(قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على انها تقبل المعاونة او المعاضدة من قبل السلاطين العظام والامراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخريين ٠

(قضية ١٦) لاتنتسب الجمعية الى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً ٠

(قضية ١٧) توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل ٠ وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدين ٠ وعلى عدم الجدال فيه الا بالتي هي أحسن ٠

---

(١) [illegible] قضية موقتة [illegible] مركز الجمعية يكون في السنين الاولى في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراكش [illegible] افغان [illegible] ها [illegible] وكالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية [illegible] [illegible] في مكة و[illegible] ٠

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لا نعبدُ الا الله] . وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة ووجهها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) «تراجع قضية ٤٦ و٤٧ و٤٨ : »

(قضية ١٩) أعضاء الجمعية لايتكلفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .

(قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العالمية الخاصة أو العزائم الخارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبيهين بالمجردين

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع « ١ » اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهباً انكليزياً لكل واحد في السنة . « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم . « ٣ » أجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية . « ٤ » نفقات البعوث المتجولة . « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف . « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الاعضاء المحتسبين .

(قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوم عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه) انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عليها عدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها ٠

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في وظائف الجمعية »

(قضية ٢٦) الهيئتان العاملة والمستشارة بالاتفاق أو اكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداءاً كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التي تلزم ويجب مطلقا ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروي والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه ٠ ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قراءته في الجمعية العامة السنوية وقبوله ٠ ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل بالبعض من أحكام تلك القوانين موقتاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التعجيل ٠

(قضية ٢٧) ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الخمسة الآتية وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم باراءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي ٠

« ١ » تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما ٠ « ٢ » الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتلقيهما ٠ « ٣ » تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد نابغون متخصصون ٠ « ٤ » إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة « ٥ » الجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٣٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب

« ١ » لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ ٠ « ٢ » لتعليم المتهين الطالبين الإتقان ٠ « ٣ » لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص ٠

(قضية ٢٩) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب ٠ « ١ » العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة ٠ « ٢ » المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة ٠ « ٣ » العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية ٠ « ٤ » النابغون ومعلموهم الافاضل المتخصصون ٠

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الأطباء أي بالحجر رسميا على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد مالم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في العواصم .

(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أن يعطو لأحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويجعلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الأخلاق الدينية .

(قضية ٣٢) التوسل لنيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفتهم وشرفهم .(١)

(قضية ٣٣) التوسل لحمل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلا بعول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وفئة بالتشويق الى الصلاة وغيرها بالتنفير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل .

(قضية ٣٤) حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الأمة خصوصاً أحداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتثمر النشاط للسعي والعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تعتني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية ملائمة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات للغة وسطى عربية لا مضرية ولا عاميه وجعلها لغة لبعض الجرائد ولمؤلفات الاخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط (١)

(قضية ٣٦) تعتني الجمعية في حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الامة

---

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

« ٢ » كالاكتفاء بالسين عن الثاء وبالزاي عن الذال والاقتصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالألف وكقبول الوضع العامي المشهور . ه من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة اليه اذ يمكن الوصول الى المقصود باللغة الصحيحة السهلة

مايجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التعصب الديني أو الجنسي بغير حق ٠

(قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يخصص لكل بحث قسم منها وهي ٠

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها ٠ (٢) مباحث دينية في موضوع سماحة الدين ومزاياه السامية ودفع مايرمى به من منافاته الحكمة والمدنية ٠ (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية ٠ (٤) فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها واراءة طرائق تلقيها وتلقينها ٠ (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة ٠ (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالنهضة العلمية الاسلامية ٠ (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة ٠ (٨) مباحث وفوائد شتى ٠

(قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظاً فيها إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة ٠ ويتعين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة

(قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة معتدلة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والعلماء المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمحتسبين ٠

(قضية ٤٠) تعتني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلة اليهم بصورة منتظمة وفي ادخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فترسل ولو براً مع روّاد على نجائب تخترق آسيا وافريقيا الى اقاصيهما ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للايصال

(قضية ٤١) تخصص الجمعية لمنشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الاسلامية السياسية ٠ ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كلكته

(قضية ٤٢) تسعى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعلمية تجول في البلاد الاسلامية القريبة والبعيدة للاطلاع على أحوال البلاد وأهاليها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الى مايلزم إرشادهم اليه في ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعياً

(قضية ٤٤) تسعى الجمعية بعد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بعقد مؤتمر رسمي في مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أولئك الامراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسية الدينية *

(قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب فالجمعية تتذرع أولا بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وُفقت لرفع التعنت فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء •

﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جلبهم ببذل المعروف محاباةً فتتحرى مواساة الإنسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته أو غاياته فتعينه عليها

(قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل الا بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة والتلاطف وتجامل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تلجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية • وعمدتها الثبات على العمل • ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة وحصنها الدين الحنيف • وسلاحها العلم والتعليم • وجيشها الاحداث والضعفاء • وقوادها حكماء العلماء والامراء • ورايتها القدوة الحسنة • وغنيمتها بث الحياة في الموحدين • وغايتها خدمة المدنية والانسانية. وثمرة أعضائها وانصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله • (تم القانون)

أحوال العالم الاسلامي

(المؤتمر الاسلامي في الهند)

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند ونذكر الآن مجملا من خبره

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم (السير آغاخان) وهو شاب من

الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السمو » وقد اشتهر بالذكاء والنبل، والعلم والفضل، ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروي في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم • ولا توجد طائفة تنتمي الى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً وتحاببا والتئاماو نظاما •

والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الامير رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم • ذلك ان أدواً أدواءِ المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة النابغين لا سيما اذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحالة لازمة للنابغين لا تفارقهم — ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحطة هو ظهور افراد فيها كبار العقول أقوياء القلوب يوجهون عزائمهم الى الخدمة القومية • فاذا ظهروا في أمة مستعدة للنهوض تشعر الأمة بفضلهم وتقدرهم حق قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد فيدبرونها ويعرجون بها الى ماهي مستعدة له من الارتقاء • واذا ظهروا قبل استعداد الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم يمقتونهم وينفرون العامة منهم ويتوكئون على ما لايخلو نابغ عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم، وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يعبر عنهم القرآن بالمترفين وهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والمرسلين • وكانوا ولا يزالون أعداء الاصلاح والمصلحين

أما قولنا ان النابغين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم في بعض عادهم واعتقادهم فليس معناه انهم يتحرون المخالفة طلباً للشهرة او الامتياز وانما ذلك أمر طبيعي لازم • وبيانه ان الفساد انما يضرب بجرانه في الامة ويفتك بها لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة ، وفساد يلمّ بالنفوس فتستبدل الأخلاق الذميمة بالاخلاق الفاضلة ، وتتولد من الفسادين العادات الضارة ويفتك كل ذلك بالأمة فتكا • فالنابغ الذي يتصدى للإصلاح يعرف بما ميزه الله تعالى به من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال • وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكائها عن كل ما يعتقده فاسداً ويرى اثره ضاراً ، فهو بهذا وذاك يكون مخالفاً للامة في بعض اعتقاداتها وعاداتها حتما بغير تكلف ولا تصنع بل يوجد من محبي الاصلاح من يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرها .

ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوامهم ولكني أقول ان أكشف الحجب بين المصلح و بين قومه هو أن ينبز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقصر فيها فاذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم الى أن يعرفوا درجة المستعد للإصلاح وان لا يصدهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف ينتفعون وبم ينتفعون وهم واثقون بأنفسهم لايخافون من شذوذ رئيسهم في بعض المسائل ان يتعدى اليهم ومنهم الى الأمة بأسرها فأولئك هم القوم الذين أذن الله بترقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم الى الدرك الذي هم فيه بين الامم فذكر ان جراثيم هذه الامراض أربع «١» عقيدة الجبر التي حلت العزائم والصق تبعتها بالامام أبي الحسن الاشعري [رحمه الله تعالى] و«٢» اعتقادان ترك الشؤن العامة والاشتغال عنها بالعزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة «عليهم الرضوان» الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان هذا أسلم للدين . و «٣» اهمال تعليم النساء وتربيتهن لما حال دون ذلك من التشدد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع واثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سرت عدواها من مترفي الفرس الى بني العباس وبسببهم رسخت في الامة الاسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجن الابدي والقضاء عليه بالجهل والخمول .

ويرى القارئ في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من التمكن في مذهبه الذي أصله الغلو في التشيع الى ادعاء الحلول في بعض أئمة آل البيت ورمي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد .

لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفتخر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر لشتموه ، أو في الشام لضربوه ، أو في تونس لنفوه وأبعدوه ، أو في الجزائر أو مراكش لقتلوه . فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الاسلامية الا مسلمو الهند الذين أثنوا على هذا الخطيب ووقروه ، لأن له مزايا ينتفع بها في العمل الملي الذي يعمونه . فاذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تعليل جعل اعتزال الاعمال العامة من الدين بانه الاقتداء بفضلاء الصحابة وأخطأ باسناد عقيدة الجبر الى الامام الاشعري فهم يعذرونه بانه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم لعالم بإظهار اعتقاده . ومن الغريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة يضطهد

اعتصم علماؤها بجُنَّة التَّقية التي يعيبون بها إخوانهم الشيعيين ويحتجون عليهم بأن من يقول بالتقية لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفاً لما يعتقده عملاً بالتقية . ومن تراهم يتقون ؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم . أليس من أعجب العجائب ان العالم يتبع الجاهل فيأوِّل له تقاليده وخرافاته ليكون راضياً عنه ويبقى معظّماً ومكرّماً له ؟؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالعادات والأعمال [ولذلك رتبناها هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب] أما المرض الرابع فهو خاص بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص يتوارثها أفراده . وقد عصب إثم هذه الجريمة على بني العباس الذين مزقوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفنونهم اجمعين ، والقارئ يرى في هذا من الغلط ما يرى فيما سبقه . ولكن مجموع الخطبة يرى الخطيب من سوء القصد في كلامه كله فقد اثنى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يثن عليه بهذا العمل ولكنه أثنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يغمص حقه فيها بصير وان كان مثلي من صميم العلويين . بله ثناءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة .

وحاصل القول أن الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، لمن لا شغل لهم الا القيل والقال ، وهم بمعزل عن الأعمال .

أما نتيجة المؤتمر التي وجه عناية اليها فهي إنشاء [illegible] كلية [illegible] كمدرسة عليكده كذلك . وقد قدر الرئيس في خطبته نفقة إيجاد هذه المدرسة بعشر ملايين روبية [illegible] وما أجل قول الخطيب : الا تشترون ياقوم مجد الإسلام بعشر ملايين روبية ؟ أهذا الثمن كثير ؟؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند بالعثمانيين والايرانيين والأفغانيين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع المسلمين ، كأنه لم يخطر في باله نزغات شيطان « الوطنية الحقة » التي يدعو إليها بعض الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الاسلامية ومجافاة بعض شعوبها لبعض حتى [illegible] لئلا يتحدوا [illegible] الى دولة واحدة !!!

هذا الرأي الحميد رأي توقف نجاح الأمة على المدارس الكلية " الجامعة " قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابة . واذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين الى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي الحميد في احياء المسلمين واعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الاهلي فيها حر الا البلاد الهندية والبلاد المصرية . ولا يتم هذا العمل في مصر الا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراده دعاة الى هذا العمل وساعين في جمع المال له من كل مكان . ثم يظهر ان أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة الى المجموع ولكن في مصر رجالا ربما لا يوجد خير منهم في بلاد اسلامية أخرى وهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج . وقد سمعت أكبر مرجو فيهم لمثل هذا السعي يقول انه يمكن الاقدام على العمل اذا تيسر جمع مئة الف جنيه فقط . ولو اعتبر أغنياء مصر بالسر كاسل الانكليزي الذي بذل من ماله اربعين الف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمتهم ، ومنشأ عزهم وسعادتهم ،

﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينا مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجمعهم وخطيب مؤتمرهم الإسماعيلي المذهب رجوعا الى تساهل الاسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي واذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي ألفوها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضروباً من التأويل تصادمها نصوص الكتاب والسنة . تلك البدعة أو البدع هي التي أقام « المنار » بها القيامة " على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء ، من التضرع والدعاء ، والاستغاثة والاستجداء ، والطواف والاعتكاف ، والتذلل والاستعطاف ، والقيام والقعود ، والركوع والسجود ، « وما رخص الدين في زيارة القبور بعد النهي عنها ليدعى أربابها من دون الله ، ويقول المؤول « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ولا لينسخ بهم قوله تعالى « إياك نعبدوإياك نستعين » وقوله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » الخ الخ

الواقعة " هي ان عالماً مدرساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان

يقرأ عقيدة التوحيد فلما انتهى الى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور ، والاستعانة بأهلها والتقرب اليهم بتقديم النذور ، فكبر ذلك على الذين يأكلون تلك النذور فوشوا ومحلوا ، وحرفوا وتمحلوا ، ورفع الأمر الى المحكمة الشرعية ثم الى العامل المدني في صفاقس ثم الى الوزارة في الحاضرة (تونس) فحكم بعزله من التدريس في جامع صفاقس والتطويع في جامع الزيتونة ، وقد ذكرت الواقعة بعض الجرائد المصرية نقلا عن جرائد فرنسية وذكرت ان قاضي تونس ومفتيها اللذان طلبا من الوزارة عزله وما نظن ذلك صحيحاً

واذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الاعظم لم يسعوا بعزل هذا المدرس الذي قرر التوحيد ونهى الناس ان يستعينوا بغير الله على أمور دنياهم أفما كان يجب عليهم ان ينصروه ويعززوه ؟ بلى ومن هنا نعرف الفرق بين تونس والهند بل بينها وبين مصر فاننا قررنا هذه المسألة وشددنا فيها النكير في المسجد الحسيني وكان يحضر درسنا كثير من العلماء والفضلاء فما انتصر أحد ممن حضر ومن لم يحضر لبعض الجهلة العوام الذين كبر عليهم ماقررناه ولا سمعنا كلمة تخطئة من شيخ الازهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرهما من كبار العلماء

ولا بد ان يكون تشديد الوزير في ذلك مبنياً على سبب مدني كأن يكون درس ذلك المدرس أحدث شغباً وهيجاً في العامة والسياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل ، ولكن الذي نعجب منه هو رضاء الحكومة الحامية (الفرنسية) باضطهاد رجل مصلح كهذا المدرس يحاول هدم مناشئ الخرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يهددون الحكومات في افريقيا وهم خطر دائم عليها وعلى قومهم ولا علاج لهم الا الارشاد الديني الصحيح الذي يهدم تلك السلطة أو يرشد أهلها الى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكلفونها من العمل ماليست أهلا له ، وقد جاءتنا جريدة فرنسية تونسية تشرح مسألة صفاقس وتبين خطأ الحكومة فيها وسننشر تعريبها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ ثورة مراكش ونبأ عظيم ﴾

لا تزال الثورة متمادية في بلاد مراكش وقد تراسلت الجنود حيش جرار وقد أرسلت بعثة عسكرية الى سلطان مراكش فتقوى بذلك نفوذها عنده على نفوذ انكلترا ، أما النبأ العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادتنا اليوم ان حكومة المغرب الاقصى

قد اقترضت من مصرف (بنك) فرنسا والبلاد الواطئة (هولندا) سبعة آلاف الف وخمسمائة الف فرنك (٧ ملايين ونصف) بفائدة ستة في المئة . قال (روتر) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالمتبادر انه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : هذا وان من عرف حال الاوربيين في الاستعمار يسلم أن الاقتراض . مبدأ الانقراض . أي ان الحكومة الشرقية التي تقترض من دولة أوربية يقرض حكمها باليد التي تعطيها المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا بد أن تهدم سلطانها بأيديها . وكأن بلادها لا تحيي الا اذا ماتت موتتين . وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها . الا على أيدي من تسميهم عداتها . لا على أيدي كبرائها وساداتها . ولا يشترط أن تكون اماتة الاجنبي لنا مقصوداً بها الاحياء . فيقال انا أحسنا الظن بالاعداء .

﴿ المنار في السودان ﴾

كان المنار يرسل الى بلاد السودان فلا يلاقي معارضة ولا منعا وفي أثناء هذه السنة (الخامسة) صار يشكو الينا بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب الينا بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة أنه لم يصل اليه شئ من الأجزاء . فقابلنا صاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرونجت باشا وشكونا اليه ذلك شفاهيا وقدمنا مع ذلك عريضة الى وكيل حكومة السودان بالشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للمنار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فمددنا اليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث أن علمنا من بعض من طالب الاشتراك في تلك البلاد وارسلنا اليه المنار أنه لم يصل اليه فكتبنا ثانية الى وكيل حكومة السودان نعلمه بذلك لانه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد الينا الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ ادارة وكيل حكومة السودان

٨ في ٢٦ — ١ — ٩٠٣

حضرة العلامة الفاضل منشئ جريدة المنار الغراء

« علم ما أوضحتموه بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري ونفيد حضرتكم بأنه »
« قد صدرت الإشارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم (المنار الغراء) »
« من الدخول الى السودان فاقتضى ترقيمه للإحاطة » (الامضاء)

﴿ هبة الانكليزى الجواد ﴾

نوهنا في النبذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السر كاسل الانكليزي تبرع بأربعين الف جنيه لتنفق على دراسة مرض الرمد في مصر ، ونقول الآن ان هذا السخي الجواد قد تحدى بهبته هــذه أغنياء المصريين إذ قال انه تبرع بذلك ليفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يفيد هذه البلاد التي يكثر هــذا المرض فيها ، ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والمخيلة ، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة ، فهم يقلدون الاوروبيين في شر ماعابه سفهاؤهم ، ولا ينظرون الى ما يفعله كرماؤهم . ويتوهمون أن مدنية القوم بالفجور ، ومعاقرة الخمور ، وحب الذات ولو فيما يضر الجمهور . وأنى لهم أن يعقلوا ان الاوربيين ماسادوا على العالمين ، الا بسخاء أولئك المتبرعين ، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم ، ونشر ألوية السيادة والحكم ، ولعل التقليــد يفضي ببعض أغنيائنــا الى فهم هذه القضية ، والتأسي بهــذه الاريحية ، فنحتسي من كأس التقليــد رحيقاً ممزوجاً بتسنيم ، بعد ما تجرعنا منه شراب الحميم .

﴿ المسلمون فى سوريا ﴾

ننوه بحال المسلمين في جميع أقطار الارض وقلما نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية . وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والحرمان من الترقي في العلم والعمل . وقد كتب بعض كتابهم الفضلاء جملة فى تقريظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) بلغ بها شأوا بعيداً فى فن الاحتراس عند ماأثنى على الكتاب وكاتبه وناشره وطابعه . فدلنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

﴿ مأثرة حميدية ﴾

أمر مولانا السلطان الأعظم (أيده الله تعالى) بمنع المسلمين من الجلوس فى الحانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف . فعسى ان يعتني الحكام والشرطة بتنفيذ هذا الامر بالدقة والإحكام

﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هــذه السنة سلطان زنجبــار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فدعو الله تعالى بأن يوفق سائر السلاطين والامراء لمثل ما وفق اليه ، وان يكتب له السلامة في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ١٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب ردّ الشبهات عن الاسلام ﴾

(السلطتان الدينية والمدنية)

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان والهدى فيه انما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم . وأن حالة الاجتماع في الأمم السالفة كانت قاضية بإضاعة كتب الدين كلها أو بعضها اذا طال الأمد على من جاء بها وأن أقرب الملل ظهورا من الاسلام لم تسلم من هذه الاضاعة وان الإسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار العقول بعد الإسلام ولن تتلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر

قلنا ان أقرب الملل زمنا من الاسلام لم تسلم من الضياع وظاهر أننا نعني اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه

المقدسة فهو غير موجود قولا ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى فيهم « أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله عز وجل في كل منهما « فنسوا حظا مما ذُكّروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به وان سلم من التحريف فيه والاضافة اليه فكيف اذا لم يسلم . وقد أنزل الله تعالى القرآن « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » والمراد بالكتاب الجنس والمهيمن المراقب الذي عنده نبأ ما يراقبه فما صدقه القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذى أوتوه ، وما أخبر به وليس موجودا فهو من الحظ الذي نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه فهو الحكم العدل ، وإنه لقول فَصْلٌ وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكموه فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصد عنه الآخرون ، والسبب في الصدود هو السلطة الدينية التي جعل ذووها الدين لمصلحتهم تقليديا محضا عقود عقائده بأيدي الروساء مثل الأحبار والأساقفة يقلدونها الناس ويحمونهم سواها وينشئون الأحداث ، من الذكران والإناث ، على اعتقاد وجوب التسليم لهم ، والرجوع في كل امر الدين اليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهرا فيمن يتربى في مدارس القسيسين فتراه يناظرك في المسألة فاذا قامت عليه حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومعقول ، ولكنه من أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا مايقول القسيس ولا يشترط ان يكون قوله معقولا ولا مفهوما !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التعصب الذميم ، ومبعث

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والقيد الذي تقيد به الإرادة والعزيمة، والغل الذي يغل به العقل والفكر ٤ ... فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً الله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الاسلام حق السيطرة على العقول والأرواح تودع فيها ما تشاء وتحرم منها ما تشاء وتتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء. ثم يلتفت فيرى ان المسلمين الذين قلدوا الرؤساء الروحيين عند النصارى لم يبلغوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال ما لا يتسامح غيرهم ويعدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون: إن الله طرائق، بعدد أنفاس الخلائق، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى ان هؤلاء المقلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي، وما عزّ لهم سلطان في مكان، الا وكان وبالاً على المسلمين والاسلام، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان، فأمامك حادثة خارجيّ مراكش الآن،

للعلماء والعقلاء والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤا، ولهم أن يسعوا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية. لهم ان يسموها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مدنيون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام الروحانيون . ولهم أن يقاوموا هذه الحكومة ويقاوموهم، ولهم أن يخشوا من شوكتها، ويفزعوا من صولتها، ولهم أن يقولوا انه لولا فصلنا عن السلطة المدنية، لما تنسمنا نسيم الحرية؛ ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية؛ اذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالكلية؛ المسلم يعذرهم في كل هذا لأنه من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما ألمعنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة اذا هداه العلم اليه وما الاسلام الا دين الفطرة الهادي الى نظامها وسنن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الإسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس ومرؤس او تطالب به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعاً أن يبلغوا منه كل ما أرادوا . ولكن الإسلام لم يسلم من أعداء يلصقون به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، ثم انهم يعلمون أنهم يختلقون عليه إفكا لانهم اطلعوا على ما كتبنا وكتب بعض الائمة في بيان نفي هذه السلطة ثم يقتاون يعيبون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتنفيرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى ووعدنا ببيان الحق فيه كما بيناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

(شاهد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٣٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة

الطريق الروحية) فقال في أولها : « لقد أتى على الانسان في طور جماعته أدوار ، ومرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مغلول الارادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين للقائمين عليهما النفوذ التام في أفراده ، والتصرف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة — او كما يقول أهل العصر — السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قال بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما ما نصه :

« وبالجملة ان أمة هذا شأنها تكون دائما متقلقلة كقدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الامراء والحاكمين ، والرؤساء الروحيين ، ولقد كان الشر أغلب على الأمم من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العثار واذا عثر عثرت معه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل القوي في مدة قليلة ما بناه الحكماء في الأجيال الطويلة »

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي سواء) لا مزية لرئيس على مرؤس الا بما يمتاز به المرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون ، ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الديانة الاسلامية فحددت السلطتين (المدنية والروحية) معا وجعلت الناس فيهما سواء لا فضل لأحد

على أحد الا بالعلم والعمل ، واقامت جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي قائلين : هل هذا شيء قلته من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من الرأي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض الغزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاتبه عليٌّ بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لأنه كناه وسمى خصمه وفي التكنية تعظيم وتعظيم أحد الخصمين ولو بمثل هذا مناف للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر :

« وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزية بقدح (سهم لا نصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجعتني فأقدني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطفق يتمسح به وكان ذلك منه توسلا للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين أدعى انه ضربه يوما فقال الرجل : اني كنت عاري الكتف أو الظهر : (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزية .

« والنتيجة ان الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية فى ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة والفكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملا بالنسبة لما سواه »

هذا بعض ماقلناه فى المسألة من نحو خمس سنين وبعده كلام فى سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(مجمل الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية فى الاسلام كما فى النصرانية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » وقال تبارك شأنه « إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال تعالى جده « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدعي رؤساؤها أنهم وكلاء الله فى الارض . هل يقاس النقيض على النقيض ؟؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت آنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه فى مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فعاتبه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت آنفا عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفى تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت وإنما ميزتهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملا به .

(٤) لو كان الاسلام شرع هذه السلطة المعروفة في الملل السابقة عليه من الوثنيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى او اجازها لوجدنا في المسلمين نظاما ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت الى طوائف وجماعات ولم يكن لهم سلطة على أحد وانما يتبعهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمي الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الحكام شملهم ولذلك لم يكن لهم ظهور الا حيث يضعف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب « شيخ الاسلام » فهو من اختراع الملوك والامراء الذين بعدوا عن المظهر الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير في نفوس العامة المقلدين

ثم ان السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في العبيديين (الفاطميين) ولكن مذهب الباطنية ليس من الاسلام في شيء ولذلك لم يستطع العبيديون أن يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال ان السلطة الدينية قد اجتمعت مع السلطة المدنية في طائفة تنتمي الى الاسلام في الجملة . فعلم مما تقدم أنه ليس في الاسلام سلطة دينية فما هذا الذي يعيب الاسلام به بعض كتاب النصارى وما هذه النصائح التي توجهها تلك الاقلام الى الأمة الاسلامية لتقنعها بوجوب الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية ؟ الجواب ان المراد بذلك ان يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

الشريعة والدين في الإسلام

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصارى بأن يطلقوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يعد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية ٠ وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم: إن محمدا (عليه الصلاة والسلام) كوّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة: فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات ٠ وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافهما باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولا عامة وفوض استنباط الجزئيات التي تحدث الى أولي الامر العارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبنون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطا من تلك الاصول والقواعد ٠ قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فذكر أولي الامر بصيغة الجمع ٠ وقال «ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه

الذين يستنبطونه منهم ، ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه او يتنازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس لئلا تكون الأمور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا اللقب ، ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطرا على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام ، ومنفذ للأحكام ، وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية ، لا مطلقة ولا استبدادية ؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرم عليه أن يكون شارعا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف ، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع ؛ فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية . ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعا ومنفذا لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ويزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية ، وفرق شمل الأمة الإسلامية ، ومن رأيه ان المسلمين لا يفلحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سلطانهم مكلفا

بالعمل بشريعتهم الدينية وتنفيذها !!!!

لو جمعت كل ما ورد من الكلم في جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات العضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع انفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصرانية للأمة الاسلامية لما وفيت حق البيان في كونها عجيبة غريبة مدهشة للمتعجبين !!!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين النقيضين؟ ونحن نقول له ان الإسلام جاء للاصلاح في الأرض وكل ما يناقض الاصلاح فهو افساد تجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة الاسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي . ومما لا خلاف فيه بين فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة « درء المفاسد وجلب المصالح » فأي حاكم من حكامنا يقدر ان يأتينا بشرع اصلح من هذا الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع ؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين؛ او المشكك في الدين: إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقا لسير الفكر فقيد بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وقد أثنى

تقرر فيه حرية العقل فلا تخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما بيناه في الجزء الثاني) وتقرر أن أحكامه ترجع الى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثلها عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وان اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين مناقض لها في ذلك : ونحن نقول : اذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب ان تكون عليه الحكومة . وذلك ان المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال الى مساواة عمر بين الإمام عليّ ورجل من آحاد اليهود ومطالبة عليّ له بالمساواة في اللقب أيضاً وهذه مساواة لم تصل اليها حكومة ولن تصل اليها حكومة الا ان تكون مقيمة للإسلام على حقه . وأما الحماية فمن الاصول المأثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وان نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الفضلى « لهم ما لنا وعليهم ما علينا »

(٤) يقول الناصح الامين ، او المشكك في الدين ، . إنه ليس من شأن السلطة الدينية ، الدخول في الأمور الدنيوية ؛ لان الاديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : اذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فانه شرع لبيان مصالح الدارين ، والارشاد الى طرق السعادتين ، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك ؟ وهل كنت أنت الواضع للأديان كلها فتقول إني وضعت دين الاسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع الى الاصل ؟ ان المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان ائمتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم الى ما فيه صلاحهم في الحال ، وفلاحهم في المآل ؛

(٥) يقول الناصح الامين ، او المشكك في الدين ، : ان الجمع بين السلطتين يضعف الامة ضعفا مستمراً لانه يقتضي اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الامة باغراء عدو يثيرها عليها ويكون سبب الشقاق الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع في دينه فلا ننكره وانما ننكر قياس ديننا عليه وهو مباين له . وحسبنا ان الذي وقع عندنا هو نقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التي يسميها جمعا بين السلطتين (وقد فهمت معناها) قد أعطت الامة قوة لم يساوها فيها أحد في زمنها وما ضعفت الامة الاسلامية الا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والذكاء في الاسلام في عصر اقامة شريعة الاسلام وانما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع والتهاون في تنفيذه . اما الثورات التي يخافها الناصح على الحكومات الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات عن الشريعة لان الخروج على السلطان لا يجوز في الاسلام الا اذا خرج السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ فالواجب ان ترجعه الامة عن خطائه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرة :

وواجب نصب إمام عدل	بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقد في الدين	فلا تزغ عن حكمه المبين
الا بكفر فانبذن عهده	فالله يكفينا أذاه وحده

واما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يعهد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدوء وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو ألصق بالفصل بين السلطتين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يديرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاقت الامة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية الى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بين اصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتعصب كل طائفة لامام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت ان رجال الدين لم تنتظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الاسلام تأبى ذلك ولهذا لم يعظم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لانها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول ان التفرق الى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفرق الا ترك حكامنا لشريعتنا !!!

وأما تمريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها اذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو نقيض المعقول وخلاف الواقع فان السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء الا الدين وقد شدّد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فاذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين واذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاذ منها الإمام كاتب مقالات (الاسلام والنصرانية) بما استعاذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

﴿ الوحدة الدينية ، والوطنية ﴾

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان أكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدحرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنات وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبه . وههنا شعر بأن هذا التدحرج قد انتهى به في هوة الباطل فعاد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفاسدها . وهكذا شأن من يعرف بما لا يعرف . وقد استدل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوربا من المفاسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوربا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بني العباس هو عجزهم عن حفظ المملكة بالوحدة الدينية وعدم اهتدائهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالبين أن تستبدل بها قوانين غيرها يضعها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي مثارها التعصبات الدينية ؟ لم يقل بذلك عالم ولا جاهل وإنما هو زعم افتجره وافتجره واخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الامين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العدلية (رحمه الله تعالى) قال بعد ما ذكر فضل المأمون في ترويج العلوم وتوسيع نطاق المدنية ما ترجمته «الا أنه أخطأ خطأ بينا في أمر يتعلق بتدبير المملكة وهو انه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهرا مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاتخذ نيسابور عاصمة لها وجعلها وراثة له ولأعقابه من بعده فكان ذلك باعثا على إزالة رهبة الخلافة من صدور العمال ، وسببا في الخروج عن الطاعة والنزوع الى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الاحداث من الترك وجعلهم عسكراً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ما عمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة الدينية . وأن ما عمله المعتصم كان لإخلاله بأصول الاحكام الاسلامية من الشورى وكفالة الامة للامام والتحري في اتخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتّم »

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الاحداث أحد الفريقين فإنهم اتُّخذوا بطانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم » ولكنّ ناصحنا الامين حرف قول الإمام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يعتدّ باسلامهم وان الدين خاص بالعرب أي أنه لا يعتد باسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والغزالي الخ !!! نعوذ بالله نعوذ بالله

يا حسرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا الطاعنين فيها فأعياهم وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها (كأبي بكر وعمر) فأعياهم وأعجزهم؛ فنقبوا عنه فيمن انحرفوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وألصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقي فكانت الشعوب والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية بالامة او الدين او البلاد (الوطن) وكان الدين خاصا لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام فان في الاناجيل المعتمدة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ما جئت لأنقض الناموس وانما جئت لاتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وتتميمه ببيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع في القسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الخليقة كلها » فهو مخالف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجعل الرب رب الخليقة المعهود أي الخليقة المعهودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث كانت وأين وجدت

بعد هذا استعد البشر بناموس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل ما تقدم — الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والامم والاجناس المختلفين في البلاد واللغات والاديان — الى وحدة لها رابطتان (إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا بشريعة عادلة تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخروية أخروية تختص بمن يجمعهم الاعتقاد الصحيح ، المبني على البرهان الصحيح ، وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون في الصدر الاول فكان المخالفون لهم في الدين يفضلون حكمهم على حكم المتحدين معهم في الدين والأمة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة الى اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتمييز أجناسها على رعايا كل حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن الاجنبي لا يقتل بالمصري . وقد كنا أوضحنا هذا البحث في مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) فلتراجع في المجلد الثاني من المنار . وفي المجلدات الاخرى مباحث كثيرة تؤيد هذه المسائل المتفرقة وتعضد القضايا المتعددة في هذا المقال

فتبين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما يترقبه البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة النصرانية التي جعلت الدين مصلحة من المصالح ينتفع بها الرؤساء وخروج الحكام المنتسبين للاسلام عن قواعدها هما السدان اللذان منعا انتفاع البشر بها وستدك الحرية السدين ويجمع البشر بالاسلام بين السعادتين .

القسم العمومي

﴿ تتمة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى ﴾

قال (الاستاذ الرئيس) ها نحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم يستدرك عليه أحد من الاخوان شيئاً فهل أنتم مقروه . فاجاب جميع الاعضاء نعم نقره .

قال (العلامة المصري) اني بالنيابة عن هيئة الجمعية أشكر لحضرة الاستاذ المكي الرئيس براعته في حسن ادارة الجمعية كما اني أقدر للمدقق التركي ورفقائه واضعي لائحة القانون قدر فضلهم وحسن اخلاصهم .

واني أرى في هذا القانون أشعة نور بين الفضائل [illegible] نور يشرق على الامارات فيرى الأهلة ويبهر البصائر نور يعقد الالوية لنشأة جديدة وحياة سعيدة [illegible] نور يخرق دجى الديجور ويحيي ميت الشعور وما ذلك على الله بعزيز .

قال (المحقق المدني) بمناسبة اني جار النبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله [illegible] يبشركم أيها الاخوان الكرام ويتضرع الى ربكم أن يوفقكم في مشروعكم خدمة لدينه وأمته خدمة تلحقكم بالمجاهدين الصديقين الاولين .

قال (الاستاذ الرئيس) [illegible] أن يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء في بورسعيد او الكويت [illegible] في الاول فأرى أن نفوض اتخاذ أسباب هذه المهمة [illegible] بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر ويعتنيان بتهيئة الاسباب [illegible] أولاً بطبع هذه المذاكرات مع القانون ثم يهتمان بترجمة ذلك الى بقية أمهات اللغات الاسلامية التركية والفارسية والاوردية فيطبعانها وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعه من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ، يباشران أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمةً و. بما لا يساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الامر الى اجتماعنا الثاني ، وأخونا السيد الفراتي يعدنا بأنه لا يقطع عنا رسائله وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعناية تعالى أن نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام .

ثم قال (الاستاذ الرئيس) وإني على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا بأعضائها المحرريين فنخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة بإعزاز ديننا واخواننا وأنفسنا فننال بذلك أجر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحفادنا من بعدنا الى يوم الدين .

ثم قال وإن جمعيتنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم والحرية وكانت أخذت في العمران بسرعة ولولا تهاون سعيد وتطاول اسماعيل وسقوط نفوذ الفرنسيس بحرب السبعين وانفراد الانكليز ويأسهم من قبول المريض التمريض وتهاتر قوات الدول بتوازنها لبقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة ولما رجع انشيح الى دور الانحلال . . لا فيه الآن في دور الاحتلال .

ثم خاطب (السيد الفراتي) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لا غرو ان أكون أ ... الاخوان سروراً بانتاج سعي وسياحتي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السبيل و ... مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية أن يسهل السير الى النهاية ولا يعز على الله ... الفراغ لا تلك تذلل المطالب .

وإني أيها السادة ... الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن ... فيآرائكم ولو عن بعد وتسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق . وليس هذا اليوم آخر عهد جمعيتنا بل يلزم أن نجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشريق فتكون تلك جمعية الوداع . وفيها يكاشفكم حضرة الاستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشائر يجب اسرارها فتُوقَرَ في الصدور لا تسجل ولا تذاع وفي ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع سجل هذه ... جمعيتنا الى هذه الساعة (بمطبعة الجلاتين) فيوزع عليكم نسخ منها ... من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة ... الاجتماع المختصر الاول مذيلاً بتراجم الاخوان بصورة أكثر تفصيلا ...

ثم ... أيها السادة باني اخذت بالأمس رسالة من أخينا ... من مواقف الجمعية كما بينت ذلك قبلا فهو

يقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبت منها بإشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي .

غيرة يا حيارى ما بأنفسكم	فغيّر الله عنكم سابغ النعم
الله لا يهلك القرى اذا كفرت	وأهلها مصلحون في شؤنهم
ترك التآمر بالمعروف أورثكم	ما حاق من نذر بإزلة القدم

* * *

ياقومنا صححوا توحيد بارئكم	بدون إشراك أحياء ولا رمم
ونقحوا الشرع من حشو ومخترع	رُجعى الى دين أسلاف ذوي ذمم
خذوا بمحكم آيات منزلة	وسنة بينت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وان حسنت	ولا يغرنكم تأويل محتكم
سماحة الدين في فكر وفي عمل	خير من الإصر والأغلال والسقم
سماحة الدين منّ الله خالقكم	بها عليكم دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة	وسمحة قد حبتكم كل مغتنم
راقت فضائلها في كل فلسفة	قوامها حكمة تفضي الى شمم

* * *

هذي وسيلتكم لا غيرها أبدا	فاسموا لنهضتكم ياخيرة الأمم
في غير جامعة التوحيد ان تجدوا	من جامع لكم لستم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما تساس به	شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم	خضراء سوداء حول الركن والحرم

ذيل

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيام العيد بعض أمور مهمة ينبغي أن تسر ولا تذاع غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط .

قرار عدد ٦

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر العميق ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت

أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم، فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض. على أن لبقية الأقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجامعة الإسلامية. مثل أن معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين (١) ومراقبة حفظ الحياة الدينية التعليمية يليق أن تناط بالمصريين والقيام بمهام الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً. وتدبير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها أهل إيران وأواسط آسيا والهند وما يليها.

ولما كانت الجمعية لا يعنيها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجاورهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

١ (الجزيرة): هي مشرق النور الإسلامي
٢ «الجزيرة»: فيها الكعبة المعظمة
٣ «الجزيرة»: فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة
٤ «الجزيرة»: أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً وأقصى أفريقيا غرباً.
٥ «الجزيرة»: أسلم الأقاليم من الاختلاط جنسية وأدياناً ومذاهب.
٦ «الجزيرة»: أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب.
٧ «الجزيرة»: أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والزاحفين نظراً لفقرها الطبيعي.
٨ (عرب الجزيرة): هم مؤسسو الجامعة الإسلامية لظهور الدين فيهم. (٢)
٩ «عرب الجزيرة»: مستحكم فيهم التخلق بالدين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية أكثر من مناسبته لغيرهم.

---

(١) لأنهم [illegible] أي المراوغة في المقال والتلون في الأحوال.
(٢) وكذلك من يليهم من المستعربة القاطنين بين الفرات ودجلة والنازحين إلى أفريقيا

١٠ « عرب الجزيرة » . أعلم المسلمين بقواعد الدين لأنهم أعرفهم به وشهود لهم في أحاديث كثيرة بالمتانة في الايمان

١١ « عرب الجزيرة » . أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والافتخار به والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وافريقيا

١٢ « عرب الجزيرة » . لم يزل الدين عندهم حنيفاً سلفياً بعيداً عن التشديد والتشويش .

١٣ « عرب الجزيرة » . أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية . (١)

١٤ « عرب الجزيرة » . أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم تختل عزتهم .

١٥ « عرب الجزيرة » . أقدم الامم مدنية مهذبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم

١٦ « عرب الجزيرة » . أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرّب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذلّ أهله .

١٧ « عرب الجزيرة » . أحفظ الاقوام لجنسيتهم وعاداتهم فهم يخالطون ولا يختلطون .

١٨ « عرب الجزيرة » . أحرص الأمم الاسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم . (٢)

١٩ (العرب على الاطلاق) . لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت .

٢٠ « العرب » . لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون .

٢١ « العرب » . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمئة مليون من المسلمين وغير المسلمين .

٢٢ « العرب » . أقدم الأمم اتباعاً لاصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .

٢٣ « العرب » . أعرق الامم في أصول الشورى في الشئون العمومية . (٣)

---

(١) وبقوة ذلك لا يزالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام إذ قالت تخاطب الملأ أي المستشارين الاشراف « يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها

٢٤ « العرب » أهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية .

٢٥ « العرب » من أحرص الأمم على احترام العهود عزة ، واحترام [illegible]
واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة . (١)

٢٦ « العرب » أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين فإن بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون من اتباعهم أخيرا .

فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب في الدين وللحزم والعزم عسى أن يحفظوا عزهم وسلطانهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيء لسياسات الجنسيات ومن الكبر والأنفة ومن التخاذل والانقسام ومن الانقياد إلى وساوس الأجانب الأضداد لئلا يتناولهم الخطر القريب المحدق بهم وتتخطفهم النسور الحائمة في سمائهم . والله الموفق وإليه ترجع الأمور .

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذاكرات وانفض الجمع على وعد التلاقي .

باب التربية والتعليم

[illegible] (*)

(الإسلام وجه الشمس من كلف)

[illegible] الأجنبي من [illegible] في أمور [illegible]

وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » (١) يكفي برهانا على ذلك مجاملة أهل الجزيرة لسياح الافرنج — ماعدا [illegible] [illegible] ونيل [illegible] عامين [illegible] وترجيح اليهود المهجرة للبلاد العربية . [illegible] العربية [illegible] في حوادث القرون الأخيرة [illegible] وماردين [illegible] والمدن العربية من ولاية حلب وأما حوادث [illegible] والشام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة من [illegible] دينى أو جنسي [illegible] من غرور جماعة من الأمراء [illegible] وجماعة من [illegible]

(*) [illegible] من كتاب أوائل القرن التاسع عشر في التربية

... في مدارس فنون الالسن وآداب اللغات والتاريخ والأوضاع القومية فلا تجد مادة من العبادات الا وقد وجه اليها العلم ضروباً من البحث لاقبل لها بمقاومتها وأصبح ما كان يجهله الناس من اللغات والنقوش البربائية والحروف معميات لاسبيل الى الاهتداء الى معانيها وقد نبذت مغالقها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت اليه أسرارها ولم يغن عن الاغاليط التي شيبها من الاوهام انها قبعت رؤوسها في ظلماتها وسترت نواجهها في حنادسها فانه لم يبق في كتبها ان تفاخر في التصريح بالعقل بما لها من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتعد له فرائص الاقدمين من المجردات الخيالية فعرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لخوفه وفزعه لانه قد عرف اليوم كيف نشأت الآلهة (١) ورأى مذاهب كان لها مالايحصى من القوة والرسوخ تتغالب وتلاشت امام العلم بالنواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه المذاهب فوقها وأبصر أسراراً مستغلقة كانت تعاصت على العقل أذعنت اليه الآن فهي يحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشأها

من الظلم والاجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فكيف يصح ان لا يدخل المدارس ماوصل اليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها

(انتقاد آداب اللغتين اليونانية واللاتينية)

أنا لا أريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الا بما يتعلق بآداب اللغتين اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد المعلمون ان يفردوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرعا مستقلا عن تلك الآثار ولا أراهم يستفيدون في ذلك الا انهم عنيت من قبل بدرسه ولهذا تراني ذكرت للاميذ أسماء آلهة كثير وما ورد من صفاتهم في أساطير الجنود وقصصت عليه أنسابهم وقاسمهم ويكونون من معارف القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف انهم كانوا يوصفون

---

(١) يشبه كلام المؤلف هاهنا ان يكون تقريرا لمذهب الماديين ويدل بفحواه على أنه لايعتقد بالله ولا بملائكته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المعنيين وينسب الى النواميس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى الالوهية وهذا كله من غرور العقل نعوذ بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي اليه من الاشر والبطر فكيف يصل العقل الى كنه الآله وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والمنزله ولأمثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الاسفار ويجوبون الاقطار وكيف ان الواحد [illegible] كان الظهور في [illegible]
هيآت متباينة وهو أمر لا يخرج وقته .

ذكرت من شعراء الاقدمين هوميروس و[illegible] أو [illegible] أدري ما الذي يعود
على التلامذة من تفهيم المعلمين اياهم ان ديوانيه الموسوم أحدهما بالمليادة (الالياذة) والثاني
بالعديسي هما من ابتكار رجل من الغابرين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف
تولدت القصص الشعرية الحماسية في الامم القديمة والحديثة

لاريب أن في هذه القصص محاسن كبرى وعبرا جليلة [illegible] الى [illegible] كل
[illegible] ان أجمل [illegible] أخيل (١) مثلا [illegible] لاخيل [illegible] فان
هذا البطل الذي [illegible] عن [illegible] من منازلة [illegible]
ان أبى عليه قومه جارية رقيقة كانت محلا لاطماعه وكان [illegible] في طول مدة
رزايا الحرب وشدائدها لم يكن حقيقا [illegible] ومعاملتهم [illegible]
واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواجبه فقد جعلوا عاقبة الحرب
عبرة سيئة وهي ظفره بهكتور (٢) أي ظفر الطايش الحربي بالوطني [illegible]

لم يقتصر الاقدمون فيما جهلوا من الامور على نكرهم بعض الاصول التي هي
الآن أساس وجدان الانسان بل [illegible] تركوا لنا ميراثا من الاباطيل و[illegible]
التي تدعو دراسة كتبهم الى بقائها اذ لم يقارنها الاحتراس والتدرج [illegible] الناس
من آثارهم فقد حمى كثيرا من المظالم [illegible] قرونا عديدة من [illegible] ولا يزال
يذودها عنها وان المغرم منا بالمطالعة المفرط في المتعة بين كتبه المفرط فيما بين ابناء
وقته [illegible] في أكثر أوقاته تمثل الآثار حيا [illegible] في الناس من [illegible]
الكثيرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الاقدمين وعوائدهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجوه الحسن ما يثير الاعجاب بها ولو ان
[illegible] أخيل [illegible] كانت [illegible] الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني
لا أحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجوه القبح أيضا فاشد
ما احتقر فيها الرقيق [illegible] قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض علها

(١) أخيل في [illegible] هو بطل يوناني أمه [illegible] قتله باريس في
[illegible] (٢) [illegible] هو [illegible] وعقيلة وزوج [illegible]
[illegible] قتله [illegible] أخذا بثار [illegible] وقتل

أحداثهم لا حسب بل أورثتنا أبعث من أعماق وجدان الانسان وصلت الينا بعد اختراق حجب ... من الازمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من اجيال وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يعنى بتخفيف مضض البؤس الذي كانت تقاسيه الدهماء ولم يكن العمل يستوجب للعامل أدنى حق من الحقوق لانه لم يكن يصلح الا الأيدي الطغام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان مونقا فان ما ازدانت به من الفنون والشعر والدين السمح والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسو تلك الامة المغتبطة برودا جمعت كل ما للكمال المنشود من ضروب العظم والبهاء ولكن العبرة بالمخبر لا بالمنظر ٠

التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنتج رجالا كبارا بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد ان استعبدت غيرها من الامم آل أمرها الى استعباد نفسها فليقل لي هذه الامة الفاتحة وقد أظهرت للعالم ما للفتح من النتائج اللازمة ما هي الامم التي علمتها والشعوب التي أصلحت شؤنها ؟ أرى الناس تملكهم أخبار غزواتها وتهزهم أحاديث نصراتها ولا أرى أحدا منهم يتقصى أسباب مصائبها ليشفى من جنون الحروب ويبرأ من هوس القتال

اني اذا أقرأت ٠ أميل ٠ اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسيع عقله وتنمية إدراكه بيد اني ارمي الى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي ان أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك في هذا الكون ٠ ذلك لان ما تضمنته تلك الآداب من آي الإقدام النفسي والاخلاص في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيرا وأبلغ في نفسه موعظة من جميع ما يقوله العلماء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التحمس الذي يبدو منه في استحسانها بذلا لنفسه لانه يخرجها من معقل امتاعها ويخلعها عن عرش صلفها ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقا صحيحا واني لأقنط من فلاح الطفل الذي لا يروقه شيء وأما من آنس من نفسه التأثر بما أفسره من بهاء العظمة ورونقها فذلك الذي أوتيت نفسه سرا من أسرار الله ٠ ان فضائل الغابرين أبلغ من فضائل الحاضرين في خلب الخيال بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا بحسب ترتيب الازمان يحليها البعد والغرابة ببعض السمات التي قد تغالى بها فتجعل لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدها الا الحاجة في دعوة الناشئين الى اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعويل على تأثير الاقدمين

في ترقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على السواء فما سيبيون (١) الذي جندل انيبال(٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلا بالبطل الذي سأسترعي الى سيرته ذهن « أميل » كلا بل اني سأوجه كل همي الى تفهيمه أن ما يلاقي من الهزائم اجلالا لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار ببيض الصفاح وسمر الرماح وأن المجد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرأيت اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذاك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤) بعهده فانطلق الى أفريقيا وحده لا يثنيه عنه لجاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة قد برزت على قرطاجة في صدقها ووفائها ولم يكن تبريزها عليها في غير هاتين الفضيلتين الا أمراً مرتهنا بوقته اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والقهر

لا مراء في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها واضمحلالها ولو أني أردت تبصير « أميل » علة هـذا التدلي له لحصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان سبباً لنجاح الحكم المطلق في رومـة وطول مدته فالت أخشى على الحرية ماقد ينتابها من الاخطار المادية ولا أرهب على رومة أن يقف بابوابها التركينيون (٥) او بورشينا (٦) يبتغون الاستيلاء عليها ما دام فيها امثال موشيوس سيفولا (٧) وانما الذي

(١) سيبيون واسمه ايمليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بولس أميل ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنـة ١٢٩ ق . م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول من أسرة سيبيون وكان على يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فكان مسك ختام هـذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق . م (٢) انيبال هو قائد قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حدثت بين قرطاجة ورومه وبعد انتصاره في مواقع كبيرة هزم سيبيون فانتحر بالسم تخلصاً من انتقام الرومانيين (٣) قرطاجة مدينة أفريقية قديمة (٤) ريجولوس قائد روماني قتله القرطاجيون لانه أرسل من قبلهم الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالاسرى فتكلم في مجلس الشيوخ عليهافي هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبرا (٥) التركينيون هم بعض ملوك رومة الاولين (٦) بورشينا هو ملك اتروريا حاول اعادة التركينيين الى ملك رومة فهدده موشيوس

... هو ... الشعور ... قوم ...

نفوسنا هي موارد الظلم ومكامن البغي فالذي علينا هو أن نحاربه فيها ونجليه منها قبل محاربة الملوك الظالمين واجلاء الجبارة الغاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع بروتوس[1] إذ أصابه أن يقروا بطن القيصر فان قلب رومة كان مقروحاً بالداء القيصري

كان اولى بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان يرجع اولا الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وأنفة السراة ثم ينزع ان استطاع من نفوس قرنائه ما علق بها من الرذائل والنقائص التي تقتضي وازعاً يرد من جماحها ويكف من نزواتها ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما أتاه من الأعمال الدالة على الشهامة والبسالة ان تبقى به صحف التاريخ بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان تؤخر استقرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها

أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام العسكري الوحشي واهدار الدماء وضروب التعذيب والاطماع الخسيسة وبيع الضمائر ... الفضائل والاوغاد والتملق بمجاملة الظافر على انه كان لا يزال يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهماء المتورطين المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة ظهور الصخور التي تشرف على احواض المياه المنخفضة، ولا قنوط من ارتفاع شأن الحرية ما بقي في الناس أباة للضيم موقنون بظفرهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون الجهاد في سبيلها وقد يلاقون الهزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام منه وانما تزهق روح الامة من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامتة الى الحكومة ... لكنها ساكنة مطمئنة تلين للمحكومين كلما شعرت بازدياد أمنها وزوال مخاوفها فاشر نظام سياسي على أمة من الامم انما هو الحكم الاستبدادي المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عُجب الامة في ذلك الحكم لا يزال يتغذى ببعض ضروب من الغرور كغرور كونها لا تزال خير أمة بل أميرة الامم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبجلة في في الخارج وكونها تنتصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

---

(١) موشيوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورسنا ملك اتروريا فأخطأه وقتل كاتم أسراره وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة فلقب مذعوراً سيفولا

وحسب الكاتب ... من الأبنية والآثار الفخيمة التي تروق الالباب وكونه جدد بناء رومة وهي المدينة الابدية من قواعدها الى سقوفها — كل هذا صحيح ولكن واحسرتاه فليست تنبه الجيوش ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما يغني عن الامة من سقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابتول في رومة بعد فناء الرومان

ليس لي الا كلمة اقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء نظماً في نظر المعلمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان تجعل كتبهما في أيدي الناشئين اكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس وكرامتها. ألم يلاحظ من قرأ «عنئيدة»(١) فرجيل ان نفس منزاها ملكي وهو منزى ما كان يرد — على ما أرى — في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد وصف فرجيل ممدوحه المسمى عني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت في شخصه الامة وبانه المنجي لامته المؤسس لحياته. ومثل هذه المعاني يرى عليها انها موسومة بميسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه وسواء كانت حسنة او قبيحة من حيث الفن فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر وتسفر عن الخطة التي رسمتها لنفسها الحكومة الذاتية حتى في نفوس الخيار من الامة

ان أجود الاشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يحجب دناءة النفس ولا ان يستر خسة الطبع ولقد كان شعراء اللاتين قدوة سفلة خلفهم بما كان يصدر عنهم من ضروب التملق الخسيسة وانواع المدائح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيقاً لاغراضهم ونيلاً لاماليهم فاسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب والشعراء المتزلفين على ان فرجيل وهوراس كانا أميري هذه الصناعة ولم يكن غيرهما فيها الا من أتباعهما

ألخص لك ما تقدم فاقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف الطريقة التي نباشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تمييز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه جميع ضروب الوثنية وهو صغار النفس وضعتها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من النظم والتحكم في النفوس مالا تقل الخشية منه على الناشئين عن خشية ظلم الحكام الغاشمين وتحكم الطغاة المستبدين

(١) عنئيدة فرجيل قصيدة قالها في مدح عني وهو أمير طروادي ابن انشيز الزهراء وصفه فيها بانه مؤسس النسل الروماني

وبهذا يبطل العجب من أنه يوجد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتمسون في علوم اليونان وسائل للذود عن مصالح الغابرين ومظالمهم وهم من يرومون منها دروعاً حصينة للحرية تكشف عنها عوادي الباغين

نحن على ما فينا من النقائص كلها أحسن من الأقدمين حالاً وأرفع شأناً وإن جاز علينا [illegible] والأعمال ما جاز عليهم ذلك لأن فينا قوة النهوض والارتقاء إلى ما أعطتنا [illegible] إن الله علينا [illegible] كبيراً بسمو وجداننا فكأننا بتأخرنا عنهم في الوجود قد أخذنا على أنفسنا أن نكون خيراً منهم لأن وجدان الواجب كوجدان الحق ينمو ويرتقي بمرور الزمان ولعمري إنه لا ينكر ما للتمدن العصري من ضروب التأثير في النفوس والعقول إلا مكابر خبيث الطوية ولست أريد بما قلته أننا أصبحنا بهذا التمدن أكثر من الأقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً سامية ومعارف واسعة وتحمساً في الميل إلى الحسن كلا ثم كلا بل أريد أن معاني العدل واحترام حق الغير قد شاعت فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا أكثر منهم اهتماماً بأن يخالفونا في العناصر والأحوال القومية والأقاليم وألوان الجلود فنحن الآن من حيث كوننا من بني الإنسان أقل من اليونان والرومان بعداً عن كل ما له مساس بالإنسانية ه‍ اه‍

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديبش تونيزيين تحت هذا العنوان ما نصه

نشرت جريدة الديبش تونيزين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلاً ضافياً بيان نبأ [illegible] الشيخ محمد شاكر أحد أساتذة جامع صفاقس الذي استحضرته الحكومة وطالبته بالحضور إلى الحاضرة بناء على شكوى قدمها إليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وهددته بالعزل من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في خلال دروسه بالمسجد يطعن في التقاليد وينكر المعتقدات الباطلة والظواهر الخارجية المتبعة من خرافات المجاذيب وخزعبلاتهم وأوردنا مثالاً عليها زيارة قبور الأولياء المصحوبة بتقديم النذور على اعتقاد الحظوة بوساطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المنافع ووقاية الذات من طوارئ الحدثان وقال إنه نسب هذه الأضاليل إلى ما أزلق في دين الإسلام الصافي المنهل من بقايا عقائد الوثنيين وقال إن كثيراً من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق الإسلامية كالعيسوية مثلاً مناقضة كل المناقضة للقواعد التي بني عليها الدين الإسلامي

ولا يخفى ما ينجم عن تلك العادات والمعتقدات من إعاقة الأمم عن النهوض من كبوة التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء وإسدالها ظلمات الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا على مصابها

فمن الواجب والحالة هذه إنقاذ طبقات الناس من ظلمات التقاليد والبدع والمعتقدات الفاسدة التي لا غرض لأصحابها غير التذرع بها لتحصيل سعادة الدنيا بحمل البسطاء والسذج على الاعتقاد بأنها من الدين وما هي من الدين في شيء بل الدين منها براء

وقد ختمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فإذا كان ما ذكرناه قد وقع فعلا فإنا الأمل الوطيد في أن تقلع الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القائمين بأمور الشرع في صفاقس من قاض ومفت وأن تعاقب منهما ... في النظر وسعة في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفينا مجرد سرد وقائع تلك الحادثة كي نكفل الوقاية من الاضطهاد لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق من أشباهه تفوقا عظيما ببعد النظر وحرية اللسان وصدق القول وكان ينبغي أن يجازى عن هذه المزايا بالتشجيع والتعضيد

نأسف الأسف ... أن تكون الحكومة التونسية ... مما دعوناها إليه حتى أنها ... في نصر ... إلى تقريرات المفرطين ... عن البحث في عواقبه ونتائجه فهما لم ... بفصل الأستاذ ... من ... من الوزير الأول بل سلبت منه ... الذي يفيد أنه حاز على إجازة ... في العلوم والفنون في الجامع الأعظم ولذا رأينا أن لا نجر ذيل التغافل والسكوت عن هذا ... الذي يوجب الكدر والأسف

لم يكن الشيخ محمد شاكر الذي فصل من وظيفته من الطاعنين في العمر كما قاله خطأ ... بل ... في مقتبل العمر ... المشرقين ومع كونه كفيف البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأعظم ... الإجازة العالمية التي استردت منه ظلما وعدوانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتلقى غير الدروس المعتادة في الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاهر هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الأول لهذه المدرسة التي اقتبس منها تلك الأفكار العالية التي اقتضت عليه بسببها صواعق غضب الطبقة المتفقهة من المسلمين

ويضاف إلى ما تقدم أن ذلك ... بما يحدث الآن في القطر المصري من

---

(١) المدرسة الخلدونية في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة جامع الزيتونة العلوم العصرية

التقدم العلمي وهو في مقدمة المعجبين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢) الذي يعد من أكابر المصلحين الدينيين لأفكاره الحرة التي توافق المدنية ومن تقدم وله مؤلفات ومقالات في الجرائد تشهد بسعة اطلاعه يقصد بها إعادة الاسلام الى ما كان عليه من الرونق وتنقيته من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تغرس في القلوب التعصب الديني وعدم الاحتمال والتسامح وتحول بين العالم الاسلامي والمدنية سداً منيعاً

هذه الخطة تسير عليها جريدة مصرية تدعى «المنار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده بدون أن يذيل كتاباته بامضائه وهي حريصة على ملازمة خطتها هذه حرصاً يزداد كل يوم

إن النشء الاسلامي في هذا العهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا أن لا تكون نهضة للسلالة العربية الا ببث مثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ محمد عبده ومقالاته بالصدر الرحيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت الذي أنه التعصب فيه من سيأته بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان منهم نشدة الميل الى الحديث أن تساعد عما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بث مبادئ الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي ولكنها بدلاً عن ذلك عاملت الرجل الذي لم يخش بأساً بالمجاهرة بأفكاره معاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل معاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من الافكار والخواطر ما يخالف مبادئ وقواعد هذا الدين لقلنا أن الحكومة التونسية رأت المحافظة على الامن العام والسلام بين الناس فاتخذت قبله وسيلة من وسائل الشدة والجبروت لتكون العبرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني الصبغة في حين أن حماية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متمدنة لافاضة أنوار العلوم على جموع من الناس في حاجة الى التعلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث النبوية الشريفة مستشهداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له «لا تتخذوا قبري وثنا»

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر لدي لا يغتفر ولا يعفى عنه بسببه

---

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الاكبر لانه يفتي القضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو تبرؤ على الناس بعادات يتخذها مشايخ الزوايا والمستفيدون منها مصدراً من مصادر الكسب ويرون ان سيؤول أمرها الى النضوب اذا سادت الافكار التي يدعو الشيخ في بثها بين طبقات العامة

قلنا إن الشيخ محمد شاكر كان استاذاً في صفاقس وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفتـه تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المدفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلالته بشهرته فمكثوا الى الآن فيها يستأثرون بالنذور التي تقدم اليه وهم يعيشون بواسطتها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيـه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغايرة لمصلحتهم ثارت عليـه ثورتهم فبدأوا أولا برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشيء مستشهداً بالكتب مؤيدا حجته باقوال السلف الصالح ولكنـه عبثاً جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخير له «إن الضوء لا يأتي من الحي» فأجاب الشيخ محمد شاكر «وأنا ادعو ان يخلص الناس من عمايتهم» فاعتبر القاضي أن هذه الاجابـة فاضحة له استلزمت استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزي اليه ولكنه لم يكن أمامه سعد حظاً منه امام القاضي

ولكن من الاسف ان الحكم عليـه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي الصفاقسيين اركانا في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذلت لديهم في صالح المعزول وقد أمضى الوزير الاول هـذا القرار بدون ان يكون مقتنعاً بصحة السبب الذي افضى اليه

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر أستاذ مسجد سيدي كراي. قضي على هذا الرجل لانه تجاسر على القول بأن الاباطيل والبدع والتقاليد عوائق الامة وأن أرباب الطرائق الدينية يعيشون من سذاجة الافراد وسرعة اعتقادهم وبهذه المثابة يبثون التعصب في نفوسهم

ولا نرى ان حوادث مرغريت ومشاكل مراكش الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامنا في أفئدة المسلمين فلا بد لنا أن نتوقع حدوث امثال تلك الحوادث . فلا غرابة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطهاد رجل لا ذنب له الا الوعظ لانقاذ أبناء دينه من ربقـة الجهل الذي قوض ظهورهم منذ أجيال ومنعهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اهـ

باب الأخبار والآراء

﴿ عربي كريم وولي حميم ﴾

في أوائل هذا الشهر جاءنا نبأ برقي من بومبي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقكم (محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة (الامبراطور) [illegible] على السويس ، وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى [illegible] (١١ فبراير) فجئت السويس في ذلك اليوم للقاء صديق [illegible] واحببته على البعد [illegible] في الله بحبه للمنار ورضاه عن خدمته [illegible] يفتي به في أمر الدين ، وأحببته في الله لما تنسمته في [illegible] من امارات الدين والاخلاص في كل ما يقول

[illegible] فالفيته [illegible] الفضائل العربية ، والاخلاق الاسلامية ، الأنفة والوقار والشهامة وكرم النفس واليد . ومن كرمه انك ترى منه أبا البري يقصد ام القرى ، فهو يسير اليها بركب يبلغ ثلاثين رجلاً أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من مسلمي الهند . ومن كرمه انه يمد لكل غداء وعشاء الخوان ، وينصب الجفان ، وفيها ما شئت من الالوان ، ومن كل فاكهة زوجان ، ومن كرمه أنه رأى في السويس كثيراً من الفقراء الغرباء يبغون الحج ويلتمسون المساعدة عليه بأن يحملوا بغير أجرة في سفينة الخاصة الخديوية فارتاح الى حملهم على نفقته وأرسل يطلب من محافظ السويس بيان عددهم وأسمائهم وان كثروا . ومن كرمه أنه لم يمض عليه في السويس يوم أو يومان ، حتى عرف منزله فقراء البلد فانتحوه من كل مكان ، فألفوه لا يرد سائلا ، ولا يخيب آملا ، حتى أننا عذلناه على بسط يده لهم عند ما كاد يتعذر علينا أن نخلو معه من بينهم ، ولعمري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد مآثرهم

وقد اختار أن يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الخديوية (البحيرة) اذ رأى [illegible] من الفخامة وتيسير العبادة وأخبرناه ان سمو عزيز مصر قد انشأ هذه الباخرة لتسهيل سبيل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جعل مستخدميها من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو العزيز رسالة برقية يشكر سموه عنايته بانشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على الفقراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيما محافظ السويس ووكيل المحافظة ويعتذر بضيق الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابه سموه بالبرق جوابا لطيفا هذا نصه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس نشكر حضرتكم خالص الشكر على التلغراف الذي ارسلتموه الينا ونتمنى لكم حجا مبروراً وصحة وسلامة في السفر والاقامة (عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضعف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو المحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها من السنين وما المحمل وموكبه الا تعظيم وإشهار لركب الحج ومن العار العظيم والخزي القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحاج فيها موكب رسمي أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى سائر البلاد الاسلامية أو أقل من الركب الذي جاء به صديقنا الفاضل الهمام محمد عبد الوهاب باشا من بلده الصغيرة (دارين)

يتشدق الذين دين ألسنتهم وأقلامهم قوي متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الى الحج منها في هذه السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج الى الحج إنما تركوه « احتجاجا على الحكومة » فالعار محصور في الحكومة !! وهذه الحجة أضعف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة معتذرا بان المسجد لم يقبله ! وانما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضعف لان باب الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن المتشدق بما ذكر غيدار (الغيدار هو الرجل يسيء الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد الناس عن الحج في باطنها أو بالحجاء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان تضعف الأمة امامها . وتجعل دينها هدفا لسهامها ، أم الواجب عليها بذل النفس والنفيس في مقاومتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين . الاسرظاهر

والآن نرى في الحكومة من هو أشد الناس تقصيرا وتثبيطا عن إقامة ركن الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا الله ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز — وضريبة لها جديدة

تعلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش صحيح عن كل ورقة تقدم للحكومة في العدلية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لاوراق أخرى كالاوراق التي يحتج بها الخصماء في الدعاوى (المستندات) والمال الذي يجمع من هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل

وفي هذا المقام ننوه بغيرة اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية توافينا دائماً بذكر تجواله في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة ولم نسمع بأن عالماً مصرياً او تونسياً نبس بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان الحرية الممنوحة للمصريين لم تقدر ان تنقذ قلوبهم من الاستبداد للحكومة فلو أن حكومتهم أرادت جمع اعانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليه كما امتنعوا عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام «هذا ومافكيف لو»

(اصلاح لبنان — لائحة للمتصرف الجديد)

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو « لائحة » من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة جليلة صادرة عن فكر حي نقتطف منها ما يأتي

«مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤنها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستمداد ؟ ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تتحرك فيها عاطفة الاستقلال الأمة أنفت من الرضوخ للسلطة الاجنبية وأنها لا تأنف من هذا الرضوخ الامة شعرت بطاقتها على ان تحكم نفسها ، فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستمداد

«قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني شئ مما يتقدم الاستقلال غالبا ، تقدمته دماء ولكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ ، تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ ، تقدمه جهاد ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التي تقدمت استقلاله كلها دماء لبنانية لم تمزج بها نقطة من دماء جيوش الدولة المتسلطة ولا دار في خلد اللبناني في ابن الزمان التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع رايتها والمعارك التي حدثت قبل الاستقلال كلها اهلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهاد الذي حدث لم يخالطه من الروح الوطني ولا نسمة . دماء تعصب ومعارك صليبية وجهاد طائفي . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر لبنان حالة السياسية الحاضرة .

فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسه او سر الاختلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين — اصلاحا اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول . ما استقلت (يا مولاي) الامة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلا لهذه السيادة .

***

ثم قال الكاتب بعد ان ذكر ان المصلحة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصلحة عمومية وانهم ما داموا كذلك فهم في حكم العدم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال :

مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهواء الذي يتنشقه الواحد يتنشقه الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذاك . اذا راجت سوق الحاصلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً واذا كسدت تضررا معاً فلماذا وعلام اقتتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيعي في كل ما هو لبناني دنيوي على الإطلاق ؟ لا تستطيع يا صاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا اربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل اقتصر الاستقلال عليها ؟ كلا يا صاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجبل الاستعدادية والعالية . فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في

[illegible] المصالح الدينية .

الا [illegible] هذا مواعية افراد أبناء هذه الطائفة عن أبناء تلك في [illegible] والآداب والعلوم مشتركة فيما بينهما [illegible] الجمعيات الأدبية والخيرية [illegible]

اذا [illegible] الحضرة العلية السلطانية على ابن هذه الطائفة بوسام أو رتبة عالية من أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الأخرى

المؤلف [illegible] اسم في صدر كتابه بنسبته الطائفية ومؤلفه عندئذ مقيد عند طائفته غير [illegible] عند الطوائف الأخرى .

الطبيب [illegible] طبيب [illegible] والمحامي الماروني محام الموارنة والتاجر الارثوذكسي [illegible] الارثوذكس فقط والكاتب الملكي [illegible] عند الملكيين فقط

[illegible] هذا التنافر هذه المواربة هذا التناقض هذا الاستقلال في قوم [illegible] المصلحة الطبيعية والامة هو التعصب الذي [illegible] الدولة - التعصب القديم الذي يزين لكل طائفة في لبنان أنها مستقلة بمصالحها عن الطوائف الاخرى ولا مصلحة لها في الحقيقة يصح ان تسمى مصلحة طائفية عمومية . ولا فائدة من استقلالها في مثل ما قدمنا من الامثلة الا [illegible] فائدة استخدام هذا الاستقلال فيما يفيد الرئيس واتباعه واصدقاءه باسم الطائفة — فائدة استخدام الدين في المنافع الذاتية . التعصب الديني هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب انتفاء المصلحة العمومية . فكيف نلاشي هذا الاستقلال لتستتب لنا تلك المصلحة .

[illegible] الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ المنار في البلاد الاسلامية ﴾

جاءنا من طهران كتاب يقول فيه مرسله ان للمنار ذكراً سائراً في مجالس العلماء والمجتهدين [illegible] الإمام العلام ، ملاذ الانام ، السيد محمد الطباطبائي المجتهد المشهور قد بالغ في [illegible] الناس بالعلماء في تقريض مجلتكم والثناء عليكم ، وان الفاضل الهمام ، علامة علماء الاسلام ، الحاج الشيخ زين الدين ، الملقب بملك الواعظين ، [illegible] أول واعظ ومتكلم على المنبر في هذه الاقطار كان يعظ في شهر رمضان في [illegible] طهران الموسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف فيه مدرسة كبيرة للفقه وسائر العلوم ... وقد اثنى عليكم وقرض مجلة المنار على

منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الخاص والعام .

والمنار يفتخر بصداقة هذين العلمين في الامة المحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية جديرة بهذه الاريحية ، فانها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وستبقى كذلك الى يوم التناد .

وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من المنار يدار على عشرات من الناس

وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهلها لا يرجحون على فتوى المنار فتوى وان بعض القضاة الشرعيين يعتمد على المنار في حجج بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا

وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيرا صدى المنار وخدمته للاسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكتفى بأن يكتب الينا باسم « المنار في مصر » طالبا ارسال المنار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام تنشيطنا على هذه الخدمة الملية ومساعدتنا عليها بالدعوة اليها والتنويه بها

﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

قرظ المقتطف الاغر كتاب الاسلام والنصرانية وانتقد علينا ما أوردناه في مقدمته من تمثيل الاسلام بينبوع تفجر في أرض ثم فاض في أرض أخرى فأنشأ به أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء المنار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غرة شوال مع الجزء العشرين في نصف شوال فجعلناهما جزءاً واحداً مؤلفاً من عشر كراسات فلم ننقص المشتركين من حقهم شيئاً . وقد غفل عن كبر الجزء وعما كتب عليه من العدد (١٩ و ٢٠) بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس أن ما ينشر في المنار غير معزو الى أحد ما هو بقلم الاستاذ الامام أو بايعازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تعريب (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناسبة نذكر ان كل ما ينشر في المنار غير معزو أصلاً فهو لصاحب المنار فكراً وعبارة ، وهذا لا ينافي أننا اقتبسنا كثيرا من المسائل العلمية التي ننشرها من معارف الشيخ في الدروس والمذاكرات ولكن الذي نود بيانه أن منشئ المنار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا دخل لأحد فيه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ٢٨ فبراير (شباط) سنة ٩٠٣)

مسألة النساء

(مضار تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد مرقوا من النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم مقررين أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الا على النظر والتجربة معاً دون ماعداهما فاشتهر في العالم أن الافرنج مرقوا من الدين في الواقع وانما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى قنة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائقاً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين ، ولكننا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها.

وقد خدع بمثل هذه الاقوال والأحوال بعض المسلمين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض مايرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ماارتقى به الافرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم ، يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون ، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون ، ولو أبصروا لرأوا ان هذا الخسار ، انما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ،

لقد سبح القلم الى ماليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الاحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولَدِينٌ وثني خير له من ترك التدين بالمرة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوربا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإما مما وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الافرنجية بالتربية والتعليم ان يتروّوا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجعلوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة الملية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ممزقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حتفه بظلفه . وأنه

يجب اقامة ماقرره الدين على سبيل القطع والتروي والاجتهادُ فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجه .
وان أكبر العبر ماوقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفعاً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لابدّ ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفاً

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلَّمنَ وكيف يربين ليكنَّ عوناً للرجال على الارتقاء ومجاراة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوربا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أومجاراتها وهم الحكام وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها تظرّفاً أو تزلّفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم العصرية في مدارس أوربا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدنية الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبلة الأولى للاستانة ومصر في طلب هذا التحوّل لأنها أم هذه المدنية الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكلترا بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيس ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالمذاكرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروي الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لابد منه . ثم ننتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تغن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرنا ونيفا

الغرض من التربية والتعليم سعادة الامة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وانما يطلب الهناء والشرف للحيّ النامي فاذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي الى قلة النسل وعدم نموّه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر . وتربية الاناث تربية استقلالية كما يتربى الذكور سواء مخلٌّ بوظيفة النساء الفطرية ومؤد الى تلك النتيجة المخيفة — قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

انتجت هذه التربية في انكلترا النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على انفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجههن الى الاعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدبير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرة وقال بعض أطباء الانكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو اربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كإناث سائر الحيوانات الاصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال الا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وان ماعدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الافراد مرضا من نوع (الهستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعلمات المتربيات يكرهن الأُمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن الى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة اذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك الى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي فى جعل الانسان ملكوتيا فيقلن ان الحبل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرجه عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة اوالدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللاسقاط بعد تحققه

(٦) ان البنت قلما تتزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الحداثة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكلوفورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر واضيف اليها نتيجتين عامتين فى النصارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب فى التزوج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة فى الفضائل الدينية عند اكثر النصارى . فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستتبعها انكلترا في ذلك

بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين بتربيتها من الشرقيين

وإذا التفتنا الى جانب رجال رام في انكلترا يأخذون إخذ الذين سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج بالمسافحة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الاربعين سنة أو يجاوزها ثم هو لايود أن يكون له ولد كثير وإنما يبتغي وليّاً يرث ماله ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان يخلف الاول اذا هو درج فإن عُزز بثالث احتمله وكره كرها شديدا ان يزيد ولده عن عدد «الاقانيم الثلاثة» ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا كانت ودوداً ولوداً

ولاتحسبن هذا الصياح والعويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في سعادة الامم كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف سكانها في مدة قريبة لاتلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار الخربة بالدار العامرة . ويقولون إن الدولة لاتشكو من قلة النسل حباً في الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملوك الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وانما يبذلون ايضا اموالها ودماءها . لهذا يعسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلتفت لفتة ثالثة الى البيوت انتظر كيف يعيش الزوجان

اللذان نظرناهما منفردين اووصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدنية أوربا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم العالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوربية فمنهم من يتمنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكاتب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا سبيل اليها فما لنا الا أن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لامرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لايتحقق الا بتحقق أمور (احدها) اذعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومرؤسة له . ولا تذعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته دينا (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لايشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لايختلف الى غيرها من خدن أو بغي . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب. ولا استثني من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لايجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسعيها . والعمل على هذا وان أنكره بالقول الاكثرون

ثم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال فى الافكار والاخلاق والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما فى التربية والتعليم من الفوائد الكثيرة ولكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاوربيين قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلتهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من أول السير كل ما رأيناه سيئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها تربية الانثى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان الامران ينافيان إذعانها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويبغضان اليها ملازمة البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب مقتض كما أنهما يعرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول فى التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي العلوم المدرسية كلها وأما ماوراء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والخياطة

فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا نقلد فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم والتجربة في أوربا عدة قرون ان كل ماخالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يعدونه من اضر الامور فى الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته وتدبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضروريات الاجتماع أيضا ووجد من نسائهم داعيات اليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث تزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لاعائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وانا ان نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لاوضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد الشبهات عن الاسلام

(احياء الاسلام لمدنية اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقتطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريظه التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب ، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد . قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الى من نسب اليه : « وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب . قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه :

« ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الارض بعد

موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه سار مستنقعات تحتوي . ولم يلبث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الاكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل الينبوع المنتسبين اليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم به خصبهم ونموهم كأحسن ما كان لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع الامم الغربية الحية الراقية . أخذ الاوربيون من الاسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه »

(ثم قال الكاتب بعد ما نقل هذه الجملة ما نصه :) « وياحبذا لو بين لنا حضرة الاستاذ الفاضل من أين أتى الماء الذي أحيا مدنية اليونان والرومان فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحيا مدنية المصريين الأقدمين فبقيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صفائح الصخور تعلم أسمى الفضائل وأفضل الآداب »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأمس أو بالأموس نرد شبهات بعض المتطفلين على موائد العلم ، والمتهجمين على الطعن في الاسلام بغير فهم ، ونحن اليوم نناظر عالماً غزير المادة واسع الاطلاع ، ونناظر أديباً ذكي الفؤاد ، دقيق الانتقاد الا أن قلمه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكتب التي يقرظها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل مايهدى اليه من كل وجه وان كان مذموماً من وجوه كثيرة . وانتقاد الكتب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى اليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين او الناشرين يألمون من الانتقاد وان كان حقاً ومقنعاً . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس اذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالتصدي للانتقاد مع هذه الوعورة في طريقه يعد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تجلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون .

ولقد قلت من قبل قولا في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء عندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة الى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أحوج الى معرفة موضع النقد ، مني الى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبعث على إصلاح العمل ، وأهدى الى توقي الزلل .

أما عثرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية » لا مع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الاسلام كل أصول الاصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجملة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التفصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل

أما مدنية المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم انها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياها بعد موتها فأنشأ أهله — لا أهلها — بها حدائق العلم والعمل في بغداد ومصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدنية الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدنية الصناعية وإنما كان في الاصلاح البشري اي الاصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فاذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدنية الصناعية و بنى أهلها أهراما لم يبن مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر مالم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الاهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدنية كانت تسحر بدامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستهويهم وتحملهم على الخضوع الاعمى لأولئك الرؤساء الضالين المضلين ، الفاتنين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الاوهام في مدنيتهم وحربهم وصناعتهم فهيكل جوبيتير الذي يدهش الناظرين ببدائع صناعته هو آية على ان تلك المدنية الصناعية كانت مقترنة بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الابيض والعنكبوت وهي حشرات أتقنت أعمالا من الصناعة كانت فيها من أساتذة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب فى الحقوق فإنه لم توجد شريعة وضعية ولا سماوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وان كانوا قوما معادين «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحملنكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل واجب مع الوليّ والعدوّ لانه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها. والمصريون كانوا استحلون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبيدا لملكهم كما فعلوا بالاسرائيليين . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن الرومان قد ظلموا الاسرائيليين ظلما يضاهي ظلم المصريين لهم . فأين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بين عليّ بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود . وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن سعنة وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا الى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يابني عبد المطلب مُطْلٌ : فقال عمر : أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هـذا منك ياعمر — أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعا مكان مارُعته » ففعل ثم أسلم هذا الحبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل مافعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمن به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدا الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلا فيما يعتقد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان ان للكون سننا ونواميس ثابتة ينبغي ان يهتدي بها الانسان فى سيره العلمي والعملي . و (٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانيين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم فى الشهوات اسرافا صاروا بها شرا من البهائم

ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدنيات القديمة لخرجت من جواب سؤال الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا فى الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر فى انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولا إن النصرانية لم تنتشر في تينك الامتين الا بعد ما داخلتها الوثنية ولكنها قربتهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وانما أجهزت عليها حتى محت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدلٍ وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من براثن الاضمحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أثينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستنيانوس أجرة المعلمين العموميين في أثينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مضرة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أثينا بالانحطاط

ونختم القول بنتف من التاريخ في مساوئ وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المقتطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون محتفلين بعمل موسم تشريف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي » !!

فلولا وجد من الرومانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للملوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد روملوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هياكل ومعابد عامة

ومن ظلمهم ان طيباريوس اتخذ القانون القاضي بعقوبة كل من [illegible]
الى الأمة الرومانية آلة للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استعدت لذلك
من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في الجنايات [illegible]
الشر والتشري السائد في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الانتخاب
أيضاً لانه كان يعاقب كل من نسب اليه قول أو عمل [illegible] اعتداء على [illegible]
وكل الامة كانت عيوناً ولا بد للناس من انه [illegible]
أو الاشراف [illegible] كانوا يحبسون الناس على خواطرهم ويعاقبونهم ولم يكن
القضاة يتوقفون في الحكم على المتهم بأدنى شبهة . وكانوا يعاقبون على أمور
لا تخطر في بال أحد من أهل الممالك المستبدة الى يومنا [illegible] تشبه تلك المظالم [illegible]
اليوم ، من ذلك ان طيباريوس آخذ رجلاً باع بيته وكان فيه صورة الامبراطور .
وان دوميتيانوس حكم بالقتل على امرأة عمرها [illegible] لانها تعرت أمام صورته !!
فهل كانت تلك [illegible] في اصلاحها الى شريعة المساواة [illegible] التي
يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الحقوق [illegible] انها
كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعودين على
التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما نعلم ذلك بالوقوف على
قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق . . . . وإذا كانت عادة الملة
الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارئ في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أمو الهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الاشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والامم المدمرة والوقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتراس والثبات والشجاعة، ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه الا إسعاد خمسة رجال أو ستة من الأشرار:

نقول: فهل كانت مثل هذه المدنية محتاجة الى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أماتها الظلم والجبروت؛ نعم كانت في أشد الحاجة الى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الاسلام بسهولة . ونسكت الآن عن الكلام في فساد اخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذ وفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إيغالا مدهشا يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء . وهنا يخطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيتهم التي أماتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهيد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجهزة على تلك المدنية كما أشرنا الى ذلك في مسألة مدنية اليونان

(تأثير النصرانية . في المدنية الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة ان النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤساؤها وجوب هدم الهياكل وكسر التماثيل ومحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة او كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاودسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فطفقوا يحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاودسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق مابقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون بلاتين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد اغسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حماية إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدنية ولم يصلحوها وينقوها من أوضارها بدلا من محوها وطمس معالمها؟ وماذا أبقى النصارى للعرب مما نقوا لهم إلا نزراً من الكتب أحيوها به

أما تمهيد النصرانية للاسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية واضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالغلوّ في الزهادة والانقطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانصار هؤلاء وتحكمهم بخرافاتهم في الامة . فالذي مكن المسلمين من الاغارة على صقلية والاستيلاء على سيراقوسة هو إلزام القسيسين القيصر باسيليوس الأول المقدوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك ألزموا خلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة لمنوس

وأما خلافهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل فحدث عنه ولا حرج فثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا فكانوا بذلك فى أشد الحاجة الى ذلك الينبوع الذى فاض فى أرض العرب وتفجر ماؤه على غيرها فأحيا البلاد والعباد كما هو شأن الانهار والينابيع تفيض من مكان وتحيي ما تسير اليه وصح تمثيلنا حتى على الوجه الذى صرفه اليه الدكتور الفاضل محرر المقتطف الاغر . وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية ام القرى

يقول (السيد الفراتي) انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ورد الي من الصاحب الهندي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقته مكة المكرمة اجتمع بأمير جليل فاضل من أعاظم نبلاء الامة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامير فى شأن النهضة الاسلامية وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته ذكر له اطلاعه على سجل جمعية أم القرى واشياء من مذاكرتها ومقرراتها فأظهر الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذى ذكره له فعندئذ وعده باعارته نسخة من السجل ثم ارسلها اليه وبعد ايام تلاقيا فدارت بينهما المحاورة الآتية

قال الأمير: أشكر لك أيها الصاحب هذه الهدية العزيزة وبالذة ليلة أحييتها فى مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التى لم استطع ان اتركها تلك الليلة حتى اتيت على آخرها ثم فى الايام التالية اعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال الصاحب: يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكراتها .

قال الأمير: كيف لا أعجب بذلك ولطالما كنت اتمنى انعقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا القصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلا سياسياً ودينياً معاً وكنت استبعد وجوداً كفاء كهؤلاء .
وأعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة مع اقامته اياماً قلائل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال الصاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه : فاعل في الاقدار شيئاً آن أوانه

قال الأمير : نعم للاقدار دلائل ولنعم انتظار .

قال الصاحب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه اعجابه بهذه الجمعية ومذاكراتها لأصحح رأيي في بعض انتقادات تخالج في فكري المقاصر فان أذن لي أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الامير : قل ولعلي اقف على مالم انتبه اليه .

قال الصاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين الحاكمين فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات أشد احكاماً

قال الأمير : لا أظن أن في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تشف آراؤهم عن سعة اطلاع وسمو فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية

قال الصاحب : أرى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد أصابت على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الامير : لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضاً وقد رأت الجمعية بها ولكن رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ انتجت مباحثاتها ان علة الفتور هي الخلل الديني فحولت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلول ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أمهات أصول الادارة الا وأشار اليه بما يغني عن تفصيله

قال الصاحب : أليس بعض الأعضاء كالعالم النجدي والمجتهد التبريزي قد اسهب كثيراً بما كان بعضه يكفي عن باقيه

قال الامير : ان مسألتي التوحيد والاستهداء كانتا مهمتان في الدين وقد تطرق اليهما الخلل منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردهما الى اصلهما من أهم الأمور وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولا يرى ولله المثل

الأعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال الصاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الامير: اني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دققت النظر لا تجد مكررات وانما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه واني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ما هو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال الصاحب: ما هو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمنتظرة

قال الامير : القانون هو أهم ما أثمرته الجمعية وقابل الإجراء مع الصعوبة

قال الصاحب : لا أدري هل أصابت الجمعية أم اخطأت في تعليق أكبر أملها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها المعظام

قال الامير : لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعا للدين ولا شك انه لا يقوم بالهدي الديني ويغار على الدين أمة مثل العرب

قال الصاحب : أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالا تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قد ألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستنكف عن الاذعان الديني له بسهولة .

قال الامير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة

قال الصاحب : ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وأن السلطان غير الدولة فهل يتفضل مولاي الأمير بايضاح ذلك

قال الامير : أريد ان احترام الشعائر الدينية في أكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة وليس من غرضهم بل ولا من شأنهم ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك وهذا مرادي بأن الدين غير الملك وعلى فرض إرادتهم تقديم الدين على الملك لايقدرون على ذلك ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم لأن دولتهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة كما ان الهيأة التي تتشكل منها الدولة أعني الوزراء هم كذلك لفيف مختلفة الأديان والجنسيات وهذا مرادي بأن السلطان غير الدولة . فخدمة الحرمين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى كلها لاتكفي للمرجح في الدين ثم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تعضيد وتأييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم

قال الصاحب : قد وجد في هذا البيت الكريم بعض أعاظم خدموا إعزاز الدين كثيراً كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالي المعظم فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الامير : أرجوك ان لا تنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر حكيم سياسي فإذا أمعنت النظر ماضياً ومستقبلاً وقلبت صفحات التاريخ بدقة تجد ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماماً الا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضي الله عنهم واتحدتا نوعاً ما في الامويين والعباسيين ثم افترقت الخلافة عن الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فاني اذكر لك أنموذجاً من أعمال لهم أتوها سياسة للملك وان كانت مضرة للدين . فأولهم هذا السلطان محمد الفاتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق سراً مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسبانيولي ثم مع زوجته (ايزابلا) على تمكينهما من ازالة ملك بني الأحمر آخر الدول العربية في الاندلس ورضي بإيقاع [illegible] بالقتل والاكراه على التنصر بالاحراق وضياع خمسة عشر مليوناً من المسلمين بعاقبة باشتغاله أساطيل أفريقية عن نجدة المسلمين [illegible] في مقابلة ما قامت له به رومية من خذلان الامبراطورية الشرقية عند مهاجمته قسطنطينية ثم التزامها الحيادة . وهذا السلطان سليم غدر بآل العباس واستأصلهم حتى انه قتل الامهات لأجل الأجنة وبينما كان هو يقاتل العرب في الشرق كان الاسبانيول يحرقون بقيتهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضايق ايران [illegible] ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع [illegible] كما لم يقبلوا من أشرف خان الافغاني

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني ، وقد سعوا في انقراض خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية ومنها أنهم أغروا وأعانوا الروس على التاتار المسلمين وهولانده على الجاوة والهنديين ، وتعاقبوا على تدويخ اليمن فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لا يعترمون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية حتى ان العسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزبيدوهم في صلاة العيد

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عم أو كادت ولم يشأ الأمر ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء أو معسرة له ، وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه اباحة الربا والخمور وابطال الحدود ، ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال السادات بانماء نفوذ القبائل ففعل ،

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على المحافظة على الدين ، أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة فهذا كذلك لا يفيد الدين وأهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المعظم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون استناد الى صبغة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقا خدما مقبولة عند الله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر ، وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه فيتروى في الأمر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملقين الخائنين الذين ينسبون حضرته الى مالم ينتسب هو اليه ويشيعون عنه دعوى ما ادعاها قط أحد من أجداده العظام بوجه رسمي

وهؤلاء الغشاشون يغرون حضرة السلطان بهذه الدعوى بما يعرفون به عليه وبما يؤلفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يعزون بعضها لأنفسهم وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لأسماء يسمونها أو كتب يختلقونها فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتصلون نسباً بعثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

---

(١) الاجانب لا يتفوهون بأن السلطان خليفة الا عندما يريدون إقامة الحجة على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قريش ويعطونها حق الخلافة مرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالعهد وأخرى بالبيعة العامة وحيناً بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ المخلفات النبوية . وكأن هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم دعيّ نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسنم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أنساباً انتحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف أن التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود اذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفنناً في الاجلال وغلواً في التعظيم . ثم توسع استعمال هذه الالقاب في عهد ابنيه وحفيديه الى ان بلغ ما بلغه اليوم بسعي أولئك الغشاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الحاضر للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم الى الآن يأبون التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم وانما تمضغها أفواه البعض فيلوكها التركي تعظيماً لقومه والعربي نفاقاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاجنبي هزؤاً ومكراً بخلاف سلطان مراكش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً المتقاطعين لأجله على انهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخلق الله من يسعى في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشريفات والمخاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والايوبيين وغيرهم

ثم قال الامير وقد حملتني إشارات السيد الفراتي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة ان أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي ان يبنى عليها ذلك فلاح لي ماقيدته في هذه المفكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استنسختها منه وهذه صورتها .

(١) اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة

(٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الخطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية

(٣) الخليفة ينيب عنه من يترأس هيئة شورى عامة إسلامية

(٤) تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطنات والإمارات الاسلامية وتكون وظائفها منحصرة في شئون السياسة العامة الدينية فقط

(٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبيل موسم الحج

(٦) مركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف

(٧) تقترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة

(٨) تعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص [illegible] ويصدق عليه من قبل السلطانات والامارات

(٩) ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناء على أنه اذا تعدى شرطاً منها [illegible] وفي كل ثلاث سنين يصار تجديد البيعة

(١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة

(١١) الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها

(١٢) الخليفة لايتداخل في شيء من الشؤون السياسية والادارية في السلطنات والإمارات مطلقا

(١٣) الخليفه يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثتهم للولاية

(١٤) الخليفه لايكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين ولا يذكر في المسكوكات

(١٦) يناط حفظ الأمن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطانات والامارات

(١٦) تكون [illegible] العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل أحد الامارات الصغيرة

(١٧) يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها

(١٨) هيئة الشوري تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا تخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وان كانت غير مسلمة وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهالك

ثم قال الامير وبمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيبه من قواعد اتحاد الألمانيين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتتفرغ للترقي في المعارف والعمران والثروة والقوة بما لابد منه للنجاة من الممات . وما أجدر أمارات الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال الصاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لايجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على السلطنة

قال الأمير : إني أحب العثمانيين للطف شمائلهم وتعظيمهم الشعائر الدينية ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق وعندي أن آل عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لايجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي

قال الصاحب : أخبرني أيها الأمير أحد أعضاء الجمعية أنه لما رأى السيد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عليهم لا لهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة؟ فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تغرير المسلمين وتركهم متكلين على دولة ما توفقت لنفع الإسلامية بشيء في عنفوان شبابها بل أضرتها بدعوى الخلافة العباسية المجمع عليها وتخريب ما بناه العرب وإفناء الامة بفتوحاتها شرقي أوربا ومدافعاتها عنه وانه لا يقصد بكشف الحقيقة والإعلان بها غير إزالة الغرور والاتكال المتولدين على قلوب المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

[illegible] الترك قد تركوا بقوة الجهل [illegible] وتركوا [illegible] ٣٣٣

عرضة المنتقمين ، وتركوا ثاني ملكهم طعمة المتغلبين ؟ أفما آن لهم أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على مافرطوا في القرون الخالية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين لحماته ويحتفظون هم على بقية سلطتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك يتقون الله في الاسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً انه غير متعصب للعرب وانما يرى ما لا بد أن يراه كل حر مدقق يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الاسلام منحصران في أهل المعيشة البدوية من العرب اذ يرى أن المشيئة الالهية قد حفظتهم من [illegible] الأمراض الأخلاقية التي لا دواء لها كفالج الحرية في الحواضر باعتقاد أهلها أنهم [illegible] الامراء ، وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء في مقام رباط الاستمتاع ، وكطاعون الحياة في بعض الأقوام بأنهم [illegible] الميت الأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله أهله بخسف الأرض بهم تطهيراً لها منهم . وكوباء النشاط في أهل الأراضي [illegible] حيث [illegible] فرطوا فتفسد أخلاقهم فيخسروا الدنيا والآخرة .

قال الامير : نعم الرأي ونعم التدقيق

[illegible] في خليفة قرشي في مكة ترتبط به جميع السلطنات والامارات الاسلامية ارتباطاً دينياً وما وصف من [illegible] لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً . والغالب أن الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر [illegible] الكلمة الدينية الى رابطة سياسية [illegible] حروباً دينية فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط بالمرة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه أمام [illegible] الدول من ذلك

قال الامير : لا يفكر هذا الفكر غير الفدكان وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما [illegible] في [illegible] وهي الدول العظام التي يهمها التفكر في هذا [illegible] علمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

(١) ان المسلمين لا يتنصرون أبداً لا سيما في زمان يتمدن فيه النصارى عن نصرانيتهم [illegible] أقرباء وجوداً وأبعد عن الفتن من الجاهلين

(٢) [illegible] المسلمين أقرب من غيرهم للألفة وحسن المعاملة والثبات على العهد . فاذا أرشد أولئك السياسيون لأن يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضاً

بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيبونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لا من مؤلفات متعصبي الفريقين حيث يجدون نحوا من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلا عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إنك لا تهدي من أحببت» «وجادلهم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد احداها (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتابيين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمهما . واذا دققوا البحث يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقاً من يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً . وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل نارها المسيحيون

ثم بعطف نظارهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تعديات اساطيل إمارات الغرب الا من قبيل القرصان الذي كان مألوفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم نصارى . اما غارات التاتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وانما هي من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على أوربا . ويجدون انهم كما أغاروا على اوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم

اما الترك فاذا دقق الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون بالاستناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمعزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن .

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان اصل "الاسلامية" لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الالفة وذلك أن العرب اينما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الاتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لانهم يذعنون لكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الايام نداولها بين الناس »(كذا) فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لايحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح النصرانية وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة السطوة مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذ الامر فهي لا تقوى عليه لأن افكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أني لاأظن بمثل فرنسا أن تخدع لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبية الخرقاء

قال الصاحب : أستشف من كلام مولاي الامير ان امله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع انه معجب باتقان التدبير.

قال الامير: ان دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها.

قال الصاحب : اني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكاتبه فهل لمولاي الامير رأي أو أمر أبلغه اياه اذا ظفرت به .

قال الامير : نعم اذا ظفرت بمعرفته فاقرئه مني السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي اني أثني على صدق عزيمته. وعلى حسن انتخابه رفقاءه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبتهم . وان لايقنط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراكش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها .

قال الصاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله أبشره بتحية مولاي الامير وأبلغه كل ما أمر به .

﴿ انتهت المحاورة ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاورة بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تنويهاً بشأن حضرة الامير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته وافتخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجنابه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتأسيسها فهي بعناية الحي القيوم الابدي حية قائمة أبدا

﴿ تذكرة ﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعلم الموحدين مدة فالمأمول من الجمعيات الاسلامية الموجودة في الهند وقازان والقرم ومصر وغيرها أن لا تأنف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فتقتبس منه ما يناسبها وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكرى

﴿ رجاء ﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شمة حمية ومروءة فلا يتجسس عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوء اليها وليعلم أن يده وان طاولت الافلاك أقصر عن الإضرار بها لان الجمعية في أمان الاخلاص ولا يحيق المكر السيء الا بأهله

﴿ تهوين ﴾

ليعلم أسراء التقليد وورثة الأوهام ومعظمو العظام ومؤلهو العظام ان تألمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مبالغت لا يلبث أن يزول متى خلوا بعقولهم وحكموا الحكمة والإنصاف وتأملوا نسق الايمان وناصع القرآن وحينئذ يجلي لهم الحق ويندمون كما ندم قبلهم الاولون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء

﴿ إعلان ﴾

من أحب أن يخدم مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعضيدها بجاه أو مال وأراد مراسلة الجمعية أمكنه أن يراسل وكالة الجمعية بدون اسم بل بارسال كتاب معنون الى مدينة الى صندوق البوسته عدد

وإذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أولا باسم له مختلق ثم بعد أخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول المذيل به هذا السجل

والذين يرجى منهم التعضيد مهم كحضرات الامراء العظام والاغنياء الكرام فلهم أن يطلبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستوضحون (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما ألحق به . وقد كنا اتفقنا مع جامعه السيد الفراتي (تغمده الله برحمته) على نشره في المنار بتصرف يختص بتصحيح عبارته وحذف مساوئ الدولة العلية (ايدها الله تعالى) منه . ثم استحسن فضلاء القراء عدم حذف شيء منه فاستغنينا عن ما نشرناه من أول سنة المنار الى الآن ان يثقوا بأنهم اطلعوا على هذا السجل كله بعبارة أصح الا جملة واحدة ذكر فيها خديو مصر بأنه يرجو لمساعدة الجمعية والا جدول الكتابة الرمزية

باب الأسئلة والأجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على افندي مهيب بتفتيش التلغرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للامام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأمور الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الأعمال يوم الحساب بميزان ذي كفتين وصنج (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أثابكم الله ونفعنا بعلمكم

(ج) إنما ذكر الغزالي ماذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشار إلى الرد على مخالفيهم من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للاشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) بأن المؤمن اذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بإيمانه . ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالى هل هي عين الذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالى الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الايمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالتفاضل بين الصحابة . فقوله : انه لا يتقبل ايمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فان أركان الايمان ثلاثة الايمان بالله وصفاته والايمان بالنبوة والايمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ماصح بالتواتر وجب الايمان به قطعاً وكان انكاره كفرا بشرطه ويؤخذ على ظاهره المفهوم من اسلوب اللغة اذا لم يكن محالا عقليا فان كان ظاهره محالا فاعتقاد المحال غير مكلف به في الاسلام فلك ان تأول ولك ان تفوض . وان كان ما ورد غير متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عنده الحديث وجب عليه الايمان بمضمونه وله أن يأوله اذا كان ظاهره غير مقبول حتى ينطبق على وجه معقول

وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجمالها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في تقبل الايمان وانما يريد ان هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار الى توجيهه والرد على مخالفيه في ركن السمعيات من الفصل الثالث في لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الحوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقوفا عليه فإنه قال بلغني ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن رفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعّفه . والمأولون يقولون ان الصراط هو صراط الدين أي طريقه وردعليهم بقوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » ولكن الآية لا تدل على ان المراد بالصراط ما كان بذلك الوصف.

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنج أحاديث صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين انها جمع موزون . والأكثرون على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض الى انه تمثيل المراد به العدل قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً » روى الطبري من طريق ابي نجيح عن مجاهد أنه قال : « إنما هو مثل كما يجرر الوزن كذلك يجرر الحق » ومن طريق ليث بن أبي سليم عنه أنه قال « الموازين العدل » وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والاعمش . ولما أخذ المعتزلة بهذا القول عرف بهم وصار ينسب من يقول به الى الاعتزال حتى قال ابو داود عن ابي سلمة عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : انه قدري معتزلي : وما كان معتزليا الا انه أنكر الميزان . والمقصود من هذه النقول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور في هذه المسائل فتبين بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس شرطا في صحة الايمان بحيث يكفر من لا يعتقده وما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث الانسان في كيفيتها بل يسلم بما ثبت في النصوص القطعية ويفوض الأمر في الكيفيات الى عالم الغيب والشهادة ولا يعتقد محالا عقليا

﴿ الجهر والاسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والعيدين ﴾

(س ٢) و . ز . في سوريا : لماذا شرع الجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الاوليين من المغرب والعشاء؟ ولماذا كانت خطبة الجمعة قبل صلاتها وخطبة العيد بالعكس؟ أفيدونا لازلتم ملجأ للاسلام.

(ج) إنما الجهر في الصلاة الليلية التي تصلى في وقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة الصحيحة بأنهم كانوا ينصرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن

المعهود أن الانسان في وقت الظلام لا يخلو من أحد حالين النعاس او الخواطر الكثيرة ... الصوت يعين على طرد النعاس ودفع الخواطر والوسواس كما ورد في الأثر عن سيدنا عمر رضي الله عنه . فالأقرب عندي أن هذه هي حكمة الجهر في هذه الصلوات وفي منافعها اهتداء داخل المسجد ليلا الى معرفة المصلي ليأتم به . وللصوفية وغيرهم في ذلك أقوال غير جلية . وأما تقديم خطبة الجمعة فالاهتمام بها لأنها هي المقصود الأول في ... الاجتماع ولذلك قصرت صلاة الظهر لأجلها . وأما خطبة العيد فهي مقصود ... ان ... الصلاة لا يتوقف عليها بخلاف الجمعة كما أنها اذا قدمت على الصلاة ... عند بعض الأئمة . وقد فعل ذلك مروان فأنكر عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال له خالفت السنة ولكنه لم يقل بأن الصلاة لم تصح ولا طالبه باعادة الخطبة . والأثر في البخاري وغيره وفيه أن سبب تقديم مروان الخطبة أنه رأى الناس ينصرف ... منهم بعد الصلاة كما يفعلون الآن ولا ينتظرون سماع الخطبة فلعل هذه البدعة ... ترك السنة .

(س ٣) حشيش وأفيون الشيخ محمد البني بفاقوس : ثبت عن الفقهاء ان الحشيش ... والافيون يجوز تعاطي القليل منه مع أن القاعدة الأصولية أن ما أسكر كثيره فقليله وكثيره حرام والحشيش يسكر كثيره فكيف العمل بهذه القاعدة مع حجة العلماء لما ... أفيدونا ... أن تتفضلوا بالجواب ... في ... ذلك جزيتم عن الدين أحسن ...

(ج) لا أذكر ... القليل ... ان قول العالم لا يخالف أصول الشريعة وقواعدها الثابتة لا يلتفت اليه ما ... دليلا يثبت به أن قوله لا ينافي تلك الأصول . وتحريم ما أسكر القليل ... الأحاديث الصحيحة . وقد ... أن انقل هنا عبارة أوردها ابن حجر ... في كتابه الزواجر لابتلاء الناس في هذه البلاد بالحشيش وهي :

« واعلم ان حشيشة المعروفة حرام كالخمر من جهة انها تفسد العقل والمزاج ... خنث وديانة ... وغير ذلك من المفاسد ... أحواله خبيثة الطبع ... فساده واقتلاعه ... زوجته وأهله فضلا عن الأجانب ما يقتضي ... نحو البنج والافيون وغيرهما مما مر قبيل ... من جهة أنها تفضي الى الصيال على الغير والى المخاصمة والمقاتلة

والبطش ، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة

« ورأى آخرون من العلماء تعزير آكلها كالبنج ، ومما يقوي القول بأنه يحدّ أن آكلها ينتشي ويشتهيها كالخمر وأكثر حتى لا يصبر عنها وتصده عن ذكر الله وعن الصلاة مع ما فيها من تلك التقبيح . وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي نجاستها كونها جامدة مطعومة ليست شرابا فقيل هي نجسة كالخمر وهو الصحيح عند الشافعية وقيل المائعة نجسة والجامدة طاهرة (قال) وهي على كل حال داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى

« قال أبو موسى رضي الله عنه يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع الكلم بخواتيمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه مأكولاً أو مشروباً ، على أن الخمر قد يتأدم بها بالخبز والحشيش قد تذاب فكل منهما يؤكل ويشرب . وانما لم يذكرها المتقدمون لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وانما حدثت في مجيء التتار الى بلاد الاسلام . وما أحسن ما قيل :

فآكلها وزارعها حلالا فتلك على الشقيّ مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة . لأنه زينها للأنفس الخسيسة » اه

﴿ باب التقريظ ﴾

(الجواهر الكلامية . في العقيدة الاسلامية)

الشيخ طاهر الجزائري هو أشهر العلماء بخدمة الاسلام في بلاد الشام وقد كان ألف عدة كتب مختصرة [illegible] أيام كان [illegible] معارف ولاية سوريا تحرى فيها [illegible] [illegible] وما [illegible] [illegible] [illegible] والانجيل والزبور الموجودة الآن وما هي من المذكورة في القرآن . وفي العقيدة بعض المسائل الخلافية التي كنت أود لو لم تبحث وهي قليلة وما ذكره فيها هو المشهور عن الجمهور

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته نقحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى سلك فيهامسلكا لطيفا في التبصرة والاستدلال ينبغي أن تختص بتلامذة المدارس الثانية أو العالية وقد طبعت الرسالتان معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فننصح لمدارس مصر الأهلية بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها وثمنها قرشان صحيحان

(كتاب لسان الصدق جوابا للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على النصارى) تأليف الشيخ علي البحراني أحد علماء الامامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل في بابه محكم الوضع قوي الحجة حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته واثبات الرسالة أشار فيها الى ضعف مذهب الاشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو المقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف في التوراة والانجيل وبيان كون القرآن يغني عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد دعواهم اتفاق اليهود والنصارى فيما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأناجيل وابطال ألوهية المسيح . ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام، وبيان بشارات كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. وبالجملة انه لم يترك مطعناً من مطاعنهم الا وفنده وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في اثبات مذهب الإمامية وجعل في آخرها قصيدة اشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه. وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب طبع في الهند طبعاً سقيما كسائر المطبوعات الهندية . فانتدب الكتبي الغيور الشيخ محمد المليجي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطلب من مكتبته بقرب الازهر وغيرها فنحث أهل العلم والفضل على مطالعته

(وقاية الشبان ، من المرض الافرنجي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور سعيد ابو جمرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا فيها المرض اليه فظاهرة واما كون الكتاب وافيا بهذه الحاجة فاننا أن نحكم به او نستأنس له بتوجيه همة المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين ، وطبع هذا الكتاب كسابقه في مطبعة الهلال وصفحاته زهاء مئتين وثمنه ١٢ قرشا واجرة

البريد قرشان ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الراوي) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طاهر وأنشأ لها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب السوريين المشهورين بالاشتغال بالصحافة فنود لو تصادف رواجاً ونجاحاً ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف الا أن تسلك الجريدة مسلكاً تمتاز به ولا يجده القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما ذاك الا أن تتبرأ من الميل الى احدى القوتين الموجودتين في البلاد وتصبر زمناً طويلاً على قول الحق الخالص من غير نظر الى مرضاة الناس وغضبهم وأعني بهذا أن تكون تاريخية لا سياسية . وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

باب الأخبار والآراء

﴿ العربي الجواد . وهل سلم من سعاية وانتقاد ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي خبر تبرع صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين (واسمهم تجار اللؤلؤ في خليج العجم) على السويس في طريقه الى الحج وكيف بسط يديه بالنوال حتى صار كل من لقف خبره يذكر كرم أمراء العرب الاولين ، وعطايا الخلفاء والسلاطين . ونقول الآن انه بعد ان وزع الصدقات على الفقراء . وأهدى الهدايا للاغنياء ، وبعد ان بذل المساعدة للمدارس الاسلامية والقبطية والأجنبية وبعد أن أخذ على نفقته نحو مئة وعشرين حاجاً من الفقراء وبعد ان ظهر امتعاضه لأن سائر قاصدي الحج رجعوا خائبين لان سفينة (البحيرة) لم تسعهم وأوصى من كان قائماً بشؤونه (وهو السيد النسيب مصطفى هاشم وكان الباشا في السويس ضيفه ونزيلاً في هذا البيت الكريم) بأن يجمع من بقي من الفقراء وهم يعدون بالمئين ويرسلهم على نفقته في أول وابور يحمل حجاجاً من السويس . وقد جاء في بعض الجرائد ان السيد المذكور وفى بما عهد اليه الباشا [illegible] شركة (بواخر البوسطة الخديوية) [illegible] الحجاج الباقين [illegible] هذا بعضها أو كله كفوا بعض الناس في مصر [illegible] المحسن الجواد بالسعاية والانتقاد

بينا كنا نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول انه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي اذا بعضهم يقول ان أكثر هذه العطايا في غير موضعها ولو كان بنى بهذه الأموال جامعا مثلا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور : ان الكرم على قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجرى فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل الى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتعليم ، واما الثاني فهو سجية في النفس يكون لصاحبها أريحية وهزة تبعثه على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن المصير ؛ وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كحاتم الطائي وكعب بن مامة ومعن بن زائدة

ثم رأينا جريدة «مصباح الشرق» تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير العطايا التي جاد بها وعن الحجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومة على الحجاج المصريين وعن منابع ثروته واستنتجت من ذلك توهين خبر الجرائد ؛ ونحن نجيب بأن رواة الجرائد كتبوا اليها ما رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر واشغاله باملاء تاريخه وتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى انها تكتفي في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولا تكتفي في مقام المدح بالمشاهدة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا ان الرجل أمير أي انه أمير في نفسه وقومه لا انه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا انه شيخ دارين أي انه رئيس تلك الجهة وان شئت قلت انه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين ، وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج العجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النحو وهو :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعن من (دارين) بجر الحقائب

وقد كانت عفت فأحيا معالمها محمد عبد الوهاب هذا ، وأما ينبوع ثروته التي استكثرها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنيا قبلها ، ومن لطائف الاتفاق أن جريدة ثمرات الفنون الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحرا من السويس تعرب نبذة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :

« واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ غائصاً فاصطادوا ما قيمته ٨٤٠٠٠٠٠ روبية (الروبية فرنك واحد و٦٨ سانتيما) فاشترى هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داريان (الصواب من دارين) وجهز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثنا عشر الف رجل فصادوا ما قيمته ٢٠٠٠٠٠٠ روبية ، هذا ما كان من المغائص المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المغائص فلم تزل قيمته مجهولة » اهـ

ونحن قد علمنا من صاحبنا انه يجهز السفن وأنه يعطي الغواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عليها عند اخراج اللؤلؤ . فنقل « مصباح الشرق » قول بعض الجرائد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الاقل وقوله عنه اذا كان « قد بذل من خزائنه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبلغ ثروة تدخر بين ساكني نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الايام » !! كلاهما غير سديد وقد ذهل صاحب المصباح عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لا يباح لهم السفر الى الحج بعد سفر المحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر المحمل بأيام ، هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انه في غير محله . ونؤكد له القول بأن ثروته أكبر مما استكبره على أهل نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة « السعاية » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا المحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السعاة المحتالين الذين يسمون هنا « جواسيس الاستانة » قد دبت الى مرجعها ودبرت حيلة لإيذاء هذا الرجل المحسن في بيت الله وحرمه الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فنسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم « فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين »

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من اللائحة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إثبات ان سبب تأخر لبنان وانحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي تعمر به البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في ملاشاة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب

بدأ كاتب اللائحة رأيه بتخطئة القانون اللبناني في جعل وظائف الحكومة مقسمة بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبذة افتتحها بكلمة واشنطون محرر أميركا في أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة وهي « يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الاميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد:

« يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمنية الا بإعداد رجال المستقبل فكيف نعدهم ؟ بالمدرسة جعل واشنطون العظيم الشعب الأميركي بمبدإ واحد . وبالمدرسة جعله هكذا عظيماً . وبالمدرسة الحرة جعله هكذا حراً . بالمدرسة يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا . بالمدرسة استطاعت اليابان أن تخرج من الظلمة الاسيوية الحالكة المدلهمة . ان الأفكار القديمة لا تجد لها ما نعادون عقول الصغار الا المدرسة . فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن يصير وطنياً وان يتحد على مصلحته الطبيعية .

« مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة حامية المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لئلا يكون في الشعب أفراد يجهلون حقوقهم وواجباتهم فلتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها ايضاً

« ان المدرسة التي نرجو ان تكون حاجزاً بين صغارنا وافكارنا القديمة ليست المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الايطالية . لأننا لا نريد أن يكون صغارنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزويتية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا متوا كلين ضعفاء خبثاء . ولا المدرسة الطائفية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثوذكسا وملكيين ومتاولة واسلاماً . ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا لاهوتيين يتجادلون على ما لا يعلمون . إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد الا فسادا وتقهقرا . فالمدرسة التي نرجو ان تكون لنا بابا الى الحياة الجديدة هي المدرسة الوطنية الحرة . هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة كالحكومة اللبنانية » اه باختصار قليل . ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والنفقة عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح

ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحقة » لا التي يلغط بها بعض أحداث المصريين

في مصر بغير فهم ولا شعور ولذلك كان هذا [illegible] سخرية عند جميع [illegible] في مصر [illegible] وانّنا نعترف بصحة رأي اللائحة ونجزم بأن بلادا فيها [illegible] الحكومة والأمة لا يمكن ان تنجح ولا ان يتفق أهلها على ترقيها

وليعلم زميلنا الفاضل صاحب جريدة المناظر ان ما قاله في المقالة التي رد فيها على مقالة السيد البكري (المستقبل للاسلام) من ان في مصر فريقين احدهما يدعو الى الوحدة الوطنية والآخر يدعو الى وحدة الاسلام وان قوة الأول [illegible] السيد البكري على الانتصار [illegible] الوطنية التي [illegible] أحلام [illegible] هي وطنية [illegible] في [illegible] الذين هم أعرف [illegible] بالوطنية [illegible] وصارت [illegible] حكومتهم ودولته دولتهم بل [illegible] تستطيع أيها الوطني الصادق أن تجزم [illegible] هذه وطنية الكاذبة

﴿ ملجأ الأيتام واللقطاء ﴾

[illegible] الاكتتاب المألوف [illegible]

[illegible]

ولا شك أن [illegible] الاكتتاب [illegible] وكأني بكثير من الاغنياء [illegible]

مثل ما دفع الأمر [illegible] هذه [illegible] البخلاء فلو صح ان [illegible] على حسب نسبة النقص والتقصير [illegible]

الأمر [illegible] من كان أكثر [illegible] أقرب [illegible] على أن الواجب في هذا المقام [illegible]

[illegible]

مصر يشعر بالحاجة الى هذا العمل [illegible]

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارث (آذار) سنة ٩٠٣ ﴾

﴿ رأي في اصلاح المسلمين او رأيان ﴾

كتب الينا وكيل للمنار في بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح المسلمين في خاتمة جواب يتعلق بأمر الاشتراك والمشتركين فأحببنا أن يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :

« رأيك بالعناية في إصلاح النفوس والعقول والأفكار والأخلاق لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس كتب التصوّف النظري وكتب العقائد التي أُلّفت على طريقة ارسطو (لا كتب أرسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلسفة اليونانية وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دوّنها الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق الى مدارس تعلّم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أمم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يتقي سريان عدوى الأخلاق التي أرزأت أمم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف . وبعد أن تندرس هذه الامم التي صارت مع طول الزمن ركام أقذار مفسد التمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على أنقاضها ما قل إصلاح

« وهيهات هيهات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت هيما ، وبيضت لما ، وأشفت أمما ، ظهر كنفشيوس قبل عصرنا هذا بإحدى وعشرين قرنا لمعاناة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تداعى من بنيانه العتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساعيه الكبيرة وهمته القعساء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في الهيا كل لكهنة الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعته العظمى الا ثباتا وتمكينا . وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكليروس اليهود وليجدد ما اخلولق من مذهب التوراة فلم يقبل له رأيا الامن خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة

وماعسى ان اقول ونبينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهيمنا على الكتب ومجددا لشرائع الكون التي اقتضت سنة العمران تجديدها بتجدد المقتضيات فلم يقبل دعوته من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فئته ، وانحاز لغير بئته ، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستنكر ما يستحسنه الناس ويستحسن ما يستنكرونه فيسفه أحلامهم ويبين أوهامهم ، الى أن يثوبوا الى رجعة الهدى ، او يكون نشأ جديدا ، ودون ذلك خرط القتاد على فرض سلامة الظروف المحيطة

على أن هنالك منهجا آخر اقرب الى السلامة ، واضمن للنتيجة ، وهو

سبيل رجالات أوربا الكبار ، ودهاقنها العظام، وبيانه ان يشتغل المصلح بعد ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدبير ما كله، بتنمية ثروته بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي مذهب الصدق ويتقيل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل رود وغيرهما فلا يصعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم تجمع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الامم او النفوس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات فلا تفيد المسلمين في شيء اللهم الا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المرتقية [١] لا يصيخون الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنبهات والذي يصيخ وينظر في بلادنا الفاحش هو المكسال المتقاعس عن خير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه لبه واستثارت إصبعيه فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين ولهذا اتفقت كلمة العمرانيين على ان ترقي الامم لا يفيد الا اذا كان ماديًّا بحتًا مطبيًّا على أثافي الصناعة والزراعة والتجارة وطرائقه الإقدام والحزم والعزم والنشاط والثبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى بعثة رسول، وإنما تدعو اليه الحاجة وتبعث اليه اختلاط العناصر المختلفة بعضها

(١) [illegible] ويلي [illegible] اذا كبروا [illegible] ولا أعرف له [illegible] وأو بلد الأرض [illegible] الرمل وهو [illegible] ولا معنى لهذا هنا

«يدين سكان الجابون بدين وثني أخمد نفوس اهله آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجف طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثراء فانبرت نفوسهم ساعية وراء التأسيسات النافعة وما فتئوا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثبي وما كادت تنتبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيلسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتدارا ، وما دين المسيحية بأصفى منهلا من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكتها يد المجامع المقدسة لم يزل دينا للأمم الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغما عن النهضة العلمية والاخلاقية

لا أحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمنا طويلا ولا تكلف تعبا كبيرا وهي ان تترك القادري يعمه في قادريته والرفاعي يمشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يخبط في ظلام نصرانيته والوثني يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحدا عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان نتمكن من جمع مال كثير فنؤسس به مشروعا يكون جزيل الفائدة ، كبير المائدة ، وما علينا والصراخ في الهواء ، والنفخ في الأجواء ، والا[illegible] [illegible] ، والتوقي [illegible] الرياسة ، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالا يحتاج الى بيان ونظرا في بعض الجزئيات . وما كان الاجمال منه الا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارد الخواطر وتلاقي الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل والوكيل الاصيل ، في وجوب عزل المتعلمين عن الامة لأن قوام التربية بالقدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعزله عن الناس فحبب اليه الوحدة ، وألهمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ماشاء ان يعلّمه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فعلينا ان نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى فى الرأي وهي الاستعانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، باساتذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المتعلمين عنه ليتولوا شطر الاصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح فى المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الامم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذلك أن الاستعداد فى البشر متفاوت تفاوتا كبيرا وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوربا من يملك ألوف

الالوف وفيها من يموت جوعا وكأين من عالم يطلب الثروة ، وتعوزه الكسرة والحسوة ، وليس هذا مقام بيان تأثير أولئك المصلحين العظام في الأمم والكاتب يعرفه ولكن غرضه ماذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقول في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتاب الداعين الى الإصلاح هم ورثة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر أن للوثر وأشياعه وميرابو وأضرابه تأثيرا عظيما في تحويل أوروبا عما كانت عليه ، ونقلها الى ما انتهت اليه ؟ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثل عرش الملك وسلط الصعاليك على الأمراء والنبلاء ؟ فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفقراء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجد إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء بتأسيس المشروعات المادية النافعة وإن شئت فقل انه لم يوجد إصلاح مادي بحت ولكن كل إصلاح يرقي البشر بتبيج العمران والعمران المادي ، إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكاتب الفاضل ولكن الرأي الذي أبداه انما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه الطريق الأمم لولا أن فيه من العقبات الكؤد ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين الى الإصلاح كالمسلمين

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على مريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل ... روس بعد إصلاح شؤون منازلهم وتنظيم طرق معيشتهم ، من هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها ؟ هم نفر

من وسط الناس سامت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالميل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية أودعا في نفوسهم اذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن الى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف سدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طرقه تعلما فيكون همهم بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه المربون والمعلمون

وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسل رود . والاعمال الكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صلحوا بها محلاً للثقة في إناطة الاعمال بهم وأنّى لبلاد المسلمين بهؤلاء العاملين العالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان الامة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد لتفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينتظر ان يلاقيه منهم مريد الاصلاح اذا حاول سلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للاصلاح المعنوي وكذلك يكون .

أما الجابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم الى الاصلاح طلب الثروة ولم يكن تقدمهم ماديا بحتا لا شائبة فيه للدين بل كان السائق اليه هو صاحب السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد ان كانت حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعا أمته الى العلوم والفنون دعا ولا نقول انه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر العارفون بالتاريخ ان أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالاصلاح في أوربا وهو (شارلمان) كان مندفعا بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا الاصلاح الديني الذي قام به زعماء البروستنت لحبط عمله وكان هباء منثورا

والقول الفصل في الإصلاح الاسلامي هو أن الواجب على العقلاء الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو انها أن يسعوا في إصلاح العقول والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتنبيههم بالخطابة والكتابة ليكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من مسالمة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فعلم من هذا ان أول واجب على من يشعر بالحاجة الى الإصلاح في بلد من البلاد الإسلامية ان يشتغل بالدعوة الى ما يعتقده في ذلك ليكون له حزبا والدعوة خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي في التربية الملية والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاستمانة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاما نافعاً الا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي في هذا العام جمع الف الف روبية لانشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك. ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حداء الا ان يكون مسير كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجى من الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ،أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصلحون من الأمة غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملا آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آنسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعميم التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويقيمون حكومة الشورى ويجتهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الاصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه . وقد أخطأ

سلطان مراكش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلت قدمه وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير هذا الجزء ليأمن العدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين الموافقين لأهل بلاده في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلاده عندما تستعد بلاده لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين ألفوا الاستبداد وما كان عمل عاهل اليابان؛ الا فلتة من فلتات الزمان ، والظاهر لنا أن كل ماهو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء من أفرادها دون الملوك والامراء ولله في غيبه شؤن ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون

﴿ مدنية العرب ﴾

النبذة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للانسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي الاضطرار في الأمور العامة . كنا شرعنا في السنة الثالثة للمنار بكتابة مقالات في مدنية العرب أو مدنية الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا خمس نبذ في منشإ تلك المدنية وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن نتم هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا نتم ذلك في هذه السنة وقد مرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتمكن من إنجاز الوعد لأن المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمعية أم القرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها شيء إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضية وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد العرب فطفقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرصاد المجسطي بالزيج الجديد وأنهم أخذوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل الاوربيون بهذا العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى ظفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح أزياج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند والهند وكان قانونه جغرافيا كان قدوة المشتغلين بالتقويم والجغرافية من بعده

ووضع عمر الخيام حساب جداول التقويم السنوية (الروزنامه) في سنة ٤٦٩ هـ و ١٠٧٤ م وحدد مدة السنة الفلكية أدق تحديد . ووضع الشريف

الادريسي حوالي اوائل القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوربا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضاً عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسعت معرفتهم بها باتساع فتوحاتهم وتجاراتهم . قال سيديو : انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلانطيقي الى تخوم مملكة الصين انشأوا بالتدريج اربع طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوربا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجزجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتتجه إحداهما من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الاخبار الجليلة الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقة سنة تسعمائة (٢٨٧ﻫ) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٣٩٠ﻫ) على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج أن العرب كانوا متبعين في أول عصر بني العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند الذي صح نقله الى العربية سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظفروا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفوهون باسمه الا ليبينوا ما فيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على كتب المسعودي التي اهمها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان خط استواء النهار الذي يبين نقطة وسطها يخترق مدينة اوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية وهي قبة عرين للتنصيص على الاطوال فظن بعض الفرنج ان المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الاربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي وأما « عرين » فكلمة اصطلاحية ارادوا بها جزيرة موهومة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبدل العرب خط نصف نهار عرين اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر » اه

وقد الف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ومعجم ياقوت والمشترك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماه وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك (وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير بسپاهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعد له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحياها العرب باحياء الاسلام لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية) وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكتشفوا بذلك خواص نبات بلادهم وصموغها البلسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائد جليلة . قال سيديو : إن البحث عن الجواهر الطيبة الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشؤن للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوربا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول او الغول الذي صار قوام الاعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المشر والجلاب وغير ذلك من الادوية والمعاجين والمربيات والهلامات . قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة للادوية سواء كانت معدنية او نباتية او حيوانية واخترعوا الانبيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقرباذينيا كانت جميع التراكيب الاقراباذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجوز خلافها : » أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقراباذين (الصيدلة) ابو بكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسهلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو عليّ بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطبائه وابن رشد فيلسوف الغرب وأكبر أطبائه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانتفعوا بهما كما انتفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للجميع بالتبريز في العلوم

<u>الطب</u> : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وائمتهم ولكن طبهم كان ممزوجاً بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرق والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكان التشريح مذموما عندهم والأطباء من غير الكهنة محتقرين يعاقبون اذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم الى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علما محترما ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة اليه فأجلوا الاطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتقروه في أول دولتهم ، احترموه في عنفوانها ثم عتاوانحطوا بانحلال دولتهم حتى اذا نهض الاسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافقة في الارض فاستيقظت بعد موتها

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في اسفل درك الهوان والخمول فنهضوا به نهضة جديدة والتقطوا ما بقي من كتب اليونان وغيرهم واودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكد يفرغ الخلفاء ومن واليهم من بني أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكان للطب سهم وافر واستعانوا بعلماء اليهود والنصارى عملا بالحديث القائل « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساعي الحميدة إنما كانت للعباسيين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بختيشوع النسطوري رئيسا عليهم وطبيبا خاصا له كما كان جورجيه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ومؤلفاتهم واكتشافاتهم وقال — :

«وعلى هذا كانت دولة العرب عروة الوصل بين طب المتقدمين وطب المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما كان عن العرب وظل اشتغال العرب مدة مديدة منحصراً في النقل والتقليد لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فبينا تراهم عالمين بالأمزجة والأغذية وباحثين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتنجيم والعزائم ، والرقى والطلاسم ؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء فاستجلوا كثيراً من الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم مباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحميات النفاطية كالجدري والحصبة والحمى القرمزية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم الذين لطفوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمر هندي والراوند والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب لهم من العلائق التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من قدرهم ويقلل من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها التناول واستخرجوا كثيراً من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطب البشر عنوا بعض العناء (كذا) بالبيطرة وهي طب الخيل والزردقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدرة وهي صناعة الفرس والطبيعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعيات وماوراء الطبيعيات . ولبثوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا الفلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا أضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عنفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ٥٩٥ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية مالم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية وانما كانت بالقوة الأدبية التي بثها فيهم من الاسلام، ولم يقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة العلية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ وعلى أنقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدها الله تعالى بتوفيق القائمين على سريرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة لما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٣٦) أن النظر في هـذه المسألة من وجوه حقيقتها والحكمة فيها . حجج القائلين بجوازها ووقوعها . حجج المنكرين لها . ادعاء جميع الامم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الا مبحث منفعة الاعتقاد بالخوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن ننقل طائفة من الخوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابيين إيضاحا لما جاء في عرض القول من ان جميع الامم تدعي لرؤساء دينها الخوارق والكرامات . ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيها بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة مبحث الخوارق ومبحث مدنية العرب وصرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نر بدا من الوفاء به مع الايجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدنية العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطررنا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي ضاق عنه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل — في جزء آخر سنة تقدمه عيد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة الوافدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال بالانتقال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاوره والاشتغال بتأسيس مطبعة المنار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديبا لنفسنا و . . . لغيرنا ولتكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع كنا نود التطويل فيه لأن للاعتقاد بالخوارق تأثيرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون المعيشة والكسبية وان شئت فقل ان لها التأثير العظيم في سير الأمم فرسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلزاله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الاقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدهما

(الخوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بخوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند الى اليوم يأتون بخوارق مدهشة ومن أغرب خوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة . ومن خوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطفأة . ومنها انهم يظهرون أشياء من العدم . ومنها أنهم يستنبتون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة . ومنها أنهم يذبحون الانسان ثم يحيونه . ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون . ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسعها .

وقد نشرت جريدة الاهرام من مدة قريبة بعض العجائب والخوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود . والهنود معروفون بهذه الخوارق من قديم الزمان وقد اعترف لهم بعض المتصوفة بشيء مما وصل اليهم وعللوا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشعراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم ان أصحاب تلك الخوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايذاء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستمسكون بدينهم أتم الاستمساك ، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تقدمت في بحث الآيات من الاصطلاحات الدينية

﴿ الخوارق عند النصارى ﴾

كل ماذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل مايتناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي رواياتهم الايمانية التي يدعون انها عن مشاهدة أو ترتقي الى المشاهدة. ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والمنام وظهور غيرهما من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمغيبات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوّة. ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراق الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصايب والرزايا بمن يؤذي القدّيس . ومنه قضاء الحاجات والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذه شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحي اذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت اذا زار المصاب قبره . ومنه حبل النساء العواقر بالبركة والزيارة ومنه اخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبتهم ومساعدتهم اياهم في بعض الشؤن . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلا ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فان احدهم يدفن في الارض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ماهو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها التواتر فقد جاء في كتاب « المعيشة الهنية . في الحياة النسكية » أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبة ماهو ثابت بشهادة ستمائة وسبعين رجلا

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم والذين يدعون هذه الدعوى للقديس أغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم الا أن يلجأ الى تأويل تلك الخوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر الى الأمم نظراً واحداً لايريد منه الا استجلاء الحقائق بأن التأويل اذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فاذا كانت طرق النقل عند جميع الامم واحدة فإما أن نصدق الجميع واما أن نكذب الجميع واما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق اني أثق بنقل قومي دون نقل غيرهم لاني أعلم بحسن سيرتهم يقال له ولغيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن مايقال عن صالحي ملتك دليل على صحتها لأن هـذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر «شترك الإلزام»

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولويولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستغيث من طمعها سائر فرق النصرانية — فانا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجندية ودخوله في الاكاركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هـذه الاعتيادية فتقدم الى أيقونة والدة الله » تعالى الله عن الوالدة والولد « وجثا أمامها بأقوى مايكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته المجيـدة وأعدا اياها بكل نشاط نفسه أنه يخدمهما خدمـة دائمة . وفي انتهاء صلاته هذه سمع صوتاً عظيما وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج النوافذ حتى ان حائط المكان انشق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقـدمة عبده نفسه لخدمته عز وجل »اه

وكأني باخواني المسلمين وقد [illegible] من هـذه الاعجوبة [illegible] في سمط الخوارق التي سماها المتكلمون [illegible] تلوا قوله عز وجل « تكاد [illegible] يتفطرن منـه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكني أذكر لهم [illegible] يعدوه خذلاناً . قال [illegible]

« وقد شاء ابن الرجل الذي كان [illegible] أن [illegible] يقضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملا بوجـه [illegible] بالدموع ومرة أخرى أبصره [illegible] من على وجه الأرض [illegible] بالنور [illegible] بأحبيب قلبي وسرور نفسي [illegible] أحد منهم أن يحبك . فيا ما أعظم جودك ورحمتك لأنك تحتمل خطئاً مثلي » وكأني بهم يقولون نان هذه رواية آحاداً ولدان لا [illegible] في هذا المقام [illegible] أرضى بهذا القول بشرط أن لايقبل قائله مثل هذه الروايات الآحادية عن صالحي [illegible] لأن [illegible] على خلاف سنن الكون لايقبل الا بالدليل القاطع الذي [illegible] معجزات الانبياء عليهم السلام

ومن قبيل هذه الاعجوبة [illegible]

[illegible] الرؤيا تنزهه وعززه [illegible] حتى أنه لم يقدر في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدموع ولم يتكلم الا عن الثالوث الاقدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حينئذ الا القراءة والكتابة . ومرة أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس اهـ » : ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الخوارق لأن الاذكياء اذا توجهوا الى شيء واعتنوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولا غير منتظر ممن في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية . ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول لنحكم أنه محل الاعجاب في الجملة فكيف نحكم بانه علم لدني الهي جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوما لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجم الغفير فيقصدونه من كل جانب بالهدايا والنذور ومثله كثير .

وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان ، ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك النور وحثه على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قلل العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه عرفه ولم ينخدع . ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الجيلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكاليف فعرفه عبدالقادر وقال : اخسأ ياملعون : فعند ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك ياعبدالقادر واني قد فتنت بهذه الحيلة كثيرا من العباد وذكر عددا كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وخوارقه التي دونوها انه عندما توجه من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمله الى ايطاليا حباً في الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله . ومثل هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلا نحو القديس : ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لايستحق أن يحرق حياً : » وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دنيوية مبهجة وكان واقفاً على برميل ممتلئ باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالا وأحرق الرجل حياً » وعجيبة أخرى من هذا القبيل وهي انه لما جمع [يسى] بأمره الرهبان في مكان ليقرأ عليهم قوانينه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا اليه

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وهمهنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هى التي نقلها الكثيرون وعدوها عجيبة متواترة وما هي بعجيبة وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ماذكر من باب المصادفة والاتفاق لا أن سرّ القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لايلتفتون الى هذه المصادفات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن معتقديهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده اتهم في المسألة العرابية وحبس وهو بري، لأن الشيخ عليشاً كان ناقماً عليه فكان ذلك كرامة للشيخ عليش ، ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا إن ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيذاءه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فتلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الحمقى في هذه الايام ان الشيخ علياً البيلاوي صار شيخاً للأزهر بسر سيدنا الحسين (عليه الرضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له !وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس مالا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي يلهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان والإحساس والوجدان. بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخوّاص من تشكيكهم فيها ان يمرقوا من الدين ويتفلتوا من جماعة المسلمين . وقد نقلنا هذا الرأي فيما سبق عن بعض كبار الشيوخ وهو ما يجيب الناس في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتماس المنافع ودفع المضار من أصحاب القبور وجعل ذلك تدريجياً

لمجرد تقليد أو اعتقاد العامة الذين لايعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في مقالات البحث في اثبات الكرامة وسنذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي لذي نية لناس في المسألة وبيان منافع هـذا الاعتقاد ومضاره ووجوه تاويل ماينقل عن جميع الأمم من الخوارق فلا يعجلن القارئ المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى يقرأ المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

الملكان ومسائل عبد الله بن سلام (س ١) ا . ز . ع بالسويس : سأل عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشماويل ألفا وأربعمائة مسألة وأربع مسائل من غوامض التوراة أذكر منها سؤالا نصه «أخبرني أين مقعد الملكين من العبد وما قلمهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مقعدهما بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان اعماله الى مماته : فقال صدقت يامحمد » الخ . وقرأت حديثاً في مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية أتى به اسؤال عنوانه القضاء والقدر وهذا معناه « كل يوم ينزل على العبد ملكان مع كل منهما صحيفتان إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفتين البيضاوين ماعمله طول يومه حتى اذا انتهى النهار طابق الملكان الصحيفتين اللتين كتباهما على الأخريين فيجد انهما مثل بعضهما حرفاً بحرف » الخ فهذان الحديثان ينافي أحدهما الآخر ففي الأول إن لوحهما فؤاد العبد وفي الثاني انه صحيفتان ينزلان بهما فالرجاء الافادة هديتم للهدى .

(ج) كل من الحديثين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث ترونه في كتاب أو مجلة أو جريدة الا اذا كان موصولا بذكر من خرجه من أئمة الحديث حتى تسأل صاحبه ومعرفة صحته من عدمها أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في الصحيحين . وهذه القصة المؤلفة في مسائل عبدالله بن سلام المذكورة في خريدة العجائب — جمة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول طعام أهل الجنة وعن الولد ينزع الى أبيه وامه . والرواية هكذا في غير البخاري من كتب الحديث وفي كتب السير « قالوا » وكان اسم ابن سلام الحصين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

﴿ ماروي في الإسراء ، مستقر الارواح ، عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أفندي رفعت بمصر : ماذا رأى نبينا محمد في ليلة الاسراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومنه : أين تستقر أرواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا ان ما ورد جائز عقلا وقد أخبر به المعصوم

(س ٤) ومنه : ماهو عذاب القبر المنصوص عليه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو عليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شان الأحياء والجسد لاحياة له الا بالروح فاذا كانت الروح في الجسد ووصل اليها الألم بواسطته يصح أن يقال ان هذا الألم ألمّ بالروح والجسد وان كان الشعور للروح وحدها . واذا كان الروح خلقاً مستقلا مدركا كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فعلم بهذا أن قول العلماء: إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالانسان بعد الموت وان لم يقبر — يكون على الروح والجسد: يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وان تفرقت هذه المادة وانحلت الى أجسام كثيفة وغازات لطيفة . ويستلزم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الاشاعرة ان الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الاشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجح عندنا ماقلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العين (س ٥) أحمد أفندي نائب الكاتب بمحكمة شبين الكوم : جاء في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الامثال قديمة وحديثة ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من العينين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جماد ونبات وانسان بطريقة شرعية

(ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العين ولكن ذكر المفسرون مسألة العين وجهاً في تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليُزلِقونك بأبصارهم لمّا سَمِعوا الذِّكرَ ويقولون انه لمجنون » والمعنى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه نظر الغيظ والحنق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظر المغشيّ عليه من الموت »

ثم قد ورد في حديث الشيخين وغيرهما « العين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العين شيء في الشرع وانما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعرف المشهور فان لبعض الناس استعداداً نفسيًّا قويًّا في التأثير ولبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التنويم المغناطيسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس معهود في جميع الناس أو أكثرهم فقلّ من ينظر صاحب تأثر شديد بحزن أو خوف الا ويجد في نفسه أثراً من ذلك

المسألة المأمونية (س ٦) شيخ العرب ابراهيم جلبي بالسعدين : نرجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون يحيي ابن أكثم عنها حين ولاه القضاء ماهي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت احدى البنتين وتركت من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها يحيي عند ما رُشح له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلا تصح المسألتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجد في الثانية فتصح المسألتان من ثمانية عشر

﴿ وصية بطرس الأكبر قيصر الروسيا ﴾

(ننشر هذه الوصية تمهيداً لمقال سنكتبه في فتنة مكدونيا وحال الدولة العلية وروسيا وأوربا)

المادة الاولى — من اللازم أن تقاد العساكر دائما الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون اليفة الوغى . وترك وقت لراحة العساكر أو لأجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه أن يكون تنظيم المعسكرات

متفاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة . وعلى [illegible] الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والامان وسيلة قوية للحرب وهكذا زمن الحرب [illegible] وذلك لاجل زيادة قوتها وتوسيع دائرة منافعها

المادة الثانية — في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر علماً منافي اوروبا . وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم ايضاً وبذلك لا [illegible] بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر [illegible] ومحسناتها بحيث لا [illegible] فرصة للسعي في تحصيل المحسنات المخصوصة [illegible]

المادة الثالثة — [illegible] في جميع الامور والمصالح الجارية في [illegible] اوروبا [illegible] في شؤون ممالك المانيا الممكن [illegible]

المادة الرابعة — [illegible] لاجل [illegible] والحسد دائماً في داخلية [illegible] اعيان الامة ببذل المال واكتساب النفوذ في [illegible] الحكومة حتى تتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على [illegible] روسيا من [illegible] ينبغي عند دخول عساكر روسيا في البلاد لاجل [illegible] والتعصب لهم احتلال [illegible] [illegible] وعندما [illegible] في ذلك من طرف [illegible] فلاجل اتخاذ [illegible] موقتاً ينبغي أن [illegible] التي تكون قد أعطيت لهم .

المادة الخامسة — ينبغي [illegible] جهات من ممالك أسوج بقدر الامكان ثم نسعى في اغتنام [illegible] ذلك الايوم [illegible] [illegible] الدولة [illegible] [illegible] أن [illegible] من أسوج [illegible] بحيث [illegible]

المادة [illegible] العائلة الملوكية الالمانية [illegible] روابط الزوجية والاتحاد بينهم ومشاركتهم في

المنافع اذ بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصلحتنا

المادة السابعة — ان دولة انكلترة هي الدولة الاكثر احتياجاً الينا في امورها البحرية وهذه الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالاخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والاتصالات الدائمة بين تجار وملاحي الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

المادة الثامنة — على الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الاسود

المادة التاسعة — ينبغي التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وإن من القضايا المسلمة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فمن اللازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة وينبغي الاستيلاء على البحر الاسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دور صناعات حربية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لانه خير موقع لحصول المقصود والتعجيل باضمحلال بل بمحو دولة ايران لنتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما تمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة

المادة العاشرة — ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ماتبتغي اجراءه من النفوذ في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنا فيه أن نسعى في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة الحادية عشرة — ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الروملي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا أن نسلط دول اوروبا القديمة على اوستريا لتأخذها حربا أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا باعطائها حصة صغيرة من

الاماكن التي نكون قد أخذناها من قبل وبعد ذلك نسعى بنزع هذه الجهة من يدها

المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستميل الينا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية وفي جنوبي ممالك (له) والجئهم الى ان يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن اللازم قبل كل شيء احداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من ايجاد نوع من الحكومة الرهبانية عليهم فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين من ذوي غيرة استعين بهم في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوجيون مشتتين والايرانيون مغلوبين واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة لنا أيضاً نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نتقدم أولاً لدولة فرانسا كافة ثم لسائر حكومات الدنيا بأمرها بيننا وبدولة اوستريا ونعرض ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جداً لقبول ذلك واذ كان لابد من ان احداهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما ونجعل من قبلت منهما قابلة لما عرضناه عليهما واسطة لتنكيل الاخرى. واذ تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع اوروبا حينئذ داخلاً في يد تصرفنا فعنده يسهل عليها أن تقهر وتنكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض المحال ان كلاً من الدولتين المشار اليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يتشابك مع الآخر ويضعف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالاً معسكراتها المجتمعة أولاً بأول على ألمانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالعساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير هذه السفن وتمر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في البحر الاسود وبحر البلطيق وتهجم كالسيل على سواحل فرانسا . وأما ألمانيا فانها تكون اذ ذاك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين

[illegible] الدورة فالقطعة التي تبقى من اوربا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون [illegible] وتصير جميع قطعة أوربا قابلة للفتح والتسخير

آثار علمية أدبية

باب التقريظ

(أحسن الكلام . فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام)

[illegible] بأن أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا [illegible] كتاباً أو رسالة وأنها [illegible] على جميع المحاكم الشرعية وعلى [illegible] فتشوقت نفوسنا للاطلاع عليها ظانين أنها في اصلاح هذه المحاكم التي يشكو الناس من سوء سيرها [illegible] محمد [illegible] المشهور في مسائل اختلف الناس فيها هل هي بدعة ينبغي تركها أم لا وقد [illegible] المؤلف لها بكلام في السنة والبدعة [illegible] التي اعتادها المسلمون في المساجد يوم [illegible] قراءة [illegible] في المسجد الجامع عند اجتماع الناس لصلاة الجمعة [illegible] المولد وفضائل ليلة النصف من شعبان ورفع [illegible] وغير ذلك . وقد كان شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ [illegible] عن الترقية وما في معناها فأفتى بأنها بدعة تجتنب ولكن ديوان الأوقاف [illegible] على [illegible] بهذه الفتوى لأن السلطة الادارية [illegible] من قبل رئيسها . وفي الكراسة على صغرها [illegible] كثيرة منها ما يسلم ومنها ما هو منتقد ولما كان المؤلف من كبار علماء الأزهر [illegible] كلامهم وجب علينا الاعتناء بكلامه والبحث فيه فنقول

[illegible] الأسئلة التي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الأحكام [illegible] الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند الى أصل من هذه الأصول فهو حكم الله [illegible] وأن كل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو [illegible] وليس كل ما لم يفعل في عهده صلى الله عليه وسلم [illegible] مذمومة بل اذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة

والسلام كان بدعة [illegible] وحينئذ [illegible] الا [illegible]

ونقول ان ما ذكره هو المعروف عن العلماء وذكره ابن حجر في فتاواه الحديثية وسبقه الحافظ في الفتح وفيه اجمال يحتاج الى [illegible] ان كان داخلا فيما لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأمور الاعتقادية والتعبدية فهو [illegible] وضلالة قطعاً لا سيما اذا اتخذ شعاراً دينياً والا لجاز لنا أن نزيد في الدين عبادات [illegible] كثيرة يعرف بها المسلمون وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله [illegible] نسميها بدعاً مستحسنة . فليحفظ القارئ هذا

وكما انتقدنا الإجمال في هذا الموضع ننتقد فيه التمثيل فقد مثل [illegible] المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسح على الرجلين دون [illegible] لنص الكتاب [illegible] ما جاء في الكتاب [illegible] تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » على قراءة [illegible] ابن كثير وحمزة وابي عمرو وعاصم أي أكثر السبعة) ظاهر في وجوب المسح والثاني أوله العلماء القائلون بعدم الاكتفاء بالمسح بأن الجر في الرجلين للمجاورة وقد رده القائلون بالمسح بأنه قد عدّلنا لأنه لم يرد الا شاذاً في [illegible] مما لا يغتفر في غيره [illegible] على [illegible] بالعطف كقوله [illegible] يشترط فيه الأمن من الالتباس [illegible] كلام الله المعجز [illegible] والالتباس . وتأولوا قراءة النصب بالعطف على المحل أقرب [illegible] ان الغسل مسح وزيادة وقد ثبت في السنة الصحيحة وعليه الجماهير [illegible] أحوط ولكن هـذا كله لا يصحح تمثيل المؤلف بأن [illegible] المخالفة نص الكتاب .

ثم ذكر البدعة المكروهة وعدّ منها زخرفة المساجد [illegible] وقال كما قال ابن حجر «والا كانت من القسم الأول» أي المحرم «ثم ذكر البدعة الواجبة فقال « وتارة يكون بدعة واجبة كنصب الادلة للرد على أهل الفرق الضالة وتعلم العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة » ولا أدري كيف ساغ لهم عدّ نصب الأدلة للرد على الفرق الضالة من البدع والقرآن الكريم طافح [illegible] الأدلة نعم ان المتكلمين سلكوا فيها غير مسلك القرآن بغلوهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر أدلة القرآن مستندة الى المحسوسات ولكن الاتيان بأدلة جديدة لا ينبغي أن يكون

أصل نصب الأدلة بدعة فان البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق

ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً منتقدة أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأنهم اقتالهم غير العرب من الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ائن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم عن أبي عبيدة قال : آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا ان شر الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ماذكر

وقد احسن المؤلف في قوله : « ثم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود مقتضى لفعله كان تركه سنة وفعله بدعة مذمومة ولذلك كره أصحابه عليه الصلاة والسلام استلام الركنين الشاميين والصلاة عقب السعي بين الصفا والمروة [illegible] صلى الله عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم المناسك الناس » نقول وكذلك يقال [illegible] العبادات والشعائر الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس [illegible] لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان وتقدم ايضاح هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار

هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولنا قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات نرجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الاول من الباب الأول من مبحث الإنسان وهو في معرفة الانسان نفسه . والثانية في تمهيد البحث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظم شأنه عند علماء أوربا المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموضوع للبحث في داء الأمة ودوائها . وقد اختار المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملوا

وهاهنا نذكر رأياً رآه غير واحد وهو ان المؤلف الذي عني أشد العناية بتتبع أقوال الباحثين في استحضار الأرواح ويرى أنها الذريعة الوحيدة لاثبات الدين ينبغي له أن لا يكتفي بالاطلاع على أقوال المثبتين لهذه المسألة وتعريبها بل الذي ينبغي له هو أن يشتغل بالمسألة عملا ويثبتها بالتجربة والاختبار طريق العلم في هذا العصر وعسى أن تنهض به الهمة الى السفر الى أوربا والاجتهاد بتحقيق هذه الامنية . وهنا نعيد الترغيب في الاقبال على كتابه مساعدة له على هذه الخدمة

مذهب تولستوي — كتاب باللغة الروسية عربه سليم افندي قبعين وهو يحتوي على مختصر ترجمة الفيلسوف تولستوي وآدابه وفلسفته وآرائه الدينية وحرم المجمع المقدس له واعتراضه واحتجاج زوجته على مضمون الحرم ثم ردود رجال الدين الروسي على آرائه الدينية [مصدرا برسمه] وقد طبع الكتاب على نفقة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر واهدانا نسخة منه ولما نتمكن من مطالعته . ويعلم القراء ان للفيلسوف تولستوي يداً في الحركة العلمية في بلاد روسيا ولذلك كان هذا الكتاب جديراً بأن يقرأ وهو يطلب من المكتبة الشرقية

باب الأخبار والآراء

(فكاهة بدوية . في أخبار البلاد العربية)

ننقل الفقرة بنص كتاب أرسله بدوي نجدي الى مثله من النجديين الذين يختلفون الى هذه الديار للتجارة ونصه:

«ورد علينا جواب من [illegible] ويذكر فيه بأن ابن سعود كان على ابن [illegible] وابن حراد على [illegible] ومعهم سبعة آلاف من [illegible] وقاطن [illegible] وضالهم قطع ومعهم [illegible] ابن رشيد [illegible] ابن [illegible] نازل [illegible] وجاب [illegible] ويذكر [illegible] القسم ومعهم قيمة ٢٠٠ ذلول نازل [illegible] وجار ابن [illegible] هذا الذي ورد علينا والكون في ٢٨ شوال».

(تفسير الغريب) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والنبق واد
في أرض القصيم . و«الالاف» العلائم الذين يتقدمون الجيش وله أصل في الفصيح
قال في الأساس : وسلف القوم تقدموا سلوفاً وهم سلاف لمن وراءهم وهم سلاف
العسكر : و«حروب» يريد به طوائف من بني حرب وعلى هذا النحو جمع قحطان وصايلة .
والاخرة مؤنث الآخر بمعنى الأخيرة . وقوله «زبن بريدة» اي لجأ اليها وهي قرية
من قرى القصيم الكبيرة . والزبن في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان النار
زبانية لأنهم يدفعون الناس ويدعونهم وجاء في كلامهم «تحته جمل يزبن المطي بمنكبيه»
أي يدفعها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة أعدائهم .
والخفر بين البصرة وبلاد نجد [illegible] يقولون . وشمّل سار الى جهة الشمال . وفي الفصيح
شمّل [illegible] أخذ ذات الشمال . والبطان — وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب
البطانيات [illegible] ماء [illegible] في جهة الدهناء والذلول الناقة المذللة عربية فصيحة .
والصبحة [illegible] من الكويت وهي منسوبة الى ابن صباح . وجابر هذا هو ابن
مبارك الصباح شيخ الكويت . والكون يريد به الغزو الذي ذكره

﴿ مشيخة الجامع الأزهر ونقابة الأشراف ﴾

قضت إرادة الأمير بعزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره
في المرة فيمن يولى بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سمو لهذا
المنصب علة تحول دون توليته إياه حتى إذا رشح السيد الشيخ علي الببلاوي نقيب الأشراف
اتفقوا عليه فأصدر العزيز أمره بتوليته فنهنئه بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل
أيامه أيام اصلاح يتقدم فيها الأزهر تقدماً مبيناً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فاننا
نعهده بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث
عائشة عند أحمد والشيخين والنسائي وابن ماجه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم
« ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه » رواه عبد بن حميد
والضياء عن أنس . وأما الخرق « ضد الرفق » فان صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس
بالحاجة الى الاصلاح . وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى

ثم قضت ارادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الأشراف الى نصابه الأول وهو
البكري الشهير فأمر باعادة النقابة الى صاحب السماحة السيد محمد توفيق أفندي
البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد الى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية وتوهمنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وانما فائدة المدرسة بالمعلمين . ولقد كان الذي أشار بهذا التعيين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جعله صورة بغير معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الامة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال فالمال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكال فائدتها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المعروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الإفرنجية ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً واضعو أشكال حروف الطبع فانهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالا مفردة وأشكالا مركبة مثنى وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوربا والاستانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى أن أكثر هذه المطابع أشكالا أقلها جمالا

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاستانة والشام وقلت أشكال الحروف الاستامبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقبح الطبع وان كانت لا تزال ممتازة بالتصحيح لذلك توجهت عناية نظارة المالية الى اصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية في نظارة المعارف وشيرنوبك [illegible] والجرائد الرسمية وأمين سامي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيله

جمع الحروف فاختبر حال المطابع العربية في الاستانة وأوروبا فوجد ان أقل المطابع حروفا مطبعة اكسفورد في انكلترا فان حروفها ٢٨٢ شكلا وبعد البحث والتدقيق اهتدى الى جعل هذه الحروف ١١٢ يضاف اليها بعض الحروف الأعجمية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والمالبزية وبعض المركبات والارقام والعلامات التي لابد منها فتكون ١٧٨ وفاته أن يضيف علامات العلوم الرياضية أيضا

وذكر ان فوائد هذه الطريقة تقليل أدوات الطباعة والاقتصاد في المال والوقت والعمال والتناسق في تقسيم الحروف في السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة وبعد استشارة المالية بثمانية آلاف جنيه وتسف لتنفيذ الاصلاح

وأهل الصناعة ينازعون في بعض الفوائد ولكنهم لاينكرونها من أصلها وقد ذهبوا الى زعمهم أن هذا الاختصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الاشكال واستبدال المفضول بالافضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية صندوقا أو أكثر من الاشكال التي قضي بحذفها وخصتها بكتابة العناوين ورقاع الزيارة والدعوة ونحو ذلك لأحسنت عملا . الاقتصاد في الوقت يظهر بادئ الرأي ولعله لايتم تجربة لأن العامل يمد يده الى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة والى مافيه حروف مركبة أقل من ذلك ، ومن الجلي أنه لا اقتصاد في ثمن الحروف لان قلة الأشكال لاتقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم جمع الحروف وسرعة التمرن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضاً

﴿ تنبيه المشتركين ﴾

يرى القراء من خاتمة الآتية انا سنزيد المنار اتقانا ولكننا لم نزد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية ، فكل من قبل العدد الأول من السنة السادسة في القطر المصري فهو يعد مشتركا الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرشاً صحيحاً . وقيمة الاشتراك في خارج القطر ١٨ فرنكا وفي الهند ١٠ روبيات وفي روسيا ٧ ريالات (روبلا)

﴿ خاتمة السنة الخامسة للمنار ﴾

قد تمت بهذا الجزء سنة المنار الخامسة وكان انتشاره فيها فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة صالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الاولى والثانية . ثم ان نموه المعنوي قد زاد ايضاً وتضاءل حزب الشيطان المعارض تضاؤلا او اضمحل اضمحلالا وتنبه المسلمون الى

أن لهم مجلة دينية تخدم ملتهم بحق كما أن لسائر الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم مللهم ونحلهم المتفرقة. نعم صار المنار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامة في بلاد العرب والعجم وقد سبق القول بأنه صار يخطب به على المنابر. ويحتج به في المحاكم، ويعتمد عليه في ردّ شبهات المعترضين على الدين، وإقامة حججه للمسترشدين.

أشرنا فيما سبق الى شهادات بعض أعلام المسلمين الواقفين بالمصالح العامة كوزير مصر الاكبر رياض باشا وكمحسن الملك ... ناظم مدرسة العلوم في عليكده (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في ايران وغيرها. ونقول الآن ان المنار ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد كتب الينا في ٢٩ ذي الحجة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلغكم مزيد سرورنا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للاسلام والمسلمين ونسأل الباري أن يكلل عملكم المفيد بالنجاح والفلاح».

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا التي لا ربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم والتحرير، وما يلزم عنهما من الخطأ و... فاننا نتبرأ من حولنا وقوّتنا الى حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير.

كما نذكر تقريظ الفضلاء عملنا تحدثاً بنعم الله وشكراً له ولعباده الأخيار الذين ينوهون بالمنار ويرغبون الأمة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع الثناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا الى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فاذا كان رياض باشا يثني على المنار في غيبتنا على مسمع الملأ ويقول في محفله الحافل: ينبغي لكل ذي احساس ديني أن يقرأ المنار ويساعده: فهو يذكر لنا اذا خلونا به كل ما يراه منتقداً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمرين أحدهما الكلام في محمد علي باشا الكبير والثاني لاحقة سجل حجة أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية (أيدها الله) وقال ان ذلك ليس من موضوع المنار ولا ينبغي له

واذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي ينوّه بالمنار كثيراً وسبق له تقريظه بقصيدة فهو يذكر لنا ما يراه أحياناً منتقداً وقد كنا ذكرنا انتقاده كلمة (الاستلفات) وتعدية التعزية بالباء داخلة على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ما ورد في تفسير قوله

تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » من حكاية قول للعلماء في ان الملائكة الموكلين بالعوالم الحية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها انتظام حياة تلك الاحياء ومن ذلك خواطر الخير في الانسان كما ان خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين . نقلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الامام . وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للامام الغزالي في كتاب شرح عجائب القلب وقد سمى الاستاذ الامام هذا الرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلا بل ذكر ما يقتضي انه من باب الاشارة إذ قال « فيه إيماء الى الخاصة » الخ ولم يجعله العمدة في تفسير الملائكة . وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به وغفلوا عن تصريح الاستاذ الامام بان الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كما يدل عليه قوله تعالى « وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وأوائل سور الصافات والمرسلات والنازعات . ونرى ان سبب انتقاد الشنقيطي نقل ذلك القول وان كان من الاشارة الى الخواص « وهو منهم » هو أنه مثار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك .

وانتقد مما نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة للنساء (ج ١٥ — ٥) وقد سرى هذا التشبيه الينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى « ماهذا بشراً ان هذا الا ملك كريم » وانما ينكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح مقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى « يحرّفون الكلم عن مواضعه » الخ والآية نزلت في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس لا التفسير

وقد فاتنا أن نذكر من قبل انتقاده ماجاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل المتعة وقد رغب الينا الاستاذ بأن ننشر احتجاج القاضي يحي بن أكثم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك وسنفعل ان شاء الله تعالى . وعسى أن يحفظ الاستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر

وههنا ننبه جميع العلماء الى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يضيع الدين باهمالها ولا ترجى حياته الا بالقيام بها وندعو من يطلع على المنار منهم الى تنبيهنا على ما يرونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً اليه فاننا ننشره له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل

الدين أن ينكر الانسان عمل أخيه في غيبته ويكتمه عنه. وانما نسمع عن بعض الذين يطرون ويناوئون المنار أمامنا كلاماً لا يرضي، وهذه شنشنة المنافقين وشر الناس يوم القيامة عند الله ذو اللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين

من الناس من يعتذر عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الناس لا يقبلون أو بأنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالقول أو الفعل . وها نحن أولاء نقول على رؤس الاشهاد إن أمنّ الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على ما يراه خطأ في المنار فمن يدعي أن في المنار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكره لنا قولا أو كتابة فهو فاسق بتركه فريضة النهي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس أن يستدلوا من قوله على أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم والدين . روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن غيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » . وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

لا نلحّ هذا الالحاح في حمل الناس على انتقاد المنار اعجاباً به وتوهماً أنه يعلو عن الانتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذي نعلمه واستعانة عليه بانصاره ، والراغبين في اعلاء مناره ، ونقول هنا ما قال الاستاذ الامام : ما من أحد أصغر من أن يعين ولا أكبر من أن يعان

ونعد القراء بأن سنريد المنار نفعا في السنة السادسة فنجعل ورقه أجود من هذا الورق ونتحرى المباحث التي نراها أكبر فائدة وأكثر نفعاً . وفي النية العود الى التوسع في باب العقائد وباب [آثار السلف وسيرة الخلف] وفي مباحث آداب اللغة مع الاستمرار على نشر التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية والعود الى باب [البدع والخرافات والتقاليد والعادات] وربما نجعل البحث في شؤون النساء وما يتعلق بهن من أمر الزواج والبيوت باباً يطرق في أكثر الاجزاء وان أجل تحفة نتحفهم بها في السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) التي يبين فيها كيف تكون البدع التي رجعت بالمسلمين القهقرى هي السبب في حياتهم الملية المستقبلة . ونختم المجلد الخامس بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه ،